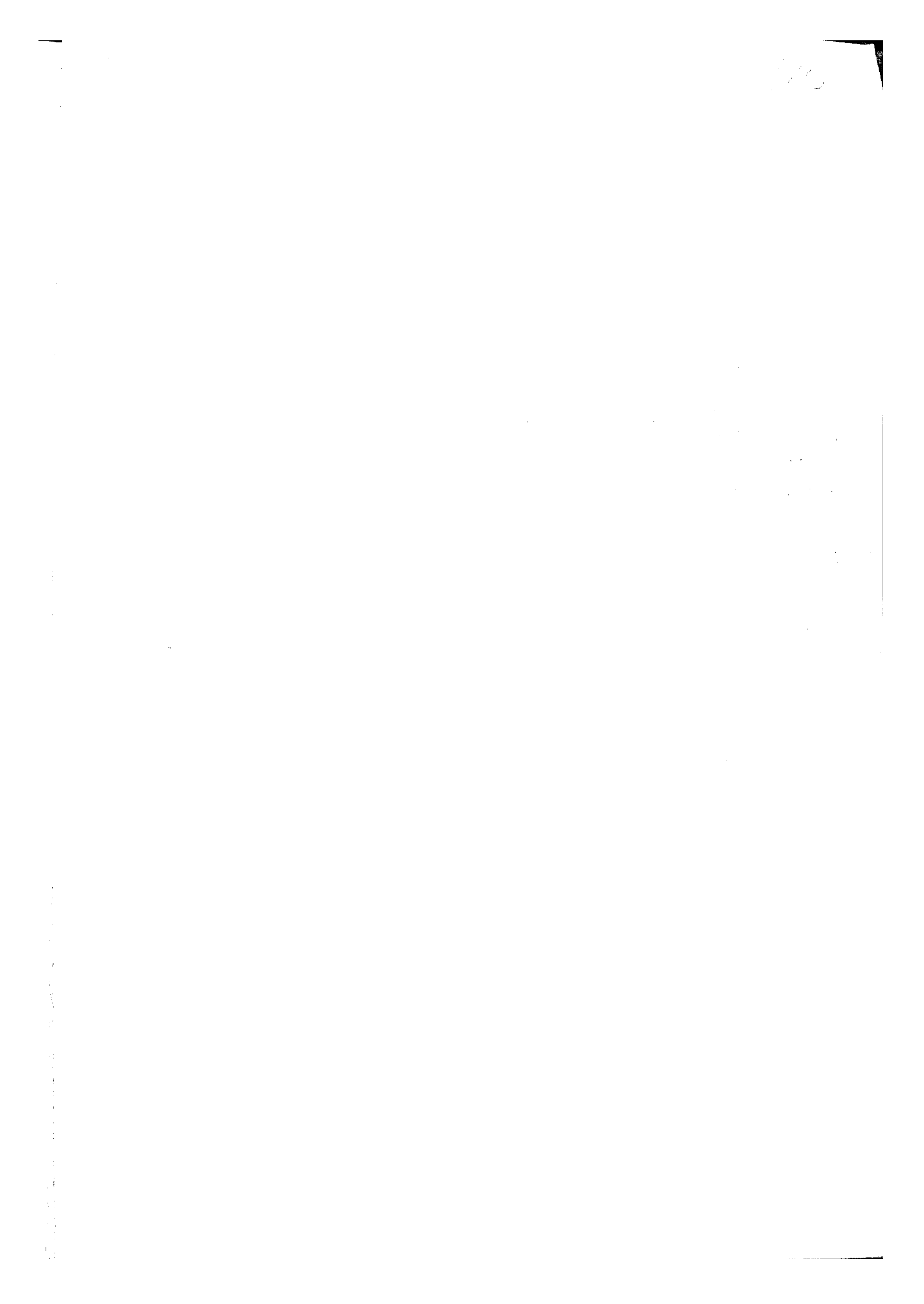
العلاقات السياسية بين الدولة الأموية

في الأندلس ودول المغرب

أ.د عبد العزيز فيلالي





العلاقات السياسية بين الدولة الأموية

في الأندلس ودول المغرب

أ.د. عبدالعزيز فيلالى

أستاذ التاريخ ورئيس جامعة الأمير عبدالقادر سابقاً

بقسنطنية الجزائر

دار الفجر للنشر والتوزيع

القاهرة

الإهـــداء ...

إيمانا مني بأن الأمَّ مدرسة ، وأن حظها التجريبي هو البيت ، وأن ميدانها العملي والتربوي هو الأسرة . أهدي باكورة إنتاجي وثمرة جهدي إلى أم أولادي .

رقم الإيداع

98/17109

الترقيم الدولى I.S.B.N.

977-5499-47-X

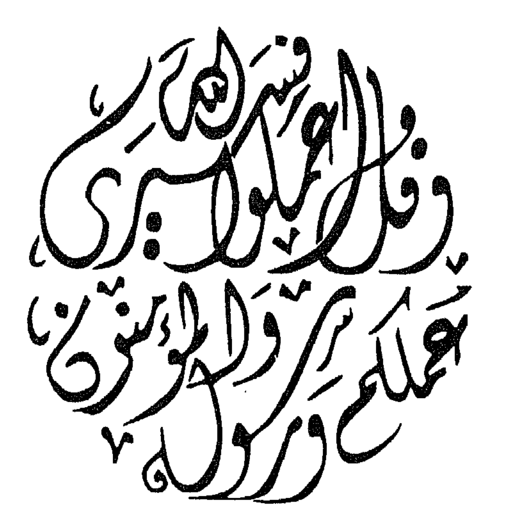
الطبعة الثانية 1999

دار الفجر للنشر والتوزيع

5 شارع التيسير – نهاية شارع الملك فيصل – الهرم – مصر

تليفون & فاكس : 3831972 (00202)

بسم الله الرحمن الرحيم



صدق الله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أ ـ أهمية الموضوع :

لا شك أن العلاقة بين الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى ، كانت علاقة قوية ومتينة في أغلب الأحيان ، وبخاصة في عصر الولاة ، لأن الأندلس في ذلك الوقت ، كانت امارة غير مستقلة ، تتبع أمير المغرب من الناحية الادارية والسياسية ، أما في عهد الدولة الأموية في الأندلس ، فقد ظلت هذه العلاقة تتذبذب بين الشدة والفتور ، وبين الحرب الباردة والاصطدام المسلح ، متأثرة بالصراعات السياسية والمذهبية في المنطقة ، ومما ساعد على سهولة الاتصال بين العدوتين ، ضيق المسافة بينهما ، فالساحل المغربي يكاد يتصل اتصالا مباشرا بالساحل الأندلسي ، عند مضيق جبل طارق (1) ، حتى لقد أصبح تاريخ الغرب الاسلامي وحضارته ، يكاد يتمم بعضه بعضا ، لهذا أطلق المؤرخون على كل من المغرب والأندلس اسم « العدوة » ، اعترافا منهم بهذه العلاقة المتينة .

(1) عرف مضيق جبل طارق عند اليونانيين القدامى ، باسم «**أعمدة هرقل**» ولما جاء الفتح العربي الإسلامي ، إلى هذه المنطقة ، أطلق العرب عليه أسماء عديدة منها : مضيق المجاز أو خليج الزقاق ، أو بحر الزقاقي أو مضيق جبل طارق ، وهي التسمية المشهور بها حاليا ، ويبلغ طوله نحو ثمانين كلم ، ويصل عرضه في بعض نواحيه إلى أربعة عشر كلم ، وقد أشار الجغرافي الأندلسي العذري إلى ضيق هذه المسافة بقوله : «والمسافة بين جبل طارق ومدينة سبتة قريبة جدا يرى الناس سورها ودورها ، ويرون ثياب العطارين بها ، وتتحرك السفينة من مرسى الجزيرة الخضراء عند بزوغ الشمس ، فلا ترتفع قدر رمحين إلا وقد رست بمدينة سبتة » ، راجع كتاب ترصيع الأخبار ، ص 118 ، 119 وكذلك كتاب الدكتور أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 24 .

وقد ثبت بمرور الزمن أن هذا المضيق ، لا يشكل عقبة أمام الانتشار الحضاري والبشري والعسكري منذ أقدم العصور ، وهو الأمر الذي دفع بشعوب العدوتين الأندلسية والمغربية ، الى التنافس والتسابق والتصارع ، من أجل السيطرة والتحكم في هذا المجاز الضيق ، الذي يعتبر مجازا حيويا واستراتيجيا هاما لكلا الجانبين .

ومما تجدر ملاحظته هو أنه رغم حيوية هذا الموضوع وأهميته ، لم يلق من الباحثين عناية كاملة ، حيث أني لم أعثر على دراسة متكاملة ومستقلة ، للعلاقة السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ، وبين الدول المغربية ، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار موضوع بحثي هذا ، محاولة جديدة في هذا المضمار ، وبصورة خاصة تلك الفترة المتعلقة بعصر الامارة ، التي دامت نحو قرنين من الزمن (138هـ ـ 316هـ / 755 ـ 928م) ، فلم يعن بها الباحثون ، وظلت غامضة حتى الآن ، وربما يرجع السبب في عزوفهم عن هذه الفترة بالذات ، إلى قلة ما كتب عنها ، وعدم وفرة المصادر الأصلية التي تتناولها .

ولعل أكثر ما كتب وألف عن العلاقة المغربية الأندلسيه ، في عهد بني أمية ، لا يتعدى معظمه ، مقالات قصيرة مستقلة ، أو مانجده في ثنايا الكتب التاريخية العامة ، وعلى الرغم من قيمة هذه الكتب والمقالات ، وعظيم فائدتها في أنارة الطريق أمام الباحث ، الا أنها لا تشفي غليله ، لأن معظمها يتحدث عن فترة الصراع الأموي الفاطمي فقط (1) .

(1) أول المصنفات كتاب المستشرق الفرنسي ، ليفي بروفنسال الشامل لتاريخ الأندلس وحضارتها ، في عهد الدولة الأموية .

وطبع طبعة أخرى في بيروت سنة 1960 م .

كما ترجم المؤلف ذاته الجزء الخاص بسياسة عبد الرحمن الافريقية إلى اللغة الإسبانية ، ونشره بمجلة الأندلس

La politica de Abde Al RAHMAN III Al Andalus VI. XL fas. II 1946

وكذلك مقال الدكتور المرحوم حسن إبراهيم حسن .

relations betmeen the Fatimids in North Africa and Egypt and the Ummayyads in spain during the 4 h century A.H (10 h century A.D) Belltin of the faculty of arts Fouad I University vol. X parts II decembre 1948.

ومقال الدكتور أحمد مختار العبادي :

سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ،

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد عام 1957 وكتاباه القيمان :

ـ دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، دار المعارف بمصر 1968 م

ـ في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية ، بدون تاريخ .

والحقيقة أنني ترددت كثيرا في بداية الطريق ، وخشيت من مغبة ركوب صعاب هذا الموضوع ، وخوض غماره ، لطوله وتشعبه ، وقلة مصادره ، كما خشيت أيضا . من أن تصبرفني قلة المادة عن استيفاء جوانب البحث ، وإماطة اللثام عن جميع أبعاده ومراحله ،ولكنني عقدت العزم قدما أن أبحث وأجمع كل شاردة وواردة ، حول تاريخ المغرب والأندلس ، من بطون الكتب المختلفة ، وبين ثنايا المصنفات العديدة ، التي وضعها قدامى المؤرخين والاخباريين المغاربة والأندلسيين والمشارقة ، التي تم لي الاطلاع عليها ، في المكتبات الخاصة والعامة في كل من الشقيقة الكبرى مصر ، وكذلك في الجزائر وليبيا وتونس ، وأسعفني الحظ ، عندما عثرت على الجزء المخطوط من كتاب « المقتبس » لابن حيان القرطبي (ت 469 هـ / 1076 م) ـ عمدة مؤرخي الأندلس ـ الخاصة بعهد عبد الرحمن الناصر ، مصورة « ميكروفيلم » ، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة عند ذلك ظفرت ببغيتي ، ووجدت فيها طلبتي ، بما تحتويه من مادة غزيرة ومعلومات جديدة .

ولا أريد أن أتكلم عن صعوبة المهمة ، وما صادفني من عناء ومشاكل ذاتية ، لأنها تصادف كل باحث يقدم على ارتياد هذا الميدان ، وانما أود هنا أن أتعرض لمشكلة واجهتني كما تواجه كل باحث في التاريخ الاسلامي عموما ، وتاريخ الغرب الاسلامي بصورة خاصة ، وهي فقدان المصنفات التاريخية المغربية والأندلسية الأصيلة ، المعاصرة لموضوع بحثي (1) ، فقد عبثت بها يد الزمان ، وأصابها التلف والضياع ، ربما من جراء الصراع الداخلي ، الذي عم هذه المنطقة بين القوى السياسية والمذهبية ، التي استولت على زمام الأمور فيها ، أو نتيجة الغزو الأجنبي ، الذي عبث بالتراث المغربي الاسلامي وأطاح به ، ولم تصلنا منها ، الا تلك النتف والشذرات ، المتفرقة هنا وهناك في المصادر العربية المغربية والأندلسية والمشرقية ،

---

(1) لم تصلنا كثير من كتب المؤرخين ، والأخباريين المغاربة والأندلسيين ، المعاصرة لموضوع البحث مثل : كتاب « مغازي افريقية » ، لعيسى بن أبي المهاجر (ت في أواخر القرن الثاني الهجري) ، وكتاب عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (المتوفى في الربع الأول من القرن الثالث الهجري) ، وكتاب : الأمير محمد بن زيادة الله بن الأغلب ، الذي دون فيه أخبار أسرته إلى ما قبل وفاته سنة (283 هـ / 896 م) ، وكتاب : العبر لابن أبي الفياض (ت 459 هـ / 1066 م) ، وكتاب يوسف الوراق (ت 363 هـ / 973 م) ، وتاريخ الرقيق القيرواني عمدة مؤرخي المغرب (ت في القرن الخامس الهجري) وأحمد ابن محمد الرازي (ت 344 هـ / 955 م) ، وابنه عيسى الرازي (ت 379 هـ / 989 م) ، وكذلك معظم مصنفات أبو التاريخ الأندلسي ابن حيان القرطبي (ت : 469 هـ / 1076 م) .

المتأخرة عن الفترة التي أبحث فيها ، ولا أكون مبالغا اذا قلت حتى أن هذه المصادر لا يمكن الاطمئنان الى بعضها ــ ان لم تكن معظمها ــ لما يشوبها ، من كتابات ذات اتجاهات سياسية مختلفة ، وأهواء عنصرية ، ونعرات اقليمية ، وولاءات مذهبية ، أي المتمثلة في المصادر السنية ، والخارجية والشيعية والمغربية ، ذات الطابع الاقليمي المحلي ــ وماتزخر به هذه المصادر من مغالطات وتحريفات ، فضلا عن كونها تحمل في طياتها روايات ذات طابع أسطوري وخرافي ، ومبالغات تفوق أحيانا حد المعقول ، هذا بالاضافة الى أن غموض المعلومات في بعض الأحيان يجعلها تحتاج إلى التأويل والاستنباط ، وهو الأمر الذي يتطلب من الباحث استخدام مايمكن استخدامه ، من أساليب المنهج العلمي ، في صياغة البحث بالتمحيص والتحليل والتقميش والنقد والمقارنة ، وهذا ماحاولت ــ على قدر استطاعتي ــ أن أقوم به ، على النحو الذي يهيىء لي أن أثري به موضوع الرسالة ، حتى لا يكون مجرد صياغة لفظية ولغوية لما ورد وتردد في المدونات والحوليات التاريخية ، مستعينا بالمصنفات الحديثة التي سلكت هذا السبيل ، سواء منها المراجع العربية أو الغربية ، وهذا هو الهدف الذي كنت أنشده ، منذ البداية ، حرصا مني على تقديم خدمة متواضعة ، لتراثنا العربي الاسلامي المجيد ، في منطقة عزيزة على نفسي ، أنتمي اليها ، وتربطني بها أواصر المحبة والوفاء ، الا وهي منطقة الغرب الاسلامي .

ولا شك أني أفدت كثيرا ، من هذه الدراسة ، التي أتاحت لي أن أعيش بين صفحات مشرقة ، من ماضينا المغربي البعيد ، كما تعرفت على اقطابه العلماء والمؤرخين القدماء وعلى رواده الباحثين المعاصرين .

ولا أقول بأني بلغت الكمال فيما كتبته ، وتوصلت اليه ، وانما يكفي أن أقول ، بأني أسهمت بنصيب متواضع في ابراز جانب من العلاقة المغربية الأندلسية في هذه الفترة ، وكشفت النقاب عما كان غامضا فيها .

وقد قسمت البحث الى مقدمة وأبواب ثلاثة ، يشتمل كل باب على فصلين ، وقد ذكرت في مقدمة البحث أهمية الموضوع ، والمنهج الذي سلكته ، وأتبعت ذلك بدراسة تحليلية لأهم مصادر البحث ومراجعه ، وخاتمة وضمائم :

أما الباب الأول وهو : « سياسة الدولة الأموية في الأندلس نحو المغرب في عصر الإمارة » فقد جعلته في فصلين ، تحدثت في الفصل الأول ، عن طابع

عصر الولاة في المغرب والأندلس ، وعلاقة كل منهما بالآخر ، وذكرت تدفق الهجرات المغربية والعربية من بلاد المغرب الى بلاد الأندلس ، وحددت أماكن استقرارها ، وتعرضت بشيء من الايجاز الى سياسة بني أمية القائمة على محاباة العنصر العربي ، دون غيره من العناصر الأخرى ، التي اعتنقت الاسلام ، وبصورة خاصة الى سياسة بعض الولاة العرب التعسفية في بلاد المغرب ، وما نتج عنها من تفشي روح العصبية القبلية العربية ، لميل الخلفاء الى المضرية حينا ، والى اليمنية حينا آخر. وانتشار المذهب الخارجي بين المغاربة لأنه يتناسب مع وضعهم الاجتماعي والسياسي ، واضطراب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، التي أدت الى اندلاع ثورة مغربية شاملة ضد الولاة العرب ، استقل المغاربة على أثرها بالمغربين الأوسط والأقصى ، عن السلطة المركزية في دمشق ، رغم مابذلته الجيوش الأموية الافريقية والأندلسية ، من جهود مكثفة في سبيل اعادتهما الى حظيرة الخلافة ، وتطرقت الى انتشار عدوى هذه الثورة بين مغاربة الأندلس ، الذين لم يتوانوا عن القيام لتأييد مطالب اخوانهم ، في بلاد المغرب ، وعللت ذلك بالتقارب الاجتماعي ، الوثيق بين المغرب والأندلس في ذلك الوقت.

وكذلك تحدثت عن عبور طالعة بلج بن بشر ، الى العدوة الأندلسية ، لمؤازرة أميرها عبد الملك بن قطن . وكيف حدث بعد ذلك صراع دام بين هذه الطالعة الشامية وبين البلديين الأندلسيين ، وتطور هذا الصراع الى حرب شديدة ، بين الكلبيين والقيسيين ، وما نتج عنه من فوضى سياسية ، واضطرابات اجتماعية ، وتناقضات قبلية ، هزت وحدة المسلمين في الأندلس ، وما جره هذا الصراع لبلاد الأندلس من مجاعة حادة ، اضطر خلالها الكثير من العرب والمغاربة ، الى مغادرة البلاد والعودة الى المغرب . وتحدثت عن فرار عبد الرحمن بن حبيب ــ أحد أقطاب هذه الحرب الأهلية ــ الى العدوة المغربية ، على أثر قدوم الوالي أبي الخطار الحسام الى قرطبة . وتمكن عبد الرحمن من الاستيلاء على ولاية افريقية ، وطرد أميرها الشرعي حنظلة بن صفوان . وعن تولية أحد أفراد البيت الفهري وهو يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة إمارة الأندلس ، وكيف أصبح الغرب الاسلامي تتزعمه هذه الأسرة.

وأشرت الى نضالها في اخماد الفتن الداخلية ، وختمت الفصل بدخول عبد الرحمن بن معاوية الأموي الى العدوة الأندلسية والاستيلاء على الامارة فيها .

أما الفصل الثاني : فقدخصصته للعلاقة الأندلسية المغربية في عهد الامارة ، وتحدثت فيه بايجاز ، عن قيام الدولة الأموية في الأندلس ، والجهود التي بذلها عبد الرحمن الداخل في تأسيسها ، وحللت سياسة هذا الأمير في بلاد المغرب ، والتي كانت تقوم على استمالة القبائل المغربية ، واستقطاب ابنائها للخدمة في جيشه ، وتحريضها ضد ولاة بني العباس في افريقية . ثم انتقلت بعد ذلك الى ذكر الأحداث التي وقعت بالعدوتين ، بعد وفاة عبد الرحمن الداخل ، والمحاولة التي قام بها الأمير الحكم بن هشام في اقامة علاقة ودية ، مع الادارسة لمواجهة عدوهم المشترك ، وهم الأغالبة ممثلوا الدولة العباسية في افريقية ، وكيف حدثت الجفوة بينهما ، عندما استقبل ادريس الثاني العائلات الربضية وأنزلهم في عاصمته « فاس » ، وخصصت جزءا من هذا الفصل ، للحديث عن الصلات التجارية ، بين العدوتين في هذه الفترة ، موضحا الدور الذي لعبه الرستميون الجزائريون أصحاب « تاهرت » . في التبادل التجاري كوسطاء في نقل الذهب وريش النعام والجلود والرقيق الأسود من السودان ، ومختلف بضائع ومواشي المغرب الى بلاد الأندلس ، وكيف أصبحت « تاهرت » هي الجسر القوى ، الذي يربط الأندلس ببلاد المغرب .

وكذلك أشرت الى الدور ، الذي لعبته الجاليات الأندلسية المقيمة على طول السواحل المغربية ، في تنشيط الحركة التجارية بين العدوتين ، وشرحت بالتفصيل مظاهر العلاقة الطيبة المبكرة بين حكومة قرطبة وامامة « تاهرت » الرستمية ، والتعاون الصادق بينهما ، في الميدان السياسي والاقتصادي والعسكري ، مبينا مدى استعانة بني أمية بالخبراء الرستميين ، في ادارة أعمالهم ، وقيادة جيوشهم ، مما أدى الى وجود تحالف قوى بين الدولتين ، لم تلبث أن أنضمت اليه دولة بني مدرار في سجلماسة ، ودولة بني صالح في « نكور » ، ودولة برغواطة في « تامسنا » . ولا شك أن الهدف الأساسي من وراء هذا التحالف هو تطويق الأدارسة العلويين في فاس غربا ، وعزل الأغالبة في القيروان شرقا . وأشرت إلى أحداث الفتن الداخلية ، التي وقعت في الأندلس ، في نهاية القرن الثالث الهجري ، وصلتها باحداث المغرب ، وركزت الكلام فيها بصفة خاصة ، عن صلات الثائر ، عمر بن حفصون بالأدارسة والأغالبة ثم الفواطم . وختمت الفصل بتولية الأمير عبد الرحمن الثالث متعرضا للجهود ، التي بذلها للقضاء على ثورة ابن حفصون وغيرها ، من الثورات الداخلية ، والخطوات التي اتخذها في سبيل توحيد ، بلاده وتقوية جيوشه وأساطيله ، وحصونه لمواجهة الخطر الفاطمي .

أما الباب الثاني : وهو« سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الخليفتين : عبد الرحمن الناصر ، والحكم المستنصري » ، فقد خصصت الفصل الاول منه لسياسة عبد الرحمن الناصر المغربية ، تناولت فيه بالتفصيل ، النشاط الدعائي والجاسوسية ، والحرب الباردة بين الخلافتين ، الأموية والفاطمية ، والاجراءات التي اتخذها عبد الرحمن الناصر ، لمجابهة الانتشار الفاطمي ، بحيث أعلن نفسه خليفة للمسلمين ، وعمل على اصطناع أمراء المغرب مثل : الأدارسة ، وبني صالح أصحاب نكور ، ورؤساء قبائل زناتة ومصمودة ومكناسة وغيرهم من المغاربة ، المتحاشين الى الدعوة الأموية ، وتحريضهم على قتال الفواطم ، وحلفائهم الصنهاجيين . وقد تجسدت سياسة عبد الرحمن الناصر المغربية . في الوفود الكثيرة التي كانت ترد بلاطه ، مزودة بالهدايا المغربية الجميلة ، وبالرسائل الرسمية العديدة ، التي تتضمن تجديد الولاء والطاعة ، والاعتراف بأحقيته في الخلافة دون الفواطم وبني العباس ، وتشتمل أيضا على أخبار مستفيضة ، عن بلاد المغرب وأحواله ، يشرحون فيها سياستهم وأعمالهم ازاء جيرانهم الفواطم ، وعما أحرزوه من انتصارات حاسمة على الجيوش الفاطمية ، وحلفائهم مما أدى الى تقلص النفوذ الفاطمي ، وانتشار النفوذ الأموي ، وتطرقت الى الوفود العائدة من بلاط قرطبة محملة بالأموال ، والخلع والالطاف الأندلسية الكثيرة ، والى سفراء عبد الرحمن الى هذه القبائل ، تحثهم على مقاتلة الشيعة وقطع دابرهم من بلاد المغرب ، وكذلك استئصال شأفة بني العباس ، حتى يتمكن من توحيد العالم الاسلامي تحت سلطانه ، وبذل في سبيل ترويج تلك الأموال الباهضة ، كما أنه لم يتأخر عن توجيه العساكر والرماة والأساطيل الى شواطيء العدوة المغربية لتساند حلفائه ، وكذلك الحال بالنسبة للادارسة ، الذين كانت وفودهم لا تنقطع عن قرطبة ، لتقديم الطاعة ، والتماس العون ، واللجوء الى الناصر لحل مشاكلهم وخلافاتهم . وتناولت بالحديث أيضا قيام عبد الرحمن الناصر باحتلال الثغور الشمالية المغربية مثل : مدينة سبتة ، ومليلة ، وطنجة ، وأخضاع جراوة وأصيلا ، وجزيرة أرشقول ، ولم تلبث هذه الثغور أن صارت قواعد أموية تحمي ظهرهم ، وتخرج منها الأساطيل الى مختلف الشواطيء المغربية لحماية حلفائهم ، وارهاب عدوهم واخضاع الخارجين والمناوئين .

وتحدثت أيضا عن المعونات العسكرية والاقتصادية ، التي كان عبد الرحمن الناصر يرسلها الى حلفائه في المغرب ، على شكل أساطيل وأموال ، وأطباء ومهندسين

وبنائين لبناء ما أفسدته الحروب ، وانشاء الحصون والمدن والقلاع ، وعندما قام أبو يزيد النكاري (صاحب الحمار) بثورته ضد الدولة الفاطمية ، لم يتردد الخليفة عبد الرحمن الناصر في تأييده ومساعدته .

وأشرت الى الوفود المغربية العديدة ، التي استقبلها الناصر مثل ، وفود ابي يزيد ، والقيروان ، وزناته ، ومكناسة ، ووفود مدينة أصيلا وجزائر بني مزغنة (مدينة الجزائر الحالية) ، ووفود الأدارسة وغيرهم ، وعن محاولة اباضية افريقية الاستعانه بالناصر ضد الفواطم . وختمت حديثي عن هذا الصراع بالتصادم البحري ، الذي وقع بين الأساطيل الأموية ، والفاطمية عند السواحل الافريقية والأندلسية . وعن تحالف عبد الرحمن مع أعداء الدولة الفاطمية . من ملوك أوروبا ، مثل ايطاليا ، وأباطرة الدولة البيزنطية ، والأخشيديين أصحاب مصر .

أما الفصل الثاني من هذا الباب : فيتضمن سياسة الحكم المستنصر نحو دول المغرب ، وهي استمرار لسياسة والده ، التي تقوم على محاربة النفوذ الفاطمي في المغرب ، وتحصين حدود دولته الجنوبية ، وبذل الأموال في سبيل كسب طاعة أمراء العدوة المغربية ، ثم تطرقت بالحديث عن بني زيري الصنهاجيين ، بصفتهم حلفاء الفاطميين وموضع ثقتهم ، وورثتهم في حكم افريقية والمغرب ، بعد انتقال الفاطميين الى مصر ، وأشرت الى أن هذه السياسة التقريبية ، التي اتبعها الفاطميون نحو الزيريين ، فقد أثارت غضب بعض كبار رجال دولتهم ، أمثال جعفر بن علي وأخيه يحي وأتباعهما ، حكام الزاب والمسيلة ، وفرارهم جميعا ، الى بلاط الخليفة الأندلسي الحكم المستنصر ، الذي رحب بمقدمهم واتخذهم عونا له ضد الفاطميين وحلفائهم الزيريين في المغرب .

وتكلمت بعد ذلك عن الحملة الانتقامية ، التي شنَّها بلكين بن زيري على المغربين الأوسط والأقصى ، مبينا أن هذه الحملة ، وان كانت قد فشلت في انتزاع الثغور المغربية ، من أيدي الأمويين ، الا أنها شجعت الأدارسة على القيام بثورة عامة ضد الأمويين ، بقيادة زعيمهم الحسن بن جنون ، الذي قطع دعوة بني أمية واستولى على طنجة وتطوان ، والمنطقة الجبلية شمال وادي لكوس ، وتمركز في قلعة جبلية حصينة تعرف بقلعة النسر ، عند ذلك اضطر الحكم المستنصر ، الى تغيير سياسته المغربية ، القائمة على التستر وراء المغاربة ، وتدخله تدخلا عسكريا مباشرا في بلاد المغرب ، للمحافظة على نفوذه ، ووضحت كيف جهز لهذه المهمة ، معظم

جيوشه الأندلسية والمغربية ، واساطيله البحرية ، وولى عليها خيرة قواده أمثال : قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس ، والقائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن ، وقائد الثغور يحي التجيبي ، هذا الى جانب الشعراء والقضاة والأمناء ، للقيام بمهمة الاعلام والتخابر ، فضلا عن القبائل المغربية الحليفة التي انضمت الى الجيوش الأندلسية ، وبهذه القوة الضاربة استطاع الحكم المستنصر أن يهزم الأدارسة ويأسرزعيمهم « الحسن بن جنون » ، وان يدعى له على منابر العدوة المغربية .

وتكلمت بعد ذلك عن النفقات الباهظة ، التي تكبدتها هذه السياسة الأموية في المغرب ، ومانتج عنها من أزمات اقتصادية وتغيرات سياسية ، أدت الى السماح للأدارسة بمغادرة الأندلس ، تخلصا من نفقاتهم ، ولجوئهم الى الفاطميين في مصر ، فصاروا عونا لهم ضد النفوذ الأموي في المغرب فيما بعد .

أما الباب الثالث : « وهوسياسة الأمويين نحو دول المغرب منذ وفاة الحكم حتى سقوط الخلافة الأموية » ، فقد أفردت الفصل الأول فيه ، لسياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر هشام المؤيد بالله ، وبينت فيه سياسة الحاجب المنصور بن أبي عامر في المغرب ، بعد أن استبد بحكم الأندلس ، وقضى على منافسيه ، وحجر على الخليفة الطفل هشام المؤيد بالله ، وشرحت بالتفصيل ، سياسة التقرب والتودد ، التي سلكها المنصور ، نحو المغاربة ، واستدعائهم للخدمة في جيشه مغدقا عليهم الأموال ، والوظائف القيادية العالية ، حتى كون منهم جيشا ضخما ، مكنه من تنفيذ مشاريعه وغزواته ، في اسبانيا المسيحية شمالا ، وفي بلاد المغرب جنوبا . وأوضحت أن سياسة المنصور المغربية ، كانت تسير على نفس الدرب ، الذي سلكه الناصر لدين الله ، والحكم المستنصر من قبله ، وهو ضرورة الحفاظ على النفوذ الأموي في بلاد المغرب ، لتكون خطا دفاعيا أماميا ، ضد الخطر الفاطمي ، وقد نجح المنصور في سياسته المغربية نجاحا كبيرا ، مكنه في أن يضم مناطق مغربية جديدة تحت سلطانه ، حيث بلغ نفوذه من السوس الأقصى وسجلماسة جنوبا ، الى اقليم تلمسان وتاهرت وشلف والزاب شرقا ، وعلى الرغم من نجاح هذه السياسة العامرية المغربية ، الا أنها تعرضت لمقاومات وثورات وحملات ، من قبل الصناهجة والأدارسة ومغراوة الزناتية ، فقد قام بلكين بحملة قوية الى المغربين الأوسط والأقصى ، حتى شارف أسوارسبتة قاعدة الأمويين ، ولكنه لم يستطع اقتحامها ، لأن المنصورأعد له بظاهرها جيشا أندلسيا مغربيا مشتركا ، ردَّ بلكين على أعقابه . أما الهجوم الثاني ،

فقد كان بقيادة زعيم الأدارسة ـ السابق الذكر ـ « الحسن بن جنون » ، الذي عاد من مصر ، تدفعه في ذلك رغبته الشديدة في أحياء دولة آبائه وأجداده من جديد ، لكن المنصور كان له بالمرصاد ، فوجه اليه جيشين أحدهما بقيادة ابن عمه « عسقلاجة » ، والثاني بقيادة ابنه عبد الملك ، وانتقل هو الى الجزيرة الخضراء ، مقر عملياته الحربية يدبر منها معاركه ، ويراقب منها تطورات الأمور والأحداث عن كثب ، وانتهت هذه الثورة بالقضاء عليها وقتل صاحبها . وأما الثورة الثالثه فقد كانت بزعامة رئيس زناتة المغراوي ، زيري بن عطية ، الذي أنكر على المنصور استحواذه على السلطة ، وانفراده بالملك ، وحجره على الخليفة الشرعي ، هشام المؤيد ، ويبدو أن هذه المسوغات التي اتخذها زيري ماهي الا وسيلة للاستقلال ببلاد المغرب ، لكن المنصور ، استطاع أن يطيح بهذه الثورة ، وأن ينزل بالزعيم المغراوي هزيمة نكراء ، وأن يعيد النفوذ الأموي الى ربوع المغرب . وختمت الفصل بالاشارة الى ثورة أبي ركوة الأموي ببرقه ، ضد الفواطم ، وانتشارها حتى وصلت الى أحواز الجيزة ، وحتى كادت أن تطيح بالفواطم ، لولا صمود جيوشهم وتمكنها من قتل أبي ركوة الأموي ، والقضاء على ثورته وبهذه الثورة أسدل الستار على الصراع الأموي الفاطمي ، لأن الخلافة الأندلسية ، دخلت مرحلة من أسوأ مراحلها ، وهي مرحلة الضعف والإنحـلال .

أما الفصل الثاني : من هذا الباب فقد جعلته لسياسة الأمويين نحو دول المغرب ، في فترة الانتقال ، ما بين هشام المؤيد ، وسقوط الدولة الأموية في الأندلس ، وتحدثت فيه عن سقوط الدولة العامرية بمقتل عبد الرحمن شنجول بن المنصور ، واستلاء « ابن عبد الجبار المهدي الأموي على الخلافة في قرطبة ، وقيامه باضطهاد المغاربة في الأندلس ، واظهار بغضه وكراهيته وحقده لهم ، مما سبب في اندلاع الحربْ الأهلية بين أهل قرطبة وبين المغاربة وأوضحت بأن هذه الفتنة ، لم تكن فتنة بربرية مغربية كما أطلق عليها الأندلسيون ، وانما هي فتنة « ابن عبد الجبار المهدي » ، الذي أثارها وأوقد نارها بهذه السياسة . وقد تمخض عن هذه الفتنة انقسام أهل الأندلس الى قسمين : ـ بحيث التف الأندلسيون حول المهدي ، بينما أنتخب المغاربة « سليمان المستعين بالله » ، وكيف لم يتورع الفريقان في الاستعانة بالنصاري ، وتكلمت عن عبور علي بن حمود الأدريسي ، الذي كان من قواد المستعين الى مدينة « سبتة » واستيلائه عليها باسم امامه المستعين بالله ، واقامة الدعوة له فيها .

وتعرضت كذلك الى الوفد الذي قدم الى قرطبة من الزناتيين أصحاب طرابلس الغرب ، يلتمس الاعانة من « المهدي » لفك الحصار ، الذي ضربه عليهم نصير الدولة ، صاحب افريقية الصنهاجي ، وابرزت كيف لم تدم هذه العلاقة طويلا ، بسبب الأوضاع المتدهورة في كل من طرابلس وقرطبة ، وتحدثت عن استيلاء « المستعين بالله » ، للمرة الثانية على « قرطبة » ، وتقليده جنوب الأندلس ، وشمال المغرب الأقصى لآل حمود الأدارسة . بحيث عين عليا بن حمود على مدينة سبتة ، وأخاه القاسم على طنجة وبلاد غمارة والجزيرة الخضراء ، وبهذا أصبح المجاز في يد الأسرة الحمودية العلوية ، وتطرقت الى قيام علي بن حمود على الخليفة « المستعين » ، وعبوره من سبتة بجيشه المغربي الى مالقه ، ومنها الى قرطبة ، واستيلائه على الخلافة بمساعدة صناهجة غرناطة ، وصقالبه المرية ، وكيف انتقلت الخلافة من يد الأمويين ، الى يد الحموديين العلويين الهاشميين ، الذين لم يلبثوا أن أنقسموا على أنفسهم ، ودخلوا في صراع على السلطة ، أدَّى بهم في النهاية الى تقلص سلطانهم الى جنوب الأندلس وشمال المغرب الأقصى ، وعودة الخلافة من جديد الى البيت الأموي ، الى أن أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور انتهاء رسم الخلافة الأموية جملة سنة 422 هـ / 1031 م . وأوضحت أن النفوذ الأموي في بلاد المغرب ، قد زال بزوال الدولة العامرية وقيام الفتنة في الأندلس ، بحيث استقل المغاربة بنواحيهم وأعمالهم ، في العدوة المغربية ، التي تعرضت هي الأخرى لنفس الحالة التي تعرضت لها بلاد الأندلس . فقد ظهرت بعض الامارات في سلا وفاس ، وغمارة وسجلماسة ، وكذلك الدولة الزيرية الصنهاجية لم تسلم من هذا الانقسام ، فقد قام الفرع الحمادي الصنهاجي ، بتأسيس امارة له في اقليم الزاب ، وجعل عاصمته قلعة بني حماد ، منشقة عن امارة افريقية .

أما الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث ، وأتبعتها بضمائم عدة ، تضمنت مراسلات رسمية بين زعماء المغرب ، وعبد الرحمن الناصر لدين الله عاهل الأندلس .

وفي الختام لا يفوتني بهذه المناسبة أن أتوجه بخالص شكري وامتناني وعرفاني وتقديري ، الى أستاذي الفاضل الدكتور أحمد مختار العبادي ، رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ الاسلامي ، بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية ، الذي فتح لي صدره ومنحني الكثير من علمه وكتبه ووقته رغم كثرة انشغاله ، وعما أولاني به من

رعاية وعطف ، وعما أسداه الي من نصح ورشاد ، فجزاه الله عني وعن العلم خير جزاء ومن الله السداد والتوفيق ، وهونعم المولى ونعم النصير.

ب ـ عرض وتحليل لأهم مصادر البحث :

اعتمدت في بحثي هذا ، على مجموعة كبيرة من المصادر العربية الأصلية ، منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع ، كما استفدت كثيرا من المراجع الحديثة العربية والأجنبية ، التي تعرضت لموضوع البحث ، سواء من قريب أو بعيد ، وسوف أقصر تحليلي على أهم المصادر ، التي اعتمدت عليها في جمع مادة هذه الرسالة ، مراعيا في ذلك ترتيبها الزمني ، واستهلها بكتب التاريخ :

1 ـ « أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها » .

لمؤلف مجهول ، سجلها صاحبها دون أن يربط الحوادث ، ربطا منهجيا أو يرتبها حسب السنين (1) ، ابتدأ أحداثه بالفتح العربي لبلاد المغرب والأندلس ، في عهد موسى بن نصير ، وانهاه بوفاة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله ، سنة 350 هـ / 961 م ، ويعتبر هذا الكتاب مصدرا أساسيا لتاريخ الأندلس في مراحله الأولى ، اذ أنه يحتوي على معلومات دقيقة ومفصلة ، ويتضمن هذا الكتاب ، وقائع وأحداثا في غاية الأهمية ، لا نجدها عند غيره ، وأهم فقراته وأوفرها مادة لموضوع بحثي ، تلك التي تتعلق بدخول طالعة أهل الشام بقيادة بلج بن بشر الى الأندلس ، وثورات المغاربة في جليقية ، والصراع بين البلديين والشاميين ، وبين القيسيين والكلبيين وولاية يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة الفهري للأندلس ، ودخول عبد الرحمن الداخل ، واستيلائه على الأندلس ، وانتصاراته على المناوئين . ولهذا فاني استفدت منه كثيرا ، في جمع مادة هذه الفترة الأولى ، المتعلقة بعصر الولاة ، وقيام الامارة الأموية في الأندلس ، لما يحتويه الكتاب من معلومات غزيرة . وعلى الرغم من توخي هذا المؤلف ، الدقة في الرواية ، الا أنه لا يخلو من التعصب الشديد للجنس العربي عامة ، والتحيز لبني أمية بصورة خاصة ، مما يدل على أنه

(1) أنجل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 198 ، 199 ـ تعريب د . حسين مؤنس ، القاهرة 1955 م ، ويرى المستشرق ريبرا أن مصنف هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المؤلفين ، يختلفون طبقة وذوقا وثقافة وفكرا .

عربي قرشي ، وربما أموي ، وجه اهتمامه وعنايته . لاخبار العرب في الأندلس وحدهم ، وأغفل غيرهم من المسلمين ، وقد اختلف الباحثون في تاريخ تأليف هذا الكتاب ، فبعضهم يرى بأنه كتب في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي والبعض الآخر يرى بأنه صنف في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ، وقد نشره وترجمه الى اللغة الاسبانية ، المستشرق الاسباني لافونتي القنطره .
La Fuente al Kantara في سنة 1867 م .

2 ـ **الرقيق القيرواني** : (أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني) المتوفي في منتصف القرن الخامس الهجري / 11 م .

ولا نعرف شيئا عن نشأته وحياته غير أنه كان رئيسا لديوان الرسائل مدة تزيد عن ربع قرن من الزمن في البلاط الصنهاجي بالقيروان . وكتابه « **تاريخ افريقية والمغرب** » يقع في عدة مجلدات ، ولا يستبعد أن يكون قد اشتمل على تاريخ افريقية والمغرب منذ الفتح العربي الاسلامي الى عصره ، اذ أن ابن عذاري المراكشي ينقل عنه حوادث سنة 415 هـ / 1024 م .

وقد اكتشف الأستاذ محمد المنوني بالمغرب الأقصى قطعة من كتاب الرقيق ، تشتمل على تاريخ قرن وربع قرن من الزمن ، أي منذ حملة عقبة بن نافع الثانية سنة 62 هـ / 681 م حتى عهد أبي العباس عبد الله ، ثاني أمراء بني الأغلب في افريقية ، أي الى نهاية القرن الثاني الهجري ، وتمتاز هذه القطعة ، بما تحتويه من أخبار كثيرة وتفصيلات مهمة ، اختصرها ابن عذاري في كتابه « البيان » ، فقد أعتنى الرقيق بتحديد الأماكن ، وبلغ به التحري الى ذكر أسمائها باللهجة المحلية المغربية (البزبرية) ، والدقة في تاريخ الوقائع والأحداث ، ولهذا فربما تحل هذه القطعة بعض المشاكل ، التي اعترضت محققي كتاب « البيان » وتلقي الضوء على ما تعذر عليهم فهمه .

ويعتبر الرقيق القيرواني عمدة المؤرخين المغاربة ، ويعد عالما حجة في تاريخ افريقية والمغرب ، حيث كان المصدر الرئيسي لابن عذاري (كان حيا سنة 712 هـ / 1312 م) ، والمصدر المفضل لدى النويري (ت 733 هـ / 1332 م) وابن خلدون (ت 808 / 1405 م) ، والرحالة التيجاني (ت 718 هـ / 1318 م) ،

والحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي ، المعروف بليون الافريقي (ت 939 هـ 1532) (1) .

صنف الرقيق كتابه هذا في منتصف القرن الخامس الهجري / 11 م ، واستقى معلوماته من بعض الاخباريين المشارقة والمغاربة كالزبير بن بكار (259 هـ / 872 م) ، والمدائني (225 هـ / 839) ، والواقدي (207 هـ / 822 م) ، وعبد الله بن أبي حسان اليحصبي القيرواني (ت 227 هـ / 841 م) ، وغيرهم ، وأحيانا يغفل ذكر المصادر التي اعتمد عليها ، ومؤلفاته كثيرة منها : كتاب « النساء » وكتاب « الراح والارتياح » وكتاب « قطب السرور في الأنبذة والخمور (2) » وكتاب « نظم السلوك في مسامرة الملوك » ، ويقع هذا الأخير في أربعة مجلدات .

وقد استفدت من هذه القطعة ، في دراستي لعصر الولاة في بلاد المغرب والأندلس وحتى نهاية القرن الثاني الهجري / 8 م ، ومؤرخنا هذا رغم كونه سنيا ، لكن لا نلمح على كتابته ، أي تعصب في معالجته للأحداث ، بل اتسم أسلوبه بالصدق والدقة والموضوعية ، والظاهر أنه استفاد من عمله كرئيس لديوان الانشاء ، فترة طويلة من الزمن ، وأتاحت له وظيفته أن يقف على كثير من الوثائق والحبس والمراسلات والتوقيعات ، سواء منها المعاصرة له أو المتقدمة ، والتي قلما توافرت لغيره ، هذا وقام الأستاذ المنجي الكعبي ، بتحقيق هذه القطعة وقدم لها ونشرها بتونس سنة 1968 م.

3 ـ **ابن حيان القرطبي** (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين حيان ، المتوفي سنة 469 هـ / 1076 م .

أجمع الباحثون على أن ابن حيان أعظم مؤرخي الاسلام ، ويعتبر بدون شك حجة مؤرخي اسبانيا الاسلامية والمسيحية في العصور الوسطى ، وعميدهم على الاطلاق ، تتلمذ ودرس على شيوخ كبار ، من محدثين ولغويين ونحويين وشعراء ممن أنجبتهم الأندلس في عصره ، فضلا عن أبيه ، فتفقه ابن حيان واتقن الآداب على هؤلاء العلماء ، ثم انتظم في سلك وظائف الدولة ، حيث عمل صاحب الشرطة أو صاحب المدينة في قرطبة .

(1) الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ، المقدمة ص 8

(2) توجد نسخة فريدة من هذا الكتاب ، بالمكتبة الوطنية بباريس ، وله مختصر يقال ، أنه بين يدي أحد الناشرين في تونس .

ولابن حيان مؤلفات كثيرة تصل الى خمسين مؤلفا ضاع معظمها ، والذي يوجد بين ايدينا حتى الآن هوكتاب :

أ ـ **المقتبس في أخبار بلد الأندلس** : وهوكتاب يتناول تاريخ العدوة الأندلسية ، من لدن افتتاحها على يد طارق بن زياد المغربي ، الى أواخر القرن الرابع الهجري أي حتى قبيل عصر المؤلف .

اقتبس ابن حيان مادته من مؤلفات المؤرخين الذين سبقوه ، ولاسيما أحمد ابن محمد الرازي (ت 344 هـ/955) وابنه عيسى الرازي (ت 379 هـ/ 989 م) ويبدو أن ماجاء في كتابه هذا عن تاريخ المغرب ، قد اقتبسه من كتاب محمود بن يوسف الوراق القيرواني (ت 363 هـ / 973 م) ، وابن الجزار.

ومعظم مصادر ابن حيان مفقودة ، لهذا فان كتابه ذو أهمية بالغة ، ويعد من المصادر الأصلية لموضوع البحث ، لأنه حفظ لنا مادة تاريخية لمؤلفين معاصرين لتاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، ولعله أيضا اجتهد في الاطلاع على الوثائق الرسمية ، المحفوظة في أرشيف الدولة ، بواسطة والده الذي كان من كتاب المنصور ابن أبي عامر ، ومما يدل على ذلك الرسائل الكثيرة ، التي أورد نصوصها في مصنفاته .

ويمتاز أسلوب ابن حيان بالدقة والضبط ، والتحري في الخبر اذ كان يخضع ما يبلغه الى منظار النقد العلمي ، والنظرة التحليلية الصائبة ، وانه لم يكن مجرد ناقل فقط بل كانت له ملكة نقدية بارعة ، يبدي رأيه فيما يعرض من أحداث ، وقضايا ويبحث عن أسبابها وعواملها ويقوم بمناقشتها عن علم ودرايه وفهم وذكاء (1) حريصا على التزام النزاهة والموضوعية في كتاباته ، وكأنه سبق نظرية ابن خلدون في التاريخ بثلاثة قرون ، الا أننا نجده في بعض الأحيان لا يخفي نزعته الأموية وكراهيته للعناصر المغربية في الأندلس ، واتهامهم بالهمجية في الحروب والتطاول على أولى الأمر ، كما كان يقدح في نسب الفواطم ، ويوجد من هذا المنصف حتى الوقت الحاضر أربع قطع ، ثلاثة منها محققة والرابعة لا زالت مخطوطة تنتظر التحقيق .

1 ـ **القطعة الأولى** : وتتناول الفترة الأخيرة من عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، ومعظم امارة ابنه محمد ، تبدأ من حيث انتهت القطعة ، التي اختفت أو فقدت

(1) آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 211 تعريب حسين مؤنس .

من مكتبة المستشرق ليفي بروفنسال ، أي من سنة 232 هـ/ 846 م الى سنة 267 هـ/ 880 م ، قام بنشرها وتحقيقها الدكتور محمود علي مكي ، في القاهرة سنة 1971 م ، وطبعت مرة أخرى في بيروت سنة 1973 م .

2 ـ **القطعة الثانية** : وتتناول عصر الأمير عبد الله الأموي ، قام بنشرها الراهب الاسباني الأب ملشور أنطونيا Melchour Antuna بباريس سنة 1937 م .

3 ـ **القطعة الثالثة** : وتتناول الجزء الأكبر من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر ، اكتشفت حديثا بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 78 ، وتوجد نسخة منها مصورة « ميكروفيلم » بمعهد المخطوطات بجامعة الدولة العربية في القاهرة ، تحت رقم 208 ، أولها مبتور تبتديء بحوادث سنة 300 هـ/ 912 م ، وتنتهي بآخر حوادث سنة 330 هـ/ 941 م ، مكتوبة بخط أندلسي واضح ، يرجع تاريخه الى القرن السادس الهجري : الثاني عشر الميلادي ، وتتألف من 186 لوحة بكل واحدة 23 سطرا وبمقياس 20 × 29 سم .

4 ـ **القطعة الرابعة** : وتعالج أحداث خمس سنوات فقط (360 ـ 364 هـ/ 970 ـ 974 م) ، من خلافة الحكم المستنصر بالله ، قام بتحقيقها ونشرها الدكتور عبد الرحمن حجي ، ببيروت سنة 1965 ، ولابن حيان كتب أخرى مفقودة مثل « المتين » ، الذي يتناول فيه المؤلف أخبار عصره ، ويتكون الكتاب المذكور من ستين مجلدا ضاعت جميعها ، ولم يبق منها الا شذرات ونتف في ثنايا مصنفات وتآليف المؤرخين الذين أتوا بعده أمثال : ابن بسام ، وابن بشكوال وابن الأبار وابن سعيد ، وابن عذاري وابن الخطيب والمقري وغيرهم (1) ، وله كتاب آخر سماه « أخبار الدولة العامرية » ، وكما هو واضح من العنوان ، فانه يختص بتاريخ العامريين ، وقد ذكره عبد الواحد المراكشي تحت عنوان « المآثر العامرية » ، وألف كتابا آخر ذكرته المصادر بعنوان « البطشة الكبرى » ، خصصه ابن حيان للنكبة الجهورية في قرطبة ، وهي الفترة التي استولى فيها المعتمد بن عباد على مدينة قرطبة ، وطرد منها آل جهور ، وهذا الكتاب آخر ما ألفه ابن حيان ، وهو يناهز (85)سنة من عمره . هذا وقد استفدت كثيرا من هذه القطع الأربعة وكان اعتمادي عليها كثيرا في جمع

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 116 تحقيق محمود علي مكي

مادة البحث وبخاصة القطعة المخطوطة التي تضمنت مراسلات رسمية بعث بها زعماء المغرب الى الخليفة عبد الرحمن الناصر تشرح سياستهم وأعمالهم أزاء جيرانهم الفاطميين .

4 ـ **ابن الأثير** (علي بن محمدبن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثيرالجزري) المتوفي سنة 630 هـ 1232 م .

يعتبر مصنف ابن الأثير المسمي : الكامل في التاريخ « من أهم المصنفات المشرقية ، التي تناولت تاريخ العالم الاسلامي بشقيه المشرقي والمغربي ، منذ الخليقة ، حتى سنة 628 هـ / 1230 م ، أي قبل وفات صاحبه بسنتين فقط ، وقد جاء كتاب ابن الأثير مستفيضا ، بأخبار المغرب والأندلس ومرتبا حسب السنين ، كما يعتبر هذا المؤلف من أهم المصادر العربية المشرقية ، وأكثرها دقة في تاريخ المغرب الاسلامي، اذ أنه اعتمد في جمع مادته على مصادرمغربية وأندلسية ، التي كانت متوفرة في زمانه ، ووجد نفسه انه ينبغي عليه أن ينتخب منها ، ويفاضل بين رواياتها ، ويرجع الى أوثقها كلما أمكنه ذلك ، ويمتاز أسلوب ابن الأثير بالبساطة والدقة والوضوح ، لايجاريه أحد ممن كتبوا قبله وبعده (1) ، هذا وقد قام المستشرق Fagnan بجمع كل مايتعلق بتاريخ المغرب والأندلس من كتاب ابن الأثيرونشره بعنوان : Annales du Maghreb et de l'Espagne du Tarikh d'Ibn Al Alhir, Alger, 1901

ونشر الكتاب كله أخيرا عبد الوهاب النجار ، في تسعة أجزاء بالقاهرة سنة 1353 هـ / 1934 م .

5 ـ **عبد الواحد المراكشي** (محي الدين عبد الواحد المراكشي) المتوفي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، القرن الثاني عشرالميلادي .

ولد بمراكش سنة 581 هـ / 1185 م ، وتلقى العلوم الدينية بمسقط رأسه ، ثم بمدينة فاس على شيوخ عصره ، ثم انتقل الى الأندلس حيث درس على كبار علمائها ، وعندما حل باشبيلية صارمن جلاّس الأمير الموحدي ، والى أشبيلية ابراهيم بن ابي يعقوب ، ومنذ ذلك الوقت ، أصبح عبد الواحد على صلات برجال الدولة ، سواء في بلاد المغرب أوفي الأندلس ، وفي سنة 613 هـ / 1216 م ، توجه مؤرخنا هذا الى المشرق ، وتجول في أقطاره ، فزار مصر والحجاز والشام والعراق ، وأثناء

(1) د. السيد عبد العزيزسالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص 79 دارالكتاب العربي للطباعة والنشر1967 م .

اقامته في كنف بني العباس صنف كتابه المشهور، وهو « **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** » يعالج تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، ويعد مصدرا أساسيا لتاريخهم ، اذ أنه عاصر أحداثهم ونشأ في كنفهم ، ولكنه ضمن كتابه تاريخا عاما للغرب الاسلامي ، منذ الفتح العربي حتى عصره ، فصار الكتاب تاريخا عاما لهذه المنطقة ، لايخلو من فائدة ، لأنه اعتمد في الفترة الأولى من تاريخه على مؤلفات الحميري (ت 488 / 1095) ، المفقودة (1) . وقد رجعت اليه كثيرا في جميع مراحل البحث ، ولاسيا في مرحلة انحطاط الدولة الأموية .

وقام بنشر هذا المؤلف المستشرق الهلندي دوزي سنة 1847 م ، وأعاد طبعه سنة 1881 م ، وترجمه المستشرق الفرنسي فانيان Fagnan الى اللغة الفرنسية ، ونشرت الترجمة بالجزائر سنة 1893 م ، ونشر هذا الكتاب أيضا « في مصر مرتين تحت عنوان » « تاريخ الأندلس » ثم أعاد الأستاذ محمد الفاسي طبعه بمدينة فاس سنة 1938 م ونشرة أخيرا الأستاذان محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي بالقاهرة سنة 1950 ، وطبع مرة أخرى بالقاهرة سنة 1963 م ، بتحقيق محمد سعيد العريان .

6 ـ **ابن عذاري المراكشي** (أبو العباس أحمد بن عذاري) كان حيا سنة 712 هـ / 1312 م .

وهو مؤرخ مغربي عاش في عصر الدولة الموحدية . وكتابه « البيان المعرب في أخبار المغرب » ، ذو أهمية خاصة ، لأنه يشتمل على روايات مستقاة من مصادر معاصرة لأحداث زمن البحث ، ويعتبر هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ الغرب الاسلامي على الاطلاق ، لما يتضمنه من معلومات ذات قيمة تاريخية كبيرة ، وما يحتويه من فقرات هامة من مصنفات عبثت بها يد الدهر ، ولم تصل الينا ، مثل كتاب الرقيق القيرواني والوراق ، كما كان اعتماده على البكري ، الذي نقل من كتاب الوراق المفقود ، وكتاب « العبر » لأبي الفياض ، وكتاب صلة الطبري لعريب ابن سعيد . ولهذا جاء كتابه حافلا بمعلومات تاريخية وجغرافية قيمة ينفرد بها دون

(1) بالنثيا : المرجع السابق ص 249 ، وللحميري مؤلفات كثيرة ضاعت تتضمن الأمور الدينية والأخلاقية والتاريخ والتراجم والسير وفنون الأدب أنظر : الحميري : جدوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، المقدمة ص (ح) الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966 م .

غيره من المؤرخين ، والكتاب يتناول تاريخ المغرب والأندلس ، منذ الفتح حتى بداية عصر بني مرين . وقد استفدت منه كثيرا في جميع مراحل البحث ، واعتمدت عليه اعتمادا يكاد يكون كاملا ، ويقع المصنف في عدة أجزاء :

الجزء الأول : وهو خاص بتاريخ المغرب ، منذ الفتح الى ظهور المرابطين .

أما الجزء الثاني : فيشتمل على تاريخ الأندلس ، منذ الفتح الى سقوط الدولة الأموية في الأندلس ، وقد قام بنشرهما المستشرق دوزي سنة 1850 م ، ثم أعاد نشرهما ، ليفي بروفنسال ، مع اضافة . سنة 1930 م .

ويتضمن الجزء الثالث : عصر الطوائف في الأندلس . وقد قام المستشرق الاسباني أوثي ميراندا ، بالاشتراك مع الأستاذين ابراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت بنشر الجزء الخاص بتاريخ الموحدين ، وبداية عصر بني مرين . ونشر أخيرا نفس المستشرق الاسباني الجزء الخاص بتاريخ المرابطين ، في مجلة هسبيريس Hesperis سنة 1961 م .

7 ـ **ابن الخطيب** (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب السّلماني المتوفي سنة 776 هـ / 1374 م .

ولد ابن الخطيب في لوشة Loja وتعلم في غرناطة العلوم الطبية والفلسفية وقد اكتملت مواهبه في الادب العربي ، منذ نعومه اظفاره ، وأظهر براعة فائقة في قرض الشعر وهو حديث السن ، ولم يلبث ان تقلب في شتى وظائف دولة غرناطة ، حتى وصل الوزارة وملك زمام الادارة بها ، نال حظوة خاصة عند ملوك بني الاحمر ، وأصبح وزيرهم الأول ، فنبغ في هذا الميدان سياسيا بارعا ودبلماسيا محنكا ، والى جانب نشاطه السياسي والدبلوماسي ، فقد كان دؤوبا على القراءة والمطالعة في مختلف كتب العلوم والفنون والآداب ، حتى صارت له عقلية موسوعية أحاطت بعلوم ذلك العصر ومعارفه (1) .

وهكذا اختلطت حياته العلمية ، بحياته السياسية ، وافادت كل واحدة منها الأخرى ، فمركزه كوزير اتاح له الفرصة للاطلاع على الوثائق والمراسلات الرسمية المحفوظة بقصر الحمراء ، واستخدامها في مصنفاته التاريخية ، والاتصال بسفراء الدول

---

(1) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 362

المختلفة ومعرفة اخبار اقطارهم وملوكهم ، (1) وكذلك اتاح له وجوده في بلاد المغرب الاطلاع على مؤلفات المغاربة ، والوقوف على معالم بلادهم التاريخية والحضارية ، والاتصال بعلمائه وأدبائه ومؤرخيه ، وقد استفاد من ذلك فائدة كبيرة ،في تواليفه الكثيرة عن بلاد المغرب (2) .

أما فيما يتعلق بمعلومات ابن الخطيب التاريخية التي أوردها فتتميز بالصحة وبالدقة وتكتسي أهمية قصوى لعمقها فقد اعتمد على مصادر مفقودة مثل كتب ابن حيان ، وأما معلوماته عن بني الأحمر في غرناطة فتعتبر مصادر أصلية لأنه عاصر أحداثهم وعاش في كنفهم .

ولابن الخطيب مؤلفات عديدة أخص بالذكر منها ذلك المؤلف الذي يهم بحثي وهوكتاب :

« أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام »

وكما يبدو من عنوانه أنه كتاب خاص بتاريخ الملوك ، الذين تولوا العرش وهم صغار السن ، الا أن ابن الخطيب لم يلتزم بذلك ، وجعله تاريخا عاما للاسلام ، ويتضمن ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : خاص بتاريخ المشرق الاسلامي من السيرة النبوية ، حتى عصر المماليك ولا يزال مخطوطا ينتظر النشر والتحقيق .

الجزء الثاني : يتناول تاريخ الأندلس ، من الفتح العربي حتى عصر المؤلف أي القرن الثامن الهجري / 14 م ، ويتضمن أيضا تاريخا مختصرا للممالك المسيحية الاسبانية الشمالية ، مثل : قشتالة ، وأراجون ، والبرتغال ، فهو تاريخ شامل لاسبانيا الاسلامية والمسيحية . قام بنشره المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال ، بالرباط سنة 1934 م وطبع مرة أخرى ببروت سنة 1956 م .

(1) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 362 ، راجع لنفس المؤلف : مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب في المغرب ، مجلة هسبيريس Hesperis 3e, 4e trimestres, année 1959

(2) فيما يتعلق بإقامته في المغرب راجع مقال د . أحمد مختار العبادي : حياة ابن الخطيب المغربية ، ص 54 ، 65 مجلة البينة العدد (1) مايو 1962 م .

الجزء الثالث : خاص بتاريخ المغرب ، من برقة شرقا الى المحيط الأطلسي غربا ، حتى بداية عصر الموحدين ، ويرى الدكتور أحمد مختار العبادي أنها نهاية غير طبيعية ، بالنسبة لأحداث القسم الأول والثاني ، التي وصلت الى عصر المؤلف ، ويعتقد بأن السبب في ذلك يرجع الى مقتل ابن الخطيب قبل أن ينتهي من هذا الجزء الثالث والأخير من كتابه (1) . وقد قام بتحقيقه ونشره الدكتور أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، بالدار البيضاء سنة 1964 م .

وقد استعنت بما كتبه ابن الخطيب في الجزئين الثاني والثالث كما أفادتني تعليقات وتحقيقات هذا الجزء الأخير التي أوردها محققاه .

8 ـ **ابن خلدون** (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) المتوفى سنة 808 هـ / 1405 م.

ولد ابن خلدون بتونس ، وتعلم فيها على أيدي أساتذة أندلسيين ، هاجروا اليها أما أجداده فأندلسيون من أشبيلية ، وأصلهم من عرب اليمن ، وحياة ابن خلدون السياسية والدبلوماسية ، مشابهة الى حد كبير بحياة ابن الخطيب السالف الذكر ، فقد تقلب في مناصب كبيرة وخطيرة في دولة الحفصيين بتونس ، حتى عرف بالسياسي العاقل (2) ، وتولى منصب قاضي القضاة في القاهرة ست مرات ، تنقل في بلاد المغرب والأندلس ، وكذلك في الأقطار المشرقية ، وكتابه الذي أشتهر به هو **« العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر »** ، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي ألفت في تاريخ العرب والعجم والبربر منذ الخليقة حتى عصره ، والكتاب موسوعة عظيمة يشتمل على سبعة أجزاء ، الجزء الأول منه هو المقدمة المشهورة ، التي عالج فيها موضوعات شتى ونظريات مختلفة في التاريخ ، على أنه فرع من الحكمة ، ومن ثم لابد من دراسة طبائع البشر والعمران حتى يستطيع الانسان فهم الحوادث ونقضها واستقصاء عللها وأسبابها (3) .

---

(1) ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، القسم الثالث المقدمة ، ص (ب) راجع كتاب د . أحمد مختار العبادي : المراجع السابق ، ص 368 .

(2) انخل ، جنثالث بالنثيا : المرجع السابق ، ص 260 .

(3) راجع مقال د. : أحمد مختار العبادي : من التراث العربي الاسباني ، في مجلة عالم الفكر ، ص 72 المجلد الثامن ـ العدد الأول أبريل مايو ويونية 1977 م .

أما الأجزاء الستة الباقية فهي عبارة عن تاريخ عام ، يتناول أخبار العرب وأجيالهم ، وأخبار البربر وأجيالهم ودولهم ، وأهم هذه الأجزاء التي تهم موضوع البحث هما الجزءان السادس والسابع ، حيث يتناول ابن خلدون فيهما تاريخ الغرب الاسلامي ، ويمتاز بالدقة والعمق في أخباره عن البربر وقبائلهم وهجراتهم ودولهم (1) ، وتعد ملاحظاته واشاراته في هذا الصدد مفيدة جدا . وبالغة الأهمية ، نتيجة للصلة الوثيقة التي كانت تربطه بالعديد من القبائل المغربية ، وانتقائه المباشر من المصادر التاريخية الأصلية المحلية .

وقد ساعده على تأليف هذه الموسوعة التاريخية ، كفاءته العلمية وتجربته السياسية ، فضلا عن صلاته الوطيدة بعلماء المغرب المعاصرين له ، واتصالاته المباشرة بالقبائل المغربية المختلفة ، واقامته الطويلة بينهم ، وانتقاله بين العدوتين مكنته من أن يصدر حكما صادقا على حوادث ذلك العصر .

وكتابه هذا يعد مصدرا رئيسيا وهاما ، لدارس تاريخ الغرب الإسلامي هذا ، وقام البارون دي سلان بنشر الجزأين الخاصين بتاريخ المغرب والأندلس ، في مجلدين فيما بين سنتي 1848 م ، 1851 م في الجزائر تحت عنوان : Histoire des Berbères, extrait du Kitab Al Ibar ثم ترجمه الى اللغة الفرنسية في ثلاثة أجزاء باسم : Histoire des Berbères ما بين سنتي 1852 ، 1856 م ، وقام دي فرجير بنشر القسم الخاص بتاريخ افريقية والمغرب ، منذ الفتح حتى قيام دولة بني الأغلب في سنة 1841 م ، وطبع الكتاب كاملا في سبعة أجزاء طبعة بولاق سنة 1867 م . وطبع طبعة تجارية في بيروت سنة 1968 م .

9 ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس :

اختلف المؤرخون حول صاحب هذا الكتاب ، فالبعض ينسبه الى أبي العباس أحمد ابن أبي زرع ، والبعض الآخر ينسبه الى « صالح بن عبد الحليم الغرناطي » ، وكلا المؤرخين عاشا وماتا بالمغرب ، في النصف الأول من القرن الثامن الهجري / 14 م ويزعم الباحث رينيه باسيه أن الأسمين لمؤرخ واحد .

---

(1) راجع مقال : إبراهيم فرحات : مصادر تاريخ المغرب القديم ، ص 91 مجلة البينة العدد (5) الرباط سبتمبر 1962 م .

والكتاب يتضمن تاريخ المغرب الأقصى ، منذ سنة 145 هـ /762 م الى سنة 726 هـ / 1325 م ، أي أنه يتناول تاريخ الأدارسة ودولة زناتة (مغراوة ، بني يفرن) والمرابطين والموحدين وبني مرين ، اعتمد صاحب هذا المؤلف فيما كتب على مصادر أغفل ذكر معظمها ، ولعله اعتمد أيضا على وثائق رسمية خاصة ، وقد أفادني بما كتبه عن الأدارسة والزناتيين والمكناسيين ، وعلى الرغم من أخطاء هذا الكتاب الكثيرة ، فقد اهتم به المستشرقون وترجموه الى لغات أجنبية مختلفة ، اذ قام العالم السويدي تور نبرغ Tormberg بطبعه مع ترجمة لاتينية في أبسالا ما بين سنتي 1842 ـ 1846 م . وترجمه الألماني دومباي Dombay الى اللغة الألمانية سنة 1794 م ، وترجمه الى البرتغالية الأب مورا Moura بلشبونة سنة 1828 م ، وترجمه الى الاسبانية المستشرق الاسباني ميراندا سنة 1918 م ، وترجمه المستشرق Beaumier الى اللغة الفرنسية ونشره بباريس سنة 1860 م ، وطبع الكتاب عدة مرات طبعات حجرية في فاس سنة 1885 م ، وقام أخيرا بنشره الأستاذ محمد الهاشمي الفيلالي ، بالرباط سنة 1936 م .

كتب التراجم والطبقات

اعتمدت الى جانب المصادر التاريخية ـ السالفة الذكر ـ على كتب التراجم والطبقات ، وهي مصنفات تقدم لنا صورة واضحة وصادقة ، عن حياة الشعوب والمجتمعات بمختلف طبقاتهم وعناصرهم من حكام وقضاة ، وفقهاء وأدباء ، وأطباء وغيرهم من طبقات المجتمع ، لذلك فان مادة هذه المؤلفات لها فائدة عظيمة في تصوير حياة المجتمع الحقيقية ، وكشف ماقد تزيفه الكتب التاريخية الرسمية الخاصة بتاريخ الأمراء والملوك .

1 ـ **ابن الفرضي** (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي) المتوفي سنة 403 هـ / 1062 م .

يعتبر ابن الفرضي شيخ أصحاب التراجم الأندلسية ، ومقرر هذا الفن دونما منازع ، له مؤلفات كثيرة ضاعت ، ولم يبق منها الا ذلك المعجم الذي اشتهر به ، وهو الموسوم « بتاريخ علماء الأندلس » أقدم معجم للاعلام بين ايدينا حتى الآن .

يتضمن في طياته تراجم لعلماء الأندلس وفقهائه ورواته (1) ، الى عصره بلغ فيه ابن الفرضي درجة كبيرة من الاتقان ، فقد كان يتحرى الدقة في الأخبار والتواريخ لدرجة أنه كان يقوم بزيارة المقابر لقراءة شواهد القبور للتأكد بنفسه (2) ، أي أنه كان يعتمد على المقارنة والمشاهدة والملاحظة الشخصية ، فضلا عما اطلع عليه من كتب سابقيه . ويعد كتابه هذا من أوثق ماكتب في التراجم في عهده ، وقد رجعت اليه فيما يتعلق بالتراجم الخاصة ، ببعض العلماء الذين كانوا يخدمون الدعوة الأموية في بلاد المغرب ، ومقاومة التيار الشيعي . نشره المستشرق الاسباني كوديرا ما بين عامي 1891 م و1892 م . ونشره السيد عزت العطار بالقاهرة سنة 1954 م .

2 ـ **ابن الأبار** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) المتوفى سنة 658 هـ / 1260 م .

يعد ابن الأبار من أكبر مصنني المعاجم والتراجم لرجال الأندلس والمغرب ، كان كاتبا لأمراء الموحدين بالأندلس ، وقد ساعدته هذه الوظيفة على الاطلاع والوقوف على الوثائق الرسمية ، كما ساعدته أيضا كتابته لأبي زكريا الحفصي في تونس وهيأت له أن ينهل من الرسائل والمراسلات الرسمية وأن يجمع منها ما يمكن جمعه من المعلومات التي أعانته في كتابة تواليفه المختلفة ، وهي كثيرة منها : كتاب « أعتاب الكتاب » ، تضمن من شملهم عفو أمرائهم ، بعد الغضب عليهم ، وكان القصد من تأليفه ، هو طلب العفو من أبي زكريا ، الذي حنق عليه ، وله أيضا كتاب اسمه « تكملة الصلة » ، وهو تكملة لتراجم ابن بشكوال ، الخاصة بأسماء الملوك والعلماء الأندلسيين ، مرتبة حسب حروف الهجاء ، نشره المستشرق الاسباني كوديرا بين عامي 1888 م و1889 م ، وقام الاسبانيان : بالنثيا والاركون بنشر ملحق له سنة 1915 م ، ثم نشر الباحث الجزائري محمد بن شنب بالاشتراك مع الفريد بل القسم الناقص من هذا الكتاب ، في المجلة الافريقية Revue africaine سنة 1920م . وله كتب أخرى مثل : المعجم لأصحاب الصفدى « نشره كوديرا سنة 1884 م .

أما الكتاب الثالث وهو الذي يهمني والذي رجعت اليه فعنوانه « الحلة السيراء » ، ومعناه الثوب المخطط للدلالة على ما يحتويه من تاريخ وأدب وشعر والكتاب عبارة

---

(1) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، المقدمة ، ص 1 الدار المصرية للتأليف والنشر سنة 1966 م .

(2) انخل جنثالث بالنثيا : المرجع السابق ، ص 271 .

عن مجموعة من التراجم ، للأمراء وكبار رجال الدولة في الأندلس والمغرب ، منذ الفتح الاسلامي الى منتصف القرن السابع الهجري / 13 م .

وكتاب الحلة السيراء ، مقسم الى قرون مستقلة تبدأ بالقرن الأول الهجري ، الذي تحدث فيه عن ولاة المغرب والأندلس في هذه الفترة ، ثم انتقل الى القرن الثاني الذي تكلم فيه عن عبد الرحمن الداخل ، وغيره من أمراء العدوتين ، واستمر على هذا المنوال ، الى القرن السابع الهجري أي الى عصره .

وترجع أهمية هذا الكتاب الى أن مؤلفه كانت تحت يده وثائق ومصادر ، على درجة كبيرة من الأهمية ، فضلا عما امتاز به ابن الأبار ، من ملكة نقدية ثاقبة وعاطفة جياشة . ولقد استفدت من هذا الكتاب كثيرا ، لأنه ينفرد أحيانا ببعض الأخبار دون غيره ، كما استعنت بحواشيه وتحقيقاته ، التي أوردها ناشره ومحققه الدكتور حسين مؤنس (طبع في جزأين بالقاهرة سنة 1963) .

الموسوعات العامة

يتناول هذا النوع من الكتب دراسات مستفيضة ، حول الأدب والتاريخ والجغرافية وقد استفدت من الأجزاء التاريخية التي تضمنتها هذه الموسوعات :

1 ـ **النويري** :(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم المعروف بالنويري) المتوفي سنة 733 هـ / 1333 .

وموسوعته الكبيرة « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، تتألف من احدى وثلاثين مجلدا ، طبع منها حتى الآن احدى وعشرين مجلدا ، ولاتزال الأجزاء الباقية من الموسوعة مخطوطة ، ومصورة ، تنتظر النور ، حبيسة خزانات دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم 539 .

وهذه الأجزاء الباقية للأسف خاصة بالدراسات التاريخية ، والذي يهم بحثي منها الجزأين الثاني والعشرين والثالث والعشرين (1) ، والجزءان يتناولان تاريخ الغرب الاسلامي باسهاب ، وقد أعتمد النويري على وثائق رسمية في تاريخ أحداث عصره ، تحصل عليها بحكم المنصب الذي كان يشغله ككاتب للانشاء ، هذا الى

---

(1) هذان الجزءان (22 ، 23) نشرهما المستشرق الإسباني جاسبار ريميرو Gaspar Remiro بمدريد سنة 1917 وهما خاصان بالمغرب والأندلس .

جانب اعتماده على المصادر المغربية والأندلسية الهامة ، التي كانت متوفرة في زمانه ، ولم تصل الينا مثل كتاب ، الرقيق القيرواني .

وكذلك اعتمد على يوسف الوراق ، ومن هنا تأتي أهميته كمصدر أساسي للباحث في تاريخ الجناح الأيسر للعالم الاسلامي ، هذا ورجعت اليه في جمع مادة الفترة المتعلقة ، بعصر الولاة وعصر الامارة الأموية في الأندلس ، واستفدت منه كثيرا في تأكيد بعض المعلومات في مراحل أخرى من مراحل البحث .

2 ـ **المقَّري** ((شهاب الدين أحمد بن محمد المقري) المتوفى سنة 1041 هـ/ 1632 م .

مؤرخ جزائري من بلدة مقَّرة بشرق الجزائر ، تنقل في بلاد المغرب ، وزار بلاد المشرق ، والقى دروسا في كل من الجامع الأزهر بالقاهرة ، والجامع الأموي بدمشق ، والمسجد الأقصى بالقدس ، وكان المقري معجبا الى حد كبير بشخصية الوزير العالم الغرناطي ، لسان الدين ابن الخطيب ، ولعل اعجابه هذا هو الذي دفع به الى تأليف موسوعة خاصة بحياة هذا الوزير الغرناطي ، عنوانها « **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** » .

وتتضمن هذه الموسوعة تاريخا لحياة ابن الخطيب ، وآثاره العلمية والأدبية الشعرية منها والنثرية والتاريخية ، لكن المقري لم يقف عند حد ابن الخطيب فحسب ، بل فضل أن يمهد لهذه الموسوعة ، بمقدمة تاريخية شاملة للأندلس ، فصار كتابه الضخم هذا موسوعة عظيمة ، تشتمل على تاريخ الأندلس ، وعلى تاريخ حياة ابن الخطيب وانتاجه الفكري .

غير أن الباحثين يعيبون على المقري عدم التنظيم ، في سرد معلوماته ، ويبدو أنه معذور في ذلك ، لأنه كان في مصر وقت تصنيف كتابه ، بعيداً عن وطنه ومكتبته في بلاد المغرب . كما نص على ذلك هو نفسه في مقدمة كتابه .

وتعتبر هذه الموسوعة مصدرا هاما ، وأساسيا للمشتغلين بتاريخ المغرب والأندلس ، وعلى الرغم من كونه مصدرا متأخرا ، الا أنني استفدت منه كثيرا ورجعت اليه في استقاء مادة غزيرة أعانتني في تأكيد المعلومات في معظم مراحل البحث فضلا عن بعض المعلومات التي انفرد بها عن غيره .

وقد اهتم الباحثون بهذا الكتاب ، فنشر دوزي القسم الخاص بتاريخ الأندلس وألحق به فهارس دقيقة ، كما قام الدبلوماسي المستشرق الاسباني باسكوال دي جاينجوس بترجمة ما يتعلق بتاريخ الأندلس من هذا الكتاب ، الى اللغة الأنجليزية ، بعد أن رتبها ترتيبا زمنيا ، وعلق عليها تحت عنوان: History of the Mohammadan Dynasties in Spain, 2 vls

ومعناها « تاريخ الدول الاسلامية في اسبانيا » وكذلك نشر الكتاب كله ، في مطبعة بولاق في أربعة أجزاء سنة 1862 م ، وقام الشيخ محي الدين عبد الحميد بنشره حديثا ، في عشر مجلدات سنة 1949 م ، وللمقري كتاب آخر استعنت به أيضا عنوانه « أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» وكعادة المقّري لم يلتزم بتاريخ حياة هذا القاضي (ت 544 هـ / 1149 م) - بل تطرق الى مواضيع وأحداث هامة في الأندلس ، أغفلها في كتابه الأول ، وقد قام بنشر معظم هذا الكتاب مجموعة من الأساتذة في ثلاثة أجزاء بالقاهرة سنة 1939 م .

المصادر الجغرافية

وكذلك اعتمدت في بحثي ، على بعض الكتب الجغرافية التي تتضمن أخبار تاريخية لها صلة بالأندلس والمغرب والجغرافيون القدامى ، لا يفصلون بين التاريخ والجغرافية ، بل يعتبرونهما علمين متلازمين يتم كل منهما الآخر ، ولهذا فقد جاءت كتبهم مستفيضة بالأحداث التاريخية ، التي لها فائدة عظيمة ، وفي مقدمة هؤلاء الجغرافيين الذين استعنت بمؤلفاتهم :

1 - **العذري** : (أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي) المتوفي سنة 476 هـ / 1083 م .

ألّف العذري كتابا في الجغرافية عنوانه ،« ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك في جميع الممالك » ويشتمل الكتاب على كور عديدة من بلاد الأندلس ، وبالاضافة الى المعلومات الجغرافية التي يتضمنها ، فانه يحتوي على تفاصيل تاريخية خاصة بالكور والمواضيع التي يصفها ، فهو يقف عند كل مكان هام ، ويذكر ويسرد مايتصل به من معلومات وأحداث تاريخية ، وعلى الرغم من اختصارها في بعض الأحيان ، غير أنها ذات أهمية تاريخية ، ولاسيما اذا ماعلمنا بأن العذري كان يستقي مادته من السابقين ، وبخاصة من أحمد بن

محمد بن موسى الـرازي (ت 344 هـ /955) ، وابنـه عيسى (ت 371 هـ / 989 م) (1) ، والمعاصرين للدولة الأموية في الأندلس ، ولهذا فان كتابه يتسم بالأصالة والجدة ، وقد استعنت به في الحديث عن العلاقة التجارية بين المغرب والأندلس وتحقيق بعض الأماكن ، ورجعت اليه لتأكيد بعض المعلومات التي تتعلق ببعض الحملات البحرية ، التي قام بها الأسطول الأندلسيفي عهد الناصر لدين الله على الشواطيء المغربية ، والكتاب قام بتحقيقه ونشره الدكتور عبد العزيز الأهواني بمدريد سنة 1965 م .

2 ــ **البكري** (أبو عبيدة الله بن عبد العزيز القرطبي) المتوفي سنة 487 هـ / 1094 م .

يعد البكري من علماء الأندلس ، ويتميز بثقافته الواسعة ، فهو لغوي ومؤرخ وجغرافي وشاعر ، ويعتبر كتابه « المسالك والممالك » من أعظم ما صنفه ، ولكن لم يصل الينا منه سوى الجزء الخاص بوصف بلاد افريقية والمغرب ، والمعروف بعنوان « **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** » . ويتضمن الى جانب المسالك المؤدية الى المدن معلومات تاريخية هامة ، اقتبسها من كتاب ابن عبد الله محمد بن يوسف الوراق (ت 363 هـ /973 م) الملقب بالتاريخي لكثرة انشغاله بهذا العلم ، وترجع أهمية روايات البكري التاريخية ، الى أنها حفظت لنا ماجاء في كتاب الوراق ، الذي لم يعثر عليه حتي الآن ، ولم يقف عنده فحسب ، بل استمر في رواية الحوادث الى عصره ، فقد سجل حوادث يعود تاريخها الى سنة 460 هـ / 1067 م . والبكري دقيق فيما يكتب ، بحيث يحقق الأخبار ويمحصها ، ولا يأخذ بها الا اذا استوثق من صحتها (2) ، حتى فإن بعض المؤرخين في هذا المجال ، بحسه العلمي المرهف وملكته النقدية البارعة ، هذا وقد اعتمدت عليه فيما ذكره عن « ممالك برغواطة وملوكهم ، وامارة بني صالح في نكور ، والأدارسة وحادث احتلال الناصر لمدينة مليلة لانفراده بهذا الخبر » ، وقام البارون ماك جوكين دي سلان بنشر هذا الكتاب وترجمته الى اللغة الفرنسية بعنوان :

---

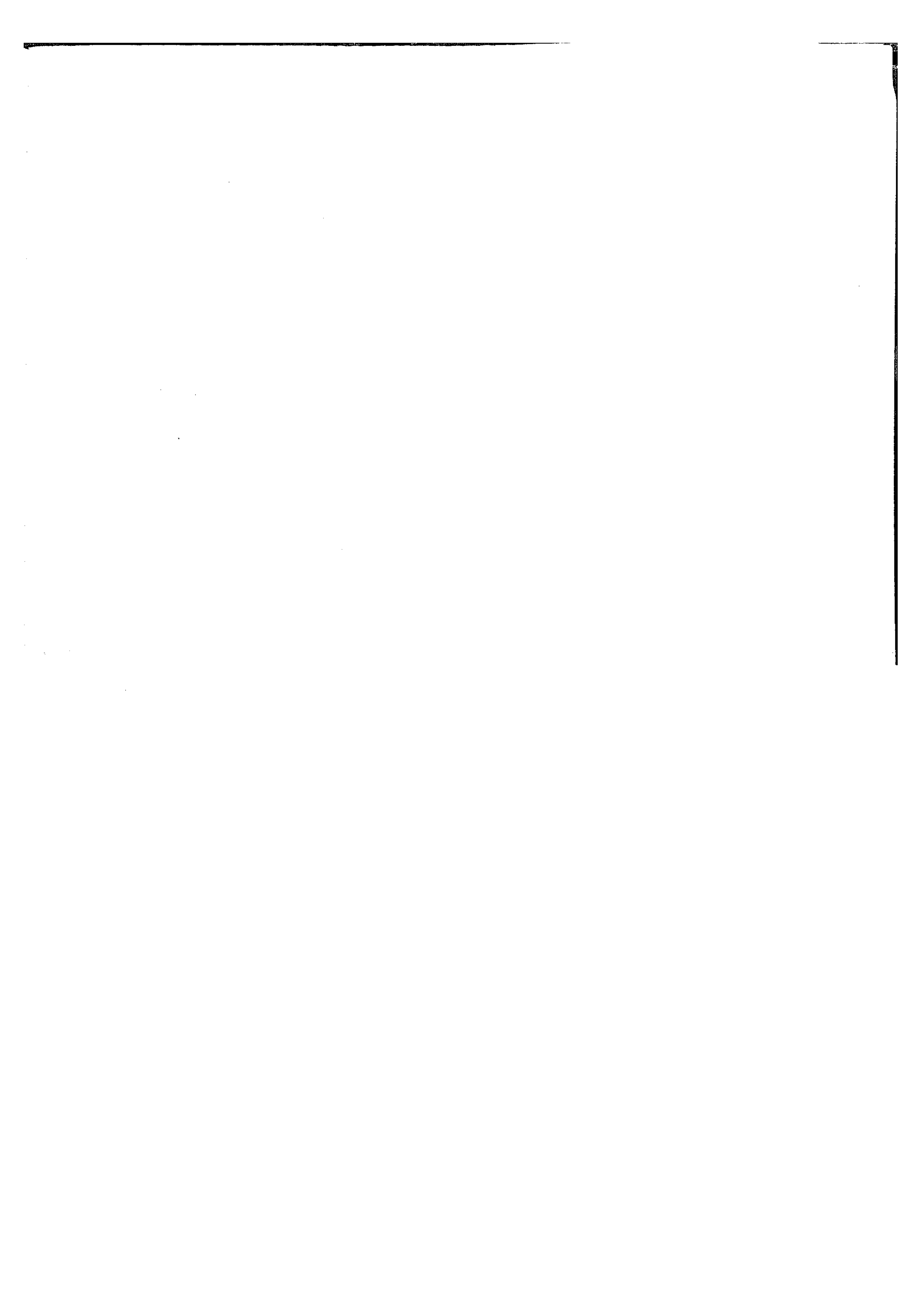
(1) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار المقدمة ، ص جـ تحقيق د . عبد العزيز الأهواني ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1965 م .

(2) راجع مقال الدكتور حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص 202 صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مجلد 7 ، 8 مدريد 1959 م / 1960 .

Description de l'Afrique sepentrionale par Abou Obeid el Bakri, Paris, 1875

ثم أعيد نشره للمرة الثانية بالجزائر في سنة 1911 .
ونشرت الترجمة الفرنسية له في سنة 1913 م .

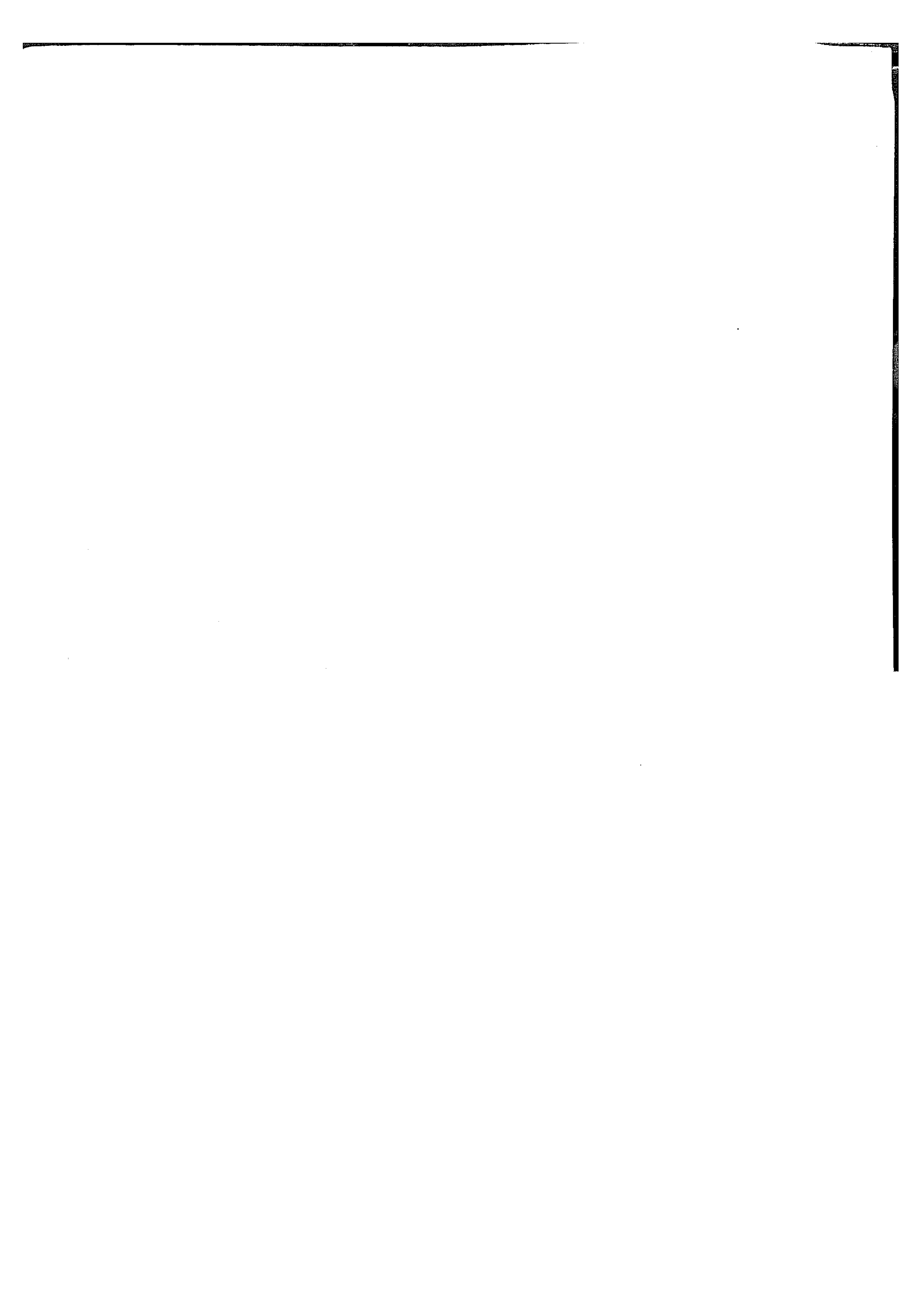
كما قام الدكتور عبد الرحمن حجي ، بتحقيق قطعة من كتاب المسالك والممالك خاصة بوصف الأندلس في بيروت سنة 1965 م .



البـاب الأول

سياسة الدولة الأموية في الأندلس نحو المغرب في عهد الإمارة

(138 هـ ـ 755/316 ـ 928 م)



الفصل الأول

المغرب والأندلس قبيل قيام الدولة الأموية في قرطبة

طابع عصر الولاة في المغرب والأندلس :

يطلق عصر الولاة في الغرب الاسلامي ، على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الوليد بن عبد الملك (86 ـ 96 هـ / 705 ـ 715 م) ، لموسى بن نصير ، من بلاد المغرب والأندلس ، سنة 96 هـ / 714 م ، حتى قيام الامارات المستقلة عن الخلافة في هذه المنطقة ، ويدل هذا الاسم على وضع سياسي وإداري معين ، شهدته بلاد المغرب والأندلس منذ فتحهما العرب .

فقد كان الغرب الاسلامي يتبع السلطة المركزية مباشرة ، في عهد الدولة الأموية في دمشق ، ثم في عهد الدولة العباسية ببغداد ، ويتجلى مظهر هذه التبعية في الولاة العرب الذين تولوا شؤون المغرب والأندلس ، باسم الخليفة الأموي ، لتنفيذ السياسة التي رسمها في عاصمته .

وكانت هناك صلة قوية ومتينة بين العدوتين ، المغربية والأندلسية بعد الفتح العربي ، فقد عبرت مضيق جبل طارق كثير من القبائل المغربية والعربية ، في موجات متعاقبة طوال هذا العصر ، واستقرت ببلاد الأندلس ، ووضعت بذلك أساس وحدة بشرية وادارية وثيقة الصلة ببلاد المغرب .

فقد اجتاز مضيق جبل طارق ، جيش كثيف من المغاربة سنة 92 هـ / 710 م ، يقدر عدده بسبعة آلاف مقاتل على أقل تقدير (1) ، لفتح الأندلس ، بقيادة طارق

---

(1) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها ، ص 6 نشره لافونتي القنطرة مدريد 1867 م
المقري (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ج 1 ص 238 ، بينما يذكر المقري في رواية أخرى (ج 1 ص 216) 12 الفا و10 آلاف . راجع أيضا : د . أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ص 59 .

ابن زياد المغربي ، وينتمي هذا الجيش كما يشير ابن خلدون ، الى أصول أربعة هي : مطغرة أو مدغرة التي كانت تحتل اقليم طنجة . ومديونة ، الضاربة على ساحل البحر من نواحي المغرب الأوسط الى احوازسبتة ، وهوارة المنتشرة في أماكن متفرقة ، من حدود مصر شرقا الى طرابلس غربا . ومكناسة النازلة بسهول وادي ملوية . ومعظم هذه القبائل فروع للقبيلة الأم زناتة البترية (1) .

لم يتوقف تدفق الهجرة المغربية الى بلاد الأندلس ، بل استمر كل حين ودونما انقطاع بعد ان تم الفتح لها . فانضمت كل من قبيلة « مغيلة » « وملزوزة » و « مصمودة » و « ونفزة » الى أخوانهم في العدوة الأندلسية . وقد وصف المقرى ذلك وصفا دقيقا حيث قال : « وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح ، على طارق وسعة المغانم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا بطارق » (2) . نزل جُلُّ المغاربة في المناطق الجبلية ، الواقعة في الشمال الغربي ، وكذلك في المرتفعات الواقعة في الجنوب الشرقي لبلاد الأندلس (3) .

بينما عبرت الطالعة العربية الأولى مع موسى بن نصير ، سنة 93 هـ / 712 م ، وكان عددها يقدر بنحو أثني عشر ألف مقاتل ، أغلبهم من العرب اليمنية وقليل من القيسية وموالي بني أمية ، أختار العرب المناطق الخصبة في السهول والوديان ، وأستقروا فيها مثل : وادي الكبير ، وفحص أشبيلية ، وقرطبة ، وأستجة والفحوص الخضراء في وادي شنيل ، ووادي تاجة ووادي أبرة ووادي آش أي أنهم أنتشروا على طول السواحل الجنوبية ، والجنوبية الغربية والشرقية من بلاد الأندلس (4) . ففي اشبيلية أستقر بنو زهرة وبنو قيس بن عيلان وبنو عياد والباجي واللخميون ، وبنو زهوان بن عكرمة ، والبلويون من قضاعه والحضارمة من حضرموت وهوازن ، وجذام ونزل بكورة البيرة وغرناطة وطيء وهمدان وغسان والحضارمة وأسد ، ومرة

---

(1) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، جـ 6 ص 106 طبعة بولاق 1284 هـ / 1870 م) .

(2) المقري : المصدر السابق ، جـ 1 ص 163 . د . حسين مؤنس : فجر الأندلس ص 378 القاهرة 1959 م .

(3) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 84, Paris 1950

(4) د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 121 ، دار المعارف لبنان بيروت 1962 .

ابن ديان ، ونمير بن مضر . واستقر في كورة رية : نهد وجزيلة وخزرج ، وذورعين ، ونزل بمالقة الحضرميون وخزيمة . وفي شذونة : نزلت كنانة وجزيلة وعرمرم وجذام ، واستقر في قرطبة ، بنو حمديس من تغلب ، وبنو سراج من مذجح ، وبنو الأصبح من كهلان وبنو جهور من تغلب ، والحضارمة ، وفي جيان ، نزل بنو منخل وجذام ومرة وعنس ، وربيعة .

وفي طليطلة استقر الوقشيون الكنانيون والأنصار ، وفي سرقسطة نزلت خزرج وعذرة وقضاعة وكندة وجذام ، وفي تدمير حط كل من جذام وربيعة وغافق والحضريون رحالهم (1) .

وأصبحت هذه القبائل العربية تعرف بالبلديين ، أي أنهم أهل البلد وأصحابه .

وتنبغي الاشارة هنا الى أن القبائل اليمنية كانت أكثر القبائل العربية عددا ، وأقواها تنظيما وعصبية ، وبخاصة في غرب الأندلس وفي شرقة .

ففي الغرب الأندلسي استقرت قبائل كبيرة . كان يرأسها شيخ من أقوى شيوخ اليمنية هو « أبو الصباح » (2) .

أما في الشرق الأندلسي فقد نزلت فيه قضاعة اليمنية ، واستقرت بسواحله ، حتى صارت هذه الناحية تعرف « بارش اليمن » أي أعطيتهم من الأرض أو الأقطاع (3) وكانت مدينة بجاية Pechina (4) هي القاعدة الرئيسية لهم في ذلك الوقت ، لما تتميز به من موقع جغرافي حصين ومأمون ، وأرض خصبة عند مصب نهر « أندرش » Andarax والمعروف أيضا بوادي بجاية (5) .

---

(1) راجع : د . حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص 372 ، 373 ، 374 د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 121 ، 122 .

(2) ابن القوطة (أبو بكر محمد) : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص 16 ، 17 ، 20 مطبعة الكتبي بمصر بدون تاريخ .

(3) د . أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 248 الاسكندرية 1968 م .

(4) بجانة : Pèchina حاليا عبارة عن قرية صغيرة تقع شمالي مدينة المرية بنحو عشر كيلو مترات وتبعد عن البحر بنفس المسافة .

(5) الحميري (عبد المنعم السبتي الحميري) : الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ص 37 ، 38 نشره وترجمه ليفي بروفنسال القاهرة 1937 م ، العذري (أحمد بن عمر بن أنس) ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، ص 86 ، 87 . تحقيق د . عبد العزيز الأهواني مدريد 1965 م ، د . أحمد مختار العبادي : دراسات . ص 248 ، 249 .

وبما أن قضاعة كانت النواة الأولى للبحرية الاسلامية في المشرق ، فقد أصبحت تمثل الدعامة القوية في تأسيس البحرية الاسلامية الأندلسية وبنائها ، اذ اعتمد عليها بنو أمية بالأندلس أول الأمر ، في حراسة السواحل الشرقية لبلادهم (1).

ولما كان معظم هؤلاء العرب من القحطانية فمن البديهي أن تكون الرئاسة فيهم وأغلب الولاة منهم ، وفي ذلك يقول المقري : « انهم الأكثر في الأندلس والملك فيهم أرسخ الا ماكان من خلفاء بني أمية » (2).

وكان لأمير أفريقية والمغرب نفوذ واسع ، وسلطات أكبر على الوالي الأندلسي خلال هذه الفترة ، اذ كانت الأندلس في ذلك الوقت امارة غير مستقلة تتبع ولاية المغرب من الناحية السياسية والادارية ، أو بعبارة أدق ، فقد كان أمير القيروان هو الذي يقوم بتعيين أمير قرطبة في أغلب الأحيان (3) .

سياسة الدولة الأموية في دمشق نحو المغرب :

ويخيل لي أنه من الأهمية بمكان ، أن أتعرض بشيء من الايجاز للسياسة الأموية وأبعادها في بلاد المغرب ، ومانتج عنها من أحداث كان لها صدى قوي في الأندلس نتيجة للروابط الاجتماعية القوية بين العدوتين .

فقد اتسم عصر الولاة في المغرب بعدة مظاهر كبرى هي : تفشي الروح العصبية والعنصرية بين القبائل العربية ، وانتشار المذهب الخارجي (الصفري والأباضي) بين المغاربة ، واندلاع الثورات المغربية العديدة التي قامت ضد بعض الولاة العرب وسياستهم التعسفية ، والتي انتهت بقطيعة أهل المغرب للدولة الأموية ، وخروج المغربين الأوسط والأقصى ، عن السلطة المركزية في دمشق وولاتها في افريقية .

وقد تداخلت هذه المعالم ، وتشابكت أحداثها وتياراتها ، وتفرعت روافدها وشعبها ، حتى أصبح عصر الولاة في المغرب والأندلس من الصعوبة بمكان ، أن

---

(1) د . أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 248 .

(2) المقري : المصدر السابق ، جـ 1 ص 274 .

(3) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 85 راجع أيضا : ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 10 .

يفهم الباحث تطوراته وأن يحصر أحداثه ، لما سادته من فوضى سياسية واضطرابات اجتماعية وتناقضات قبلية .

والظاهر أن السبب في انتشار هذه المظاهر ، وتفاقم الأمور في المغرب الاسلامي ، يرجع الى السياسة التي سلكتها الدولة الأموية ، مع الرعية وأهل الأمصار المفتوحة ، وهي السياسة القائمة على مبدأ محاباة العنصر العربي ، وسيادته على العناصر المسلمة الأخرى ، كالفرس والروم ، والقبط والبربر والقوط ، وغيرهم من الشعوب التي دخلت الاسلام ، وأصبحت جنوده ، بل اعتبرهم الأمويون مواليا (1) .

وترتب على هذه السياسة ، أن أصبح المجتمع الاسلامي في عصر الدولة الأموية يتشكل من طبقتين متميزتين : طبقة الارستقراطية العربية الحاكمة ، تتربع على قمة هرم المجتمع الاسلامي . والطبقة المستضعفة المسودة التي تتكون من الموالي وهم أهل الأمصار المفتوحة (2) ، الذين حرموا من المساواة الاجتماعية والسياسية على الرغم من اعتناقهم الاسلام .

وزاد في تصاعد الأحداث ، وتفاقم الأوضاع في العالم الاسلامي السياسة التي اتخذها خلفاء دمشق ، في التمييز بين القبائل العربية نفسها ، وبخاصة في عهدي يزيد بن عبد الملك (101 ـ 105 هـ / 720 ـ 724 م) وأخيه هشام بن عبد الملك (105 ـ 125 / 724 ـ 743 م) .

فقد كان هذان الخليفتان ، أشد الأمويين اغراقا في العصبية القبلية ، اذ كانت سياستهما تقوم على العصبية القبلية ، بحيث يميلان الى القحطانية اليمنية حينا ، وينحازان الى العدنانية المضرية أحيانا ، مما أدَّى الى اشتداد التنافس ، واحتدام النزاع بين الحيين العربيين ، في سبيل الاستحواذ على السلطة ، وفي عهدهما ظهر التصدع ثم الانقسام في البيت الأموي الحاكم .

ويبدو أن غرض خلفاء دمشق من هذه السياسة ، هو ايجاد نوع من التوازن بين القبيلتين العربيتين الرئيستين ، المضرية والقحطانية ، حتى يكفل لهم البقاء

---

(1) فيما يتعلق بالموالي أنظر ما كتبه عنهم : فلهوزن يوليوس : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ص 472 وما بعدها ترجمة د . محمد عبد الهادي أبو ريدة القاهرة 1958 م . محمد الطيب النجار : الموالي في العصر الأموي ، ص 10 وما بعدها القاهرة 1949/1368 م .

(2) د . محمود اسماعيل : المرجع السابق ، ص 130

والاستقرار والاستمرار، وكان كل وال يتولى الامارة في المغرب والأندلس ، ينكل بالفرع الآخر ويبالغ في اهانته ، ولم يكتف بهذا ، بل أصبح الوالي الجديد يتتبع الوالي القديم ومعاونيه ، ويزج به في غياهب السجون ، ويصادر أمواله ومتاعه للحصول « عما اكتنزه من الأموال غدرا » (1) وبحثا عن « العبيد والاماء والجواري المتخيرة والخصيان والخيل والدواب والذهب والفضة والآنية » (2) .

مقدمات الثورة المغربية وأسبابها :

لم يقف بعض الولاة العرب ، في بلاد المغرب عند اضطهاد خصومهم من بني جلدتهم فحسب ، بل لم يتورعوا أيضا في الأساءة الى أهل المغرب . ولاسيما بعد انتهاء عهد الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز (99 ـ 101 هـ / 718 ـ 720 م) ، الذي سلك سياسة اصلاحية وهي اعادة الدين الاسلامي الى أصوله ، وتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية على جميع المسلمين في مختلف أقاليم الدولة دونما تمييز . والخليفة عمر بن عبد العزيزهو الخليفة الأموي الوحيد ، الذي لم ينتم الى عصبية مَّا ، بل كان يعمل جادا على تفاديها وعدم إثارتها . وحتى عهد هذا الخليفة التقي كان اسلام المغاربة سطحيا ، فقد بعث الى بلاد المغرب عشرة من الفقهاء التابعين ، من أهل العلم والفضل ، ليعلموا أبناء المغرب شرائع الدين وأصوله ، الى أن عم الاسلام بطاح المغرب .

كما ولى عليهم واليا هو : اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر « الذي أشتهر بالتقوى والورع ، فكرس جهده في سبيل تطبيق العدالة الاجتماعية ، والمساواة بين المسلمين جميعا . « فكان خير وال وخير أمير » (3) . والظاهر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، قد اتخذ سياسة جديدة مع أهل المغرب ، تتفق مع طبائعهم ونزعاتهم . بحيث

---

(1) د . سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، ص 245 : دار المعارف بمصر 1965 م .

(2) ابن عبد الحكم : فتوح افريقية والمغرب ، ص 93 ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع بيروت 1964 م ، د . حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 161 . د . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص 247 ، د . محمود اسماعيل ، المرجع السابق ، ص 126 .

(3) الرقيق القيرواني (أبو اسحاق إبراهيم) تاريخ افريقية والمغرب ، ص 97 تحقيق المنجي الكعبي ، تونس 1968 ، ابن عذارى (أبوالعباس أحمد) : البيان المغرب في أخبار المغرب ، جـ1 ص 48 نشره ليفي بروفنسال وكولان بيروت 1967 ، ابن خلدون : العبر ، جـ 6 ص 220 طبعة بيروت 1968 م ، د . حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص 295 القاهرة 1949 م .

أشركهم في تسيير الادارة العربية في بلادهم ، وترك لهم حرية التصرف في شؤونهم ، يباشرون السلطة ويديرون أمورهم بأنفسهم ، أوبمعنى أصح منحهم الحقوق السياسية والاجتماعية ، فهناك رواية انفرد بها ابن حيان ، ذكرها على لسان الادارسة للناصر لدين الله : « وذلك أن بلد البربر الذي نحن به أعز الله أمير المؤمنين سيدنا ، لقوم ملكوا أنفسهم من زمن عمربن عبد العزيزرضي الله عنه » (1) .

لكن عهد عمر بن عبد العزيز لم يدم طويلا ، وبوفاته عادت الادارة الأموية الى سياسة الاستبداد ، بأهل الأمصار المفتوحة ، عن طريق الولاة والعمال والجباة .

وقد ظهرت مساويء الادارة العربية أول الأمر ، في بلاد المغرب على يد يزيد بن أبي مسلم (102 ـ 103 هـ / 720 ـ 721 م) ، الذي اتخذ من سياسة أستاذه الحجاج بن يوسف العنيفة منهجا له ، اذ كان يزيد كاتبه وصاحب شرطته ، فحذا حذوه في سوء معاملة الرعية والقسوة عليهم ، وأراد أن يطبق التقليد الرومي الذي كان يميز رجال الحرس عن بقية الناس ، فعزم على وشم اسم الرجل على يده اليمنى ، وصفته كحرس على راحة يده اليسرى ، حتى يتميزوا بها عن بقية الناس ، لكن جند الحرس الذين كانوا من البربر البتر ، اعتبروا هذا الاجراء استخفافا بهم ، وضربا من المذلة والخنوع ، فثاروا على يزيد الظلوم الغشوم على حد تعبير ابن عذاري وقتلوه ، سنة 103 هـ / 721 م (2) .

وفرضت الجزية على من أسلموا من أهل المغرب ، على يد عبيد الله ابن الحبحاب (116 ـ 122 هـ / 734 ـ 739 م) ، مثلما فرضها الحجاج بن يوسف

---

(1) ابن حيان (أبو مروان حيان) : المقتبس في أخبار رجال الأندلس ، ورقة 116 قطعة مصورة « ميكروفيلم » بجامعة الدول العربية تحت رقم 208 .

(2) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 89 ، البلاذري (أبو العباس أحمد) : فتوح البلدان ، ص 239/ 240 ، الرقيق المصدر السابق ، ص 99 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 1 ص 48 ، د . حسين مؤنس ثورات البربر ، ص 165 ، فجر الأندلس ، ص 159 ، د . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص 240 ، د . عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج 2 ص 294 الدار القومية للطباعة والنشر الاسكندرية 1966 م . ويذكر الطبري أنه أراد أن يسير في البربر : « بسيرة الحجاج في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق ممن ردهم إلى قراهم ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم ، وهم على كفرهم » ، تاريخ الرسل والملوك ج 7 ص 167 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بالقاهرة 1964 م أنظر أيضا : ابن الأثير (علي بن محمد بن عبد الكريم) الكامل في التاريخ ، ج 4 ص 182 نشر عبد الوهاب النجار القاهرة 1934/1353 م .

الثقفي على أهل المشرق . اذ لم يلبث ابن الحبحاب أن عين على أعمال طنجة ، عاملا اشتهر بالجهل المطبق بأحوال البلاد ، وطبائع أهله ، وهو عمر ابن عبد الله المرادي « فأساء السيرة وتعدى الصدقات والقسم ، وأراد أن يخمس البربر وزعم أنهم فيء المسلمين ، وذلك مالم يرتكبه عامل قبله » (1) ، وانما كان العمال يخمسون من لم يدخل في الاسلام فكان فعله الذميم هذا ، على حد قول ابن عذاري هو السبب في نقض البلاد ووقوع الفتن (2) .

فقد اشتط العمال في جمع الأموال ، بشتى الطرق والوسائل لأرضاء الخليفة ، واتبعوا مع أهل المغرب سياسة مالية جائرة ، بحيث أثقلوا كواهلهم بالضرائب والجبابات ، ومن كان يعجز منهم على الدفع يأخذون منه بناته (3) ، واعتبروا بلاد المغرب « دارحرب » (4) .

ويبدو ان الخلفاء هم الذين كانوا يدفعون بهؤلاء الولاة الى هذا التصرف ، ويكرهونهم على امتصاص دم الرعية (5) . وقد ثبت أن بني أمية كانوا يستحبون الطرائف المغربية ويرغبون فيها ، وكثيرا ما كانوا يبعثون في طلبها وبخاصة منها : « البربريات المسبيات » ، وجلودا لخرفان العسلية (6) ، ويذكر ابن عذاري ، أن ابن الحبحاب وعد الخلفاء ، ومناهم بالكثير من هذه الطرف وكلف نفسه في جمعها أوكلفوه أكثر مما كان « فاضطر الى التعسف وسوء السيرة » (7) ، ويشير السلاوي

---

(1) الرقيق : المصدر السابق ، ص 109 ، ابن الأثير : الكامل ، جـ 2 ص 222 ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 52 ، النويري (شهاب الدين أحمد) : نهاية الارب في فنون الأدب ، جـ 22 ورقة رقم 85 مخطوط بمكتبة كلية آداب الاسكندرية تحت رقم 18668 .

(2) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 51 .

(3) البلاذري ، : المصدر السابق ، ص 272 ، 273 ويذكر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز نهاهم عن ذلك وكتب الى ولاة المغرب يقول لهم : ان من كانت عنده لواتية فاليخطبها الى أبيها أو فاليرددها راجع أيضا ، د . محمود إسماعيل : المرجع السابق ، ص 136 .

راجع : L. Provençal Histoire T.I., p. 41

(4) د . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص 250 ، د . محمود إسماعيل : المرجع السابق ، ص 132 .

(5) فلهوزن : المرجع السابق ، ص 331 ، د . محمود اسماعيل : المرجع السابق ، ص 132 .

(6) راجع أخبار مجموعة ، ص 32 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 52 ، ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 6 ص 240 ، الطبري المصدر السابق ، جـ 4 ص 255 .

(7) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 52 .

الى أن الولاة «كانوا يتعالون في جمع ذلك وانتخابه ، فكثر عبثهم في أموال البربـــر» (1)

ولم يلبث أن فقد الكثير من المغاربة ثقتهم بالحكام العرب ، ولاسيما بعد أن تمتعوا بالعدالة الاجتماعية والحقوق السياسية في ظل حكم عمر بن عبد العزيز ، وقد استغل دعاة المذهب الخارجي ، التذمر العام الذي ساد الرعية في هذه الفترة ، فانتشروا بين مختلف القبائل المغربية دعاة ومعلمين ، يبسطون تعاليم الدين الاسلامي ، حسب ما يتمشى مع مبادئهم الدينية والسياسية ، تحت شعار الاصلاح والدعوة الى العمل بكتاب الله وبسنة رسوله ، كما وجد المغاربة أن دعوة الخوارج تتلاءم أفكارها وطبيعتها وأهدافها مع طبيعة عقليتهم ونزعاتهم وآمالهم ، في الخلاص من تسلط الولاة عليهم ، وأدركوا مدى التناقض الصارخ بين سياسة الخلافة الأموية ، ودعوة الاسلام الى العدالة والمساواة بين الناس ـ لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ـ وليس من الضرورة أن يكون الحاكم من قريش ، بل يكفي أن يكون فاضلا تقيا صالحا ، يحكم طبقا لما جاء به القرآن والسنة النبوية (2) ، لذا أقبل عليه أهل المغرب وأعتنقوه ، لأنه يتناسب مع وضعهم السياسي والاجتماعي ، واتخذوه رمزا للمعارضة القومية ضد السياسة الأموية (3)

وكيفما كان الحال فان سوء المعاملة وكثرة المطالب والمغارم التي أثقلت كواهل المغاربة ، فكل هذه الأسباب مجتمعة حطمت فكرة العدالة الاجتماعية والمساواة السياسية بين العرب ، وغيرهم من المسلمين في بلاد المغرب ، وهذا مادفع المغاربة ، الى الخروج عن الطاعة ، والثورة على الولاة .

وهكذا تعددت أسباب الثورة ودوافعها ، وتنوعت عواملها بين سياسية وعنصرية واقتصادية ، والظاهر أن العامل الاقتصادي كان أقواها جميعا ، فهو المحرك الفعال والرئسي ، لاندلاع شرارة الثورة الشاملة في بلاد المغرب ، وان كان لا يمكن بأية حال من الأحوال ، الفصل بين هذه العوامل والأسباب المتعددة ، فقد تداخلت وتفاعلت

(1) السلاوي (أحمد بن خالد) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى جـ 1 ص 48 طبعة القاهرة 1312 ، ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 6 ص 240/239 .

(2) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول ، ص 130 ، د . محمود إسماعيل المرجع السابق ، ص 146 .

(3) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 90 . أقصد بالمغاربة البربر سكان المغرب الكبير بأقسامه الثلاثة الأدنى والأوسط والأقصى .

جميعا ، لتهيء المناخ الملائم للانتفاضة المغربية ، ضد سياسة الخلافة وعمالها (1) .

وفي سنة 122 هـ / 740 م كانت النفوس مهيئة للثورة ، تنتظر الوقت المناسب لامتشاق الحسام ضد الوالي ، وقد وجد الثوار ضالتهم المنشودة للثورة حينما خرج معظم جيش الوالي ، عبيد الله بن الحبحاب في غزوة ، لما وراء البحر الى جزيرة صقلية ، فقاموا على عامل طنجة ، عمر بن عبد الله المرادي ، يتزعمهم ميسرة المطغري أو المدغري الزناتي ، الذي اعتنق المذهب الخارجي الصفري ، بمدينة القيروان ، ثم عاد لينشر مبادئه بين قومه في اقليم طنجة ، وكان ميسرة هذا حاقدا على سياسة الولاة ، غير أنه لم يقم بأي عمل عنيف ضدهم ، الا بعد أن سافر على رأس وفد مغربي كبير ، الى دمشق للاتصال بالخليفة هشام بن عبد الملك ، وعرض شكواهم عليه ، لكنهم لم يتمكنوا من مقابلته ، ولما خاب رجاؤهم ونفدت نفقاتهم ، عادوا الى بلادهم وهم متأكدون ، بأن العمال لا يعملون الا وفقا لرغبات الخليفة ، وبأمر منه ، وعندما عاد ميسرة الى بلده ، ثار على عامل طنجة فقتله ، ثم توجه الى السوس الأقصى ، وأستطاع انزال الهزيمة بعامله ، اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب وقتله أيضا ، واستولى بذلك على المغرب الأقصى ، غير أن ميسرة فيما يبدو ، قد ساءت سيرته فادعى الخلافة ، فقتله أصحابه طبقا لمباديء الخوارج التي تسمح بالتخلص من الامام ، اذا ما انحرف عن خط الجماعة ، وولوا عليهم اماما آخر ، لا يقل صرامة عن ميسرة ، هو خالد بن حميد الزناتي (2) .

(1) فيما يتعلق بأسباب الثورة وعواملها راجع التفاصيل : د . حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص 143 وما يليها ، د . حسن محمود : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، ص 67 ، وما يليها القاهرة 1957 م ، د . سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص 251 وما يليها ، د . عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ 2 ص 301 وما يليها ، د . محمود إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 92 وما يليها . راجع أيضا الطبري الذي يحصر عوامل الثورة في الشكوى التي قدمها الوفد المغربي لحاجب هشام « الأبرش » ، بحيث يذكر بأن الوالي كان يغزو بهم ولا يعطيهم الانفال ، وإذا حاصروا مدينة قدمهم وأخر جنده ، ثم أنه عمد إلى ماشيتهم ، فأخذ يبقرها بحثا عن الخراف العسلية ، ولم يكتف بهذا ، بل راح يأخذ كل جميلة من بناتهم . تاريخ الرسل والملوك جـ 4 ص 254 ، 255 .

(2) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 95 . الرقيق : المصدر السابق ، ص 110 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 53 .

أخذ داء هذه الانتفاضة يستشرى يوما بعد يوم في بلاد المغرب ، ولم تستطع جيوش ابن الحبحاب أن تحسم الموقف ، وان توقف زحف الثوار ، بل تلقت هزيمة أخرى أكثر عنفا ، بالقرب من طنجة سنة 123 هـ / 741 م ، هلك فيها خيرة رجال العرب وقوادهم وحماتهم ، حتى سميت هذه المعركة بمعركة « الاشراف » .

ولما كان عبيد الله بن الحبحاب الوالي العام على الغرب الاسلامي ، فقد أصدر أوامره الى عقبة بن الحجاج السلولي ، والي الأندلس بمهاجمة طنجة ، فأمده الوالي الأندلسي بقوة عبرت المضيق ، وتقابلت مع الثوار ، لكنها منيت بهزيمة ثقيلة . عند ذلك توجه عقبة بن الحجاج بنفسه على رأس جيش أندلسي كثيف ، والتحم مع الثوار بنواحي طنجة ، ودارت بينهما معركة حاسمة ، انتصر فيها الثوار الخوارج على الجيش الأندلسي ، فعاد عقبة الى بلده خائبا ، والظاهر أن هذه الهزيمة كانت السبب في عزله من امارة الأندلس ، فقد ثار عليه أهل قرطبة فعزلوه وولوا مكانه الشيخ عبد الملك بن قطن (1) .

طالعة الشاميين ومعركة « بقدورة » :

ولما بلغت أنباء الهزائم ، مسامع الخليفة هشام بن عبد الملك ، غضب غضبة مضرية لفظا ومعنى ، وقال : « أقتل أولئك الرجال ، الذين كانوا يفدون علينا من الغرب ، أصحاب الغنائم . قيل : نعم يا أمير المؤمنين . قال : والله لأغضبن لهم غضبة عربية ، ولأبعثن اليهم جيشا أوله عندهم ، وآخره عندي ، ثم لاتركت حصن بربري ، الا جعلت الى جانبه خيمة قيس أوتميمي » (2) .

---

(1) دوزي : تاريخ مسلمي إسبانيا ، جـ1 ص 148 ترجمة د حسن حبشي ومراجعة الدكتوران جمال محرز ومختار العبادي ، دار المعارف بمصر ، سنة 1963 م . L. Provençal : Histoire, T. I., p. 43

د . سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص 260 ، د . حسين مؤنس ثورات البربر ، ص 170 وحول عزل عقبة بن الحجاج راجع ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 95 ، الرقيق : المصدر السابق ، ص 111 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ4 ص 223 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ1 ص 54 ، النويري : المصدر السابق ، جـ22 ورقة 86 .

(2) الرقيق : المصدر السابق ، ص 111 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ 4 ص 223 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 54 ـ النويري : المصدر السابق ، جـ 22 ورقة 85 .

وبعث يستدعى ابن الحبحاب من المغرب في جمادى الأول ، سنة 123 هـ / 741 م . ثم اختار لولاية المغرب شيخا ، من أعيان القيسية هوكلثوم بن عياض القشيري ، وعقد له على أثني عشر الف مقاتل ، من أهل الشام ، وجعل له نائبين هما : ابن أخيه بلج بن بشر القشيري ، وثعلبة بن سلمة العاملي ، وكتب الى ثغور مصر وبرقة وطرابلس ، ان تمده بالرجال وبالسلاح ، ويعرف هذا الجيش بالطالعة العربية الثانية تمييزا عن الطالعة العربية الأولى ، التي قادها موسى بن نصير من قبل ، وكان معظمها من أهل الحجاز (1) ، الذين هاجروا المدينة ، يسبب اضطهادات بني أمية وأنصارهم الشاميين ، بعد موقعة « الحرة » ، سنة 63 هـ / 682 م — شرقي المدينة المنورة ـ وكذلك أيام ثورة الزبير بن العوام سنة 72 هـ / 691 م .

ويبدو أن أحداث معركة الحرة ، لا زالت عالقة بأذهان الحجازيين ، فعندما نزل الشاميون بلاد المغرب ، حز في نفوسهم ذلك ، وأثار استياءهم وخشوا من أن يشاركوهم في الأراضي ، التي استقروا فيها منذ زمن بعيد ، وبخاصة بعد أن نادى بلج بن بشر في أهل افريقية : « يا أهل افريقية لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلهم » (2) .

ولم يلبث أن تجدد النزاع بين الشاميين والحجازيين أو البلديين ، عند وادي شلف حينما استهان بلج بن بشر ، بحبيب بن أبي عبيدة الفهري ، فقام اليه عبد الرحمن بن حبيب ، وهو اذ ذاك حدث السن ، وكادت أن تدوررحى حرب بينهما ، أن تدارك الفريقان خطورة الموقف ، وضرورة دعم الصف ضد الخوارج فسعي بينهما بالصلح (3) ، وهو الأمر الذي أحدث تصدعا في قوات الخلافة الشامية وجيشها الافريقي ، مما سبب هلاكهم في الضفة الشمالية لوادي سبو Sebou (نهر مدينة فاس) ، في موضع يقال له « بقدورة » ، سنة 123 هـ / 741 م ، فقد التحم جيش كلثوم بن عياض بمشاركة الجيش الافريقي ، مع الثوار بقيادة خالد بن حميد الزناتي الصفري في معركة حاسمة ، انتهت بهزيمة الجيش الأموي هزيمة ساحقة ، وقتل القائد الأعلى كلثوم بن عياض ، وحبيب بن أبي عبيدة ومغيث الرومي

---

(1) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 112 ، 113 .

(2) الرقيق : المصدر السابق ، ج 112 ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 1 ص 54 .

(3) الرقيق : المصدر السابق ، ص 113 .

وهارون القرني ، وسليمان بن أبي المهاجر ، وكثير من القواد ووجوه العرب ، وتراجعت فلول من نجا منهم الى افريقية ، بينما عبر بعضهم الى العدوة الأندلسية ، ومن بينهم عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، ناجيا بنفسه من سيوف الثوار التي أخذت تلاحقهم .

وكان كلثوم بن عياض قد كتب الى عبد الملك بن قطن الفهري ، وأهل الأندلس يأمرهم بأمداده والخروج اليه (1) ، بصفته الوالي العام على الغرب الاسلامي . ويبدو أن والي الأندلس لم يجبه لطلبه ، خوفا من أن يلقي نفس المصير الذى لقيه عقبة بن الحجاج السلولى من قبل ، أو ربما لأنه كان يحنق على الشاميين .

أما بلج بن بشر الذي كان يقود نحو عشرة آلاف فارسٍ من الشاميين ، فقد انهزم بأصحابه نحو الغرب ، حيث قطع عليه الثوار الخوارج خط العودة الى افريقية وأخذ الثوار يلاحقونهم ، الى أن أستطاع بلج بن بشر وأصحابه أن يدخلوا مدينة سبتة المنيعة ، وتحصنوا بها ، وأقبل الثوار من كل حدب وصوب ، وحاصروهم مدة حاولوا أثناءها اقتحام أسوار المدينة ، لكن حصانتها ومنعتها وشدة مقاومة فرسان الشام المستميتة حالت دون تحقيق ذلك .

ولما يئس الثوار من الاستيلاء عليها ، عمدوا على اتلاف المزارع وحرق الحقول التي حول المدينة بقصد تجويعهم ، ومنع الطعام عنهم ، لكن بلجا ضل صامدا يقاوم بشدة وبأس ، مايقرب من السنة حتى ساءت حالتهم ، وكادوا يهلكون جوعا (2)

انتقال الثورة الى الأندلس :

حاول بلج بن بشر العبور بقواته الى العدوة الأندلسية ، وبعث في سبيل ذلك الى عبد الملك بن قطن ، أمير الأندلس يستغيث به ، غير أن أمير الأندلس لم يكترث

---

(1) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 99

(2) أخبار مجموعة ، ص 37 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ 4 ص 250 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 56 ، د . حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص 197 ، د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 92 .

لندائه واستغاثاته ، ولم يسمح له ولأصحابه بالعبور اليه ، لأن عبد الملك بن قطن من الحجازيين ، الذين عاشوا وقعة الحرة وذاقوا أهوالها .

ولهذا رفض السماح لهم ، باجتياز المضيق ، كما رفض أيضا امدادهم بالطعام والأقوات حتى يموتوا جوعا .

ويبدو أن عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، عندما عبر الى الأندلس بعد معركة « بقدورة » ـ كما سبقت الاشارة ـ أخذ يحرض عبد الملك بن قطن ، وهو فهري مثله على بلج بن بشر ، ولا يستبعد أن يكون قد نقل له صورة واضحة عن تصرفات هؤلاء الشاميين ، مع البلديين في افريقية ، أثناء قدومهم اليها وحذره منه ومن أصحابه (1) .

لم يقف عبد الملك عند عدم امداد بلج وأصحابه ، فحسب بل لم يتورع عن معاقبة الذين أمدوهم بالاقوات وبالمؤن ، فقد نكل بأحد العرب اللخميين الأندلسيين ، وهو عبد الرحمن بن زياد أشد التنكيل ، لأنه قام بارسال مركبين الى بلج وأصحابه ، لمدينة سبتة محملين بالشعير والآدم (2) .

غير أن الظروف في العدوة الأندلسية ، لم تستمر على المنوال الذي كان يشتهيه عبد الملك ، بل سرعان ما تغيرت ، وجدَّ أمرٌ لم يكن في الحسبان ، غير موقفه ، اذ انتقل صدي الثورة التي قام بها المغاربة الخوارج في بلاد المغرب ، الى اخوانهم في بلاد الأندلس ، وهذا دليل على أن مصير العدوة الأندلسية ، مرتبط ارتباطا وثيقا بمصير افريقية والمغرب ، فلما بلغت أنباء الثورة مسامع المغاربة الأندلسيين ، وكان معظمهم حينذاك يقطنون الثغور الشمالية ، هبوا عن بكرة أبيهم لمؤازرة اخوانهم ، وتأييدهم في مطالبهم ، ولايستبعد أن يكون قد قدم نفر من دعاة الثورة في الشمال الأفريقي الى الأندلس ، لحمل المغاربة على محاربة عربها (3) .

والظاهر ان المغاربة ، في الأندلس ، لم يكونوا أحسن حال من أهل المغرب ، وعلى الرغم من أنهم لم يتعرضوا للاضطهاد نفسه ، الذي تعرض له اخوانهم في

---

(1) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 100 .

(2) أخبار مجموعة ، ص 37 .

(3) دوزي : المرجع السابق ، ص 158/157 ، د . حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص 193 .

الشمال الافريقي ، الا أنهم كانوا أيضا يعاملون معاملة قاسية ، فضلا عن احساسهم بأنهم لم يجنوا ثمار جهدهم في فتح الأندلس ، اذ استأثر العرب بالسلطان وبالأراضي الخصبة ، وبالسهول في الأندلس ، بينما استقر المغاربة في المناطق الجبلية وفي الهضاب العليا ، الممتدةفي شبه الجزيرة المعروفة « بالجوف » ، وكذلك المناطق المرتفعة الواقعة في جنوب شرق الأندلس (1) ـ كما سبقت الاشارة ـ .

والظاهر أن المغاربة الأندلسيين ، وجدوا في هذه الثورة متنفسا لهم وفرصة سانحة للانقضاض على العرب ، الذين نالوا أحسن ما في الغنيمة ألا وهو حكومة الاقليم وأخصب بقاعه (2) ، فنظموا صفوفهم ووحدوا قيادتهم وخرجوا على العرب المقيمين في جليقية أو غالسيا ، Galcia وأسترقة والنواحي القاصيه من أشتريس وماردة وقورية وطلبيرة ، ولم يسلم منهم إلا عرب إقليم سرقسطة ، ويفصل لنا ذلك صاحب كتاب أخبار مجموعة بقوله : « فقضى أن بربر الأندلس لما بلغهم ظهور بربر العدوة ، على عربها وأهل الطاعة ، وثبوا في أقطار الأندلس ، فأخرجوا عرب جليقية ، وقتلوهم ، وأخرجوا عرب استرقه والمدائن التي خلف الدروب ، فلم يرع ابن قطن الا فلهم قد قدم عليهم ، وأنضم عرب الأطراف الى وسط الأندلس . الا ما كان من عرب سرقسطة وثغرهم ، فانهم كانوا أكثر من البربر فلم يهج عليهم البربر .. » (3) ، وعندما انتصر المغاربة في هذه المناطق ، قسموا أنفسهم الى ثلاثة جيوش رئيسية : يتجه أولها الى طليطلة عاصمة الثغر الأدنى ، ويسير الثاني نحو مدينة قرطبة ، أما الجيش الثالث فقد كان اتجاهه الى الجزيرة الخضراء ، لقتال

R. DOZY : Histoire musulmane d'Espagne, T.I. p. 161 éd. L. Provençal 1932:. Recherche sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age, T.I., p. 118-119. L. Provençal: Histoire. T.I., p. 84.

(1) دوزي : المرجع السابق ج 1 ص 157 ـ د . عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 124/123 ، بينما يرى الدكتور حسين مؤنس أن السبب الرئيسي في قيام المغاربة الأندلسيين ، يرجع إلى سوء المعاملة فقط . أما الرأي القائل بأن العرب استأثروا بالأراضي الخصبة فيرى أنه لا أساس له من الصحة ، لأن المغاربة يوجدون في مناطق مختلفة من بلاد الأندلس . أنظر : ثورات البربر ، ص 194 وما يليها ، فجر الأندلس ، ص 128 وما يليها .

(2) دوزي : المرجع السابق ج 1 ص 157 ، لين بول : العرب في اسبانيا ، ص 56 دار المعارف القاهرة 1947

(3) أخبار مجموعة ، ص 39 ، مؤلف مجهول : فتح الأندلس ، نشره خواكين ذي جنثالث الجزائر 1889 م ، راجع ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 2 ص 30 ـ د . حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص 196 .

الشاميين المحاصرين في مدينة سبتة ، والقضاء عليهم ثم الاتصال بأخوانهم في بلاد المغرب . ونقل جماعة منهم الى الأندلس (1).

عبور بلج وأصحابه الى الأندلس :

ولما بلغ عبد الملك بن قطن ، خبر وثبة المغاربة في الشمال ، وتوجههم نحو الجنوب خشى ، أن يلقي جيشه مالقيته الجيوش العربية في بلاد المغرب من هزائم مريرة ، على يد الخوارج الصفرية . عندئذ لم يجد عبد الملك بن قطن بدا من التفاهم مع بلج بن بشر وأصحابه ، في مدينة « سبتة» بالديار المغربية ، لأنه أصبح في مسيس الحاجة اليهم ، ليستعين بهم في حربه مع البربر المغاربة ، فعرض عليهم العبور اليه شرط أن يشتركوا معه في اخماد ثورات البربر ، وأن يغادروا بلده بعد سنة واحدة ، وأن يعطوه رهائن يحتفظ بها في جزيرة أم حكيم . فرضوا بذلك واجتازوا المضيق ، في ذي القعدة سنة 123 هـ/ 741 م (2) . ونزلوا الجزيرة الخضراء وثيابهم بالية ممزقة . فكسا ابن قطن خيارهم وأعطاهم الأعطيات ، وأستقبلهم عرب الأندلس ، « وأفضل عليهم الناس حتى لبسوا وشبعوا (3) » .

ولم يكن من بلج وأصحابه أن ينهض بعد ذلك ، لقتال الثوار المغاربة . فقد أنضمت قواته الى قوات عبد الملك بن قطن ، وأتجهوا جميعا نحو الجيش الثالث المغربي ، الذي يريد الاتصال بالثائرين في طنجة وسبتة ، فالتحموا معه على مقربة من شذونة . ولم يكن للعرب فيهم الا نهضة قوية حتى هزموهم وأبادوا منهم الكثير ، وأصابوا أمتعتهم ودوابهم ، ولا جدال في أن الشاميين كانوا يقاتلون بدافع الانتقام من المغاربة ، الذين أذاقوهم المرّتين في المغرب ثم توجهوا للقاء الجيش المغربي الثاني ، الذي يقصد مدينة قرطبة ، فهزموه أيضا دونما عناء ، وتابعوا سيرهم نحو طليطلة ، حيث يحاصرها جيش الثائرين الثالث . ولعل هذا الجيش أقوى الجيوش البربرية وأكثرها عددا ، اذ أجتمعت اليه البربر من مختلف الأقاليم

---

(1) دوزي : المرجع السابق ، جـ 1 ص 158 ، د . حسين مؤنس : ثورات البربر ، ص 196 ، أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 13 .

(2) أخبار مجموعة ، ص 39 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ2 ص 31/30 المقري : المصدر السابق جـ 2 ص 19 .

(3) أخبار مجموعة ، ص 39

الشمالية ، مثل : جليقية ، وأسترقة وماردة وقورية وطلبيرة ، وحلقوا رؤوسهم بأخوانهم في طنجة ، لكي « لا يخطي أمرهم ولا يختلطوا » (1) .

وعلى نهر سليط بالتاجو جنوب طليطلة ، اشتبك الجيشان في معركة شديدة ، انتصر فيها الشاميون انتصارا حاسما على البربر ، ولم ينج منهم الا الشريد ومن خف حمله ، وأخذ الشاميون يطاردونهم حتى « أطفأوا جمرتهم » حسب تعبير صاحب أخبار مجموعة ، وكان ذلك سنة 124 هـ / 741 م (2) .

وقد أدت هذه الهزائم الساحقة بالبربر ، الى التفكير في مغادرة الأراضي الأندلسية والعودة الى بلادهم الأصلية بالشمال الافريقي ، وفعلا فقد هجر معظمهم الأقاليم الشمالية مما ترك أثرا سيئا ، على سلامة الحدود الاسلامية الشمالية ، المتاخمة للمناطق المسيحية ، حيث ظهر عليها الأسبان بقيادة القائد « بلاي » (3) .

ولم يلبث الشاميون بعد اخماد هذه الثورة ، أن تحولوا الى قرطبة ورفضوا العودة الى بلاد المغرب ، واستولوا على زمام الأمور ، وقتلوا عبد الملك بن قطن ، الذي فلت من أيديهم في وقعة الحرة منذ ستين سنة ، وأقاموا بلجا أميرا على الأندلس ، وهو الأمر الذي أثار حفيظة البلديين ، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي ، حيال تعسف الشاميين واستفزازاتهم ، فنهضوا اليهم مطالبين بدم عبد الملك بن قطن ، وقد اشترك في صفوف البلديين أبناء عبد الملك : أمية ، وقطن ، وعبد الرحمن بن حبيب الفهري ، وفارس الأندلس ، صاحب أربونة عبد الرحمن بن علقمة . وقد انتهت الحرب بهزيمة البلديين مرة أخرى ، وقتل منهم الكثير ، ويصف ذلك ابن عذاري بقوله : « وقد امتلأت أيدي الشاميين وأنفسهم غنما ونصرا وسرورا » (4) .

غير أن بلجاً لم يتمتع هو الآخر بنشوة هذا الانتصار ، لأنه مات بعده بأيام قليلة متأثرا بجروحه ، وظل الصراع على أشده بين البلديين والبربر من جانب ، والشاميين

---

(1) أخبار مجموعة ، ص 40 R. Dozy: Recherches, T. I., p. 116 SQQ

(2) نفس المصدر ، ص 40 L. Provençal, T. I., p. 85

(3) أخبار مجموعة ، ص 28

د . حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 234/233 ، د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 168 وما يليها .

(4) ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 32 ، راجع أيضا : ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 99 ، أخبار مجموعة ، ص 41 .

والأمويين من جانب آخر ، هلك فيه الكثير من الجانبين ، ولم يستطع أحد ان يضع حدا لهذا الصراع والقتال ، الا قدوم الوالي الجديد من افريقية سنة 125 هـ / 743 م .

بعث أهل الأندلس الى حنظلة بن صفوان ، أمير افريقية انفاذ وال عليهم من قبله ، فقلد حنظلة أبا الخطار الحسام بن ضرار ولاية الأندلس ، وأرسله على جناح السرعة ليضع حدا للفتنة القائمة بين الشاميين والبلديين ، في العدوة الأندلسية ، وقد استطاع أبو الخطار أن يجمع كلمة الطرفين المتنازعين ، وأن يحظى برضاهما بفضل سياسته الحازمة التي عالج بها الأمور بذكاء ، فقد وكّل لمن أخرج ثعلبة بن سلامة والوقاص بن عبد العزيز الكتاني ، وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي ، مع عشرة من قواد الشام من الأندلس ، الى بلاد المغرب وقال لهم : « قد ثبت عند أمير المؤمنين ، وعند عاملة حنظلة بن صفوان ، أن فساد الأندلس بكم » (1) .

ثم وزع جند الشام على مختلف الكور والأقاليم الأندلسية ، ليحد من شوكتهم ويخفف الضغط على مدينة طنجة ، وقد حرص أبو الخطار أن ينزل كل قبيلة في اقليم مشابه لاقليمها في بلاد المشرق ، فانزل أهل دمشق في غرناطة ، وسماها دمشق ، وأهل الأردن على مالقه ، وأطلق عليها اسم الأردن ، وأهل حمص على مدينة اشبيلية وسماها حمص ، وأهل مصر على تدمير (مرسية) ، وسماها مصر ، ونظمهم على شكل اقطاعات عسكرية تجبي كل قبيلة غلة اقليمها وناحيتها ، التي أنزلت بها ، وتأخذ عطاءها منها ، وتبعث بالفائض منه الى بيت المال (2) .

ومن الطريف أن تلك التسميات المشرقية ، ظلت مرادفة لأسماء المدن الأندلسية في الشعر الأندلسي (3) . وبقي البلديون والمغاربة على أملاكهم . فاستتب الأمر في الأندلس ، وهدأت أحوال الناس واستقرت نفوس الطرفين واستقامت طاعتهم .

---

(1) ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 16 ، ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 102 .

(2) المقري : نفح الطيب ، جـ 1 ص 155 ، ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 16 ، أخبار مجموعة ، ص 46 ، ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) الحلة السيراء ، جـ 1 ص 61 وما يليها ، تحقيق د . حسين مؤنس القاهرة 1963 م ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 33 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ 4 ص 260 .

(3) د . أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 94

ولكن أبا الخطار في الوقت الذي استطاع أن يعيد الهدوء والاستقرار، الى ربوع الأندلس، تسبب من حيث لا يدري في اسقاط رئيسه وزعيم عصبيته أمير افريقية حنظلة بن صفوان (124 ـ 127 هـ /751 ـ 754)، فحينما قدم أبو الخطار الى قرطبة، واتخذ الاجراءات الصارمة في ضبط الأندلس، خشي عبد الرحمن بن حبيب الفهري، على نفسه من الوالي الجديد، وكان عبد الرحمن هذا قد حاول محاولات كثيرة وجادة، في أن يجد سبيلا للوصول الى السلطة في الأندلس والاستيلاء عليها، غير انه لم ينجح في ذلك، فخرج متسترا من مدينة قرطبة وعبر البحر الى افريقية ونزل بمدينة تونس، وهو لا يزال يطمع في السلطة وكان ذلك في جمادي الأول سنة 126 هـ / 744 م (1)، ومنذ أن وطأت أقدامه أرضي افريقية، أخذ في جمع الأنصار والمؤيدين، ويبدو أنه كان يتمتع بشعبية كبيرة من البلديين العرب في افريقية، لأن البيت الفهري من أكبر البيوتات العربية في بلاد المغرب وأعرقها، لهذا فقد استجابوا لندائه والتفوا حوله لنصرته.

وقد انتهز عبد الرحمن فرصة اضطراب الخلافة في الشام، بمقتل الوليد ابن يزيد سنة 126 هـ / 744 م، وخروج ثعلبة بن سلامة، وبعض القواد الشاميين من القيروان الى دمشق، على أثر هذه الأحداث، فحشد حشوده وأعلن خروجه على أمير افريقية حنظلة بن صفوان، وعزم على طرده من الولاية.

وأمام حزم عبد الرحمن واصراره، أضطر حنظلة الى التسليم بالأمر الواقع، فسلم له الولاية وغادر بلاد المغرب إلى بلاد المشرق، في جمادي الأخير سنة 127 هـ / 745 م، ومنذ هذا التاريخ أصبح عبد الرحمن بن حبيب الفهري، واليا لافريقية والمغرب، وبعث الى الخليفة الجديد مروان بن محمد (127 هـ 132 هـ / 744 ـ 749)، هدية ثمينة، فرد عليها خليفة دمشق بالقبول وبالرضا، وأقره على أعماله (2).

---

(1) الرقيق : المصدر السابق، ص 123، ابن الأثير : الكامل، جـ 4 ص 278 ابن الآبار : المصدر السابق جـ 2 ص 341، ابن عذارى : المصدر السابق، جـ 1 ص 56، النويري : المصدر السابق، جـ 22 ورقة 87، السلاوي المصدر السابق جـ 1 ص 52 بينما يذكر ابن عبد الحكم بأن أبا الخطار هو الذي أخرجه من الأندلس مع جملة القواد الشاميين، الذين طردهم من ولايته. أنظر : فتوح البلدان، ص 102، الحميدي (أبو عبد الله محمد) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ص 271 الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1966.

(2) الرقيق : المصدر السابق، ص 129، النويري : نهاية الارب جـ 22 ورقة 88.

الصراع بين القيسية واليمنية :

أما أبو الخطار فقد تمكن من نشر السلام في الأندلس ، ولكن لفترة قصيرة ، اذ سرعان ما عادت الأحقاد القبلية تنتعش من جديد ، وتطور الصراع من نزاع بين البلديين والشاميين ، الى صراع بين القيسيين والكلبيين ، ولاغرو أن ينتقل هذا الداء العضال من المغرب الى الأندلس ، نتيجة الصلات الادارية والسياسية والبشرية الوثيقة بين العدوتين .

ويبدو أن السبب في ذلك يرجع الى انحراف أبي الخطار الى يمنيته ، وليس هذا ببعيد أوغريب من أبي الخطار. فقد عاش فترة حالكة من حياته في بلاد المغرب ، ذاق خلالها المذلة والهوان على يد أمير القيروان القيسي المتعصب لقيسيته ، عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (1) .

ولعل السبب المباشر في اندلاع الحرب الأهلية ، بين الحيين القيسي واليمني ، هو نشوب نزاع بين شخصين أحدهما مضري ، والآخر يمني ، واشتد خلافهما فذهبا الى أبي الخطارليحكم بينهما ، ويبدوأنه تحيز لليمني ، مما أدى بالمضري الى أن يشتكي الى زعيم المضرية لينصفه ، وهو الصميل بن حاتم الملقب بذي الجوشن فاتجه هذا الأخير الى مقر أبي الخطار لتقصي الحقائق ، ولتفهم الأمر ، وعلى مايبدو فان الجدال قد طال بينهما ، وتطور الى نقاش حاد ، تسبب في اهانة الصميل ، فخرج من المجلس غاضبا ، وعمامته على رأسه تبدو مائلة ، فقال له أحد الحراس « أصلح عمامتك يا أبا جوشن » فرد عليه قائلا له : « ان كان لي قوم فسيقمونها » والعبارة تدل على توعده ونيته في الانتقام (2) .

ودعا الصميل أهل فلسطين ولخم وجذام ، وغيرهم من المضرية لنصرته فأجابوه وقالوا له : « نحن تبع لك » (3) . ولما وصلت الأنباء الى أبي الخطار ، خرج اليهم فهزموه وقتلوا بعض اصحابه ، وخلعوه عن الإمارة وولو مكانه سلامة

---

(1) ابن الآبار : الحلة السيراد ، جـ1 ص 66

(2) المقري : نفخ الطيب ، جـ1 ص 222 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ2 ص 34 ، وعبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ، ص 162 ، أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 95 .

(3) أخبار مجموعة ، ص 56 .

الجذامي سنة 128 هـ/ 745 م ، فأخذ هذا الوالي الجديد ، ينكل باليمنية ويستبد بهم . وظل الصراع قائما بين المضرية واليمنية والحرب سجال بينهما ، الى أن استطاع يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة الفهري ـ الذي اختاره أهل الأندلس أميرا عليهم ،سنة 129 هـ / 746 م ، بعد وفاة سلامة الجذامي ـ بالاشتراك مع وزيره ، وصاحب امره الصميل بن حاتم ، أن ينتصر على أبي الخطار وأصحابه في موقعة « شقّنده » (1) ـ جنوبي قرطبة ـ سنة129 هـ/ 746 م وأن يقتل أبا الخطار وعددا كبيرا من اليمنية ، وصارت الأندلس منذ تلك الوقعة تحت سلطان يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة الفهري في الظاهر وسلطان الصميل بن حاتم في واقع الأمر (2) .

وعندما تم الأمر ليوسف وصاحبه الصميل في الأندلس ، كتب الأندلسيون الى أمير افريقية والمغرب ، عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، يطلبون منه الموافقة على اختيارهم ، لقريبه يوسف بن عبد الرحمن واليا وأميرا عليهم ، فأجابهم عبد الرحمن بالقبول وبالرضا ، وأنفذ الى يوسف عهده بولاية العدوة الأندلسية ، بصفته الأمير الشرعي على الغرب الاسلامي كله (3).

وأصبحت بذلك الأسرة الفهرية ، هي الحاكمة في بلاد المغرب والأندلس ، وكيفما كان الحال ، فمما تجدر ملاحظته هنا هو أن الصراع العنيف والفتن الداخلية ، التي حلت بالمغرب والأندلس ، حالت دون استمرار الجهاد في شمال الأندلس ، وشلت حركته ، بل أثرت حتى على الأوضاع الزراعية والاقتصادية بصفة عامة في الغرب الاسلامي ، ولا سيما في الأندلس . فقد اجتاحتها مجاعة دامت أكثر من خمس سنوات (131 ـ 136 / 748 ـ 855 م) ، لأن العرب والبربر على حد

---

(1) شقّندة Secunda مدينة على الجهة اليسرى من نهر الوادي الكبير ، Guadalquivir من قرطبة وكان يسكنها العمال وأهل الأسواق فهي تمثل الريض الجنوبي لمدينة قرطبة . أنظر : ابن حيان : المقتبس ، ص 209 حاشية رقم (1) تحقيق د . عبد الرحمن حجي بيروت 1965 ـ الحميري الروض المعطار ص 104 ، ابن الآبار : الحلة السيراء جـ 1 ص 44 حاشية رقم (1) .

(2) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 37

(3) نفس المصدر ، جـ 1 ص 62 ، د . سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ص 292 ، 293 .

سواء هجروا الارض وتركوها دون فلاحة ، لأنشغالهم بالمنازعات وبالحروب العصبية العقيمة (1) .

وفي سنة 136 هـ / 755 م ، ازدادت الحالة الاقتصادية تدهورا في بلاد الأندلس وساءت حالة الناس فتضاعف عدد المهاجرين من العدوة الأندلسية الى العدوة المغربية ، فقد عبرت جاليات أندلسية كبيرة مضيق جبل طارق ، واستقرت في كل من مدينتي طنجة وأصيلا ، وفي مناطق مختلفة من الرّيف المغربي (2) . وكان اجتيازهذه الجاليات من وادي شذونة الذي يعرف بوادي برباط (3) Rio Barbate جنوب الأندلس ـ .

وكانت الخلافة الأموية في هذه الفترة قد سقطت على أثر معركة الزاب الشهيرة في 11 جمادي الآخر 132 هـ / 750 م ، ضد الجيوش العباسية ، ونجا الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك من المذبحة التي دبرها والى الشام الأمير عبد الله بن علي العباسي للأمويين عند نهر أبي فطرس بين فلسطين والأردن .

وفر عبد الرحمن بن معاوية مع مولاه بدر الى بلاد المغرب ، ومكث فيه نحو خمس سنوات بين القبائل المغربية (4) يتنقل من برقة شرقا الى أطراف طنجة غربا (5) متسترا عن عيون العباسيين وأعوانهم في المغرب . فقد استجار بقبائل منطقة تاهرت (6) ثم قبيلة مكناسة ، واحتمى بأخواله النفزاويين بالقرب من

(1) أخبار مجموعة ، ص 62 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 38 . د . حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 393 .

(2) تطلق كلمة « ريف » في المغرب والأندلس على الأراضي التي تحف بالبحر والمحيط (ريف البحر) وقد عرفت بهذا الإسم المنطقة الواقعة ما بين مدينة تطوان غربا ونهر ملوية شرقا على طول الساحل المغربي الشمالي .
راجع : R. Dozy : Supplément du dictionnaire arabe, T. I., p. 575. Beyrout, 1968.

(3) د . أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص 265
أخبار مجموعة ، ص 62 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ 4 ص 361 ، د . حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص 234 ، د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ص 165/164 .

(4) L. Provençal : L'Espagne musulmane au 10e siècle - Insitutions et vie sociale, p. 15, Paris, 1932

(5) المقري : نفح الطيب ، جـ 4 ص 28

(6) المقري : نفح الطيب ، جـ 4 ص 28

مدينة « نكور » وأخيرا انتهى به المطاف الى قبيلة « مغيلة » فنزل عند شيخها المكنى بأبي قرة » أحد موالي عبد العزيزبن مروان (1) .

حاول عبد الرحمن بن معاوية خلال وجوده في المغرب أن يحي دولة أجداده ، لكنه لم يجد التعضيد الكافي من المغاربة لذا يمم وجهه شطر الأندلس (2) ، التي كانت آنذاك تضطرم نارا بالفتن والاضطرابات الداخلية بين المضرية واليمنية ، ورأى عبد الرحمن أن يستغل هذه الظروف لصالحه ، فوجه مولاه بدرا الى موالي بني أمية المقيمين بالأندلس (3) ، ليمهدوا له الطريق وليساعدوه على ماكان يصبو اليه وهو الاستيلاء على امارة الأندلس ، فاستجاب الموالي الأمويون لندائه ورحبوا بالفكرة ، وأخذوا على عاتقهم تنفيذها ، وأول عمل قاموا به في هذا الشأن أن توجهوا الى المضرية وعرضوا أمر صاحبهم على زعيمها الصميل بن حاتم لأنه مضري مثلهم . لكنه خشى على نفوذه وسلطانه من قدوم هذا الأمير الأموي الى العدوة الأندلسية ، فرفض مساعدتهم ، بل هددهم بقتله اذا ماعبر اليهم وقال لهم : « اني رأيت في الأمر فوجدت الفتى الذي دعوتماني اليه من قوم لو بال أحدهم بهذه الجزيرة ، غرقنا نحن وأنتم في بوله . واعلموا أن أول سيف يسل عليه هوسيفي » (4).

ولما يئس بدر وأصحابه من مساندة المضرية لهم ، تحولوا الى اليمنية الذين كانت صدورهم تتأجج حنقا وحقدا على أعدائهم التقليديين الذين استحوذوا الملك عن طريق زعيمهم الصميل بن حاتم صاحب الأمر الفعلي في الأندلس ، لذلك نجدهم قد فرحت قلوبهم وهللت عندما عرض عليهم أمر الشاب الأموي وربما لا لشيء وانما للانتقام من أهل مصر ، والوثوب عليهم . فتحمسوا جميعا لنصرته ويصف ذلك المقرى بقوله : « فدب أمره فيهم دبيب النار في الجمر» (5) .

---

(1) راجع المقري : المصدر السابق ، جـ 1 ص 312 ، أخبار مجموعة ص 74 ، ابن القوطية : افتتاح ، ص 16 .

(2) L. Provençal: Histoire, T. I., p. 98.

(3) المقري : المصدر السابق ، جـ 4 ص 28 ويتراوح عددهم ما بين 400 و 500 فارس .

(4) أخبار مجموعة ، ص 73 ، ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 18 ، المقري : المصدر السابق ، جـ 4 ص 30 ، ويذكر المقري أن مفاتحة الصميل بالموضوع كانت مجرد اختبار له وجس نبضه . أنظر المصدر السابق جـ 4 ص 29 .

(5) المقري : المصدر السابق جـ 1 ص 29 ويذكر ابن القوطية أنهم اجتمعوا مع أبي الصباح اليحصبي وهو شيخ اليمانية في غرب الأندلس ، ومع غيره من سادات العرب ، وخاطبوا رؤساء الشاميين في شذونة ثم خاطبوا القحطانيين في البيرة وجيان وأصحاب وادي اش ، والحصين بن الدجن العقلي للتباعد الذي كان بينه وبين الصميل فلم يمل من المضرية غيره : أنظر افتتاح ص 17 .

وكان بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية حينما بلغ أرض الأندلس قد استتر عند بني وانسوس المغاربة وهم من قبيلة مغيلة ، التي يوجد عبد الرحمن في حمايتها بالمغرب وهو الأمر الذي يجعلني لا أستبعد أن يكون زعيم هذه القبيلة « وانسوس » « المكني بأبي قرة » ظل يساعد عبد الرحمن في بلاد المغرب قبل استيلائه على الأندلس وبعده (1) .

ابتاع موالي بني أمية مركبا حمل بدرا وأحد عشر رجلا منهم وتوجهوا إلى الشاطىء المغربي حيث يوجد عبد الرحمن في انتظارهم ، فحملوه وعادوا به الى العدوة الأندلسية في ربيع الآخر سنة 138 هـ / 756 م (2) .

وعندما انتقلت أخبار مقدمه الى موالي بني أمية واليمنية ، انثال عليه الناس انثيالا وأختلفوا اليه من كل مكان ، فقوى أمره مع الساعات فضلا عن الأيام على حد تعبير ابن حيان (3) .

ويذكر ابن الكردبوس أيضا : « انحاش اليه من كان من بني أمية ومن يقول بقولهم ومن كان يجد على يوسف الفهري موجدة لمظلمة جرت عليه أو لتقصير قصر به أو لعطاء حرمه » (4) .

أرسل عبد الرحمن دعاته الى مختلف الأقاليم والكور الأندلسية لاغراء زعماء العرب والبربر للانضمام إليه وتحريضهم على يوسف الفهري ، ووزيره الصميل (5) . وأخذ يعد العدة ويجمع الأنصار والمؤيدين سبعة أشهر تنقل خلالها في كثير من

---

(1) ابن القوطية : المصدر السابق ص 16

(2) أخبار مجموعة ، ص 75 ، المقري : المصدر السابق ، ج 4 ص 31 ، بينما يذكر ابن الأثير (الكامل ج 4 ص 363) والنويري (نهاية الارب ج 22 ورقة 3 أن دخوله كان في شهر ربيع الأول من نفس السنة) .

(3) المقري : المصدر السابع ، ج 4 ص 31 .

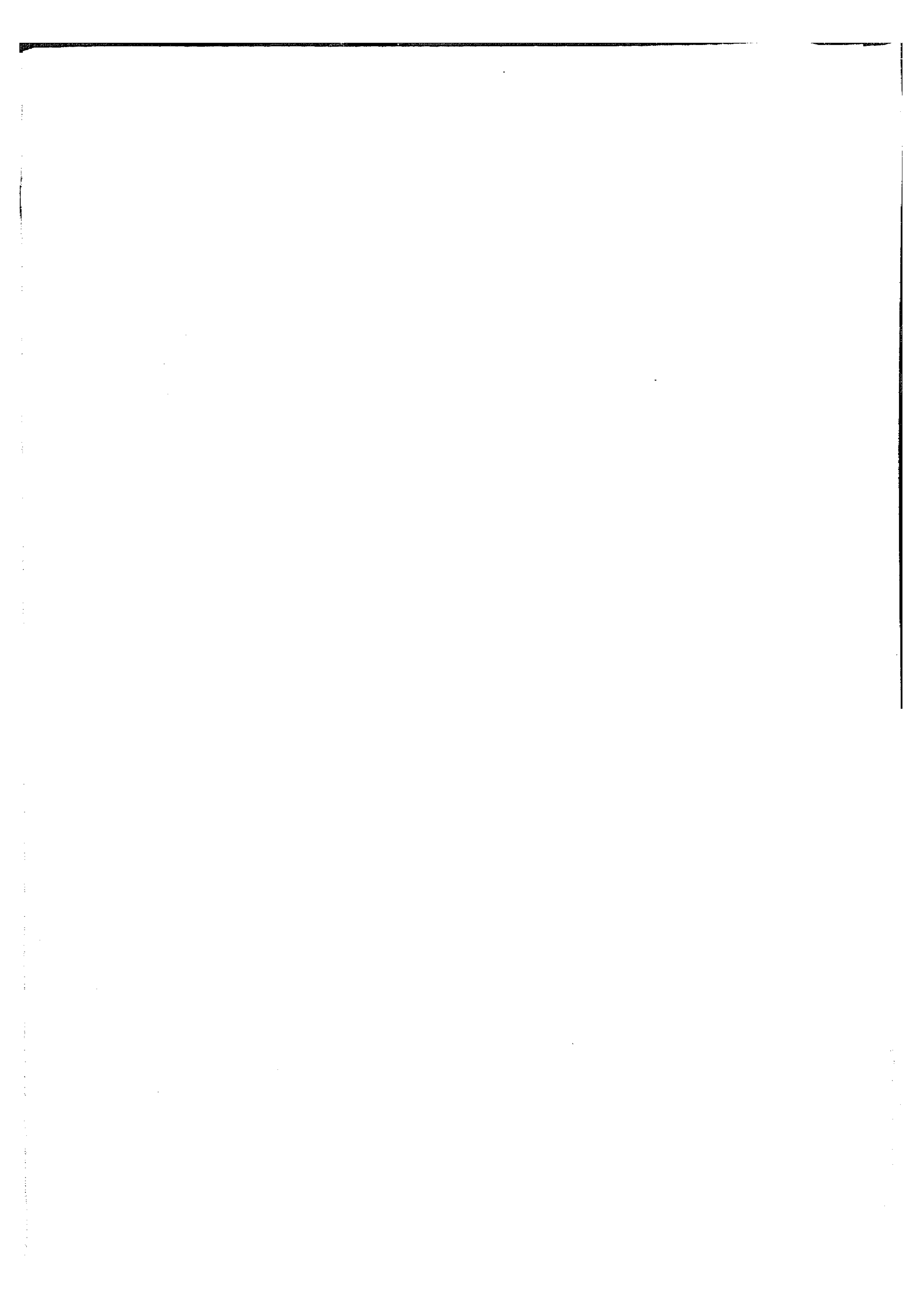
(4) ابن الكردبوس (أبو مروان بن عبد الملك) : الاكتفاء في أخبار الخلفاء ص 55 وما يليها : تحقيق د . أحمد مختار العبادي مطبعة معهد الدراسات الإسلامية مدريد 1971 .

(5) ومن بين الذين أرسلهم : يوسف بن يخت إلى جند حمص ، وتمام بن علقمة إلى أهل فلسطين ، وجاءه جدار بن عمرو المدحجي من أهل رية ، وبايعه أبو الصباح من اشبيلية ، وحيوة بن ملامس وهما سيدا العرب في الغرب ووفد اليه عاصم بن سلم الثقفي ، والعبيدي أبو بكر بن طفيل والأمويه كلها ، وانحاز اليه بعض المغاربة من بني خليع موالي يزيد بن عبد الملك بتاكرنا في أربعمائة فارس أنظر أخبار مجموعة ص 76 ، ابن القوطية المصدر السابق ، ص 17 .

الأقاليم الأندلسية الجنوبية ، حتى اشتد عضده وقوى ساعده ، فنهض الى لقاء جيش يوسف والصميل ، وكانت المعركة الفاصلة بين الفريقين « بالمصارة » في العاشر من ذي الحجة سنة 138 هـ / 755 م (1) . حيث انتصر عبد الرحمن الداخل على يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة الفهري والصميل بن حاتم واستولى على امارة الأندلس وأصبح يعرف بعبد الرحمن الداخل .

وانتهى بذلك عصر الولاة في العدوة الأندلسية الذي دام أكثر من أربعين سنة تولى خلالها عشرون واليا أي بمعدل سنتين لكل وال في المتوسط ، وهذا أن دل على شيء فانما يدل على اضطراب الأندلس في تلك الفترة وعدم استقرارها .

(1) تقع المصارة جنوب غرب مدينة قرطبة على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير . أما لفظ المصارة فلا يعرف معناها أو أصلها وقد أطلقت على عدة أماكن في الأندلس والمغرب خصوصا على الفضاء الفسيح المجاور للمدن الكبرى مثل : قرطبة ، غرناطة ، وفاس ، ويقام في هذه الأماكن العاب الفروسية وعرض الجيوش كما يقام فيها الصلاة العامة كصلاة العيدين أو الاستسقاء لذا اختلط الأمر بين كلمة المصلي والمصارة . أنظر ، د . أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ص 87 .



الفصل الثاني
علاقة الأندلس بدويلات المغرب في عصر الإمارة الأموية
(138 ـ 316 هـ / 755 ـ 928 م)

قيام الامارة الأموية في الأندلس :

استطاع عبد الرحمن الداخل ، أن يحي الدولة الأموية في الأندلس بعيدا عن مقر الخلافة العباسية في بغداد ، بعد ست سنوات فقط ، من انقراض دولة آبائه وأجداده في دمشق . وكان ذلك في اليوم العاشر من ذي الحجة ،سنة 138 هـ / 756 م . حيث دخل قرطبة دخول المنتصر ، بعد يوم واحد من المعركة (1) .

لقي عبد الرحمن الداخل صعابا جمة أثناء حكمه الأندلس ، الذي دام أكثر من ثلاث وثلاثين سنة ، قضى معظمها في اخماد الفتن والاضطرابات ، ومقارعة المناوئين ، ولاسيما منهم العرب اليمانية .

لا شك أن المساعدة التي قدمها هؤلاء اليمنيون في أول الأمر ، لم تكن عن اخلاص صادق ، ولا ولاء تام ، وإنما كانت بوازع الرغبة في الانتقام من خصومهم المضرية ، فقد كانت بينهم أيام مشهورة خلت في موقعتي « مرج راهط (2)

---

(1) أخبار مجموعة ، ص 86 ، المقري : السابق ، جـ 4 ص 31 .

(2) مرج راهط هي موقعة حدثت بالقرب من مدينة دمشق ، عاصمة الخلافة الأموية في بداية عهد مروان ، بن الحكم بالخلافة بين العرب اليمنية أصحاب مروان وبين الضحاك بن قيس زعيم العرب المضرية ، ومؤيد عبد الله الزبير في ثورته على بني أمية . وفيها قتل الضحاك وعدد كبير من المضرية . راجع التفاصيل في دوزي : المرجع السابق ، جـ 1 ص 76 وما يليها .

و « شقندة » كان زعيم اليمنية في غرب الأندلس (1) ، أبوالصباح بن يحي اليحصبي قد عبر عن هذه النوايا المعادية لعبد الرحمن الداخل ، بقوله لثعلبة بن عبيد الجذامي ـ أحد قواد جند فلسطين ـ بعد انتصاره في معركة « المصارة » : « ياثعلبة هل لك رأي في فتحين في فتح ، قال له ثعلبة : وكيف ذلك ؟ قال أبوالصباح : قد استرحنا من يوسف ، فاسترح بنا من هذا (يعني عبد الرحمن الداخل) وتكون الأندلس قحطانية » (2) .

لكن عبد الرحمن تمكن من التغلب عليهم بفضل حزمه وصرامته وبعد نظره ، كما يرجع الفضل أيضا في تثبيت ملكه ، وتوطيد سلطانه في الأندلس الى الوزراء ، والحجاب ، والقواد الذين أحسن اختيارهم من بين مواليه أمثال : عبيد الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ، ويوسف بن يخت ، وتمام بن علقمة فقد ساهم هؤلاء جميعا ، بكل جدية واخلاص في أدخاله الى الأندلس ، ومنحوه كل التأييد ، وتفانوا في سبيل توطيد أركان دولته . وكذلك ساعده انعدام الاتحاد بين خصومه ، وسهل له مهمة التخلص منهم ، الواحد تلو الآخر ، وهي السياسة التي أنتهجها في ضرب الأعداء منفردين كي يسهل عليه القضاء عليهم الواحد بعد الآخر (3) .

وكان عبد الرحمن الداخل ، قد سلك سياسة التسامح واللين في أول عهده ، مع المتمردين من أفراد رعيته ، بيد أنه سرعان ماتخلى عن هذه السياسة ، لمَّا وجدها لاتجدى مع هذه الرعية القلقة ، غير المنسجمة ، والتي لم يجد منها الا العناد والتحدى ، لذلك لجأ الى اتخاذ سياسة أخرى تتسم بالعنف ، وبالضراوة تارة ، وبالمكر وبالخديعة تارة أخرى (4) .

وكيفما كان الحال ، فقد استطاع الأمير عبد الرحمن الداخل ، أن يتلون ويتكيف مع الظروف ، بحيث قهر الخصوم ، وأطفأ نار الفتنة بين اليمنيين والقيسيين ، وحاول أن يوفق بين الأعراب البلديين والشاميين ، وأن يعزز موقفه منهم بفتح الأندلس ، أمام طبقات النازحين اليها ، من بلاد المشرق من أفراد عائلته وأقربائه . وأنصاره ومؤيديه من بلاد افريقية والمغرب ، سواء أكانوا عربا ام بربرا .

(1) ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 17

(2) نفس المصدر ، ص 23

(3) د . أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 107 .

(4) دوزي : تاريخ مسلمي إسبانيا جـ 1 ص 221

وقد أكثر عبد الرحمن الداخل ، من شراء الموالي والعبيد والعجم ، كما أنه استقدم أعدادا كبيرة من بربر زناتة من العدوة المغربية ، وأحسن اليهم وأدخلهم في ديوان الجنـد ، وجمع من هـؤلاء وأولئك ، جيشا كثيفا بلغ عدده نحو أربعين ألف مقاتل ، كانوا جميعا رهن أشارته ، ولا يرون طاعة غيره ، ويشير ابن حيان الى ذلك بقوله : « واستكثر ـ يعني عبد الرحمن الداخل ـ منهم ـ أي من البربر ومن العبيد ، فاتخذ أربعين ألف ؟ رجل ، صار بهم غالبا على أهل الأندلس ، فاستقامت مملكته وتوطدت » (1) .

ولعل عبد الرحمن الداخل أول أمير أندلسي ، وضع أساسا لجيش أندلسي منظم ، معظم أفراده من الموالي والعبيد والبربر ، واختار منهم رؤساء قواته ، وأبعد عنه العناصر العربية التي ارتاب منها ، لكثرة من ثار عليه منهم ، وهو تصرف خرج به عن قاعدة أسلافه المألوفة ، الذين كانوا يؤثرون العنصر العربي ، عن غيره من الأجناس المسلمة الأخرى .

كما عمد عبد الرحمن الى اصلاح شؤون البلاد ، فنظم الادارة وثبت السلطة ، وأعاد لها هيبتها ، فارتفعت بذلك امارته ، الى مصاف الدول الكبرى المستقلة (2) . ويذكر ابن حيان هذا التطور حيث يقول : « وأخذهم بالآداب ـ أي عبد الرحمن ـ فأكسبهم عما قليل المرؤة ، وأقامهم على الطريقة ، وبدأ فدون الدواوين ، ورفع الأواوين ، وفرض الأعطية ، وعقد الألوية ، وجند الاجناد ، ورفع العماد ، واوثق الأوتاد ، فاقام للملك آلته ، وأخذ للسلطان عدته ، فاعترف له بذلك أكابر الملوك ، وحذروا جانبه ، وتحاموا حوزته ، ولم يلبث أن دانت الأندلس واستقل له الأمر فيها » (3) .

وأعلن عبد الرحمن بن معاوية استقلاله عن الخلافة العباسية في بغداد ، فقطع الدعاء لهم ، وأمر بلعنهم على المنابر (4) ، وتختلف المصادر في تقدير المدة

---

(1) المقري : نفخ الطيب جـ 2 ص 36 .

(2) د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 206 .
« « « « « : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، جـ 1 ص 46 بيروت سنة 1971 م .

(3) المقري : نفح الطيب ، جـ 1 ص 310

(4) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ 2 ص 48

التي دعى فيها للخليفة العباسي الثاني ، أبي جعفر المنصور (136 هـ ـ 158هـ / 754 ـ 775 م) ، على منابر الأندلس ، في عهد عبد الرحمن بن معاوية . فبينما يشير ابن الآبار الى أنها قطعت بعد أشهر دون السنة (1) . يحددها المقري بعشرة أشهـر(2) .

أما ابن حزم فيذكر أن الخطبة لبني العباس ، استمرت عدة سنوات (3) ، وهناك من المؤرخين من يجعلونها تستمر الى عهد عبد الرحمن الناصر (300 ـ 350 / 912 ـ 961 م) ، أمثال ، ابن الكردبوس (4) وابن أبي دينار (5) .

والظاهر أن الدعاء لبني العباس لم يدم طويلا ، حيث قطع بعدما دخل أحد كبار أفراد العائلة الأموية الى الأندلس ، سنة 140 هـ / 660 م ، وهو عبد الملك بن عمر بن مروان الملقب بالمرواني (6) ، الذي أصر على ترك الدعاء لبني العباس أو الانتحار ، فاستجاب له الأمير عبد الرحمن . ولكنه لم يتخذ لقب الخلافة ، وانما اكتفى بلقب ابن الخلائف ، اعترافا منه بأن الخلافة لا تتجزأ ، وأن صاحبها هو حامي الحرمين الشريفين (7) . وحذا حذوه خلفه من بعده ، الى أن تولى الامارة

---

(1) ابن الآبار : الحلة السيراء ، جـ 1 ص 35

(2) المقري : نفح الطيب ، جـ 4 ص 59

(3) ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد) : نقط العروس في أخبار بني أمية بالأندلس ، ص 75 نشره د . شوقي ضيف بمجلة كلية آداب القاهرة ، ديسمبر 1951 م .

(4) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص 60 وما يليها

(5) ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم) : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، ص 42 وما يليها الطبعة الأولى تونس 1286 هـ .

(6) بعد أن أستتب الأمر لعبد الرحمن بن معاوية في الأندلس ، وفد عليه عدد كبير من بني أمية سنة 140 هـ / 757 ، وكان من بينهم عبد الملك بن عمر بن مروان ، الملقب بالمرواني ، وكان أبوه عمر بن مروان بن الحكم في كفالة أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر . فلما دخلت المسودة أرض مصر ، خرج منها يؤم الأندلس في عشرة من رجال قومه ، مشهورين بالبأس وبالنجدة ، فعقد له على اشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على كورة مورور ، وكان لهما دور كبير في ترسيخ اقدام الأمويين في شبه جزيرة الأندلس ، وتشير المصادر إلى أنه الزم الأمير بقطع الدعاء لبني العباس ، وقال له : «اقطعها وإلا قتلت نفسي» أنظر : المقري المرجع السابق ، جـ 1 ص 308 ، النويري المصدر السابق ، جـ 22 ورقة (6) .

(7) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 103

عبد الرحمن بن محمد ، فأعلن نفسه خليفة ، وتسمى بالناصر لدين الله سنة 316 هـ / 928 م ، وسيأتي الحديث عنه .

محاولات بني العباس لبسط نفوذهم على المغرب والأندلس :

لم يهدأ للخليفة أبي جعفر المنصور بال ، ولم يقر له قرار ، ما لم يتحقق له اعادة الوحدة ، للعالم الاسلامي تحت نفوذه ، ولا سيما المغرب والأندلس ، اللتين انفصلتا عن السلطة المركزية في بغداد منذ مدة ، لم يستطع أبو جعفر المنصور أن يعمل شيئا تجاه الجناح الأيسر للعالم الاسلامي (المغرب والأندلس) ، لأنه كان مشغولا بتوطيد أركان دولته ، وتدعيم سلطانه ، الذي اهتز على أثر ثورة عمه عبد الله بن علي ، مطالبا بالخلافة لنفسه ، كما سخط عليه الفرس وعلى رأسهم ، أبو مسلم الخراساني (مؤسس الدولة العباسية) ، ولم يسكت عليه أيضا الشيعة العلويون .

وكان أبو جعفر المنصور حازما صارما ، فقد تمكن من قتل عمه ، وتخلص من القائد الفارسي ، أبي مسلم الخراساني ، وكذلك أثخن جراح الشيعة بقتل محمد النفس الزكية في الحجاز ، والحق به أخاه ابراهيم بن عبد الله في العراق (1) . اجتمعت هذه الأسباب من جهة ، وبعد المسافة بينه وبين المغرب والأندلس ، من جهة أخرى ، لتشغل الخليفة أبي جعفر المنصور عدة سنوات ، عن التدخل في العدوتين المغربية والأندلسية ، وحالت بينه وبين ارسال حملات وبعوث عسكرية ، لاخضاع الثائرين بهما ، وأعادتهما الى حظيرة الخلافة العباسية .

وكانت افريقية والمغرب الأوسط قد خرجتا عن سلطة الخلافة ، باستيلاء عبد الرحمن الفهري عليها ، وحتى بعد أنقراض الأسرة الفهرية على يد قبيلة ورفجومة (2) ،

(1) د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج 2 ص 29 مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة 1959 م .

(2) قبيلة ورفجومة بطن من بطون «نفزة» ، اتخذت من مبادىء الخوارج الصفرية مذهبا لها ، وأصبحت من غلاة هذا المذهب في افريقية والمغرب ، وقيل أن زعيمها عاصم بن جميل كان كاهنا أدعى النبوة ، وعند احتلاله لمدينة القيروان ، استحل الحرمات وسبي النساء والأطفال ، وربط الدواب في جامعها ، وهذا هو السبب الذي جعل أباضية طرابلس يهرعون إلى القيروان ، لإنقاذها من عبث ورفجومة . وتظاهر عاصم بالدعوة لبني العباس ، ولما تولى عمر بن حفص ولاية افريقية ، أنزل هذه القبيلة بمدينة طبنة قاعدة اقليم الزاب ، سنة 151 هـ / 771 م ، لتساعده على صد هجمات الخوارج . أنظر : ابن خلدون ج 2 ص 231 ، 232 وعن استيلاء وَرْفجومة للقيروان أنظر : الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، ص 141 ـ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 4 ص 280 ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج 1 ص 70 .

الصفرية ، التي استولت على مدينة القيروان ، سنة 140 هـ 760 م ، بقيادة زعيمها عاصم بن جميل ، ثم أخرجهم منها الخوارج الاباطية ، بزعامة أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري (1) ، سنة 141 هـ/ 761 م .

عقد أبو الخطاب لعبد الرحمن بن رستم ، على ولاية القيروان ، وعاد الى طرابلس ، يعد العدة للقاء الجيش العباسي ، الذي جاء لاسترداد المغرب الى نفوذ الخليفة ، بقيادة أبي الأحوص العجلي ، سنة 142 هـ /662 م وتقابل الجيشان بمنطقة « مقداس » على شاطيء البحر ، كانت فيها الدائرة على الجيش العباسي فهزم وعادت فلوله الى مصر(2) .

لم ييأس أبوجعفر المنصور من هذه الهزيمة ، وأصر على معاودة الكرة مرة أخرى ، فأنفذ جيشا أكثر عدة وعددا من الأول ، اذ بلغ أربعين ألف مقاتل ، قوّد عليه محمد بن الأشعث ــ والي مصر آنذاك ــ وأمره بالخروج الى افريقية . ولأهمية هذه الجولة فقد رمى أبوجعفر المنصور بكل ثقله فيها ، حيث أضاف الى القائد العام ابن الأشعث ثمانية وعشرين من كبار قوادة ، من بينهم ، الأغلب بن سالم التميمي ، والمحارب بن هلال ، والمخارق بن غفار الطائي (3) ، توجهوا جميعا الى أبي الخطاب الذي كان معسكرا بجيشه ، المتكون من قبيلتي ، زناتة وهوارة بنواحي « سرت » ، ينتظر قدوم ابن الأشعث (4) ، وقد استطاع هذا الأخير أن ينزل بهم هزيمة نكراء ، بعد أن بعث في صفوفهم الفرقة ، فقتل العديد منهم ، وكان من بينهم أبو الخطاب نفســـه .

(1) أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري ، من وجوه العرب الذين تقبلوا المباديء الخارجيةعلى المذهب الأباضي ، وهوواحد من حملة العلم الخمسة ، الذين أخذوا أصول الأباضية بالبصرة ، على يد أبي عبيد الله المسلم ، وبايعته أباضية طرابلس إماما عليهم ، سنة 140 هـ / 757 م ، وقد امتد نفوذه من خليج سرت شرقا إلى قابس غربا . أنظر : د . السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج 2 ص 339 .

(2) ابن عذارى : البيان ج 1 ص 71 ـ ويذكر كل من ابن خلدون والسلاوي أن المنطقة التي دارت فيها هذه المعركة هي « سرت » أنظر : كتاب العبر ج 4 ص 411 ، والاستقصا ج 1 ص 57 .

(3) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 1 ص 72

(4) نفس المصدر والصفحة . ويذكر المؤرخ الأباضي الدرجيني أن لقاء الجيشين كان بموضع يقال له « بتاروغا » تبعد بمراحل من طرابلس على بعد مسيرة (8) أيام ويضيف نفس المؤرخ أن عناصر جيش أبو الخطاب هي قبائل هوارة ونفوسة وزويشة راجع : الدرجيني (أبو العباس) طبقات المشايخ بالمغرب ، ج 1 ص 24 تحقيق إبراهيم طلاي مطبعة البعث ، بقسنطينة 1974 م .

وظن ابن الأشعث ، أنه سوف يجد الطريق مفتوحا أمامه ، الى عاصمة افريقية مدينة القيروان ، ولكنه فوجيءبظهور قوة أخرى ، تتكون من ستة عشر ألف مقاتل ، يقودها أبو هريرة الزناتي ـ أحد قواد أبي الخطاب فأشتد القتال بينهما ، الى أن تمكن ابن الأشعث من تمزيق صفوفهم ، وهزمهم في ربيع الأول ، سنة 144 هـ / 761 م (1) .

وبعد ذلك دخل مدينة القيروان دخول المنتصر ، وأعاد ولاية افريقية للخلافة العباسية ، أما عبد الرحمن بن رستم ، الذي كان عاملا لأبي الخطاب على القيروان ، منذ سنة 141 هـ /758 م . فقد أسرع بالفرار ناجيا بأهله وولده ، عندما حلت الهزيمة بصاحبه أبي الخطاب ، فلجأ الى قبيلة لَمَّاية ، لحلف كان بينهم (2) . ثم أنتقل الى المغرب الأوسط حيث شرع في بناء مدينة تاهرت (3) .

بينما ظل المغرب الأقصى منفصلا عن الخلافة ، ولم يعد تابعا لها ، لا من الناحية الإدارية ولا السياسية ، منذ ثورة الخوارج الصفرية بقيادة ميسرة المطغري ، سنة 122 هـ / 739 م .

وكان قد تمخض عن هذه الثورات التي قامت في المغرب ، نشوء بعض الدويلات في المغربين الأوسط والأقصى ، مستقلة عن الخلافة في بغداد . مثل دولة برغواطة في تامسنا (4) ، ودولة بني واسول في سجلماسة (5) ، كما أستقر بنو يفرن ، ومغراوة

---

(1) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 72

(2) ابن خلدون : كتاب العبر ، جـ 6 ص 247 ـ السلاوي : الاستقصا ص 57

(3) الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ، جـ 1 ص 35

(4) تامسنا Tamasna : لفظة بربرية من لهجة زناتة ، ومعناها البسيط الخالي ، وتشتمل على الأراضي الممتدة على ساحل المحيط الأطلسي ، من الرباط إلى ما وراء الدار البيضاء ، حتى مصب وادي أم الربيع بمنطقة دكالة . وهي الآن تكسوها المزارع والعمران ، بينما كانت في الماضي ، أرضا من سدرة وعليق ترعى فيها الأغنام ، وهذه المنطقة هي المكان الذي نشأت فيه دولة برغواطة المارقة على الدين الإسلامي ، وقد دخلت في صراع عنيف مع الأدارسة ، وغيرهم . ممن حكموا المغرب الأقصى مثل : مغراوة وبني يفرن وبني أمية والمرابطين ، ثم الموحدين كما سنرى . أنظر : ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، القسم الثالث ص 180 حاشية رقم (3) تحقيق د . أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب بالدار البيضاء سنة 1964 م. ومقال لنفس المحقق ، الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ص 57 حاشية رقم (1) مجلة كلية آداب الاسكندرية عدد 21 ، سنة 1967 م .

(5) سجلماسة (بكسر السين والجيم وسكون اللام) مدينة مندرسة في أقصى جنوب المغرب بالقرب من مدينة

ومغيلة بتلمسان (1) ، أما الخوارج الاباضية ، فقد انتشروا في مناطق مختلفة في «تاهرت» وجبل نفوسة ، ومدينة طرابلس وضواحيها ، بينما لم يتعدَّ نفوذ الدولة العباسية حدود افريقية ، التي أصبحت يحيط بها بحر متلاطم من الأعداء ، الخوارج الصفرية والاباضية . يتربصون بها في كل حين .

هذا ما آل إليه المغرب في الوقت الذي كان فيه عبد الرحمن الداخل في الأندلس ، منشغلا بتشييد دولته ، وتوطيد أركان سلطانه . وربما يمكن القول وبدون حرج ، أن الانتفاضات البربرية التي عمت المغرب ، وخروجه عن السلطة المركزية في بغداد . كانت من العوامل المساعدة ــ سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ــ في نجاح عبد الرحمن الداخل ، في بناء ماطمس من معالم الخلافة وآثارها لبني أمية بالشام ، وساعدت على ترسيخ أقدامه بالأندلس .

وكان الانتصار الذي أحرزه الجيش العباسي ، على الخوارج الاباضية في طرابلس وافريقية قد حقق المرحلة الأولى ، من الخطة التى رسمها الخليفة أبو جعفر المنصور ، لاعادة الوحدة للدولة الاسلامية ، وبالتالي أصبح قريبا من سواحل الأندلس ، حتى يسهل عليه مناوشة أعدائه الأمويين .

= الريساني ، في إقليم تافيلالت ولا زالت أطلالها موجودة ، ويسميها سكان تلك المنطقة بالمدينة المعاصرة ، ويذكر صاحب كتاب الاستبصار أنه يسكنها قوم رحالون ، بنيت سنة 140 هـ / 757 م ، وكان موضعها عبارة عن سوق تتسوق إليه البربر ، بتلك النواحي ، والذي بناها هوعيسى بن يزيد الأسود ، وقد جذبت كثيرا من التجار ، لأنها تعتبر مركزا لتجارة الذهب . واختص اليهود بهذه التجارة لما فيها من أرباح طائلة كما يشير صاحب الاستبصار (ص 202) أنظر : الاستبصار ص.200 ، 202 البكري : المغرب ص 148 وما يليها ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، ص 138 هامش رقم (2) القسم الثالث .

(1) تلمسان : مدينة تقع في الغرب الجزائري في منطقة وهران . والكلمة صيغة جمع للفظة البربرية تلماس ومعناها الغدير أو النبع . والمدينة ، كانت عبارة عن قرية صغيرة كان يطلق عليها « أغـاديــر » . التي أسس على أنقاضها المدينة الحالية ، المولى إدريس الأول ، وكانت تسكنها حسب ما جاء في كتاب ابن خلدون ، قبائل بني يفرن ، ومغراوة ، ومغيلةالزناتية. وعندما ضعفت الدولة الإدريسية استقل بها البربر ، وكانوا يدعون لخلفاء بني أمية في الأندلس ، ولما فتحها المرابطون أسسوا بجوارها معسكرا . أطلقوا عليه إسم تاكرارت وهي كلمة بربرية بمعنى المعسكر ، ولم تلبث المدينتان أن اندمجتا في مدينة واحدة « تلمسان » الحالية ، وقد نمت هذه المدينة في عهد المرابطين والموحدين ، وازدهرت حضارتها عندما أصبحت عاصمة لدولة بني زيان ، أو بني عبد الواد وتطعمت بالحضارة الأندلسية عندما سكنتها جاليات أندلسية ، من المهاجرين اليها بعد الاسترداد المسيحي في الأندلس ، فأعطوها طابعا مميزا على باقي المدن الجزائرية . ولا تزال تتمتع بهذا الطابع الأندلسي الأصيل إلى اليوم . وتشتهر مدينة تلمسان الجزائرية في الوقت الحاضر بالموشحات الأندلسية . وفساتينها التقليدية المطرزة بالذهب . ولا يتصاهرون إلا مع أهل المدينة : أنظر : أعمال الإعلام ، ص 61 هامش (1) .

وكان أبو جعفر المنصور ، قد غضب غضبا شديدا لنجاح هذا الأموي الشريد ، في تأسيس دولة له بالأندلس ، وحز في نفسه ، أن يكون لبني أمية ملك يقاسم بني العباس في ممتلكات الخلافة ، فرغب في التخلص منهم ، وعزم على اقتلاع جذورهم من الأندلس ، كما عمل أبو العباس من قبل ، على استئصال شأفتهم من دمشق .

محاولة العباسيين الأولى لاعادة الأندلس الى دار الخلافة :

تعددت الثورات في عهد عبد الرحمن الداخل ، وتشعبت روافدها حتى أصبح من العسير حصرها ، ولعل أهمها تلك التي كانت بايعاز من الخليفة أبي جعفر المنصور ، وبمساعدة ولاة افريقية والمغرب . ويجدر بي أن أورد هنا ثورتين خطيرتين على سبيل المثال لا الحصر ، كادتا أن تذهبا بحكم عبد الرحمن الداخل في الأندلس ، ولأن كل واحدة منهما تلقت الامدادات والمساعدات السياسية والعسكرية من افريقية والمغرب .

اتفق جعفر المنصور مع زعيم عربي ، من سكان مدينة باجة (1) هو « العلاء بن مغيث الجذامي » (2) ، ووعده بامارة الأندلس ان هو تغلب على خصمه ، عبد الرحمن بن معاوية أمير قرطبة ، واعادة الأندلس الى ممتلكات الخلافة ، كما كانت في السابق ، وبعث له باللواء وسجل التعيين ، فتسلمهما العلاء وعبر البحر من افريقية بمن تجمع له من المرتزقة (3) ، الى ناحية من نواحي مدينة باجة Béja سنة 146 هـ / 763 م .

أخذ العلأ يدعو للعباسيين سرّاً ، فاجتمع له عدد كبير من المؤيدين والأنصار ، ولاسيما العرب اليمانية ، الذين التفوا حول هذا الداعي العباسي ، يدفعها في ذلك

---

(1) تقع مدينة باجة الأندلسية Beja جنوب غرب الأندلس ، وتقع حاليا جنوب البرتغال ، انظر : 101 . L. Provençal: Histoire T.I. p. 101

(2) ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص 25 ـ ابن عذارى : المصدر السابق ج 2 ص 51 ـ وقد اختلفت المصادر في نسبه تارة تسميه الجذامي وأخرى اليحصبي وثالثة الحضرمي ـ أنظر : المقري : نفح الطيب ج 1 ص 311 ، ج 1 ص 35 ـ أخبار مجموعة ص 101 ، أنظر ابن الأثير : الكامل ج 5 ص 21 ، دوزي : المرجع السابق ج 1 ص 222 هامش رقم (1) .

(3) يذكر المقري ، أن عدد الذين عبروا من افريقية مع العلاء ، كان قليلا إذ يقول : « وكان قد وصل ـ أي العلاء ـ من افريقية على أن يظهر الراية السوداء بالأندلس ، فقد دخل في ناس قليلين فأرسى بنواحي باجة أنظر : نفح الطيب ، ج 4 ص 36 .

حقدها الشديد للأمير الأموي ، الذي حد من نفوذهم وسلطانهم ، بل أبعدهم عنه لمّا ارتاب منهم ، ومال صراحة الى العرب المضرية أعداء اليمنية التقليديين .

استطاع العلا بن مغيث أن يستولي على غرب الأندلس (1) ، وكان عبد الرحمن الداخل يومئذ ، قد خرج لاخماد ثورة قامت في مدينة طليطلة (2) ، فلما بلغه خروج العلاء عليه ، عاد لتوه اليه يطوي المراحل ، لكنه لم يجد بدا من التقهقر أمام كثرة أنصار العلاء ، ولجأ إلى حصن « قرمونة » ـ شرق أشبيلية ـ فضرب العلاء وجنده عليه حصارا محكما ، دام نحو شهرين ، حتى كاد الأمير الأموي أن يلقي مابيده ويستسلم للثوار ، لولا أن أسعفه الحظ ، بتخلخل صف الثائرين وبتفرق بعضهم ، وبعودة الكثير منهم الى كورهم ومنازلهم ، وذلك بسبب طول الحصار ونقص مؤونتهم (3) . فلما رأى عبد الرحمن الداخل ماآل اليه أمر هؤلاء الثوار ، أضرم النار باحد أبواب الحصن ـ باب أشبيلية ـ وأمر بجفون سيوفهم فاحرقت وصاح في أصحابه ، يبعث في نفوسهم النخوة والحمية (4) ، من جديد ، ثم قال لهم : « اخرجوا معي لهذه الجموع خروج من لايحدث نفسه بالرجوع » (5) . فاندفع بذلك أصحابه خلفه . وكان عددهم نحو سبعمائة مقاتل ، فاخترقوا صفوف العلاء ، وأنزلوا بهم هزيمة نكراء ، حيث قتل عدد كبير منهم ، وعلى رأسهم قائدهم العلاء بن مغيث ، الذي اجتزرأسه ، وطيف به في الشوارع ، ثم استفرغ وحشي بالملح والكافور ، ووضع في سفط ، بعد أن لفوه في لواء المسودة ، ووضعوا معه كتاب التعيين . ثم أرسله عبد الرحمن الداخل ، مع أحد التجار ، الى مكة المكرمة حيث صادف حج الخليفة المنصور في تلك السنة ، فوضعه التاجر أمام سرادق الخليفة ، فلما رآه المنصور فزع من هذا المنظر وقال : « عرضنا هذا المسكين البائس ـ يعني العلاء ـ للحتف مافي هذا الشيطان مطمع ، فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه » (6) .

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ 2 ص 52

(2) نفس المصدر والصفحة ، وهي ثورة قام بها هشام بن عبد ربه الفهري . رُبما أراد أن يمهد لحملة العلاء ـ كما يشير ، الأستاذ المرحوم عبد الحميد العبادي ـ ثار في مدينة طليطلة ودعا لبني العباس ، وكأنه أراد أن يشغل الأمير عبد الرحمن عن ثورة العلاء . أنظر : المجمل في تاريخ الأندلس ص 79 . القاهرة 1958 م .

(3) ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص 25

(4) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 105

(5) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 51

(6) ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص 25 ـ 26 ـ ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 52 ـ المقري : نفح الطيب ، جـ 4 ص 36 .

أما باقي القتلى ، من مشاهير أصحاب العلاء القادمين معه من افريقية . فقد قطعت رؤوسهم أيضا ، وكتب اسم كل واحد منهم ، على بطاقة علقت في أذنه ، وأرسلت هي الأخرى الى مدينة القيروان (مقر الولاة العباسيين) . والقيت في احدى أسواقها ، ومعها كتاب سجل فيه خبر مقتل العلاء وأصحابه ، فانتشر خبرهم بين الناس (1) .

وقد اعترف الخليفة أبو جعفر المنصور نفسه ، ونوه بشجاعة هذا الأموي الطريد الشريد ، وأطلق عليه لقب « صقر قريش » (2) .

وكانت هذه أول محاولة وآخرها ، في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور . واذا كان المنصور لم ينجح في القضاء ، على عبد الرحمن الداخل حربيا ، فقد نجح الى ـ حدما ـ سياسيا ، اذ وضع أساسا لهذه السياسة ، التي سار عليها خلفه في معاداة بني أمية في الأندلس . وكان أبو جعفر المنصور أول من طرق باب الفرنجة في الغرب ، حيث رغب في محالفة الملك « بيبن » Pépin (134 ـ 151 هـ / 751 ـ 768 م) ، ضد خصمه عبد الرحمن ، فأرسل الى بلاطه . وفدا أقام عنده عدة سنوات ، ثم عاد الى بغداد وبرفقته سفارة مماثلة من الفرنجة ، أستقبلها الخليفة ثم عادت إلى بلدها ، محملة بالهدايا الشرقية الثمينة (3) .

ومما لاشك فيه أن عبد الرحمن الداخل ، لم يبق مكتوف الأيدي حّيال هذه المناورات العباسية واستفزازاتها ، التى باتت تهدد أمنه في عقر داره ، اذ قام بالدفاع عن سلطانه ، بكل حزم وشدة ، وأخذ يطارد دعاة المسودة ، ويتعقبهم أينما كانوا وحيثما وجدوا على أرض الأندلس . وبما أن وضعه الداخلي ، لا يسمح له بتوجيه حملات عسكرية انتقامية ضد بني العباس ، فقد فضل أن يتوجه الى أصدقائه ، من بربر بلاد المغرب ، الذين يثق بهم ، ولا سيما تلك القبائل التي أجارته ، بعد فراره

---

(1) أخبار مجموعة ، ص 103 ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 52 ـ المقري : المصدر السابق ، جـ 1 ص 311 .

(2) أنظر : ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 9 ، 10 ـ تحقيق ليفي بروفنسال بيروت 1956 .

(3) د . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ 2 ص 229 .

من المشرق ، مثل أخواله من قبيلة « نفزة » وبني رستم وشيخ مغيلة ، أبو قرة المغيلي الذي نال عنده حظوة كبيرة ، فقد مكث عنده نحو سنتين كاملتين (1).

والظاهر أن اعتماده ، كان كبيرا على الفرق الزناتية ، التي كانت تعبر من المغرب الى الأندلس بانتظام ، لتغذي جيشه بالمقاتلين الأشداء (2) .

وتذهب بعض المصادر ، الى أن قبيلة زناتة البربرية ، كانت تدين بالولاء لبني أمية منذ عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان (23 ـ 35 هـ / 643 ـ 655 م) وكانوا يظاهرون المروانية في الأندلس ، رعيا لهذا الولاء (3) ، ولعل هذا هو السر في بقاء بني يفرن ومعراوة (من بطون زناتة) ، محافظين على المذهب السني ومتمسكين به (4) . وهو المذهب الرسمي للامارة الأموية في الأندلس .

وكان أبو قرة المغيلي (اليفرني) (5) ، قد سار الى الأندلس لمّا أستتب أمر عبد الرحمن بن معاوية بها ، فاستقبله الأمير في قرطبة استقبالا حافلا ، ورحب به ، ونال عنده مكانة خاصة ، اذ قربه وأحسن إليه والي زوجته «تكفات» (6) . وشكر لها شجاعتها وحسن صنيعها عندما قامت بتخبئته تحت ثيابها ، لمّا أقبل جند أمير

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 2 ص 41

(2) H. Fournel : Etude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes qui ont occupé le Maghreb central, T. I., p. 99, Paris, 1881.

(3) ابن حيان : المقتبس مخطوط ورقة رقم 105 مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص 5 ، نشر ليفي بروفنسال الرباط 1934 ويظيف ابن خلدون أن زناتة ، كانت تدين بالولاء لبني أمية ، فقد هاجر أميرهم صولات بن وزمار إلى المدينة ، حيث وفد على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فأحسن لقاءه ، وعقد له على قومه ووطنه فانصرف إلى بلده ، مغتبطا بالدين الجديد ـ مظاهرا لبني أمية ، وقيل أنه أخذ أسيرا لأول الفتح ، فأطلق الخليفة عثمان بن عفان سبيله بعد أن أسلم ، وعقد له على قومه وبلده ، فاختص صولات بولاء بني أمية أنظر : كتاب العبر ، جـ 7 ص 50 .

(4) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ض 463 تحقيق ليفي بروفنسال دار المعارف بالقاهرة 1948 ـ ابن خلدون : المصدر السابق جـ 1 ص 26 .

(5) اختلف المؤرخون في نسب « أبي قرة » فبعضهم ينسبونه إلى بني يفرن ، والبعض الآخر إلى قبيلة « مغيلة » ، ويبدو أن الرأي الأخير هو الأصح استنادا إلى قول ابن خلدون : « وقدموا على أنفسهم ـ أي بربر تلمسان ـ من بني يفرن ويقال ، أنه (أي أبو قرة) من مغيلة وهو الأصح في شأنه » لأن هاتين القبيلتين متجاورتان ومن الصعوبة بمكان ، التمييز بينهما . أنظر : كتاب العبر ، جـ 6 ص 225 جـ 7 ص 24 ـ المقري : نفح الطيب جـ 1 ص 312 ـ السلاوي : الاستقصا ص 57 .

(6) المقري : نفح الطيب جـ 1 ص 312 .

افريقية آنذاك ، عبد الرحمن بن حبيب الفهري (127 ـ 138 هـ / 744 ـ 755م) ، الى بيتها للبحث عنه (1) .

والظاهر أن أبا قرة المغيلي . قد استطاب العيش في الأندلس ، فاستقر بها مدة بجوار الأمير عبد الرحمن الداخل ، بعيدا عن الحروب الضارية في المغرب ، ففي هذه الفترة سكتت النصوص التاريخية ، عن ذكر اسمه ، مايقرب من عشر سنوات . غاب أثناءها عن مسرح الأحداث المغربية . ولم يظهر الا في سنة 148 هـ / 765 م (2) . حيث قامت بمبايعته بربر تلمسان (بني يفرن ومغيلة) ، زعيما لها من جديد ، وجاءت هذه المبايعة بعد سنة واحدة فقط ، من فشل ثورة العلاء بن مغيث في الأندلس . وهذا يجعلني لا أشك في أن عودة هذا الزعيم الجزائري الى المغرب ، ربما تكون باتفاق تَمَّ بينه وبين عبد الرحمن بن معاوية ، أو قد تكون بتحريض هذا الأخير ومساعدته ، حتى يكون سندا له ، ضد ولاة العباسيين في افريقية .

وقد استهل أبو قرة المغيلي عمله ، بعد عودته من الأندلس بمناوشة الوالي العباسي الأغلب بن سالم التميمي (148 ـ 151 هـ /765 ـ 768 م) (3) ، ثم شن حربا ضروسا على والي القيروان عمر بن حفص (151 ـ 154 هـ / 765 ـ 770 م) المعروف « بهزار مرد » ، وقد اشتد أوار الحرب بينهما عندما استطاع أبوقرة أن يجمع المغاربة بمختلف فرقهم ونحلهم في خلف ضم إثني عشر عسكرا (4) ، يقدر مجموع عددهم بنحو سبعين ألف مقاتل ، تقدم أبو قرة بأكثر من نصف هذا العدد ، نحو مدينة «طبنة» ، قاعدة الزاب سنة 154 هـ / 770 م ، لمقاتلة عمر بن حفص ، الذي جاء لتحصين هذه المدينة (5) ، ثم تقدمت المجموعة الأخرى ، وضربوا عليها حصارا محكما ، لكن دهاء الوالي العباسي ، وأقدامه حال

---

(1) يروي المقري قصة طريفة عن مزح الأمير عبد الرحمن ، مع تكفات أثناء استقبالها في قرطبة ، إذ قال لها : « لقد عذَّبتني بريح ابطك ياتكفات على ما كان بي من خوف ، وسطعتني بأنتن من ريح الخيف فكان جوابها له مسرعة ، بل كان ذلك والله يا سيدي ، منك خرج ولم تشعر به ، من قرط فزعك فاستظرف جوابها » . أنظر : المقري : المصدر السابق ، جـ 1 ص 313 .

(2) ويذكر صاحب مفاخر البربر (ص 48 ـ 49) أن أبا قرة ثار بتلمسان ، سنة 129 هـ / 746 م ، وبقي نحو أربعين سنة يسلم عليه بالخلافة .

(3) ابن عذارى : البيان المغرب جـ 1 ص 74 ـ ابن خلدون : كتاب العبر ، جـ 7 ص 24

(4) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ 1 ص 75 ـ السلاوي الاستقصا ، جـ1 ص 58 .

(5) السلاوي : الاستقصا جـ 1 ص 58 .

دون تنفيذ خطة البربر ضده ، فقد استطاع أن يحدث تصدعا ، في هذا الحلف باغراء أحد قواد المعسكر البربري ، بمبلغ من المال فانسحب من الحلف بجنده (1) ، ثم تبعته جموع أخرى ، عند ذلك لم يجد أبو قرة بدا ، من الانسحاب والعودة الى بلده تلمسان ، بدون قتال . ولم يصمد عبد الرحمن بن رستم هو الآخر ، أمام طلائع عمر بن حفص ، التي سيرها اليه فانهزم وعاد الى تاهرت (2).

أما أبو حاتم بن لبيب المغيلي ، زعيم اباضية طرابلس ، فلم يتوان هو الآخر ، عن المشاركة في هذه الانتفاضة البربرية ضد الوالي عمر بن حفص ، فتقدم نحو القيروان وحاصرها ، مدة زادت عن ثمانية أشهر ، حتى نفذ زاد أهل المدينة ومؤونتهم فأكلوا سنانيرهم ودوابهم وكلابهم (3) ، ودخلها أخيرا بعد أن حرقها ، وحطم أبوابها ، وثلم أسوارها ، وقتل واليها عمر بن حفص سنة 154 هـ /770 م (4) .

وكان الخليفة أبو جعفر المنصور ، قد بعث يزيد بن حاتم الى افريقية ، لنجدة عمر بن حفص ومساعدته ، ولما وصل الى نواحي « سرت » تقابل مع أبي حاتم ودارت بينهما حرب طاحنة ، قتل خلالها الزعيم الاباضي وعدد كبير من جنده (5) ، وعادت بذلك افريقية من جديد ، الى الخلافة العباسية سنة 155 هـ / 771 م (6) .

ولم يُقدَّر لهذه الجهود المغربية الأموية أن تنجح ، في القضاء على النفوذ العباسي في المغرب ، بسبب كثرة الخلافات والنزاعات التي طالما نشبت بين القبائل المغربية ، تؤججها النزعة القبلية ، ولم يقدر أيضا لهذا الحلف أن يطول أمده ،

---

(1) الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص 143 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 25 ، السلاوي : الاستقصاء جـ 1 ص 58 ـ اجمع هؤلاء المؤرخون أن عمر بن حفص ، أرسل الى أبي قرة ، مبلغا من المال عن طريق ابنه أبي نور علي ، يقدر بأربعين ألف درهم ، وكسوة مقابل فك الحصار عنه ، لكن أبا قرة لم يكترث الى طلبه ، ولم يجبه ، فقدم عمر بن حفص الى ابن أبي قرة مبلغ أربعة آلاف درهم ، فأجابه وأرتحل في ليلته ، فتبعته العساكر الأخرى فاضطر أبو قرة ، الى الانسحاب ، أما ابن عذاري ، فيذكر أن أخاه هو الذي قبل المبلغ بدلا من ابنه أنظر : البيان ، جـ 1 ص 76 .

(2) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 143 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 6 ص 226 .

(3) نفس المصدر ص 143 ـ 144 ـ ابن عذاري : البيان ، جـ 1 ص 76 .

(4) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 147 ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ 1 ص 77 .

(5) الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 148 .

(6) ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ 1 ص 78 ـ السلاوي : الاستقصاء ، جـ 1 ص 63 .

وكانت نهايته الفشل الذريع ، رغم مابذله البربر من ضروب الشجاعة النادرة والبطولة الفذة ، وكادوا أن يزيلوا الوجود العباسي ، عن أرض المغرب وافريقية . لولا صلابة يزيد بن حاتم وشجاعته ، وخبرته الطويلة في مجابهة ظروف وأحداث مثل هذه ، فقد أحسن أبو جعفر المنصور الاختيار ، بتعيين يزيد بن حاتم ، فوضع بذلك ، الرجل المناسب في المكان المناسب .

ويعد أحد المؤرخين هذه الثورة البربرية ، بأنها زبدة الثورات التي مخضتها الخوارج في المغرب ، منذ ثورة ميسرة المطغري سنة 122 هـ / 739 م (1) .

وكيفما كان الحال فان ما قام به أبو قرة المغيلي ، وغيره من بربر المغرب من ثورات ضد الولاة العباسيين في افريقية ، شغلت هؤلاء الولاة ، وخليفة بغداد عن التطلع الى الأندلس ، مدة تزيدعن اثنتى عشرة سنة ، أي من سنة 147 هـ / 764 م ، الى سنة 161 هـ / 777 م ..

المحاولة الثانية :

تولى الخلافة محمد المهدي بعد وفاة أبيه ، ابي جعفر المنصور سنة 158 هـ / 775 م ، وكان يرغب رغبة أبيه في توحيد العالم الاسلامي تحت الراية السوداء ، ولم يتردد في مجاراة السياسة التي رسمها والده من قبل ، وهي معاداة الأمويين في الأندلس ، لكنه على أي حال ، لم يكن بوسعه تجريد الجيوش الى العدوة الأندلسية ، لبعد الشقة بينهما وصعوبة الطريق . لذلك أقدم على حياكة ديباجية مؤامرة دولية خطيرة ، لم يتجرأ أسلافه القيام بمثلها . وكان الهدف منها ، تقويض عرش بني أمية من الأندلس .

عقد محمد المهدي (158 هـ ـ 169 / 775 ـ 786 م) ، تحالفا سريا ، مع ملك الفرنجة شارلمان Charlemagne (151 ـ 199 / 768 ـ 814 م) ، أو « قارلة » كما تسميه النصوص التاريخية العربية عن الأصل اللاتيني Carlos Magnos لغزو الأندلس (2) .

وقد أبدى شرلمان استعداده ، وتحمسه لهذه المؤامرة ، ورأى فيها الطعمة الدسمة التي يمكن بواسطتها ، تحقيق ما كان يحلم به ، وهو توسيع رقعة دولته حتى أرض

---

(1) السلاوي : المصدر السابق جـ 1 ص 63 .

(2) ورد خطأ في كتاب أخبار مجموعة ص 111 أن هذا الحلف تم بين أبي جعفر المنصور وشرلمان العظيم .

جليقية ، وغيرها من الأراضي الاسبانية المجاورة لحدود مملكته ، والتي يرقد عليها جثمان القديس يعقوب ، أحد الحواريين الذي يدعى عند الانجليز « جيمس » وعند الأسبان سانتياجودي كومبوستيلا — Santiago de Compo Stela وعند العرب « شنت ياقب » ، ويزعم المسيحيون أنه مدفون في « غالسيا » أو « جليقية » ، في شمال غرب اسبانيا ، وقد أقاموا فوق ضريحه كنيسة عظيمة يحج اليها المسيحيون من جميع أنحاء العالم ، ولا تزال مدينة Santiago de Compostela من أشهر المدن الاسبانية الدينية حتى اليوم . وكان الأوروبيون في العصور الوسطى ينظرون الى سانتياجو على أنه القديس الذي يحجون اليه . Santiago El Peregrino أما الأسبان فينظرون اليه على أنه سانتياجو المحارب . Santiago El Belico قاتل المسلميـــن Matamoros (1) .

وكان «شرلمان» يريد أيضا ابعاد الخطر الأموي ، الذي يهدد حدود دولته من الجنوب ، كما صادفت هذه الفكرة هوى في نفسه ، اذ كان يرغب الاستعانة بالدولة العباسية ، لاضعاف منافسيه على زعامة العالم المسيحي (2) ، وهم أباطرة بيزنطة ، وكان الوقت مناسبا بالنسبة «لشرلمان» ، لأنه انتهى من مد سلطانه على « السكسون واللمبرديين » ، وغيرهم من الشعوب الجرمانية (3) .

تم الاتفاق مع اثنين من الزعماء المحليين في المغرب والأندلس ، وهما : عبد الرحمن بن حبيب المشهور بالصقلي ، والمعروف بمغامراته الكثيرة في افريقية (4)

---

(1) د . أحمد مختار العبادي : صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس ، ص 92 مجلة البينة السنة الأولى عدد (9) الرباط 1963 ويحكي أن شرلمان رأى في منامه القديس جيمس ، الذي أخبره « أن جثمانه الذي لا يعرفه المسيحيون والمسلمون ، يرقد في تلك البلاد النائية ، وأمر شرلمان بأن ينهض ويخلص جليقية من يد المسلمين ، وتكررت ظهور هذه الرؤيا ثلاث مرات حسب ما تذكره الأسطورة . راجع د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص 201 حاشية رقم (3) راجع أيضا : دورويش لودر : أسبانيا شعبها وأرضها ص 60 ، 61 ، 62 . ترجمة طارق فودة . مراجعة وتقديم د . عز الدين فريد ، القاهرة 1965 م .

(2) محمد محمد مرسي الشيخ : شرلمان باعث النهضة الأوروبية ومجدد عهد الأمبراطورية في الغرب ، ص 11 مقال منشور سنة 1975 م .

(3) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 120.

(4) راجع الدرجيني : المصدر السابق ، جـ 1 ص 35 .

والثاني أمير برشلونه اليمني ، سليمان بن يقظان الكلبي الأعرابي ، الحاقد على أمير قرطبة عبد الرحمن الداخل (1) . وكان مصير هذه المحاولة العباسية مصير سابقتها ، اذ منيت بالفشل الذريع نظرا ، لافتقارها الى التنسيق بين الأطراف المتآمرة من جهة ، وبعد المسافة وصعوبة المواصلات من جهة ثانية .

عبر عبد الرحمن الصقلبي البحر من افريقية ، ونزل بمن أتى معه من المغاربة على شاطيء تدمير (مرسية) سنة 161 هـ / 777 م (2) . وكتب الى سليمان بن يقظان ، «بسرقسطة» يعلمه بقدومه ويدعوه الى التعجل بالنهوض معه ، لكن سليمان هذا تعلل بعدم استطاعته ابراح المكان ، لأنه أنيط به أمر مساعدة الملك « شارلمان » . ريثما يصل الأندلس . وفي خلال ذلك الوقت كان الأمير عبد الرحمن الداخل ، يقف له بالمرصاد ، اذ أحرق سفن الصقلبي الراسية بساحل تدمير ، حتى يمنعه من الهروب ، ثم تقدم نحوه ، فهرب الصقلبي أمامه وصعد جبلا وعرا بناحية « بلنسية » ، وتحصن به مع من بقي معه (3) .

لقي الصقلبي مصرعه غيلة في هذا المكان ، على يد أحد ثقاته من بربر تلك المنطقة يدعى «مشكار البربري البرنسي» (4) ، الذي لم يتورع عن قطع رأسه ، وحمله الى الأمير عبد الرحمن ، نظير مقدار من المال ، قدره ألف دينار . وكان ذلك

(1) أخبار مجموعة ص . 11 ، ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 60 ، النويري : نهاية الأرب ، جـ 22 ورقة (7) وبرشلونة عاصمة اقليم كاطالونية ، أسسها الفنيقيون وفتحها المسلمون ، سنة 95 هـ / 713 م . راجع : محمد الفاسي ، الاعلام الجغرافية الأندلسية ص 22 / 33 مجلة البينة العدد الثالث محرم 1312 / يوليه 1962 م .

(2) العذري : ترصيع الأخبار ، ص 11 و« تدمير» هو الاسم القديم لمرسية Marcia . وقد أختط مدينة مرسية جابر بن مالك بن لبيد ، عامل تدمير سنة 216 هـ / 831 م في أيام عبد الرحمن الأوسط ، ولم يلبث أن أصبحت مرسية عاصمة لكورة تدمير ، ثم سميت الكورة باسمها : راجع ، العذري : المصدر السابق ص 1 ، الحميري : روض العطار ، ص 181 ، د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 75 .

(3) أخبار مجموعة ص . 11 ، العذري : المصدر السابق ، ص 11 ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 60 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ 2 ص 56 ، النويري نهاية الأرب ، جـ 22 ورقة (7) .

(4) أخبار مجموعة ص 111 ، العذري : المصدر السابق ، جـ 11 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ 5 ص 60 ، ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ 5 ص 56 ، النويري : المصدر السابق ، جـ 22 ورقة (7) .

سنة 162 هـ / 778 م (1). ولم يلبث الأمير الأموي بعد هذا الانتصار السهل ، أن وجه حملة الى كل من سليمان بن يقظان ، والحسن بن يحي الأنصاري « بسرقسطة » ، قاعدة الثغر الأعلى ، بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي ، ولكن هذه الحملة انهزمت وأسر قائدها « ثعلبة » ، فبعث به ابن يقظان الى ملك الفرنجة « شرلمان » (2) ، الذي لم يتأخر عن المسير نحو الأندلس عبر جبال « البرتات » (3) . ولما دخل الأندلس واقترب من مدينة « سرقسطة » ، وجد أبوابها موصدة في وجهه ، والظاهر أن انقلابا وقع في داخل المدينة ، مضادا لهذا التحالف ، تزعمه الحسين بن يحي الأنصاري ، وبتعضيد من حامية المدينة التي أبت في شمم ، تسليم مدينتها الى الفرنجة المسيحيين ، أو ربما يكون الحسين هذا قد اضطر الى نقض الاتفاق مع ابن يقظان ، تحت ضغوط أعيان المدينة وشيوخها ، أو أنه وجدها فرصة مناسبة لتحقيق أغراضه الشخصية ، وهو الانفراد بحكم الثغر الأعلى .

وكيفما كان الحال فقد حاول شرلمان عبثا ، دخول المدينة بالقوة ، فلم يستطع ، اذ كانت مقاومة سكانها شديدة .

وبينما كان محاصرا لها ، اذ وردته أنباء ـ من عاصمته « اكس لاشابال » Aix Lachapelle (مدينة آخن الألمانية الحالية) عن ثورة القبائل الجرمانية وخروجها عليه ، ونقض طاعته ، منتهزة في ذلك فرصة غيابه وبعده عن المملكة . ولم تقف عند هذا الحد بل ارتدت أيضا عن الديانة المسيحية ، التي أرغمها شرلمان على الدخول فيها (4) ، فاسرع يطوي المراحل للعودة الى بلده سنة 162 هـ /

(1) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 5 ص 60 ، النويري : المصدر السابق ، ج 22 ورقة (7) .

(2) أخبار مجموعة ، ص 113 ، العذري : المصدر السابق ، ص 25 . L. Provençal : Histoire, T. I., p. 223.

(3) تفصل الجبال المسماة بالبرتات : (البرانس) Pyrénées بلاد الفرنجة عن اسبانيا ، ولازالت تحفل هذه الجبال ، بعدد من الممرات أو الأبواب ، أطلق على كل منها اسم « برت » أشتقاقا من الأصل اللاتيني Pertus ثم عمموا تلك التسمية على جبال البرانس نفسها ، وصارت تعرف باسم جبال «البرتات» ، وقد أشتهر من بين هذه الأبواب «بورت شيزر» أوكما تسميه العرب «باب الشزري» ، أنظر ، د . إبراهيم العدوي ، بلاد الجزائر ، ص 218 ، 219 ، محمد الفاسي : الاعلام الجغرافية الأندلسية ، ص 22 .

(4) دوزى : تاريخ مسلمي اسبانيا ، ج 1 ص 231 ـ محمد محمد مرسي الشيخ : شارلمان باعث النهضة ص 8 .

778 م ، بعد أن أخذ معه سليمان بن يقظان أسيرا ، لتسببه في فشل الحملة (1) .

وكان شرلمان قد سلك طريق الممرات الوعرة في جبال البرتات ، وبينما هو يعبر ممر شيزر أو رنسفالة Roncevelles (2) ، تقاطرت عليه قبائل البشكنس (الباسك) سكان تلك المنطقة ، من كل حدب وصوب ، ووجهوا الى مؤخرة جيشه ضربة قاصمة أتت على معظم عسكره (3) ، وصفوة من قواده أمثال اجيهارد Eggihard ، وانسليم Anselime ورولند Roland (والى اقليم بريتاني) (4) ، صاحب الأسطورة الشعبية الفرنسية ، والملحمة الشعرية التي تعرف بأنشودة رولاند Chanson de Roland ، والتي تشيد ببطولة هذا القائد ، واخلاصه لسيده ، ويقال انها بداية الأدب الشعبي الفرنسي (5) .

ويبدو أنه كان لعبد الرحمن ضلع في هزيمة هذا الجيش الأفرنجي اذ تشير بعض المصادر الى أن الأمير عبد الرحمن ، قد خرج الى اقليم بنبلونه في ذلك الوقت (6) وربما يكون قد عمل على تحريض أبناء سليمان بن يقظان الأسير ، بالاشتراك في الهجوم على شرلمان ، وزودهم بالمال والسلاح ، فلم يتأخر هؤلاء الأبناء عن ذلك ، وتمكنوا من اطلاق سراح أبيهم ، غير أنه لم يلبث أن لقى حتفه بعد ذلك ، على يد الحسين بن يحي الأنصاري حاكم سرقسطة ، ولاشك في أن قتله كان بايعاز من أمير قرطبة (7) .

وهكذا انتهت هذه المؤامرة بالفشل الذريع ، وخرج منها ابن معاوية منتصرا ، بينما عاد منها شرلمان ملك الفرنجة ، جاراً وراءه ذيول الخيبة والأسى ، عما لحقه من

---

(1) دوزي : المرجع السابق ، جـ 1 ص 231 ـ د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 108 .

(2) د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 203 ـ د . أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 108 .

(3) دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا ، جـ 1 ص 231 ، د . أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 108 .

(4) دوزي : المرجع السابق ، جـ 1 ص 231 .

(5) عبد الحميد العبادي : المجمل في تاريخ الأندلس ، ص 83 ـ د . أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 109 .

(6) اخبار مجموعة ص 114 ـ د . عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 203 .

(7) العذري : ترصيع الأخبار ص 26 .

هزيمة نكراء ، لقنته درسا قاسيا ، لم يقم بعدها بأية مغامرة أخرى ضد عبد الرحمن الداخل (1) .

أما بنو العباس رغم فشلهم للمرة الثانية ، فان فكرة اعادة الأندلس للخلافة العباسية ظلت شغلهم الشاغل . حتى أ ن المعتصم الذي تولى الخلافة في مطلع القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي (218 ـ 227 هـ / 833 ـ 842 م) ، ظلت تراوده هذه الفكرة ، فعزم على ارسال جيش كبير الى الأندلس . وقد أشار الى ذلك السيوطي نقلا عن الصولي ، عن أحمد بن الخطيب حيث قال : قال المعتصم : « ان بني أمية ملكوا ، وما لأحد منا ملك ، وملكنا نحن ، ولهم بالأندلس هذا الأموي ، فقدر ما يحتاج إليه لمحاربته وشرع في ذلك ، فأشتدت عليه علته ومات» (2) .

وكان عبد الرحمن ، قد عزم هو الآخر على الانتقام من العباسيين ، ويذهب النويري الى أنه جهز جيشا ، لإرساله الى بلاد الشام ، غير أن ثورة الحسين بن يحي الأنصاري ، بمدينة سرقسطة سنة 163 هـ / 779 م (3) ، أضطرته الى تحويل هذا الجيش نحوه ، وتمكن عبد الرحمن أخيرا ، من قتل الحسين بن يحي واعادة سلطانه على هذه المدينة سنة 166 هـ / 782 م (4) .

ولاشك أن رواية كل من السيوطي والنويري ـ أن صحت ـ لاتعبر الا عن انفعالات شخصين وقتية بعيدة كل البعد ، عن الحقيقة الواقعة وهي استحالة كل من الجانبين غزو الآخر لبعد المسافة بينهما .

ويبدو أن عبد الرحمن الداخل بعد هذا الانتصار السهل ، على اعدائه ، والذي لم يكلفه عناء كبيرا ، استعادت له هيبته في الداخل والخارج ، عند ذلك أقدم الأمير الأموي على فتح صفحة جديدة في سياسته الخارجية ، وبصورة خاصة

---

(1) د . أحمد ابراهيم الشعراوي : الأمويون أمراء الأندلس الأول ، ص 105 دار النهضة العربية القاهرة 1969 م .

(2) السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ، ص 336 / 337 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1371 هـ / 1952 م .

(3) النويري : نهاية الأرب ، جـ 22 ص 7 .

(4) أخبار مجموعة ص 115 .

مع الدولة الكارولنجية ، حيث دعا الملك شرلمان الى السلم والمصاهرة ، حتى يتفادى شرهم ـ فأجابه هذا الأخير ، الى السلم ولم تتم الصاهرة بينهما (1) .

وتعهد خلالها ملك الفرنجة ، أن لا يعيد الكرة مرة أخرى لغزو الأندلس ، وبالفعل فقد التزم شرلمان بهذه المعاهدة فترة من الزمن ، أي منذ فشله سنة 162 هـ / 778 م ، الى سنة 185 هـ / 801 م ، حيث غزا الفرنجة مدينة برشلونة ، وأستولوا عليها في عهد الأمير الثالث الحكم بن هشام (180 هـ ـ 206 / 1796 ـ 821 م) (2) . ومنذ ذلك الوقت صارت برشلونة ثغرا اسبانيا Marca Hispanica للدولة الكارولنجية (3) .

أما الدولة العباسية ، فقد أدركت هي الأخرى عدم الجدوى في استعمال الحملات العسكرية لاعادة الأندلس الى أملاكها ، فاقتصرت على مناوشة خصومهم الأمويين ، معتمدة في ذلك على أسلوب المناورات السياسية والدبلوماسية (4) . التي وضع أسسها الخليفة أبو جعفر المنصور ، وهو التحالف مع الفرنجة ضد بني أمية في الأندلس ، وقد ردت الأندلس ، على ذلك في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، بالتحالف مع الدولة البزنطية المتاخمة لحدود العباسيين في المشرق .

وهكذا قضى عبد الرحمن بن معاوية ، معظم وقته في مطاردة المناوئين ، والمعارضين والمتآمرين . واستطاع أن يقضي على الثورات التي قامت في عهده ، بفضل جيشه المنظم وقادته الأكفاء المخلصين ، وبفضل اقدامه ، ونشاطه المتواصل ، وكثيرا ما كان يتولى بنفسه قيادة الجيوش ، واستطاع أيضا أن يجمع حوله طوائف أهل الأندلس المختلفة ، من بلديين وشاميين ، وقيسيين ويمنيين ، وبربر ومسالمة ، ويجبرهم على طاعته والرضى بحكمه .

وعلى هذا يمكن القول ، بأن علاقته بالمغرب ظلت معالمها غير واضحة ، كل الوضوح ، ولعلها بقيت محدودة ، وعلى نطاق ضيق جدا ، حيث كانت اتصالاته

---

(1) المقري : نفح الطيب جـ 1 ص 310 .

(2) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 121 راجع كتاب د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمون وآثارهم في الأندلس ، ص 203 .

(3) د . حسين مؤنس : رحلة الأندلس ، ص 23 القاهرة 1963 .

(4) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 109 .

مع بعض القبائل المغربية في سبيل تزويد جيشه بابنائها المقاتلين ، أو تحريضها على مقاتلة ولاة العباسين في افريقية والمغرب .

وربما تكون العلاقة قد استمرّت على هذا النحو ، أو حتّى بصورة أقل ، في عهد خلفه هشام وابنه الحكم بن هشام ، ومن سوء الطالع أن النصوص التاريخيّة أحجمت عن ذكرها أو الإشارة اليها ، حتى أصبح الدارس لهذا الموضوع يعتمد أحيانا على الاستنتاج والحدس والتخمين .

كانت العدوة المغربيّة تعد مقرّا رئيسيّا ، وأمينا للاجئين السياسيين ، أو الثّائرين المنفيين اليها من قبل حكومة قرطبة ، وكان الثّائرون يفضلون اللجوء اليها لقربها من بلاد الأندلس ، حتّى يسهل عليهم تتبع أخبارها وأحوالها من جهة ، والإستعانة بالجنود المرتزقة من المغاربة من جهة أخرى ، اذا ما أرادوا القيام بعمل مناوىء ضد العاهل الأندلسي ، وهذا ما حدث عندما تولى الأمير هشام (172 هـ ـ 180/ 691 ـ 796 م) الإمارة ، بعد وفاة أبيه عبد الرّحمن الداخل ، اذ ثار عليه أخواه سليمان وعبد الله (1) ، وطالباه بالعرش لكنه تمكن من اخضاعهما ، ثم اتفق معهما على مغادرة الأندلس ، الى بلاد المغرب ، ومنح سليمان مبلغا كبيرا من المال ، قدره ستون ألف دينار ، مقابل تنازله عن مطالبه ، فاستقرّ سليمان بطنجة (2) ، بينما ظل عبد الله يتنقل بين المغرب وافريقية ، زار خلالها ابراهيم بن الأغلب عامل اقليم الزاب آنذاك . ثم انتهى به المطاف الى بلاط الإمام عبد الوهاب بن عبد الرّحمن بن رستم (171 ـ 211 / 787 ـ 826 م) ، صاحب تاهرت حيث استقرّ عنده مــدّة (3) .

---

(1) ابن عذاري : البيان ج 2 ص 62 .

(2) ابن سعيد (أبو الحسن علي) : المغرب في حلي المغرب ، ج 1 ص 48 تحقيق د . شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر القاهرة 1964 ، ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 102 .

(3) ذكر المستشرق ليفي بروفنسال L. Provençal أن عبد الله بن عبد الرحمن قد زار ابراهيم بن الأغلب أمير القيروان ، والظاهر أن ابراهيم كان حينذاك عاملا على مدينة طبنة عاصمة اقليم الزاب ، أما أمير القيروان فلعله هرثمه بن أعين (179 هـ ـ 181 هـ / 795 ـ 797 م) وليس ابن الأغلب ، لأن هذا الأخير تأمّر على القيروان سنة 184 هـ / 800 م كما تذكره معظم المصادر ، بينما عبد الله بن عبد الرحمن عاد الى بلاد الأندلس سنة 180 أو 181 هـ ، ولهذا فاعتقد أن تكون زيارة الأمير الأندلسي عبد الله الى بلاط ابن الأغلب في مدينة طبنة وليس في القيروان راجع : L. Provençal: Histoire, T. I., p. 152.
وعن تولية ابراهيم بن الأغلب للقيروان وعبور عبد الله بن عبد الرحمن الى الأندلس أنظر : ابن عذاري : البيان ج 1 ص 92 ، ج 2 ص 70 .

ولما توفي هشام بن عبد الرّحمن سنة 180 هـ / 796 . وتولى ابنه الحكم الإمارة من بعده ، أسرع عبد الله بالعبور الى الأندلس ، في نفس السنة الّتي اعتلى فيها الأمير الجديد ، علّه يسبق أخاه سليمان ، فنزل بمدينة سرقسطة في كنف الثائر بهلول بن مرزوق ، وحاول ان يستميل سكان هذه المدينة لكنهم لم يكترثوا لندائه (1) ، فرحل بعد ذلك برفقة ولديه عبيد الله وعبد الملك ، صوب الفرنجة (2) ، حيث نزلوا في عاصمة شرلمان مدينة «اكس لاشابال» وقاعدة ملكه وحثوه على غزو الأندلس ثم عادوا سنة 184 هـ / 800 م ، واستولوا على حصن «وشقة» ، الا أن بهلولا أخرجهم منها ، فاتجهوا الى بلنسيّة واستقرّوا بها (3) ، بعهد من الأمير الحكم سنة 186 هـ /802 م ، بعد صلح تم بينهما ، ومنذ ذلك الوقت أصبح عبد الله يعرف «بالبلنسى» نسبة الى مدينة «بلنسية» ـ استقدم الحكم ولديه عبيد الله وعبد الملك ، الى قرطبة وزوّج احدهما من أخت له (4) .

أما سليمان فقد عبر المضيق من طنجة بمن اجتمع له ، من المرتزقة الطنجيين سنة 182 هـ / 798 م ، وشقّ طريقه نحو قرطبة ، ولكنه لم يستطع اقتحامها ، اذ قابلته جنود الأمير ، وهزمته ، وبقي سليمان سنتين حاول أثناءها ، محاولات يائسة للاستيلاء على قرطبة ، فلم يفلح فيها جميعا ، وأخيرا تمكن من أن يتخلص منه الحكم بقتله سنة 184 هـ / 800 م (5) .

وفي خلال هذه الفتنة (فتنه سليمان وعبد الله) اغتنم الفرنجة الفرصة واستولوا على برشلونة سنة 185 هـ / 801 م (6) ، أي بعد سنة واحدة من مغادرة عبد الله عاصمة الفرنجة . ولا شك أن المسؤول الأول عن انسلاخ هذه المقاطعة ، وانكماش الحدود الشماليّة للأندلس ، هي الأسرة الحاكمة في قرطبة ، ولا يبرر تقاعس الأمير الحكم بن هشام ، أنه كان يقوم بإخماد الثورات والفتن الدّاخليّة ، اذ أن

---

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ 2 ص 83 .

(2) ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ 2 ص 69 . L. Provençal: Histoire, T. I., p. 152.

(3) ابن عذاري : البيان ، جـ 2 ص 103 .

(4) نفس المصدر جـ 2 ص 72 ـ ويذكر ابن الأثير (جـ 5 ص 102) أن الحكم زوج أبناء عمه من اخواته وسكنت الفتنة .

(5) ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ 2 ص 71 .

(6) ابن الأثير الكامل ، جـ 5 ص 102 ـ المقري : نفح الطيب جـ 1 ص 317 .

أخطر الثورات هي ثورة الربض ، اندلعت بعد سقوط هذا الثغر بسبع عشرة سنة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فقد كانت له جيوش قويّة جمع لها الاذناب واستكثر ، من الأجناد والمرتزقة والأسلحة ، واتخذ المماليك ، وكان يسميهم بالخرس لعجميتهم (1) ، وربط بباب قصره ما يربو على ألف فرس ، ولم يستغلها في حماية حدود المسلمين بالأندلس ، وانما وجهها لحماية نفسه وعرشه ، وترك الحدود الشماليّة تعبث بها يد الفرنجة .

على أنه تجدر الاشارة هنا الى أن الأحداث الداخلية التي جرت في الأندلس في عهد هذا الأمير «الحكم بن هشام» كان لها صدى كبير في الأحداث التي مر بها المغرب الأقصى في ذلك الوقت ، حيث كانت دولة الادارسة العلويين ما زالت في طور النشأة ، وفي أمس الحاجة الى تدعيم أركانها ، لهذا رأيت من الضروري أن أقف عند دولة الأدارسة العلويين وقفة قصيرة ، لتوضيح نوع العلاقة التي قامت بين المغرب والأندلس في تلك الآونة .

علاقة الأمويين بالأدارسة العلويين في فاس

فمن المعروف أن مؤسس هذه الدّولة ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كان قد فرّ من الحجاز على اثر معركة « فخ » ، سنة 169 هـ / 785 م ، واستقرّ بالمغرب الأقصى عند اسحاق بن محمّد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلى ، زعيم قبيلة «أوربة» مدّة ستة أشهر ، ثم بايعته هذه القبيلة سنة 172 هـ / 788 م (2) وتبعتها بعض القبائل الأخرى مثل : صنهاجة وهوارة وزناتة وغيرهم (3) ، وكان قد اتخذ من مدينة وليلي Volubulis قرب مكناس مقرّا له ، وجمع جيشا من هؤلاء القبائل ، وخرج به غازيا الى بلاد «تامسنا» ، و «شالة» وبلاد «فازار» ، وغيرها كما توجه الى تلمسان بالمغرب .

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 103 ، المقري : نفح الطيب ، جـ 1 ص 230 .

(2) ابن أبي زرع (أبو العباس أحمد) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ص 7 طبعة فاس الحجرية سنة 1885 م ، الجزنائي (أبو الحسن علي) : زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، ص 9 نشره الفريد بيل ، الجزائر 1922 م ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 191 ، السلاوي : الاستقصا ، جـ 1 ص 68 .

(3) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 7 ، السلاوي : المصدر السابق جـ 1 ص 68 .

ودخلها صلحا سنة 173 هـ / 789 م (1) ، وانضوت تحت نفوذه كل من قبيلتي بني يفرن ومغراوة سكان تلك المنطقة .

وكان ادريس الأول ينوي مد سلطانه على العالم الإسلامي ، بشطريه المغربي والمشرقي وتوحيده ، وظلت هي أمنيته وأمنية خلفه من بعده (2) لكن المنيّة حالت دون تحقيق ذلك الحلم ، اذ بعث له الخليفة هارون الرّشيد (170 هـ ـ 193 م / 786 ـ 809 م) . من دس له سما فمات سنة 175 هـ / 791 م خوفا من أن يستفحل أمره ، ويستولي على المغرب وافريقية (3) .

أخذ أبو خالد بن يزيد البيعةلادريس الثاني ، من القبائل البربريّة بعد مقتل راشد سنة 792/186 م (4) . أي بعد احدى عشرة سنة من ولادته ووفاة أبيه . وخاض حروبا كثيرة مع بربر المغرب الأقصى ، واستطاع أن يمد نفوذه وسلطانه الى بلاد المصامدة ، وأن يستولي على نفيس وأغمات ، سنة 197 هـ / 812 م . وأن ينشر الإسلام بين سكان هذه المناطق ، الذين كانوا يدينون بديانات مختلفة مثل : النصرانيّة واليهوديّة (5) .

---

(1) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 1921 ـ السلاوي : الاستقصاء ، جـ 1 ص 69 وجاء في روض القرطاس سنة 174 هـ / 780 ص 8 .

(2) روض القرطاس ، ص 8 ـ السلاوي : الاستقصاء ، جـ 1 ص 69 ، وكان الأدارسة يرغبون في مد سلطانهم ، على العالم الاسلامي كله وظلت هي أمنيتهم وتشير بعض النصوص ، الى أنهم ، كانوا على اتصال وثيق ، بأهل افريقية ، حتى أن بعض الأغالبة أخذوا يساومون خلفاء بني العباس ، ويهددونهم بالانضمام الى الأدارسة العلويين ، ان هم أرادوا خدش استقلالهم . كما تشير بعض الوثائق ، الا أنه كانت هناك صلة بين الأدارسة وبين سكان مصر ، أنظر : كتاب ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 17 ، 18 والحاشية رقم (2) من نفس الصفحة .

(3) البكري : المغرب ص 121 ـ الاستبصار ، ص 196 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 194 : وجاء في رواية أخرى ، أن وفاته كانت سنة 177 هـ / 793 م راجع كتاب : روض القرطاس ص 13 ـ السلاوي المصدر السابق ، 70 وقد أختلفت المصادر ، في سبب وفاته ، أنظر المراجع الآنفة الذكر .

(4) البكري : المصدر السابق ، ص 122 ـ ويذكر ابن خلدون أن البربر بايعوا المولى ادريس الثاني حملا ثم رضيعا ، ثم فيصلا ، الى أنشب ، بايعوه بجامع وليلي سنة 188 هـ / 794 م وهو ابن أحد عشرة سنة أنظر السلاوي : الاستقصاء ، جـ 1 ص 70 .

(5) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 191 ـ الجزنائي : المصدر السابق ، ص 9 وانظر الترجمة الفرنسية ص 31 ، السلاوي : الاستقصاء ، جـ 1 ص 68 .

وفي نهاية القرن الثاني الهجري ، التاسع الميلادي ، خرج ادريس الثاني الى تلمسان وأخضع بنى يفرن ومغراوة وقام بتحريضهم ضد «بني رستم» أصحاب « تاهرت » . لكن الرستميين تصدوا لهم وأبو بشم ادماج دولتهم مع الأدارسة (1) .

وكان الغرض من اقامة ادريس الثاني بهذه المدينة ، لمدة ثلاث سنوات تأمين حدود دولته الشرقيّة ازاء خطر الخوارج الأباضية بالمغرب الأوسط . وكانت قبائل « نفزة » ، التي هزمها من أقوى عصبيات امامة تاهرت (2)

وانتظمت لادريس الثاني ، بعد ذلك طاعة البربر في المغربين الأوسط والأقصى ، من السوس الأقصى جنوبا الى وادي شلف (3) . وقد أقلق ابن الأغلب أمير القيروان (184 ـ 196 / 800 ـ 811 م) هذا الإنتشار العلوي السّريع ، واستفحال امر ادريس بن ادريس ، فدخل معه في صراع سلبي ، اذ ناوشه في عقر داره ، وقد استطاع بمكائده ودسائسه ، أن يؤلب على المولى ادريس الثّاني الأولياء والأقربين ، فأغرى من قتل مولاه راشدا ، ولم يزل كذلك يغرى بهلولا ابن عبد الواحد ، أحد القائمين بأمر المولى ادريس الثاني حتى فارقه ، ودخل في طاعة الأغالبة (4) ، حتى أصبح ادريس الثاني يرتاب من البربر ، فقتل اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ، زعيم أوربة سنة 192 هـ / 857 م ، للغرض ذاته (5) .

وتروي بعض المصادر أن ادريس الثاني لم يطق استفزازات ابن الأغلب ومؤامراته ، فأرسل اليه يستعطفه ويسأله الكف عنه (6) ، ويذكره بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه أمير القيروان . ومنذ ذلك الوقت ، لم يقم بينهما أي عمل ، من شأنه أن يؤدي الى زيادة التوتر بين الدولتين (7) .

---

(1) ابن خلدون : كتاب العبر ج 7 ص 52 ـ ابن تاويت : دولة الرستميين ص 17 .

(2) د . سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ص 442 .

(3) السلاوي : الاستقصاء ، ص 75 .

(4) ابن الأثير : الكامل ج 5 ص 104 ـ النويري : نهاية الأرب ، ج 22 ورقة 106 .

(5) د . السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج 2 ص 476 .

(6) ابن الأثير: الكامل ، ج 5 ص 104 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 14 ـ 15 .

(7) النويري : نهاية الأرب ، ج 22 ورقة 106 .

أما فيما يخص العلاقة بين قرطبة وفاس ، فيبدو أن الحكم بن هشام أمير قرطبة ، أراد أن يستغل فرصة عداء الأدارسة للدولة العباسيّة وأمراء القيروان ، لأن كلا من الأمويين في الأندلس ، والأدارسة العلويين في المغرب الأقصى ، يشتركون في عداء بني العباس ، فرغب الحكم بن هشام في مواصلة المولى ادريس الثاني ، وبعث له بسفارة تهنئة باعتلائه العرش (1) ، وفاتحه في موضوع مهم ، وهو أن يكونوا يدا واحدة ضد خصومهم الأغالبة ، الذين بدأت المعارك تحتدم بينهم وبين الأدارسة ، حتى يتمكنا من افراغ حصيلتهم الهائلة من الكراهيّة تجاه هؤلاء الأغالبة ، الذين باتوا يهددون أمنهم بتحريض من خلفاء بغداد .

وعلى الرّغم مما تميزت به هذه العلاقة ، في البداية من الود والصداقة ، بين العاهلين الأندلسي والعلوي ، والتي جرى توثيقها بواسطة سفارة الحكم الى « فاس » فإن أمد هذه الصداقة كان قصيرا ، فسرعان ما تلاشت وانقلبت الى كراهيّة ، بسبب استقبال المولى ادريس الثاني، لعدد من الفرسان الأندلسيين الفارين من الأندلس الى المغرب ، سنة 189 هـ / 804 م . وكان هؤلاء الفرسان الساخطون على الأمير الحكم بن هشام ، يمثلون النخبة الأرستقراطية العربيّة في قرطبة (2) .

وكان مجيئهم الى المغرب يعد مكسبا لادريس الثاني ، لأنّه ظل يشعر بالوحدة والعزلة منذ ولادته في وسط القبائل البربريّة ، لذا نجده لم يتأخّر في احتضان هؤلاء العرب ، وتقريبهم اليه ، سواء منهم القادمون من قرطبة ، أو القيروان ، وعهد اليهم بالوظائف العالية ، وجعلهم بطانته الخاصة دون البربر (3) .

---

(1) ابن تاويت النطواني : دولة الرستميين أصحاب تاهرت ص 16 ، فصلة من صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد 1957 م مجلد (5) العدد 1 ـ 2 . أنظر كتاب :

Scott: History of the Moorsh Empire in Europe, vol. I., p. 456.

(2) روض القرطاس ص 14 ـ ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والأندلس ص 36 ، 3 تعريب د . عبد العزيز سالم ، محمد صالح الدين القاهرة بدون تاريخ .

(3) ليفي بروفنسال : المرجع السابق ص 37 .

وأما الحدث الثاني الهام ، الذي زاد من توتر العلاقات بين الحكم ، والمولى ادريس الثاني ، فهو استقبال هذا الأخير للمنفيين الرّبضيين (1) ، من الأندلس سنة 202 هـ / 818 م ، على اثر فشل الثّورة التيّ قاموا بها ضد الحكم بن هشام في قرطبة (2) .

استقرّت أول الأمر جالية من هؤلاء الربضيين ، بين القبائل البربريّة في جبال الرّيف (3) القريبة من ساحل البحر المتوسّط ، وكان المولى ادريس الثاني يحتاج الى سكان يعمّرون مدينته «العالية» ، التي بناها سنة 193 هـ / 809 م ، والمدينة التي أنشأها أبوه ادريس الأول ، وهي مدينة فاس» (4) .
لذا فقد رحب ادريس الثّاني ، بقدوم هؤلاء الأندلسيين المنفيين ، وشجعهم على الإقامة في مدينة أبيه ، فاستجابوا له ، وأقاموا بها ، وزادوا في عمارتها ، ببناء مساكن جديدة تحمل الطراز الأندلسي ، وحملوا معهم الى المغرب مظاهر الحضارة الأندلسيّة ، اذ كان أغلبهم من أهل الزّراعة والحرف التقليديّة (5) : فأعطوا بذلك لهذه المدينة مظهرا جديدا ، يغلب عليها الطابع الأندلسي الجميل ، سواء في الصناعات المختلفة ، أو في شكل الأبنية ذات اللون الأبيض الناصع . أو في إنشاء الحدائق المنزلية الناضرة ، حتى فاقت زميلتها مدينة « العالية » . وأصبحت منذ ذلك الحين ، يطلق عليها مدينة « الأندلسيين » نسبة اليهم .

---

(1) « الربض » كلمة عامة تعني الضاحية أو الحي ، والجمع أرباض وعندما ولي هشام بن عبد الرحمن ، أعاد بناء القنطرة الرابطة بين قرطبة وضفة الوادي الكبير الجنوبية ، حيث الأرباض الجنوبية ، ولما تم اعادة بنائها امتد العمران الى ضفة النهر الاخرى (الجنوبية) فنشأ فيها حي آهل بالسكان عرف بالربض ، وقد امتد هذا الربض من ضفة النهر جنوبا حتى بلدة شقندة ، ونظرا لقرب هذا الربض من الجامع وقصر الامارة من السوق أو الطريق الرئيسي للمدينة ، فقد فضل أن يسكنها التجار ، والطلبة ، والفقهاء وأصحاب الحرف الأخرى ، ومعظمهم من المولدين ولايزال هذا المكان يطلق عليه اسم Arrabal الى اليوم . أنظر : د . أحمد مختار العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ص 130 .

(2) حول أسباب قيام ثورة الربض راجع كتاب : د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 130 .

(3) L. Provençal: Histoire, T. I., p. 196

(4) حول بناء مدينة فاس راجع كتاب : L. Provençl: La fondation de Fès L'Islam d'Occident - وقد ترجم هذا الكتاب د . عبد العزيز سالم ومحمد صلاح في مجموعة الالف كتاب تحت عنوان الاسلام في المغرب والأندلس .

(5) L. Provençal: Histoire, T. I., p. 170.

أما مدينة « العالية » ، فقد جعلها ادريس الثاني مقرًا ، للعرب القادمين من القيروان بإفريقية ، وعرفت هي الأخرى بمدينة « القيروانيين » ، وقد اشتغل هؤلاء القيروانيون ، بالتجارة ، بينما اشتغل معظم الأندلسيين بالصناعة والزراعة (1)

وصفوة القول أنه لم يدم التقارب الأموي الادريسي طويلا ، بل تجمدت العلاقة بينهما ، بعد أن استقبل المولى أدريس الثاني ، الثائرين على الدولة الأموية في عاصمته الجديدة ، وشجعهم على سكنها ، وبهذا العمل دخلت العلاقات بين بني أمية في الأندلس ، والادارسة العلويين في المغرب الأقصى ، مرحلة أخرى أكثر برودة وتوترا ، فقد أصبح الأمير الحكم عاهل الأندلس ، يخشى امتداد نفوذ الادارسة الى بلاده ، ولهذا يقال إن هذا الخوف دفع به الى مصادقة ، « شرلمان » ملك الفرنجة ، ليكون عونا له وسندا لمنع المزيد من الانتشار العسكري والمذهبي العلوي في المغرب ، ومنعهم أيضا من العبور الى العدوة الاندلسية (2) ، وبهذا عادت الاحقاد العلوية الاموية القديمة ، ويبدو أنها استمرت على هذا النحو مع خلفه ، فالعداء بين البيتين قديم ، وله جذور تمتد الى عهد الخليفة على بن أبي طالب (35 ـ 40 / 655 / 660 م) . ومعاوية بن أبي سفيان ، بل والى أبعد من هذا التاريخ ، تعود أيامه الى عصر الجاهلية ، وظهور الاسلام ، فأبو سفيان بن حرب كان من ألد اعداء الرسول (صلعم) ، ومعاوية بن أبي سفيان اغتصب الخلافة ، من الحسن والحسين ، ويزيد بن معاوية قتل الحسين حفيد الرسول ، في حادث كربلاء سنة 61 هـ/680 م ، هذا الحادث الذي تعتبره الشيعة بمختلف طوائفها وفرقها ، حدثا مشؤوما في تاريخها ،(3) وعليهم ازالة آثاره .

وقد أخذ الأمراء الأمويون في الأندلس ـ بادىء ذى بدء ـ على صبغ الأندلس باللون الأموي ، (4) وتقوية حزبهم بين السكان . وقد سلكوا نفس السياسة ، التي سار عليها أسلافهم من قبل في دمشق ، وهو المحافظة على المذهب السني وتقويته ،

---

(1) د . احمد مختار ايعبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ص 133 .

(2) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 149

(3) د . محمود على مكى : التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الاموية ، ص 26 صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية في مدريد ، فصلة من المجلد الثاني ، العدد 1 ـ 2 سنة1954 م .

(4) د . محمود على مكى : المرجع السابق ، ص 26 .

دون غيره من المذاهب الأخرى ، وقد ثبت ان الأمويين عارضوا الأحزاب الأخرى بل حاربوها أحيانا . ولا سيما منها الحرب الشيعي ، وخير دليل على ذلك قول المقدسي تناظر الفريقان ـ أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب مالك ـ يوما بين يدى السلطان ـ هشام بن عبد الرحمن ـ فقال لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا : من الكوفة فقال : ومالك ؟ قالوا من المدينة ، قال : عالم دار الهجرة يكفيتنا . وأمر باخراج أصحاب ابي حنيفة وقال : لا أحب أن يكون في عملي مذهبان » (1) . ويضيف المقدسي قائلاً : » فان ظهروا على حنفي أوشافعي نفوه ، أما أن عثروا على شيعي ، أونحوه ربما قتلوه » (2). من هذا النص يتضح أن الأمويين لم يسمحوا للمذاهب الأخرى ، أن تنتشر بين سكان الأندلس ، بل ضربوا بيد من حديد كل من دعا لغير مذهب الدولة الرسمى ، ومثال ذلك ما قام به الامير عبد الرحمن الداخل ، مع الثائر « شقيا » بن عبد الواحد المكناسي الفاطمي (3) ، « الذي ثار في منطقة سنتبريه ، Santaver وكانت أخطر الثورات ، حيث امتدت ما بين ماردة Merida وقورية غربا الى ثغور وادى الحجارة ، Guadalajara وكونكه Guenca شرقا ، أو بعبارة أوضح عمت جميع الهضبة ، التي تتوسط شبه جزيرة الأندلس . (4) وقد استمرت هذه الثورة ، ما يقرب من عشر سنوات أي من سنة 151 هـ / 768 م الى سنة 160 هـ / 777 م .

ولعلها أول محاولة لاقامة دولة شيعية في الغرب الأسلامي ، اذ انها سبقت قيام دولة الادارسة في المغرب الأقصى ، بنحو عشرين سنة . (5) وبهذه الاجراءات الوقائية ـ ان صح التعبير ـ التي قام بها أمراء بنى أمية الأوائل في الأندلس ، قدر لهذا البلد ، أن يبقى بعيدا عن التشيع ولم يقدر لهذا الحزب أن ينجح فيه .

ومات الحكم الربضى سنة 206 هـ / 821 م ، وتولى بعده ابنه عبد الرحمن الثاني أو الأوسط ، الذي ازدهرت الأندلس في عهده ، وعمها الرخاء لما كفل لها من هدوء واستقرار ، (6) حتى عرفت أيامه بأيام العروس .

---

(1) المقدسى (شمس ابوعبد الله) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص 237 طبعة ليدن 1906 م .
(2) نفس المصدر ، ص 236 .
(3) ابن عذارى البيان ، جـ 2 ص 54 ـ أبن خلدون : العبر ، جـ 6 ص 266
(4) د . محمود على مكى : التشيع في الأندلس ، ص 6
(5) نفس المرجع ص 7
(6) المقرى : نفح الطيب ، جـ1 ص 325

وقد استطاع عبد الرحمن الاوسط ، بالاضافة الى ما قام به من منشآت عمرانية ، وتطوير في الجهاز الاداري ، أن يحافظ على أملاك المسلمين بالأندلس ، وأن يقضي على الفتن الداخلية ، كما أوقف الزحف المسيحي في الشمال ، وأنشأ أسطولا حمى به سواحل الأندلس من غارات أهل الشمال ، النوزمانديين أو المجوس ، وموضع الأهمية هنا ، أنه في عهد هذا العاهل الكبير ، بدأت معالم العلاقة الأندلسية المغربية تتضح وتأخذ شكلا جديداً ، اتسمت بالصداقة مع بعض الدويلات المغربية ، وبالعداء مع بعضها الآخر.

ولا شك أن النجاح البحري ، الذي أحرزته البحرية الأغلبية في وسط ، وغرب البحر المتوسط عند فتح جزيرة صقلية ، يكون قد لقى ترحيبا وتقديرا ، لدى المسلمين في الأندلس ، ولكنه ربما يكون قد أزعج عبد الرحمن الاوسط (206 / 238 / 821 ـ 852 م) في الوقت نفسه لخوفه من احتمال امتداده الى شواطئ بلاده ، وتهديده ، لنفوذهم في جزر البليار ، (1) بالسيطرة على وسط البحر المتوسط وغربه ، بأساطيلهم القوية التي لم تكن تتوفر لدى الأمويين في الأندلس ، بهذه الضخامة والقوة ، إذ كان اسطولهم في ذلك الوقت لا يزال محدودا تشرف على تسييره جماعة بحرية اندلسية ، مستقلة عن الإمارة ، ولا تخضع هذه الجماعة للاشراف الفعلي لامراء قرطبة ، (3) على أن هذا الوضع لم يلبث أن تغير تماما ، منذ عهد الأمير عبد الرحمن الاوسط ، الذي اهتم بتقوية البحرية الأندلسية ، ولم يلبث الاسطول الأندلسي ، أن راح يجوب البحر نحو جزيرة صقلية سنة 214 / 829 م أي بعد سنتين فقط من ظهور الأسطول الأغلبي في البحر المتوسط وكان الأسطول الأندلسي ، الذي أقلع من ميناء طرطوشة ، يتألف من ثلاثمائة سفينة حربية بقيادة أمير البحر أصبغ بين وكيل الهوارى المعروف بفرغلوش.(4) .

ولما اقترب من صقلية ، وجد المسلمين المجاهدين في ضيق شديد ، فساعدهم ضد الروم وقام بدور بالغ الأهمية ، في هذه المعركة البحرية ، حيث استطاع أن يستولى

---

(1) د. محمود اسماعيل : الخوارج في المغرب الاسلامي ، ص 105 دار العودة بيروت 1976م .

(2) ارشبالد لويس : القوى التجارية التجارية في حوض البحر المتوسط ، ص 131 ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، القاهرة 1955 .

(3) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 244.

(4) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ1 ص 104 ـ ويبدو أن عدد السفن الحربية الأندلسية التي اشتركت في فتح صقلية مبالغ فيها أنظر كتاب : L. Provençal : Histoire, T.I p. 243 Not. (1)

على مدينة بلرم ، وذلك سنة 215 هـ / 830 م ، (1) ومن ثم تمكن الاغالبة من بسط نفوذهم ، على معظم جزيرة صقلية ، غير أن هذه المساعدات الأندلسية لم تدم طويلا بسبب التقارب الذي تم بين الامير عبد الرحمن الأوسط ، والأمبراطور البيزنطي ثيوفل سنة 225 هـ / 839 م (2) .

وعلى الرغم من هذه المساعدات البحرية ، التي قدمها الامير عبد الرحمن الأوسط للمجاهدين الاغالبة في صقلية ، بحكم الأخوة في الإسلام . الا أنه حرص في الوقت ذاته ، على ان يتحالف مع الرستميين الخوارج في المغرب الأوسط ، ليكونوا له درعا واقيا ، يدرأ به أي خطر يلوح من جانب هؤلاء الاغالبة أو الأدارسة العلويين في المغرب

علاقة بني أمية بالرستميين في تاهرت :

وبحكم موقع بنى رستم الجغرافي ، في المغرب الأوسط ، وظروفها السياسية والمذهبية ، توجهوا الى بنى أمية في الأندلس وعقدوا معهم تحالفا وديا ، (3) لانهم كانوا يتوسطون فكى كماشة ـ أن صح التعبير ـ العدو الشرقى المتمثل في الاغالبة ، والعدو الغربي المتمثل في الادارسة وبنى سليمان العلويين .

وكان من الطبيعي والحالة هذه ، أن يحدث تقارب ودي ، وربما عسكري وسياسي واقتصادي وحضاري ، بين بنى رستم في تاهرت ، وبين بنى أمية في الأندلس ، تدفعهم في ذلك مصالحهم السياسية ، ودفع العدو المشترك ، اذ أن الخصومة كانت على أشدها بين العباسيين والاغالبة ضد بنى أمية في الأندلس من جانب ، وبين العباسيين والاغالبة ضد الرستميين من جانب آخر ، (4) وكذلك تجمعهما عداوة الادارسة من جانب ثالث .

---

(1) L. Provençal : Histoire, T.I., p. 244

(2) د . أحمد مختار العبادي : دراسات ص257 ، وحول السفارة البيزنطية التي توجهت لقرطبة في عهد عبد الرحمن الأوسط ورده على مطالب البيزنطيين واقتراحاتهم . راجع ما كتبه ليفي بروفنسال :

L. Provençal : Un échange d'ambassades entre Cordoue et Byzance au 10ème Siècle reprond en Islam d'occident. Etudes d'histoir medival. p. 99. Sqq. Paris 1948

الترجمة العربية ، تبادل السفارات بين قرطبة وبيزنطه في القرن (9) م ص 92 وما بعدها .

(3) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 245.

IBID, T.I. p. 245. CABRIELL. F. Ommeyyds d'espagne et Abassides XXXL. p. 93 (Studia Islamica) 1970

(4) د . ابراهيم العدوى ، بلاد الجزائر ، ص 220

وقد وجدها الأمويون فرصة سانحة لتحقيق اهدافهم فلم يترددوا في الإستجابة الى رغبة الامام الرستمي ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم امام تاهرت ، (1) وذلك لان البناء السياسي للامارة الأموية ، جعلها لاتطمئن لدولة الاغالبة ، الممثلة للخلافة العباسية المعادية للبيت الأموي ، ولدولة الادارسة الممثلة للبيت العلوي ، الحانق على الامويين .

وصارت السبل بذلك مسدودة أمام هذه الامارة الاموية الوليدة ، من ناحية المغرب الأدنى (افريقية) ، حيث يوجد الاغالبة ، والمغرب الأقصى ، حيث يوجد الادارسة ، ولم يبق أمامها ، ما يربطها بالعالم الإسلامي ، الا ذلك الجسر الذي تعبر منه الى المغرب عن طريق ، الدولة الجزائرية الرستمية الا باضية في تاهرت (2) .

وقد اتسمت العلاقة الأموية الرستمية بالطابع الودى ، بغض النظر عن الاختلاف المذهبي بينهما ، فبنو أمية ـ كما سبقت الاشارة ـ سنيون متعصبون لمذهب أهل السنة أما بنورستم فهم خوارج اباضية ، غير أن هذا المذهب الذي يعتنقونه ، يعتبر أكثر المذاهب الخارجية ، اعتدالا وأقربها الى مذهب السنة (3) .

لكنها على أية حال علاقة سياسية ، وليست علاقة مذهبية ، أو بعبارة أوضح ، انفتاح سياسي بعيد كل البعد ، عن التيارات المذهبية الدينية . ولا نستطيع أن نحدد تاريخ ابتداء هذه العلاقة بين الدولتين ، الا انه يمكن القول بانها ترجع الى عهد عبد الرحمن الداخل ، الذي كان قد اتصل بهذه العائلة الرستمية في الشمال الافريقي ، وهو أمير على الأندلس ، أو لان أجداد عبد الرحمن بن رستم كانوا مواليا لبنى أمية ، ويؤكد ذلك قول ابن حزم في كتابه انساب العرب « ابن رستم الجد الاول لمؤسس تاهرت الحديثة ، كان مولى لعمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان » (4) .

---

(1) ابن تاويت : دولة الرستميين ص 12

(2) د . ابراهيم العدوي : المرجع السابق ، ص 212 ، سلفادور عومث نوسفاليس : الرستميون كحلقة الوصل بين الجزائر والأندلس ، ص 1 ، الملتقى الحادى عشر للفكر الإسلامي بورجلان يناير 1977 م .

(3) Lewiki T. : Al Ibadiyya, encyclopédie de l'Islam, T. 3., p. 669 SQQ, Nouvelle édition, Leiden, Paris, 1971.
راجع ايضا : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الاباضية المجلد الاول ص 130

(4) أبن حزم جمهرة انساب العرب ، ص 474 ـ 475 ، ابن حيان المقتبس ، ص 267 تحقيق محمود على مكى . وحول اتصال عبد الرحمن الداخل بنى رستم في بلاد المغرب انظر : المقرى : نفح الطيب ج 1 ص 28 ، والمستشرقة الاسبانية ماريا خيسوس فيغيرا : محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة ص 19 الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى بورجلان 1977 م . الميلى في تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج2 ص 16 .

ولم تلبث هذه العلاقة السياسية الطيبة ، أن اخذت طابعا قويا بين البلدين ، واحيانا مظهرا رسميا ، في كثير من المناسبات ، فقد اشارت بعض النصوص التاريخية (1) إلا أن عبد الرحمن الأوسط أمير قرطبة ، استقبل في بلاطه وفدا رسميا من « تاهرت » يتكون اعضاؤه من أبناء الامام عبد الوهاب الرستمى ، سنة 207 هـ / 822 م . وهؤلاء الابناء هم : عبد الغني ، دحيون ، وبهرام ، وكان يوم وصولهم الى قرطبة يوما مشهودا (2) بحيث بالغ الامير عبد الرحمن الأوسط ، في حفاوة الاستقبال والترحيب بالوفد الرستمي ، وكان معهم كريما سخيا ، اذ أنفق عليهم حسب ما يذكره ابن سعيد ، ألف ألف دينار (مليون دينار) (3) وأغدق عليهم الهدايا الثمينة ، ثم أعادهم الى بلدهم . وتضيف الرواية ان السفينة التي اقلت دحيون وبهرام ، ابتلعتها الامواج وغرقت بمن عليها اما السفينة التي كانت تقل عبد الغني ، فقد نجت بعد محنة طويلة في البحر رست على الشاطىء الجزائري ، وعند وصول عبد الغني الى تاهرت وجد أباه قد توفي منذ سبعة اشهر ، وتولى أخوه افلح بن عبد الوهاب الامامة (4).

ولم تقتصر سياسة التقارب هذه ، بين « تاهرت » وقرطبة على النواحي السياسية ، بل اشتملت ايضا على النواحي الاقتصادية والعسكرية ، ولعل محاصيل تاهرت الزراعية ، كانت تجد طريقها في كثير من المناسبات ، الى مخازن قرطبة ولا سيما في سنوات المحن ، التي عانت منها الاندلس ، كذلك استفادت حكومة قرطبة بكل ما تحتاجه من المقاتلين الجزائريين ، والمغاربة على وجه العموم ، وخاصة فرسان زناتة الذين بنت بهم جيشا ، ولم تتردد حكومة تاهرت في امداد الاندلس بهؤلاء المحاربين الاشداء بصورة مستمرة ، بل

---

(1) ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب جـ1 ص 48

(2) L. Provençal : Histoire, T. I., p. 244
وجاء في كتاب المستشرق الفرنسي G. Marcais انه نقل عن مؤرخ مجهول عاش في القرن الثالث الهجري / 9 ميلادي بأن الوفد الذي توجه الى قرطبة كان يتكون من ولدين لعبد الرحمن بن رستم أي من اخوة عبد الوهاب وليس من أبنائه . أنظر : La berberie musulmane de l'Orient p. 104

(3) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، جـ 1 ص 48 ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه . ربما يكون درهما بدلا من دينار ، لأن المقري ، يروي عن ابن سعيد نفسه ، أن الجباية بلغت في عهد عبد الرحمن الأوسط ، ألف الف دينار (مليون دينار) ، وليس من المعقول أن ينفق الامير الاندلسي عليهم ميزانية الامارة كلها . انظر

(4) كتاب المقرى : نفح الطيب جـ1 ص 325 .L. Provençal : Histoire, T. I. p. 244

ورد في بعض النصوص ، ما يشير الى تواجد بعض رجال الاسرة الرستمية ، في وظائف عالية في بلاط الامارة الأموية في قرطبة (1) .

ويبدوأن هؤلاء الرستميين ، قد استقروا في الأندلس أثناء سفارة عبد الوهاب بن رستم للامير عبد الرحمن الاوسط ـ السالفة الذكر ـ أوقبلها (2) ، ويذكرابن الابار(3) ، أن أول من دخل منهم أرض الأندلس ، هوسعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم ـ حفيد منشىء الدولة ـ وقد اتصل ابنه محمد بن سعيد بالامير الاموي عبد الرحمن بن الحكم ، عندما كان وليا للعهد ، ونائبا لأبيه الحكم على كورة شذونة ، في جنوب الاندلس ، فاستقر محمد هذا في ناحية من نواحي الجزيرة الخضراء ، بالقرب من شذونه ليكون قريبا منه ، فلما ولى عبد الرحمن الامارة سنة 206 هـ / 821 م . استقدمه الى قرطبة ، واصطنعه وعهد له بخطة الوزارة ، وقيادة الجيش ، وغيرهما من الخطط (4) ثم عهد اليه في سنة 214 هـ / 829 م ، بولاية الثغر الادنى (طليطلة) حينما نشبت ثورة هشام الضراب في هذه المنطقة ، وكان لمحمد بن سعيد الرستمي دوركبير في اخمادها (5) وكذلك تشير المصادر الى بلاء هذا الامير الجزائري بلاءا حسنا ، ضد هجوم النورمانديين ، على السواحل الاندلسية ، سنة 230 هـ / 844 م (6) .

يضاف الى ذلك أن محمدا كان أديبا وحكيما وشاعرا مفوها ولاعبا للشطرنج مما يدل على أن هذه الاسرة كانت تتمتع بمكانة فكرية طيبة (7) ، ومن الطريف أن هذا

---

(1) L. Provençal: Op. cit., T. I., p. 245

(2) وتعتقد المستشرقة الاسبانية « ماريا » ، ان وصول سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم الى الاندلس ، كان عقب عودة عبد الله البلنسي من تاهرت الى الاندلس ، على اثر وفاة اخيه هشام وتولية الحكم بن هشام العرش سنة 180 796م . أنظر مقالها السالف الذكر ص 15 .

(3) الحلة السيراء ، جـ1 ص 372 ـ 373 L. Provençal: Op. cit., T. I., p. 245, not 1.

(4) ابن حيان ، المقتبس ، ص 267 ، 268 ، الحاشية 109 تحقيق د . محمود علي مكي .

(5) ابن عذارى : البيان ، جـ2 ص 82

(6) العذري : المصدر السابق ، ص 99/ 100 ، ابن عذاري المصدر السابق ، جـ 1 ص 82 ـ 083

(7) A. Bel: La religion musulmane en berbèrie, esquise d'histoire et sociologie religieuse, T.I., p. 148-149, Paris 1939.

الأمير ، قد تزوج من احدى بنات المغني والموسيقى وأستاذ الاناقة الأندلسية «زرياب» (1) مما يدل أيضا ، على هوايته للموسيقى وشغفه بها .

وهناك شخصية جزائرية نبيلة أخرى ، لعبت دورا هاما في حكومة قرطبة، في ذلك الوقت ، وهي شخصية الامير عبد الرحمن بن رستم ، الذي تولى الوزارة والحجابة في عهد عبد الرحمن الأوسط أيضا ، ويرجح أن يكون هذا الامير الجزائري ، ابنا أو أخا لمحمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن رستم السالف الذكر (2) ، وكان ابن رستم يتداول منصب الحجابة ، مع عيسى بن شهيد الى أن توفي (3)

وكما أستعان الأمويون بالجزائريين ، في ادارة اعمالهم ، وقيادة جيوشهم استعان الرستميون أيضا بالخبرات الأندلسية ، في بلاطهم منذ أيام المؤسس الأول عبد الرحمن بن رستم ، حتى اصبحوا اعضاء بارزين ، في مجلس الشورى الاباضى التاهرتى ، وقد اشتهر من بين هؤلاء الوافدين الأندلسيين ، اثنان هما : عمران بن مروان الأندلسي ومسعود الأندلسي ، وقد كانا من بين السبعة أشخاص ، الذين رشحهم الامام عبد الرحمن بن رستم ، لامامة الأباضية في تاهرت قبل وفاته (4)

ولم تقف العلاقة الاموية الرستمية عند حد السياسة فقط ، بل تعدت ذلك الى الميدان التجاري ، فقد كانت السفن التجارية تتردد بين الموانيء ، المغربية والاندلسية مثل ميناء « فروخ » الجزائري (5) ، ومثل : مرسى الجزيرة الخضراء ، وبجانة وشاطبة ، وغيرها من الموانىء الاندلسية ، الممتدة على الساحل الجنوبي والجنوب الشرقي في ذلك الوقت ، محملة بالمتاجر وبالعلماء وبالمسافرين (6) . ولا يبالغ الاستاذ على دبوز حينما يعتقد ، أن قيام دولة بنى رستم في المغرب الأوسط ، مكنت امارة عبد الرحمن الداخل

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 268 حاشية 109

(2) L. Provençal: Histoire, T. I., p. 246.

(3) ابن حيان : المقتبس ص 167 ـ 168 تحقيق د . محمود على مكى .

Masqueray: Chronique d'Abou Zakaria, p. 54-59, Alger, 1879.

(4) الدرجينى : المصدر السابق ، جـ1 ص 46 ، ايبروني : ازهار ، ص 99

(5) مرسى فروخ هو الميناء الوحيد والرئيسي الذي ينفذ منه ، بنو رستم للبحر ويقع في منطقة وهران ، عاصمة الغرب الجزائرى مابين مدينتي مستغانم وارزيو ، وتسمى حاليا مرسى الدجاج انظر د . حسين مؤنس : اثر ظهور الإسلام في الاوضاع السياسية ، ص 122 . L. Provençal: Histoire, T. I., p. 282, not (2).

(6) د . السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ2 ص 569

من الرسوخ في الاندلس ، واتاح لها السبيل الى الازدهار. كما كانت الدولة الرستمية بمثابة الجسر ، الذي يصل بين الامويين من جهة والمغرب الاوسط ، ومنه الى المشرق من جهة أخرى (1) ولا سيما بعد أن اغلقت أمامهم ، السبل الى كل من أفريقية والمغرب الأقصى ، بقيام دولة الاغالبة ، ودولة الادارسة كما ذكر ، لذلك توثقت الصلة بين بني أمية وبنى رستم ، وتبادلوا الهدايا والوفود ، تدعيما لهذه الصداقة والروابط المتينة ، التي تربطهم من أجل دفع العدو المشترك .

كذلك قام البحريون الاندلسيون ، بانشاء مدن وثغور على طول ساحل المغرب الاوسط ، وقد استقرت في هذه المدن جاليات اندلسية ، وذلك بعد موافقة القبائل البربرية المغربية ، ومن بين هذه الثغور والمدن مدينة تنس Ténès ، التي انشأت سنة 262 هـ / 902 م (2) . واصبحت محطة تجارية هامة تختلف اليها السفن الاندلسية في فصل الشتاء ، ثم تعود منها في فصل الصيف ، وكان يسكنها فريقان ، من أهل البيرة ، واهل تدمير من الأندلس (3) ، ويذكر صاحب كتاب الاستبصار ، أنها كانت كثيرة الزرع رخيصة الاسعار ، ومنها يحمل الطعام الى الاندلس والى بلاد افريقية ، والمغرب لكثرة ما لديهم من الزرع (4) .

ومدينة وهران Oran ، التي اقامها اثنان من رجال الدولة الأموية ، هما : محمد بن أبي عون ، ومحمد بن عبدون ، وجماعتهما سنة 290 هـ / 902م وقد استوطنوها بموافقة القبائل المغربية أيضا ، مثل قبيلة « نفزة » وبنى مسكين أو مسغن (5) ، لمدة سبع سنوات ، أقاموا خلالها ـ حسب ما يذكر ابن خلدون ـ الدعوة لبنى أمية في الأندلس حتى ظهرت الفواطم في أفريقية ، واستولوا على تاهرت . فضمت مدينة وهران الى اعمالهم (6) ، وقد سيطرت هذه الجاليات الاندلسية ، على كثير من المدن الساحلية

---

(1) الاستاذ دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، جـ3 ص 350 القاهرة 1963م .

(2) البكرى : المغرب ص 61 ـ ابن حوقل (ابو القاسم) صورة الأرض ، ص 78 بيروت 1962م. الاستبصار ص 133 .

(3) البكرى : المصدر السابق ص 61

(4) كتاب الاستبصار . ص 133 .

(5) قبيلة مسكين أو مسغن بطن من بطون قبيلة ازداجة ، تسكن منطقة وهران انظر البكري المغرب ص 70 ـ ابن خلدون العبر ، جـ6 ص 294

(6) ابن خلدون : العبر ، جـ6 ص 294

الجزائرية مثل : مدينة بونة (عنابة) وبجاية ومرسى فروخ (1) واستحوذت على التجارة بها وكانت تختار « عريفا » من بينها يمثلها ، لدى القبائل المغربية ، ينظم أمور التجارة معهم (2) .

ويتضح من هذا ، أن الاسطول الاندلسي ، اتخذ في نشاطه البحري وجهتين : وجهة سلمية هدفها النقل والتجارة مع بلاد المغرب وافريقية ، ووجهة اخرى حربية ، هدفها مهاجمة الشواطيء الاوروبية .

وقد كان النشاط في كلتا الوجهتين عظيما ، ومن الثابت أن معظم الملاحين ، كانوا من المولدين والمتعربين والبربر والعرب (3) . دخل المغرب في اواخر القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى ، مرحلة من الاستقرار والهدوء ، الذي كفل له الازدهار الزراعي ، حيث كست معظم اقاليمه اشجار الزيتون والكروم ، وامتلأت سهوله الوسطى بالحبوب الوفيرة ، ولم يكن ازدهار الصناعة في المغرب ، – في ذلك الوقت – بأقل من الانتعاش الزراعي (4) ، فضلا عن نشاط الحركة التجارية مع البلدان المجاورة للمغرب مثل السنغال : والنيجر وغانا (بلاد السودان) التي كان يتوفر فيها الذهب الخام ، والعاج وريش النعام ، والجلود والرقيق الاسود (5) . وقد ضرب الرستميون في التجارة بسهم وافر ، وأصابوا منها ارباحا طائلة . وقد أهل الموقع الجغرافي لمدينة سجلماسة ، أن تكون همزة وصل بين المغرب في الشمال ، وبلاد السودان في الجنوب ، حتى اصبح يطلق عليها « باب الذهب » (6) . وكان هؤلاء المدراريون ، تربطهم روابط التحالف والمصاهرة مع أصحاب « تاهرت » (7) وقد أدى هذا الترابط الى تعميق أواصر الاتصال السياسي والتجاري بين البلدين ، وكانت توجد ثلاثة طرق تجارية صحراوية ، تعبر منها القوافل

---

(1) حسن مؤنس : اثر ظهور الإسلام في الاوضاع السياسية والاقتصادية ، في البحر الأبيض المتوسط ، ص 123 – المجلة التاريخية المصرية ، (م 7) عدد (1) مايوسنة 1951م .

(2) نفس المرجع ص 123

(3) نفس المرجع ص 122 د. عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص 35

(4) ارشبالد (لويس) : المرجع السابق ، ص 252

(5) الاستبصار، ص217ـ د. ابراهيم العدوى : بلاد الجزائر، ص200

(6) الاستبصار ص 202

(7) ابن خلدون : كتاب العبر ، ج6 ص 268

باستمرار ، لتنقل المنتجات المغربية الى بلاد غانا والسودان ، ولتستورد منهما الذهب ، وغيره من السلع التي تتوفر في هذه المنطقة ، (بلاد السودان) وكان الرستميون يهيمون على هذه الطرق التجارية الثلاثة (1)

أ ـ الطريق الاول يربط بين تاهرت ومدينة سجلماسة ، ثم السنغال جنوبا .
ب ـ الطريق الثاني ، في الوسط يمر عبر مدينة ورجلان (2) . ومنها الى عنق نهر النيجر.
جـ ـ أما الطريق الثالث ، فيقع الى الشرق ، ويمتد من الجريد مارا بمدينة غدامس ثم الى قلب السودان (3) .

فتح الرستميون أبواب مدينتهم تاهرت أمام التجار المغاربة ، والأندلسيين ، والمشارقة ، على حد سواء ، ووفروا لهم سبل الراحة والطمأنينة ، مما زاد في ثراء هذه المدينة ورخائها ، وازدهارها حتى بلغ نفوذها ، من تلمسان غربا الى طرابلس شرقا (4) ، وقد أطلق عليها بحق « عراق المغرب » تشبيها لها بعراق المشرق ، المزدحم بالاجناس والملل والنحل ، وقد وصفها الرحالة المقدسي بقوله « فانتعش فيها الغريب ، واستطابها اللبيب » (5) وبفضل موقعها الهام الذي يتوسط الجبال ، والسهول الزراعية الخصبة ، وفرّت كثيرا من المواشي ولم يفت ذلك ابن حوقل ، اذ وصفها بقوله : « بأنها (أي تاهرت) احدى معادن الدواب والماشية ، والغنم والبغال والبرازين ، والفراهنة ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات » (6) .

وبطبيعة الحال فان هذا الازدهار لينعكس ـ لا محالة ـ على بلاد الاندلس ، مادامت هناك علاقة طيبة ، تجمع بينهما ، لاسيما وان السفن الاندلسية ، ترسو دائما

---

(1) ارشالد لويس : المرجع السابق ، ص 255
(2) مدينة ورجلان ، هي ورقلة الحالية العاصمة الرستمية الثانية تقع جنوب القطر الجزائرى وتبعد عن مدينة قسنطينة بنحو (500) كم جنوبا واليها ينسب المؤرخ الاباضي ابوزكريا الورجلاني .
(3) ارشبالد لويس : المرجع السابق ، ص 255 ـ مدينة غدامس تقع على الحدود الجزائرية الليبية .
(4) ابن الصغير : اخبار الائمة الرستميين ، ص 17 نشر Motylinski ص 17 طبعة باريس 1907 م أنظر الترجمة الفرنسية ص 73
(5) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص 228
(6) ابن حوقل : صورة الارض ، ص 86 ، وحول موقع تاهرت را فع كتاب :
Despois R : Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest p. 188 SQQ, Paris, 1967.

على السواحل الجزائرية ، وجالياتها مقيمة هناك ، فقد انتقل اليها الذهب (1) ، ومختلف البضائع والغلات المغربية والسودانية ، فضلا عن الرقيق الاسود (2) .

ويشير صاحب كتاب الاستبصار ، الى أهمية المدن الجزائرية الساحلية ، (المغرب الاوسط) من الناحية الزراعية ، اذ كان يكثر فيها الزرع والغنم والمواشي ومنها « تجلب الاغنام الى بلاد المغرب ، وبلاد الأندلس ، لرخصها وطيب لحمها » (3) . كما كانت تشحن من هذه المدن ، الابقار والابل ، الى الموانيء الاندلسية (4) ، وخاصة الميرة وضروب المرافق ، والتجارات المتبادلة بين الموانيء المغربية ، ومدينة بجانة الاندلسية (5) .

وكانت مدينة سبتة ممراً تجاريا بين المغرب الاقصى ، وجنوب الاندلس لاستيراد الأقمشة والخيوط والقطن ، وخشب الصباغة والتوابل ، وغيرها من المواد التي يحتاجها المغاربة ، وتصدر الجلود والملح والشمع والعسل والفاكهة المجففة والخيول (6) .

وبالمقابل فان التجار الاندلسيين ، يصدرون للمغرب وغانا وبلاد السودان (7) ماتنتجه بلاد الاندلس من مواد ، زراعية وصناعية وخاصة منها : القمح والارز وقصب السكر ، الذي يزرع بكميات كبيرة في القسم الادنى ، من حوض الوادى الكبير Guadalquivir على مقربة من اشبيلية ومالقة Malaga (8) . وكذلك كان الكتان والقطن من المحاصيل التي تزرع في أقليم البيرة واشبلية Sevilla وكان القطن يحمل الى المغرب ، حيث يباع بأثمان مرتفعة (9)

---

(1) ارشبالد لويس : القوى البحرية ص 260

(2) كتاب الاستبصار، ص 213 ، 153 ، 217

(3) نفس المصدر ص 179

(4) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 97

(5) الحميرى : الروض المعطار، ص 38

(6) ليفى بروفنسال : ادب الاندلس وتاريخها ، ص 109

(7) العذرى : المصدر السابق ص 19 راجع أيضا :

Lewicki T.: Traits d'histoire du commerce transsaharien, marchands et missionnaires ibadites en Soudan occidental et central au cours des VIIe et XIIe siècles, p. 291 SQQ

(8) ارشبالد لويس : المرجع السابق ، ص 259 ، راجع :

Cardonne : Histoire de l'Afrique et de l'Espagne sous la domination des Arabes T.1. p. 340

(9) ياقوت الحموى (شهاب الدين) معجم بلدان ، جـ1 ص 275 ليزيغ 1869 العذري : المصدر السابق ص96

أما عن المجال الصناعي فقد بلغ هو الآخر شأوا كبيراً ، وخاصة في عهد عبد الرحمن الاوسط ، اذ عم بلاد الاندلس الهدوء والاستقرار ، وهذا شرط اساسي لازدهار البلاد ، ورخائها ورفاهيتها ، ومن بين هذه الصناعات التي اشتهر بها الاندلسيون في ذلك الوقت ، صناعة الأقمشة الكتانية والقطنية لكثرة الأغنام ، ووفرتها وصناعة الخزف ، الرقيق ، والتحف الذهبية والفضية والمصنوعات الجلدية والدروع والخوذ ، وأنواع أخرى من الاسلحة المختلفة (1) ، وقد اشتهرت مدينة طليطلة بصناعة السيوف (2) .

وكانت اكثر الجهات تقدما في الصناعة والزراعة هي الركن الجنوبي الشرقي ، من العدوة الاندلسية أي الجزء المواجه للبحر ، والمقابل لبلاد المغرب ، وافريقية (3) . وأهمها مدينة المرية ، التي تعتبر من انشط الموانىء الاندلسية ، في الحركة التجارية ، مع العالم الإسلامي بجناحية الشرقي والغربي ، ولما كانت تتمتع به من صناعة مترفة . في الأقمشة الحريرية ، الثقيلة المنسوجة بالذهب فقد بلغب فيها نحوثلاثمائة حرف من نسيج الحرير . ولا شك ان هذه المصنوعات كانت تجد رواجا في أسواق العالم الإسلامي (4) .

وكيفما كان الحال ، فإن معظم الرحالة يشيرون الى أن سكان المغرب والاندلس ، كانوا يتعاملون تجاريا ، بحرية وعلى نطاق واسع جدا وبدون قيود ، والظاهر أن التوترات السياسية ، والاختلافات المذهبية . التي كانت سائدة آنذاك في الغرب الإسلامي وشرقه ، لم تكن لها تأثيرات على حركة التجارة بل من الثابت أن التجار المسلمين ، كانوا يجوبون بقوافلهم ، بحرية تامة من المغرب الى المشرق (5) ، ومن المشرق الى المغرب وبلاد الأندلس ، وان السفن الأندلسية كثيرا ما كانت ترسو ببضائعها في الموانىء المغربية ولم تقف عند هذا الحد ، بل وصلت الى ميناء الاسكندرية ، تفرغ بضائعها الاندلسية ،

---

(1) Cardonne : Op. cit., T. I., p. 340.

(2) ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ، ص 53 / 54 ترجمة دوقان قرقوط بيروت بدون تاريخ +.

(3) ارشبالد : المرجع السابق ، ص 260

(4) ليفي بروفنسال : ادب الأندلس وتاريخها ، ص 104

(5) ابن حوقل : صورة الارض ص 95

وتشحن التوابل والمنتجات الشرقية النادرة ، مثل التحف والكتب الادبية والعلمية الى الاندلس (1) .

أما الرقيق الأبيض أو الخصيان ، المهيأون لحراسة الحريم ، فقد كان التجار اليهود هم الذين يقدمونهم . وكان هؤلاء التجار عملاء وصيادين Rabbateurs في جنوب فرنسا وحتى في فردان (2) . ويذكر الرحالة المقدسي ، أن الصقالبة كانوا يحملون الى مدينة تقع خلف مدينة « بجانة » ، حيث تسكنها جالية كبيرة من اليهود ، متخصصين في عملية خصي الرقيق وبيعهم (3) .

ويشير المؤرخ الأمريكى ارشبالد لويس ، الى أن تجار الاندلس ، لم يتعاملوا كثيرا مع الغرب اللاتينى ، وأن التبادل التجارى بينهم كان محدودا ، وعلى نطاق ضيق . اذ تركوا هذه المهمة للتجار اليهود ، الذين كانوا يترددون على الأسواق الاندلسية ، حاملين معهم الرقيق الابيض (4) .

ولكن يبدو أن المؤرخ ارشبالد لويس مبالغ في رأيه ، اذ أن هذه العمليات التجارية مع الغرب لم تقتصر على تجار اليهود وحدهم ، بل شارك فيها التجار المسلمون ايضا ، ولا سيما في مناطق الثغور الشمالية ، المتصلة بفرنسا ، ويؤيد ذلك قول المقرى : « وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك ، فصاروا يخصون ويستحلون المثلة » (5) .

---

(1) الادريسي (الشريف) وصف المغرب والأندلس من كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ص 197 / 198 نشر دوزى ودى غوية Dejoy ليدن 1886 م ـ ابن عذاري : البيان ، جـ2 ص 92 ـ راجع ليفى بروفنسال حضارة العرب في اسبانيا ، ص 53 / 54 ـ وكتابه : ادب الاندلس وتاريخها ، ص 104 ـ ارشبالد : القوى البحرية ص 177 ـ د . احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 139 .

Cardonne: Op. cit., T. I., p. 339.

(2) ليفى بروفنسال : حضارة العرب في اسبانيا ، ص 77

(3) المقدسى : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص 242

(4) ارشبالد لويس : المرجع السابق ص 274 انظر ايضا كارل بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ص 153 بيروت 1954 Dozy: Histoire des musulmans, T. 2., p. 154.

(5) المقرى : نفح الـ يب ، جـ1 ص 140 د . احمد مختار العبادى : دولة المماليك الاولى في مصـــر والشام ص 36 النهضة العربية بيروت 1969 م ـ راجع أيضا لنفس المؤلف : الصقالبة في اسبانيا لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بالحركة الشعوبية ص . المعهد المصرى مدريد 1953م د . محمود علي مكى : الرحلات بين المشرق والاندلس ص 42 مجلة البينة (عدد ثاني) يونية 1962م .

استمر التمثيل الدبلوماسي ، والتشاور السياسي بين قرطبة وتاهرت ، وغدت هذه المراسلات بينهما ، تفيض باسمى وشائج المودة والتضامن ، ففي عهد الامام أفلح بن عبد الوهاب (207 ـ 258 / 822 ـ 871 م) . قام أبو العباس محمد بن الاغلب (226 ـ 242 / 840 ـ 856 م) ، ببناء مدينة بجوار مدينة « تاهرت » ، واطلق عليها اسم « العباسية » نسبة اليه ، ونقض بذلك اتفاق الهدنة المبرمة بينهما (1) ، وكان الغرض من بناء هذه المدينة ، تضييق الخناق على مدينة « تاهرت » . لكن الامام افلح لم يتردد في ثلم أسوارها وحرقها بعد اتمام بنائها سنة 227 هـ / 841 م . وارسل الى العاهل الاندلسي ، يخبره بذلك ، فرد عليه عبد الرحمن الاوسط ، بمكافأة مالية قدرها ، مائة الف درهم ، تقد يرا لهذا العمل الجليل (2) .

ولما نجح قواد الامير عبد الرحمن الاوسط ، وعلى رأسهم القائد الجزائرى محمد بن رستم ، في انزال الهزيمة بالنورمانديين سنة 230 هـ / 824 م ، أرسل صاحب قرطبة رسولا الى الامام افلح ، صاحب تاهرت تخبره بما تم له من انتصار على هؤلاء المجوس (3) وأرسل أيضا بالخبر نفسه الى حلفائه من سكان طنجة وضواحيها من قبيلة صنهاجة ، وهذا دليل ، على ان الأمير عبد الرحمن الاوسط . قد امتد نفوذه الى المغرب الاقصى ، كما سنرى بعد قليل ، فابن عذاري يذكر أنه « كتب الى من بطنجة من صنهاجة ، يعلمهم بما كان من صنع الله في المجوس ، وبما انزل فيهم ، من النقمة والهلكة ، وبعث اليهم برأس أميرهم ، وبمائتى رأس من أنجادهم (4) » .

ولما تولى الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط عرش الاندلس سنة 238 هـ / 852م آثر أن يسير في السياسة التي رسمها والده ، وهي الاستمرار في العلاقة الطيبة والودية ، مع البيت الرستمى ، وغيرهم من امراء المغرب ، فاوفد الى بلاط « تاهرت » ، سفارة تعبر للامام افلح بن عبد الوهاب من جديد ، عن احترامه وتقد يره له ، كما عبر له عن رغبته ، في استمرار هذه العلاقة الصادقة بين البلدين ، وبعث له بهدية ثمينة وكان ذلك سنة 238 هـ / 853 م (5) .

(1) ابن تاويت التطواني : دولة الرستميين اصحاب تاهرت ص 14

(2) ابن الاثير الكامل في التاريخ ، جـ6 ص 369 ـ ابن خلدون : جـ4 ص 429 (طبعة بولاق) .

(3) L. Provençal : Histoire T.I., p. 245.

(4) ابن عذار البيان ، جـ2 ص 88

(5) L. Provençal : T. I., p. 245.

ويصف لنا المؤرخ القرطبي ابن حيان ، النفوذ المتزايد للامير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، في الشمال الافريقي ، وتتبعه لأخبار بني العباس في كل من القيروان ، ومصر وبلاد الشام بقوله : « كان الأمير محمد بن عبد الرحمن ، شديد التهمم بخبر الساحل والعدوة ، مراعيا هنالك من أخبار اعدائهم المسودة ، (العباسيون) متجسما عن عمالهم محتولا عنهم ، لكثير ممن يتعرف عليهم من ملوك البرابر العلقين اليه بالولاية ، لبني مدرار ملوك سجلماسة ، ومحمد بن افلح بن رستم امير تاهرت وغيرهم فلا تزال رسله وكتبه تتردد الى هذه الطوائف في البحث عن أخبار بني العباس ، بدار مملكتهم ، واخبار ولاتهم وعمالهم ، بالشام ومصر وافريقية » (1) .

كما يشير ابن عذارى المراكشي ، الى أنه أي الأمير محمد بن عبد الرحمن الاوسط « كان مأمولا محبوبا ، في جميع البلدان ، وكان محمد بن افلح صاحب تاهرت ، لا يقوم ولا يؤخر في أموره ومعطلاته ، الا عن رأيه وأمره ، وكذلك بنو مدرار بسجلماسة (2).

وظل بنو رستم على وفائهم لعهدهم ، في التعاون الصادق مع بني أمية . في الأندلس. فلم يسمحوا للخارجين على الامارة الاندلسية ، أن يقوموا بأي نشاط سياسي معاد لحلفائهم الامويين ، عند وصولهم الى الأراضي، الواقعة تحت نفوذهم ، وقد روى ابن القوطية ، قصة طريفة تدل على مدى هذا التعاون السياسي ، المتبادل بين الامويين في الاندلس ، والرستميين في المغرب الاوسط ، وذلك عندما تحدث عن حركة الثائر « عمر بن حفصون » (3) ، الذي قام بثورة ضد أمراء قرطبة ، فتشير القصة الى قدوم عمر هذا الى مدينة « تاهرت » ، بالمغرب الاوسط ، حيث اشتغل مساعدا لاحد الخياطين بالمدينة ، الذين وفدوا على تاهرت من كورة « رية » الاندلسية ، إن وجدت الجاليات

---

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 265ـ266 ، تحقيق محمد بن مكي ، طبعة بيروت 1973 م . راجع مقال ماريا خيسوس : محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة ص 16 .

(2) ابن عذاري المصدر السابق ، ج2 ص 108 ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 24 .

(3) عمر بن حفصون ، هو صاحب الثورة ، التي امتدت مايقرب من اربعين سنة جنوب الاندلس ، ضد امراء بني أمية ، كانت بدايتها في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن سنة 267 هـ / 880 ، واستمرت الى عهد الأمير عبد الرحمن الثالث ، الذي استطاع أن يقضي على فتنته بقتله سنة 305 هـ / 917 م . أنظر : ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 117 ، 105 ، 131 وما يليها .
ابن حيان : المقلبس ، ص 120 تحقيق الاب ملشور باريس 1937 م . المقتبس ==

الأندلسية العديدة ، القادمة الى هذا البلد الغني مجالا خصبا لها ، في متابعة نشاطها التجاري والحرفي .

وبينما عمر بن حفصون يجلس مع الخياط في حانوته ، اذ اتاه شيخ معه ثوب يقطعه فقام اليه الخياط ، ووضع له كرسيا يقعد عليه ، ، فسمع الشيخ كلام ابن حفصون ، فانكره عند الخياط فقال له : من هذا ؟ فقال : غلام من جيراني « برية » أتى ليخيط عندي ، فالتفت الشيخ اليه ، وقال : متى عهدك برية ؟ قال : منذ اربعين يوما ، فقال تعرف جبل ببشتر ؟ فقال له : أنا أسكن عند أصله . قال له الشيخ : فيه حركة ؟ قال: لا ، قال : قد آن له ذلك ، ثم قال له : هل تعرف فيما يجاوره رجلا ، يقال له عمر بن حفصون ، فذعر من قوله وأخذ الشيخ ينظر اليه وكان ابن حفصون أفصم الثنية ، فقال له : يا منحوس تحارب الفقر بالابرة ارجع الى بلدك ، فانت صاحب بني أمية ، وسيلقون منك غيا ، وستملك ملكا عظيما ، فقام ـ عمر بن حفصون ـ من فوره وذلك خوفا من أن ينتشر الأمر وأن يتقبض عليه بنو أبي يقضان (أئمة تاهرت) وكانوا مالكين تاهرت ، وولاؤهم لبني أمية ، فأخذ خبزتين من الخباز ، والقاهما في كمه وخرج فأتى الاندلس » (1) .

أردت بهذا النص أن أبين ، مدى الذعر الذي انتاب عمر بن حفصون ، خوفا من أن يفضح أمره في مدينة « تاهرت » . وأن تقبض عليه السلطات الحاكمة هناك ، قبل خروجه الى الاندلس ، وهذا يؤيد بصورة واضحة ، مدى التعاون الايجابي ، بين الرستميين والأمويين ضد أي حركة عصيان تظهر في هذين البلدين . ولقد استمرت هذه العلاقات الودية ، قائمة بين تاهرت وقرطبة ، الى أن زالت بزوال دولة بني رستم ، وسقوط تاهرت على يد الداعي ، أبي عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، سنة 296 هـ / 908م .

حرص الامويون في الاندلس ، على كسب صداقة الدويلات ، التي نشأت بجوار العلويين الادارسة ، كما حرصوا على توطيد صلاتهم بها ، وذلك بغية اضعاف جيرانهم ، «الادارسة » من جهة ، والاغالبة من جهة اخرى ، والحد من نفوذهم المتزايد .

= الجزء المخطوط ورقة 105 ـ د. عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثاره الأندلسي ، ص 248 ، 259 ومايليها ـ سيمون حايك : الناصر لدين الله أول خليفة في الأندلس ، ص 42 ومايليها بغداد سنة 1962م .

(1) ابن القوطية : افتتاح الاندلس ، ص 91ـ92

علاقة الامويين ببني صالح اصحاب نكور

ومن بين الدويلات أو الامارات ، التي كانت لها علاقة طيبة مع بني أمية ، امارة بني صالح أو « نكور » التي أسسها صالح بن منصور الحميري ، المعروف « بالعبد الصالح » ، بمنطقة الريف المغربي (1) وفي عهد حفيده سعيد بن ادريس ، بنيت مدينة « نكور » ، التي اصبحت منذ ذلك العهد ، ميناء هاما في تنشيط حركة التجارة بين المغرب الاقصى وموانيء الاندلس (2) .

وعلى الرغم من المنازعات الداخلية ، التي كانت كثيرا ما تنشب بين افراد الاسرة الحاكمة ، ومالاقته من عناء كبير ، من جراء مقاومة تيار الخوارج والادارسة ، فانها بقيت محافظة على كيانها ، واستقلالها عدة قرون ، وربما يرجع السر في ذلك الى وقوف الامويين في الاندلس الى جانبها ، وتدعيمها ماديا وسياسيا ضد أصحاب « فاس » (3) . وخير دليل على هذه المساعدات ما قدمه لها الامير ، محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، عندما قام بافتداء الأميرتين الأسيرتين « خنعولة » و « آمة الرحمن » من بنات واقف بن المعتصم بن صالح ، اللتين وقعتا في يد النورمانديين ، اثناء هجومهم على مدينة نكور سنة 245 هـ / 859 م (4) .

ويشير البكري ، الى أن العلاقة بين هذه الامارة ، وحكومة قرطبة ، كانت ودية وطيبة ، اذ كان بنو صالح في نكور ، يواصلون بني أمية في الأندلس ويداهنونهم (5) .

والظاهر أن الاسطول الاندلسي ، في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن ، كان يقظا ويقوم بمجهود كبير ، لايغفل عن حراسة شواطىء الاندلس ، وربما كان يراقب بالإضافة الى ذلك شواطىء المغرب ، فقد جاء في رواية ابن عذارى ، انه لما خرجت مراكب المجوس ، للمرة الثانية سنة 245 هـ / 859 م على سواحل المغرب باثنين وستين

---

(1) حول قيام هذه الامارة انظر كتاب البكرى ، المغرب ، ص 90 ومابليها وابن عذارى : البيان ، جـ1 ص 246 ومابليها وابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثالث ص 171 ومابليها ـ وابن خلدون : العبر ، جـ1 ص 439 ومابليها . .

(2) الاستبصار ، ص ، 136 . L. Provençal : Histoire, T. I., p. 247.

(3) L. Provençal,: Histoire, T. I., p. 247.

(4) البكري : المغرب ص 92 أنظر أيضا :

(5) البكري : المصدر السابق ص 92 .

مركبا ، وجدوا البحر محروسا ، والسفن في حالة تعبئة تجرى من حائط الفرنجة ، الى حائط جليقية في المغرب الأقصى (1) .

وقد استطاعت البحرية الإسلامية في الاندلس هذه المرة أن تتصدى لمراكب المجلوس ، وأن تلحق بهم الهزائم الفادحة (2) .

علاقة الأمويين بالمدراريين اصحاب سجلماسة :

اما عن علاقة قرطبة ، بدولة بنى مدرار الصفرية بسجلماسة ، ملوك القبلة في أقصى جنوب المغرب (3) ، فغير واضحة وبخاصة قبل عهد الامير الاموى ، محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، لان المصادر ، لم تقدم لنا معلومات تساعدنا ، على تتبع مراحل هذه العلاقة وتطورها .

ويبدو أن الصلات القرطبية السجلماسية ، قد ابتدأت مبكرة لاشتراك المدراريين والامويين في عداء بنى العباس ، وحلفائهم الاغالبة في أفريقية من جهة ، وعدائهم التقليدى للادارسة العلويين في فاس من جهة أخرى (4) ، فضلا عن كون اصحاب سجلماسة ، تربطهم ببنى رستم ، أصدقاء بنى أمية في الأندلس روابط التحالف والمصاهرة ، لذلك التقى الطرفان ، تجمعهما المصلحة السياسية المشتركة ، رغم خلافاتهما المذهبية وبعد المسافة بينهما .

وهناك ما يشير الى أن المدراريين ، كانت لهم منافد على ساحل البحر المحيط

---

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 2 ص 96 .

(2) العذري ، ترصيع الاخبار ، ص 118 ، 119 ، ابن عذاري : البيان ج 2 ص 97/96

(3) اجتمع أربعون صفريا ، من رجالات قبيلة مكناسة ، سنة 140 هـ / 757 م وبايعوا واحداً منهم سوداني الأصل ، اسمه « عيسى بن يزيد الأسود ، من موالي العرب ، ومن غلاة المذهب الخارجي الصفري ، ثم شرعوا في بناء مدينة سجلماسة ، لتكون كرسيا لحكمهم ، وبعد خمس عشرة سنة من امامة عيسى عزله أصحابه ، لمآخذ أخذوها عليه ، فقتلوه ، واختاروا أبا القاسم بن سمحو ابن واسول المكناسي من جديد ، انظر : البكري المغرب ، ص 149 .

(4) د . محمود اسماعيل الخوارج في المغرب الإسلامي ، ص 100 ـ 202 .

(الاطلنتي) . يتصلون منها بموانىء الاندلس كاشبيلية وشاطبة (1) . ويبدو ان هذه الصلات الطيبة والودية ، بين سجلماسة وقرطبة قد تأثرت بقدوم بعض العائلات الريفية المنفية من قرطبة الى سجلماسة ونزولهم بها . لكن ـ فيما يبدو ـ ان هذه الجفوة لم تستمر طويلا بحيث عادت العلاقة الى حالتها الاولى ، في عهد عبد الرحمن الاوسط وتؤيد ذلك ، المساعدات الاقتصادية ، التي قدمها ميمون بن مدرار الملقب بالامير ، الى صديقه عبد الرحمن الأوسط حينما حلت بالأندلس ازمة اقتصادية سنة 232 هـ / 847 م ، اذ قدم له كميات من الحنطة والسكر والثمر (2) .

وقد زادت الصلة الطيبة بين البلدين ، أواخر القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى أي في عهد محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، الذي اتسم عصره بالاستقرار السياسي والاقتصادي ، وتشير بعض المصادر الى أن الامير محمد « خدمته ملوك البلاد المغربية واعترفت بطاعته تاهرت وسجلماسة » (3) . وتضيف رواية أخرى بأن بنى رستم وبنى مدرار « لا يقدمون ولا يؤخرون ، في أمورهم ومعظلاتهم الا عن رأيه وأمره » (4) . وهو الامر ، الذي يدل على مدى قوة سلطان محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، واتساع نفوذه .

علاقة الأمويين بالبرغواطيين اصحاب تامسنا

أما عن طبيعة العلاقات ، بين برغواطة في المغرب الأقصى ، والامارة الأموية في الأندلس ، فيبدو أنها ظهرت منذ وقت مبكر ، بنشوء تحالف ودي بين البلدين ، أي منذ نشأة هذه الدويلة ، في النصف الاول من القرن الثاني الهجرى ، الثامن الميلادى باقليم « تامسنا » بالمغرب الاقصى ، في الاراضي الممتدة على طول ريف المحيط الاطلسي ، والواقعة ما بين سلا شمالا ، وآسفى جنوبا ، أو بعبارة أخرى ، ما بين مدينة

---

(1) الحميري : روض المعطار ، ص 21 L. Provençal : Op. cit., T. I., p. 248

د . محمود اسماعيل : المرجع السابق ، ص 105 .

Conde : History of the dominion of the arabs in Spain, vol. 1, p. 201.

(2) القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الإنشاء ، جـ 5 ص 164 القاهرة 1922 م .

(3) ابن الخطيب : المصدر السابق ، القسم الثاني ص 24

(4) ابن عذاري : المرجع السابق جـ 2 ص 108 ، ابن حيان : المقتبس ، ص 265 ـ 266 .

الرباط الحالية . وجنوب مصب وادى ام الربيع (باقليم دكالة) (1) . وينسب بعض المؤرخين تاسيس هذه الدويلة الى رجل اصله من برباط الاندلس نسبة الى وادى برباط جنوب الاندلس (2) ، يهودى الاصل ، يدعى صالح بن طريف بن شمعون البرباطى .

وكان صالح هذا قد رحل الى الشرق حيث تعلم من شيوخه علم الكلام . وفن الجدال ، كما تفرس في علم النجوم ، حتى نبغ فيه (3) ، ولما عاد الى « تامسنا » اظهر الاسلام ، وتنسك ، فمالت إليه نفوس البربر ، في تلك المنطقة ، وبعد ذلك ادَّعى النبوة فيهم ، وزعم أن القرآن ، نزل عليه باللسان البربرى ، كما نزل على محمد باللسان العربي ، وشرع لهم ديانة جديدة ، ورثها ابناؤه من بعده .

وقد اجتمعت النصوص التاريخية ، على أن صالح بن طريف ، أوصى أبنه الياس بموالاة بنى أمية في الأندلس ، ومناهضة أمراء المغرب ، قبل رحيلة الى المشرق (4) . الا أن هذه العلاقات الطيبة والتحالف الودى بين البلدين ، فيما يبدو لم يستمر طويلا ، اذ سرعان ما فترت وتجمدت بسبب انتحال البرغواطيين الديانة الجديدة واظهارها ، والجهار بها ، لذلك كرههم المسلمون في المغرب والأندلس ، واستحلوا دماءهم ، وأوجبوا قتالهم وجهادهم ، لان هؤلاء البرغواطيين ، اصبحوا في نظر المسلمين مجوسا هراطقة مارقين على الدين ، وتجمع المصادر ، على أن ملوك العدوتين من ادارسة وفواطم وأمويين ، لم يتوانوا في محاربتهم ، وكانت لهم معارك مشهورة انزلوا بهم هزائم منكرة (5) ولكنهم لم يستطيعوا استئصال شأفتهم ، بل كان خطرهم يزداد ويشتد ، على المسلمين في المغرب ، وحدودهم تتسع على حساب اراضى المسلمين الى أن ظهرت دولة المرابطين ، الذين أتخذوا رباطات في حروبهم ضد هؤلاء البرغواطيين الهراطقة ، وقد قتل عبد الله بن ياسين في احدى هذه الحروب ، سنة 499 هـ / 1057 م (6) .

---

(1) ابن خلدون : كتاب العبر ، جـ 6 ص 428 ـ راجع مقال د . أحمد مختار : العبادي الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، ص 57 مقال بمجلة كليّة آداب الإسكندرية العدد 21 سنة 1967 م .

(2) الإستبصار، ص 197 .

(3) البكري : المغرب ، ص 138 ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثالث ، ص 182 .

(4) البكري : المصدر السابق ، ص 137 ـ الإستبصار ، ص 198 ـ ابن الخطيب ، المصدر السّابق ، ص 183

(5) ابن عذاري : البيان ، جـ 1 ص 124 ـ ابن خلدون : كتاب العبر ، جـ 6 ص 430 .
ابن خلدون : كتاب العبر ، جـ 6 ص 432 .

(6) الإستبصار ، ص 198

وقد ظلت العلاقات بين قرطبة وبرغواطة ، على هذا النحو ، يشوبها الفتور حتى النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى ، حيث جدد ولاء برغواطة للامويين في الاندلس ، ابومنصور عيسى ابن أبى الانصار ، بارسال سفارة يرأسها أبو صالح زمور بن موسى ، الى خليفة الاندلس الحكم المستنصر ، وذلك في شهر شوال سنة 352 هـ / 963 م (1) .

وخلاصة القول أن أمراء بنى أمية في قرطبة ، قد كوّنوا صداقة متينة ، واكتسبوا ولاء دويلات المغرب المجاورة لاعدائهم ، التقليديين الادارسة العلويين في المغرب الاقصى ، والاغالبة في افريقية ، فمدوا ايديهم الى بنى رستم أصحاب « تاهرت » شرقا ، وبنى صالح بنكور شمالا ، وبرغواطة في تامسنا على ساحل المحيط غربا ، وبنى مدرار في سجلماسة جنوبا ، وكان القصد من هذا التحالف هو تطويق الادارسة العلويين من جميع الجهات ، حتى لا يتسرب نفوذهم الى المناطق الاخرى من بلاد المغرب ، وبالتالى يمنعونهم من التطلع الى أرض الأندلس .

غير أنه يلاحظ في الوقت ذاته ، وعلى الرغم من استمرار الجو المشحون بالكراهية والعداء السياسي والمذهبي ، لفترة طويلة بين عواصم الغرب الإسلامي ؛ الاربعة : القيروان في أفريقية وتاهرت في المغرب الاوسط ، وفاس في المغرب الاقصى ، وقرطبة في الأندلس ، فانه من حسن الطالع لم تتعد هذه الخصومة اكثر من المناورات السياسية والاستفزازات الدبلوماسية ، ولا سيما بين الأغالبة والأدارسة ، وبين الأغالبة والأمويين اصحاب قرطبة ، ولكن على أية حال لم تقدم حكومات هذه الدول ، على انهاك قواها في صراع عقيم فيما بينها ، ولم تتحدث النصوص التاريخية عن وقوع مجابهات عسكرية مباشرة ، أو حروب فعلية ، اذا استثنينا الحروب التي وقعت بين بني رستم والأغالبة (2)

ولكن ينبغي الاشارة هنا ، الى أن الاغالبة لم يتورعوا ، عن تحريض حلفائهم الفرنجة للاستيلاء على الاندلس ـ بسبب موقف الدولة العباسية من بنى أمية ـ أو

(1) البكري : المغرب ص 135 ـ ابن عذاري : البيان ، جـ 1 ص 318 ـ ابن خلدون : المصدر السّابق ، جـ 6 ص 429 .

(2) حلول الصراع السلبي المذهبي راجع مقال :

Chick Backri: Le kharigisme berbère, p. 97.

تعضيد وتدعيم الثوار ضد أمراء قرطبة ، كما حدث مع صاحب أخطرثورة في الأندلس وأطولها مدة ، وهوعمربن حفصون ، اذ لم يتردد الاغالبة في مساعدة عمربن حفصون ، ويؤكد ذلك ابن حيان بقوله : « وتداعى أهل الشراليه ، من أقطار الأندلس ، وطمع في التغلب على جميعها ، وأظهر الميل الى دعوة المسودة من بنى العباس ، والقيام بها ارهانا لبنى مروان كلها ، فذكر عنه مشيخة من أهل كورتي اشبيلية وريّة انه ، كاتب ابن الاغلب أمير أفريقية لبني العباس ، في اعلانه يدعوه ويلاطفه ، بالهدايا ، وابا ابن الاغلب إلا أن أجابه ، وكافأه عن هديته ، وطمع فيه ، وكان جوابه مشهورا عندهم ، فامتد أمل الخبيث عن ذلك واستعجل شره » (1) .

ولكن على أية حال لم يكن ابن حفصون صادقا في ولائه للاغالبة ، والعباسيين انما كان يتخذه مطية لتحقيق اغراض شخصية ، يكايد بها الأمويين في قرطبة متى شاء (2) . ودليل ذلك أنه قام بنفس السلوك مع الادارسة في المغرب الاقصى . فابن حزم يذكر لنا أنه خطب للقاسم بن ابراهيم الادريسي ، صاحب البصرة وجرت بينهما مراسلات ومكاتبات بشأن التآمر ، على العاهل الأندلسي (3) .

ولهذا يحتمل أن يكون للامير محمد بن الرحمن صاحب قرطبة ضلع في ثورة عبد الرزاق المديوني ، التي قامت ضد الأدارسة في فاس (4) . ولماظهر الفواطم في الشمال الإفريقي ، سارع عمر بن حفصون الى مخاطبتهم ، فأرسلوا اليه داعين من أمهر دعاتهم المخلصين ، ليحصنا ابن حفصون على التمسك بولاء الشيعة الفاطميين ، والدعوة لهم في الاندلس ، وقد أقام هذان الداعيان عند ابن حفصون ، وحضرا حروبه ضد أمير قرطبة ، ثم أعادهما الى افريقية ، بعد أن تظاهر بالطاعة والولاء للفواطم ، وارسل معهما الى الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدى ، هدايا سينية (5) . وتطور أمر أبن حفصون في جنوب الاندلس ، واقتطع اقاليم كثيرة من الامارة الأموية وأسس فيها حكما

---

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 93 تحقيق الأب ملشور.

(2) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 9

(3) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص 44 ـ ابن عذاري : البيان ، جـ 1 ص 233 .

(4) Fournel (H) : Les Berbères, étude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes, d'après, T. 2., p. 21.

(5) ابن الخطيب : أعمال الإعلام القسم الثاني ص 37 .

مستقلا عن حكومة قرطبة ، جعل عاصمته حصن « ببشتر » وبخاصة في عهد الامير عبد الله بن محمد (275 ـ 300 / 888 ـ 912 م) ، والـــذي كثرت في أيامه الفتن ، والثورات التي تفرعت وتطورت وتشابكت حتى اصبحت تصعب على الدارس مسلك شعبها ، سواء من حيث المكان أو الزمان أو الموضوع ، فتارة فردية وأخرى جماعية ، اشترك فيها العرب ضد المولدين ، أو المولدون ضد العرب ، أو البربر ضد الولاة ، وتارة يتحالف بعض الثائرين ، وتارة أخرى ينفصم عرى التحالف ، وتطاولت على الأمير ، أيدى المعارضين في مختلف الكور الاندلسية ، حتى تجزأت أمارته الى أقاليم مستقلة . ولم يبق تحت سلطانه ، الا منطقة قرطبة وضواحيها (1) .

والظاهر أن الظروف الصعبة التي مرت ببني أمية ، خلال هذه الفترة ، شلت حركتهم وابعدتهم عن خلفائهم في المغرب ، فلم يستطيعوا تقديم المساعدات الى أصدقائهم الرستميين اصحاب « تاهرت » الذين بدا عرشهم يتهاوى على يد الداعى الشيعي ، والجيش الفاطمي ، الى أن زال نهائيا سنة 296 هـ / 909 م (2) .

كانت لابن حفصون اليد الطولى في هذه الفتن ، اذ أصبح له قوارب وسفن يتصرف فيها في شواطيء الجزيرة الخضراء ، ويستعملها في اغراضه التجارية مع بلاد المغرب وافريقية في الجنوب ، والدول المسيحية في الشمال ، ينقل بها الميرة ومختلف الاعانات والمساعدات الاقتصادية والعسكرية التي كانت تقدم له من قبل خصوم الامويين ، ويشير الى ذلك ابن حيان بقوله : « كان في ساحل (أي ساحل الجزيرة الخضراء) لابن حفصون واصحابه عدة مراكب بحرية يسفر بها لأرض العدوة ، في المير والتجارات ويقضون بها الحاجات فيتسعون بها أعظم التوسعة » (3) .

وقد صادف بخاصة تفكك الوحدة السياسية للإمارة الأموية في الاندلس ، وقيام الدولة الفاطمية في المغرب ، التي كانت تسعى جاهدة ، لمد سلطانها على بلاد الاندلس ، فانتهزت فرصة هذه الاضطرابات ، وحاولت الاستفادة منها .

---

(1) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 31

(2) وحول سقوط دولة الرستميين أنظر :

Nègre André : La fin de l'Etat rustimide, p. 10-22. Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, Vol. VII, Alger, 1969

(3) ابن حيان : المقتبس (مخطوط) ورقة 48

وكان على الأمير عبد الرحمن الثالث ، أن يتخذ سياسة ملائمة في هذه الحالة ، تتسم باللين تارة وبالشدة تارة أخرى ، وقد استهل عمله بانفاذ الكتب والرسائل الى مختلف الكور الاندلسية يدعو فيها العمال ولا سيما الثائرين منهم الى التزام الطاعة والولاء ، ووعدهم بالمال والجاه ، والسلطان ، إذا ما استجابوا له كما هدد في الوقت نفسه كل من لم يستجب لندائه بالحرب وبالتشريد ومصادرة الأموال (1) .

وكان لهذا النداء وقع حسن في نفوس الرعية ، التي سئمت الحياة المليئة بالحروب وبالفوضى ، لذلك أسرع كثير منهم الى الطاعة ، وبعثوا بولائهم لعبد الرحمن الثالث ، وقد اضطر هذا الأمير أن يستنزل أهل العصيان منهم اكثر من عشرين سنة ، حتى أخضعهم جميعا ، وأعاد الوحدة لربوع الاندلس ، واستقام له الأمر فيها (2) .

وبالاضافة الى انشغاله في الداخل باخماد الفتن والثورات ، كان شديد الحذر من الفواطم في المغرب ، .وما يقومون به من توسعات على حساب الأراضي المغربية

وأول خطوة خطاها في هذا الشأن ، هي تطوير الأسطول البحري الأندلسي وجعله قادرا على حماية شواطيء بلده وبخاصة الشواطىء الجنوبية المواجهة للشواطىء المغربية ، والتي اصبحت مهددة بالغزو الفاطمي ، وزاد في توسيع دور الصناعة في مختلف الموانىء الاندلسية الجنوبية ، منها ، والجنوبية الشرقية ، كما قام بتحصين الثغوروالمدن الساحلية ، وشكها بالجنود وشحنها بالمؤن وبالعتاد .

وقد توجه عبد الرحمن الثالث بنفسه ، الى الجزيرة الخضراء في شهر ذى القعدة سنة 301 هـ / 913 م . لاخضاع الثوار ، وتنظيم شؤونها (3) ، ويشير الحميرى في هذا الصدد ، الى أن العاهل الأندلسى ، بنى فيها ـ أي الجزيرة الخضراء ـ دارا لصناعة السفن وأتقن بناءها وعلى سورها ، لأنها كانت أقرب مدن الأندلس مجازا الى العدوة المغربية (4) ، كما قام بتشييد قصر في جزيرة طريف لاتزال آثاره موجودة الى اليوم (5) .

---

(1) أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 180
(2) المقري : نفح الطيب ، جـ 1 ص 331
(3) ابن حيان : المقتبس (مخطوط) ورقة 48
(4) الحميرى : الروض المعطار ص 73 ـ 74
(5) Terrasse (H) : Histoire du Maroc, T. I., p. 156.

ونظرا لاهمية الموقع الاستراتيجى لهذا الثغر وخطورته ، فقد جعله الامويون من اختصاص احد امراء البيت الاموي (1) . وقد خرج عبد الرحمن الثالث متصديا السفن التابعة للثائر ابن حفصون ، فاحتجزها وأحرقها ، وقطع بذلك مرافق البحر على ابن حفصون من حد الجزيرة الخضراء الى حد تدمير ، ومنذ ذلك الوقت لم تجر لابن حفصون سفينة ، وفي هذا الصدد يقول ابن حيان : « فاخرج الناصر لدين الله الحشم في طلبها ، (أي سفن ابن حفصون) وأخذها . وقد كان الفسقة (أي الثوار) لجأو بها في البحر ، فادخل الجند خلفهم ومضوا في أثرها ، وقبضوا عليها ، فعيدت برمتها الى ضفة البحر ، وأحرقت جميعها بين يديه ... فاستدعى – أي عبد الرحمن – جملة من المراكب البحرية من مالقه واشبيلية ، وغيرهما من مدن الطاعة ، وركابها من أولى الاستقامة فاقامها في باب الجزيرة ، وشحنها بصنوف الاسلحة والعدد ، واعد فيها النفط والآت حرب البحر ، وأدخل فيها ركاب من البحريين والنوانية ، وسواس البحر ، وأمرهم بالتجول في السواحل كلها ، من حد الجزيرة الخضراء ، الى حد تدمير ، وقطع مرافق البحر كلها عن ابن حفصون وأصحابه ، والا تجرى في البحر باركة (2) الا لأهل الطاعة فقط ، فملك البحر منذ هذا الوقت » (3) وكان الغرض من هذا الاجراء كله قطع المساعدات التي كانت تقدم لعمر بن حفصون ، سواء من طرف الفواطم في بر العدوة من الجنوب ، أو المسيحيين في الشمال . ولم يكتف عبد الرحمن الثالث بهذا بل مد يده الى « ابن قرهب » حاكم جزيرة صقلية ، الثائر على عبيد الله المهدي ، يمده بالعون ويشجعه ، على محاربه الفاطميين ، وعدم الدخول في طاعتهم ، وتشير بعض المصادر ، الى انه ترددت الكتابة بين عاهل الاندلس وحاكم جزيرة صقلية ، وكان هذا الاخير يطلعه على أحوال الجزيرة ، ملتمسا منه العون والمساعده فأجابه عبد الرحمن ، شاحذا عزيمته ومؤكدا بصيرته ، ولما قام عليه أنصار المهدى في صقلية يريدون خلعه عزم على العبور الى الاندلس ، فاكترى مراكبا وشحن فيها أمواله ومتاعة ، الا أن أهل الجزيرة الموالين للفاطميين ، حالوا دون اقلاعه ، فمسكوه وبعثوا به الى عبيد الله المهدى بافريقية وكان ذلك سنة 302 / 914 م (4) .

(1) احمد مختار العبادى : دراسات ص 72

(2) باركه من الاسبانية Barca بمعنى سفينة .

(3) ابن حيان : المقتبس ورقة 48 ، ابن عذاري : البيان جـ2 ص 166

(4) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقه 52 – ابن عذاري : البيان ، جـ1 ص 174

ولما احتل قائد الفاطميين في المغرب الأوسط «مصالة بن حبوس المكناسي» (1) مدينة «نكور» عبر أبناء سعيد بن صالح، صاحب هذه المدينة الى الاندلس، واستقروا بمدينتي «مالقة» و«بجانة» بالعدوة الاندلسية (2). فرحب بهم أمير الاندلس وغمرهم بعطفه، وصلاته، وخلعه وخيرهم بين المقام «بمالقة»، أو القدوم الى «قرطبة» فاختاروا الأولى لموقعها الجغرافي، القريب من بلدهم، حتى يتسنى لهم العودة اليه حينما تسمح لهم الظروف بذلك (3).

وجاءتهم هذه الفرصة المرتقبة، بعد ستة أشهر فقط، من احتلال مدينتهم (4) عندما عاد «مصالة بن حبوس» القائد الشيعي، الى مقر اعماله في «تاهرت»، وترك على مدينة «نكور» أحد رجاله يدعى «ذلولا» الذي لم يمكث طويلا وتفرق من حوله معظم المشارقة (5)، ولم يبق معه الا القليل منهم، عند ذلك عزم أبناء سعيد على العبور الى بلدهم وتخليصه من «ذلول» وأعوانه، وقد اتفق الاخوة الثلاثة: ادريس، المعتصم، وصالح، على أن يجتازوا البحر في وقت واحد، ومن يصل منهم قبل غيره الى بر العدوة، كانت له الامارة.

ويروي البكري قصة عبورهم بقوله: «وازمعوا ـ أي ابناء سعيد ـ الانصراف الى بلدهم، ثقة بمحبة رعيتهم لهم، وميلهم اليهم، فاتفقوا على ركوب البحر في مراكب مختلفة، فمن وصل منهم قبل صاحبيه فالولاية له ... فركبوا البحر من ذلك الموضع ـ أي مدينة مالقة ـ في ليلة واحدة ووقت واحد، وريح واحدة، فوصل أصغرهم سنا

---

(1) مصالة بن حبوس بن منازل المكناسي من قبيلة مكناسة، أتصل بعبيد الله المهدي، وكان من أعظم قواده وأوليائه، ولاه على مدينة «تاهرت» بالمغرب، وكان مصالة هذا يترأس مكناسة بمشاركة قريبه موسى بن أبي العافية، قبل انضمامه الى الفواطم، في أواخر المائة الثالثة / 9 م فعظم سلطانهما وتغلبا على قبائل البربر، انظر: ابن خلدون: العبر ج 6 ص 265، 266، 273 ويذكر ابن الخطيب انه من قبيلة «كتامة» وبدعوة بمصالة بن حبوس الكتامي. أنظر أعمال الاعلام القسم الثالث، ص 210.

(2) البكري: المغرب، ص 96 ويذكر كل من ابن عذارى وابن الخطيب مدينة «مقالة» فقط أنظر: البيان ج 1 ص 180، واعمال الأعمال، القسم الثالث ص 176.

(3) البكري: المصدر السّابق، ص 96، ابن عذاري المصدر السّابق ج 1 ص 180

(4) البكري: المصدر السابق ص 96 ـ ابن عذاري: المصدر السّابق ص 180، ويذكر ابن الخطيب شهرين فقط انظر المصدر السابق، ص 176.

(5) المقصود بالمشارقة الشيعة نسبة الى الداعي أبي عبيد الله الشيعي الشرقي.

صالح بن سعيد ، الى مرسى نكور في ليلته ، وأصبح له بالمرسى المعروف بوادى البقر بتمسامان .. (1) .

وعندما وصل صالح بن سعيد الى مرسى « نكور » اسرع البربر لنجدته من كل صوب وحدب ، وبايعوه أميرا ولقبوه باليتيم ،لصغر سنه ، وزحفوا معه الى ذلول ، فقتلوه وقتلوا من كان معه من المشارقة (2) . ثم كتب صالح الى الامير الأندلسي عبد الرحمن بن محمد ، يخبره بما تم له من نصر على اعدائه الشيعة فقرأ الخبر على منبر المسجد الجامع بقرطبة ، وأرسلت نسخ منه الى كافة اقاليم الاندلس (3) . ففرح عاهل الاندلس لهذا الانتصار ، وأمر بامداد آل صالح أصحاب نكور بما يحتاجون اليه من أخبية ، وكسى رفيعة وسروج وبنود وطبول وجميع أنواع الأسلحة ، من سيوف ودروع ، وعوضهم بما فقدوه في الحرب (4) ، وهذا دليل على حرص الأمير عبد الرحمن الثالث على مقاومة الانتشار الفاطمي في المغرب ، ومحاولة بسط نفوذه على هذه المنطقة وجذب الامراء المغاربة الى جانبه وكسب صداقتهم وولائهم ، كما عمل اسلافه من قبله ، ليجعل منهم حلفاء ضد اطماع الفاطميين ، الذين يهددون بلاده ، ولاسيما وأنهم حققوا مالم يستطع العباسيون تحقيقه من قبل في الاستيلاء على المغربين الأوسط والاقصى ، وأصبح لا يفصلهم عنهم الا ذلك الممر المائي الضيق ، الذي لا يشكل عائقا في وجه الانتشار العسكري .

وهكذا بدأ الصراع يحتدم بين الفاطميين في المغرب ، والأمويين في الأندلس ، وأخذ عبيد الله المهدي يعمل جادا ، لاحتلال المغربين الأوسط والأقصى ، فوجه عدة حملات بقيادة عامله على مدينة « تاهرت » ، مصالة بن حبوس ، وكانت الحملة الثانية الى المغرب الاقصى ، سنة 308 / 920 م ، فقد استطاع أن يخضع مرة اخرى مدينة « نكور » لسلطان المهدى ، ثم توجه نحو مدينة « فاس » وعزل أميرها الادريسي يحيى بن ادريس ، وأقام مكانه ريحان الكتامي ، وكان سبب عزله كما تذكره النصوص

---

(1) البكري : المصدر السّابق ص 96 ـ 97 .
(2) ابن عذاري : البيان جـ 1 ص 180 .
(3) البكـري : المغـرب ص 97
(4) البكرى : المصدر السابق ، ص 97

التاريخية هو سعاية موسى بن ابى العافية المكناسي ، الى ابن عمه مصالة بن حبوس ضد يحيى هذا ، وظل موسى كذلك حتى أوغر صدره عليه (1) فنفاه بعد أن سلب ماله الى بلاد الريف حيث يوجد ابناء عمومته ، الذين اضطروا أمام الهجمات الفاطمية المتكررة ، الى الانسحاب شمالا نحو منطقة جبال الريف المغربي ، وانشأوا فيها بعض القلاع وتحصنوا بها مثل : قلعة حجر النسر ، وأصيلا ، والبصرة (2) .. أقام يحي بن ادريس عندهم ثم ارتحل الى افريقية وفي طريقه تعرض له موسى بن أبي العافية ، وقبض عليه وسجنه بمدينة « لكاي » (3) عشرين سنة ، ثم اطلق سراحه ، وقيل انه توفي جائعا في المهدية اثناء حصارها ، من قبل يزيدبن مخلد النكارى ، سنة 332هـ / 943 م (4) .

وكانت سجلماسة هي الاخرى ، قد خرجت من يد عبيد الله المهدى . فتقدم اليها مصالة بن حبوس سنة 921/309 م ، ودخلها بعد أن هزم جيشها ، وقتل أميرها أحمد بن مدرار ، وولى عليها أحد افراد البيت الحاكم ، من الموالين للعبيديين وهو المعتز بن محمدبن مدرار ، وانصرف عائدا الى المهدية يخبر مولاه المهدي بما تم له على يده من نصر (5) .

وأخيراً لقي مصالة بن حبوس المكناسي حتفه في معركة عنيفة على يد الزعيم المغراوى الجزائرى محمد بن خزر رئيس قبيلة زناتة بضواحى « تلمسان » ، بعد أن هزم جيشه وعادت فلوله الى مدينة تاهرت سنة 312 هـ / 924 (6) .

البكري : المغرب ، ص126 ، ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص 53 ، السلاوى : الاستقصا ، جا1 ص 80 .

(2) أبن أبي زرع المصدر السابق ، ص 53 ، ابن خلدون : العبر ، ج6 ص 274 السلاوى : المصدر السابق جا1 ص 80 .

(3) البكـــرى : المصدر السابق ، ص 126 ، وفي روض القرطاس ، (ص 53)« الكاى » وعند (ابن الخطيب القسم الثالث ص 213 ، « الكاى » ويطلق عليها (السلاوى جا1 ص 80) «آلكاى» وقد وصفها أحد الرحالة بأنها مدينة أوجبل كثير الخيرات بالقرب من مدينة « فاس » انظر : ابن الخطيب اعمال الاعلام القسم الثالث عليق رقم (1) .

(4) ابن أبي زرع المصدر السابق ، ص 53 ، السلاوي : المصدر السابق جا1 ص 80 : ويذكر البكرى (المغرب ص 126) أن وفاته كانت سنة 334هـ/ 943م .

(5) ابن عذاري : البيان جا1 185 L. Provençal : Op. cit., p. 93.

(6) ابن عذاري : المصدر السابق جا1 ص 189

انحصر الادارسة ـ كما ذكرت سابقا ـ من ابناء محمد في الغرب حول مدينة البصرة ، وفي قلعة حجر النسر ، وهو حصن قام ببنائه ابراهيم بن محمد بن القاسم ، على قمة جبل من جبال الريف سنة 317 هـ / 929 م ،(1) شمال شرق مدينة القصر الكبير الحالية ، واستقر ابناء عمر في بلاد غمارة ، من تيجيساس الى احواز سبتة وطنجة شمالا (2) ، وتمركز العلويون من الفرع السليماني ، في تلمسان وأحوازها . واقتسموا ثغور هذه المنطقة ، فكانت مدينة تلمسان من نصيب ابن ادريس بن محمد بن سليمان ، ومدينة « ارشقون » (3) ، لولد عيسى بن محمد بن سليمان ، ومدينة تنس لابن ابراهيم بن محمد وكانت سائر خواص تلمسان وأعمالها لبني يفرن ومغراوة (4) .

أما محمد بن خزر المغراوي ، زعيم زناتة فقد استولى على كثير من المناطق في المغرب الاوسط ، وبخاصة بعد تغلبه على مصالة بن حبوس قائد المهدىء سنة 312 هـ / 934 م . فاصبح نفوذه يمتد مابين وادى شلف شرقا الى خواص تلمسان وعلى الشريط الساحلي شمالا الى مدينة وهران ، كما استولى على شلف وتنس ووهران ، وولى عليها ابنه الخير بن محمد بن خزر (5).

وأما عن موسى بن أبي العافية المكناسي ، ابن عم « مصالة بن حبوس » ، فقد كان يترأس قبيلة مكناسة بالاشتراك مع « مصالة » منذ أواخر القرن الثالث الهجرى 9 ميلادى ، وكان سلطانه يمتد على المنطقة التي تسكنها قبيلة مكناسة بوادى ملوية من بدايته في شمال سجلماسة الى مصبه في البحر شرق مدينة مليلة . بالاضافة الى نواحى « تازة »« [illegible]سول » ، وجرسيف ومليلة وما يليها من الجبال والتلول (6) ، وكان هذا الزعيم المكناسي يدعو للفاطميين متقيلا الادارسة العلويين ، الذين كانوا بدورهم يدعون للمهدى .

---

(1) البكري : المغرب ص 127

(2) L. Provençal : Op. cit., T. I., p. 95.

(3) مدينة ارشقول تقع على الساحل الجزائري بالقرب من مصب نهر تافنة وتقابلها جزيرة في البحر تسمى أيضا ارشقول وتدعى حاليا رشجون Rachgnon وقد بنى هذه المدينة عيسى بن محمد بن سليمان أنظر :
د . احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 202 .
Fournel : Op. cit., T. 2., p. 9, note (3)

(4) ابن خلدون : العبر جـ7 ص 52

(5) ابن حيان : المقتبس ، ورقه 105 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ7 ص 53 ـ راجع كتاب :
L. Provençal : Histoire, T. 2., p. 94.

(6) ابن خلدون : العبر ، جـ6 ص 265 ـ 274 .

ويبدو أن الفواطم لما لم يتمكنوا من احتلال مصر ، رغم المحاولات العديدة التي قام بها أبو القاسم بن المهدى ، حولوا وجوههم نحو المغرب ، واهتموا به اهتماما بالغا ، والقوا بكل ثقلهم في سبيل ضمه الى ممتلكاتهم ، وبالتالي ينفدون منه الى الاندلس ، وكان عبيد الله يعتبر هذه الحروب والغزوات التي كان يخوضها جيشه جهاداً في سبيل الله ، ودليل ذلك ما قاله المهدي ، عندما أرسل ابنه أبا القاسم على رأس الحملة الكبيرة ، التي قادها الى المغرب سنة 315 هـ / 927 م . «اللهم أنك تعلم اني ما أردت بإخراجه ، الى المغرب الا رضاك ، ونصرة دينك واذلال أعدائك» (1) .

وكان الأمير عبد الرّحمن الثالث ، يترقب بكل اهتمام ، ما يدور من أحداث في المغرب ولا سيما تحركات أعدائه العبيديين في هذه المنطقة ، ولم يبق مكتوف الأيدي حيال هذا التوسع الفاطمي ، فبادر باحتلال ثغر مليلة الحصين ، سنة 314 هـ 928 م (2) . ليعزز انتصارات حليفه محمد بن خزرالله على الجيوش الفاطمية في أقليم الزاب ، وتاهرت وهوعمل بحري يعتبر الأول من نوعه في تاريخ الامارة الأموية في الأندلس ، اذ لم يسبق لأسطول أوجيش أندلسي أن دخل بلاد المغرب غازيا من الشمال ، منذ أن فتحها العرب في نهاية القرن الأول الهجرى / 7 الميلادي ، ومنذ هذا الإنتصار السهل الذي حققه عاهل الأندلس باحتلال ثغر هام على الساحل المغربي ، بدأ يتدخل تدخلا مباشرا ، في العدوة المغربيّة لكسب تأييد أمراء المغرب ورؤساء القبائل وولائهم ، وتحريضهم على الفواطم .

(1) ابن عذاري : البيان ج1 ص 191 وحسن ابراهيم وطه شرف : عبيد الله المهدي أمام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية ، القاهرة 1366هـ / 1947م . راجع ايضا : كتاب مؤلف مجهول (عاش في القرن السادس هـ) : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، ج4 القسم الاول ص 339 / 340 ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود بغداد ، 1972 م .

(2) البكري : المغرب ص 89 ، انفرد البكرى بهذا الخبر دون غيره من المؤرخين .

راجع : L. Provençal : Histoire, T. 2., p. 94, not e (1)

الباب الثاني

سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الخليفتين

عبد الرّحمن الناصر والحكم المستنصر



الفصل الأول
في عصر عبد الرحمن الناصر
(316 هـ ـ 350 / 929 ـ 961 م)

الصراع بين عبد الرّحمن النّاصر والفواطم في بلاد المغرب :

لا غرو أن قيام خلافتين متجاورتين ، تتنازعهما مبادىء مذهبية مختلفة ، كان من شأنه أن يحدث تنافسا بينهما على السلطة وامتداد النفوذ ، ويؤدي بهما حتما في النهاية الى الاصطدام المسلح ، وهذا ما حدث فعلا ، في العقد الأول من القرن الرّابع الهجري / العاشر الميلادي بين الخلافة الفاطميّة الشّيعيّة في المغرب ، والخلافة الأمويّة السنيّة في الأندلس (1) .

فالفواطم منذ تأسيس دولتهم في بلاد المغرب ، أخذوا يفكرون في غزو الأندلس وكان عبيد الله المهدي ، بالإضافة الى ما يقوم به من أعمال حربيّة وتوسّعيّة في افريقيّة والمغرب مشغولا أيضا باعداد الدعاة المهرة ، الذين انتقاهم من بين العلماء ، المخلصين لمبادىء الشيعة ، وارسالهم الى بعض الأقاليم ، في العالم الإسلامي ، لبث دعوة الفواطم ، ونشر مبادئهم ، ولا سيما في أرض الاندلس ، حيث يوجد أعداؤهم التقليديون بنو أميّة ، ليمهدوا الطريق أمام الغزو الفاطمي بالدعاية ، وبث الأفكار الشّيعيّة ، في ربوع الأندلس من جهة ، وبالجاسوسيّة من جهة أخرى ، لمعرفة الأحوال السّياسيّة ، والإقتصاديّة والدّينيّة للبلد المقصود ، والتركيز على مواطن الضعف والقوّة فيه ، وقد كلّف بهذه المهمّة ، مجموعة من الجواسيس والدعاة ، الذين قام الفاطميون بتجنيدهم لحسابهم الخاص . وكان هؤلاء الجواسيس والدعاة

(1) د . احمد مختار العبادى : دراسات ص 65

يخفون أهدافهم الحقيقيّة ، وراء ستار من المصالح المشروعة ، كالتجارة أو العلم أو السّياحة الصّوفيّة (1) .

وقد انتشرت عيون الفواطم ، بشكل ملحوظ في نهاية القرن الثّالث ، وخلال القرن الرابع الهجري ، في جميع الأقطار الإسلاميّة ، والواقع أن الدعوة الإسماعليّة ، ربما كانت خير دعوة . عرفت كيف تستغل سلاح الجاسوسيّة بمهارة وأحكام ، وكان الفاطميون في إفريقية والمغرب ، يجسون النبض ويترقبون الفرصة للهجوم ، أما شرقا نحومصر أو غربا نحو الأندلس (2) .

ومن بين هؤلاء الدعاة والجواسيس ، الذين استخدمتهم الدولة الفاطميّة ، في أغراضها الدعائيّة والتجسّسيّة في الأندلس : **أبو اليسر ابراهيم بن محمّد الشيباني المعروف بالرّياضي** (توفي سنة 298 هـ / 910 م) ، ويبدو أنّه أول جاسوس مشرقي ، دخل ارض الأندلس ، وقد كان شاعرا مفوها ، ومغامرا وأديبا محتالا ، قدم الى الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وقدم له كتابا مفتعلا ، على لسان أهل الشام ، مظهرا فيه الدعوة والولاء لبني أميّة ، لكن عبد الرّحمن الأوسط ، فطن للعبتة بعد أن اطلع على الكتاب المخترق المصنوع (3) . عند ذلك لم يجد «الرّياضي» بدا ، من مغادرة الأندلس ، الى مصر بعد أن انكشف أمره ، وهناك قبض عليه حاكم مصر أحمد بن طولون (254 هـ ـ 868/270 ـ 883) (4) ، بعد أن ثبت أنه يعمل لصالح الفاطميين ولم تذكر المصادر كيف ومتى تخلص من سجنه في مصر فقد ظهر الرّياضي هذا ، في القيروان يشغل منصب الكتابة ، في عهد ابراهيم بن أحمد الثّاني ، وعبد الله بن ابراهيم الثاني ، وزيادة الله الثالث ، اخر أمراء الأغالبة في رقادة . كما تولى أيضا في أيام هذا الأخير ، شؤون بيت الحكمة ، الى جانب وظيفته الرّئيسيّة وهي الكتابة (5) .

---

(1) محمود علي مكي : الشيخ في الأندلس ص 19 ـ د . أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ص 13 .

(2) محمد علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 20

(3) ابن عذاري : البيان ، جا ص 162

(4) اخبار مجموعة ، ص 147

(5) المقرى : نفح الطيب ، ج2 ص 131

ولما استولى الفاطميون على المغرب ، استمر أبو اليسر الرياضي في وظيفته كاتبا لعبيد الله المهدى (297 ـ 322 هـ / 909 ـ 933 م) (1) . ولعلها مكافأة له من الخليفة الفاطمي ، على ماقدمه من خدمات للشيعة ، ويبدو أنه كان مخلصا في تشيعه ودليل ذلك ، ماذكره ابن عذارى من أن أبا عبد الله الشيعي ، فضَّل أن يصطحبه معه ، عندما توجه الى مدينة سجلماسة ، لتخليص سيده عبيد الله المهدى ، من سجن المدراريين (2) .

واذا كان ابو اليسر الرياضي ، لم يوفق كل التوفيق في مهمته السياسية في الأندلس ، فقد نجح الى حد ما ، في نقل بعض الثقافة الادبية الشيعية اليها ، ولا سيما شعر أبي تمام ، ودعبل الخزاعي ، الذي كان يعتبر من أهم السنة الشيعة في المشرق (3) . كما كانت له مؤلفات انتشرت في بلاد الأندلس (4) .

وأما الداعي الثاني فهو **ابوجعفر بن احمد بن هارون البغدادى** (عاصر المهدى وابنه القائم) ، تولى الكتابة لعبيد الله المهدى ، بعد وفاة أبي اليسر سنة 298 هـ / 910 م ، وكان ابن هارون هذا ، قد تردد عدة مرات على الأندلس ، متسترا بستار العلم ، والظاهر أن القصد من هذه الزيارات المتكررة ، التجسس لحساب صاحب المهدية (5) . وفيما يبدو أنه نجح فيما لم ينجح فيه ، أبو اليسر الرياضي من قبله ، فقد أفاد الفواطم بمعلومات ، على جانب كبير من الأهمية ، تتعلق بأوضاع الأندلس السياسية والاجتماعية والدينية .

ونظرا لتجربته الطويلة ، وفراسته في فن التجسس ، فقد أسند اليه عبيد الله المهدى خطة البريد ، بالاضافة الى ما كان يتولاه من الكتابة ، ولم يزل يتولى هذه المناصب الى أن توفي (6) .

---

(1) ابن عذاري : البيان ، جـ1 ص 163

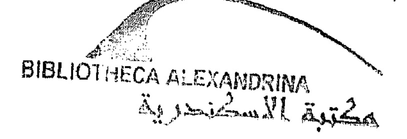
(2) نفس المصدر ، جـ1 ص 152 ـ 153

(3) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 21

(4) ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ1 ص 163 ـ المقرى : نفح الطيب ، جـ4 ص . 130 .

(5) راجع محمود علي مكي : المرجع السابق ، ص 21

(6) ابن عذاري : البيان ، جـ1 ص 169



ويرجع الفضل الى أبي جعفر بن هارون ، في نشر تعاليم الشيعة الفاطميين ، وكذلك افكار المعتزلة في الأندلس ، ويجب أن يلاحظ هنا ما بين الفاطميين والمعتزلة من التقارب الوثيق في أصول تفكيرهم ، إذ أن الإعتزال يُعد خطوة ممهدة للدخول ، في المذهب الاسماعيلى (1) .

وكان الداعى أو الجاسوس الثالث ، هو الرحالة **ابن حوقل النصيبي** (توفي سنة 367 هـ / 1977 م) . فقد دخل هذا الرجل الأندلسي ، تحت ستار التجارة ، إذ تسميه بعض النصوص التاريخية بالتاجر الموصلى (2) .

ولا شك أنه دخل الى هذا البلد ، جاسوسا لمصلحة الفواطم ، حسبما يشير أحد المستشرقين الغربيين (3) . ودليل ذلك اهتمامه الكبير بمسالك الأندلس وطرقها ، واعتناؤه في تقريره ، الموجه الى الفاطميين ، بابراز خيراتها الزراعية والمعدنية ، ووصف عسكرها بقلة الشجاعة ، كما رمى أهلها بالضعف وعدم القدرة على الدفاع عن وطنهم ، والظاهر أن الغرض من هذا الوصف ، هو حفز همم الفواطم وتشجيعهم لغزو الاندلس ، وقد جاء في تقريره مايلى : « ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة ، بقاؤها على من هي في يده ، مع صغر أحلام أهله ، وضعة نفوسهم ، ونقص عقولهم ، وبعدهم من البأس ، والشجاعة ، والفروسية ، والبسالة ، ولقاء الرجال ومراسى الانجاد ، والابطال ، وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفوسها ومقدار جباياتها ، ومواقع نعمها ، ولذاتها ... وليس بجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية ، وقوانينها ، وأن شجعت انفسهم ، ومرنوا بالقتال ، فإن أكثر حروبهم تتصرف على الكيد والحيلة ، ولا رأيت ولا رأى غيرى بها انسانا قط جرى على فرس فاره برذون هجين ، ورجلاه في الركابين ولا يستطيعون ذلك ، ولا بلغنى عن أحد منهم يخوفهم السقوط وبقاء الرجل في الركاب على قولهم ، وهم يفرسون على الاعراء من الخيل .. »(4) .

---

(1) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 22

(2) ياقوت الحميري : معجم البلدان ، جـ 1 ص 348

(3) Dozy: Histoire des musulmans d'Espagne, T. 2., p. 125

ويذكر شكيب أرسلان أنه كان يعمل لصالح العباسيين ، أنظر : الحلل السندسيَّة في الأخبار والآثار الأندلسية ص 43 حاشية رقم (2) ط . بيروت بدون تاريخ .

(4) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 104 ـ 105 ـ 108

ويبدو أن مشروع ابن حوقل وتقريره ، لم يجد العناية الكافية والتأييد المطلق ، من جانب الدولة الفاطمية ، لان نجاح دعاتها ، في جذب الانصار والمؤيدين لها في بلاد الأندلس ، كان محدودا والسبب في ذلك يرجع الى النفوذ القوى الذى يتمتع به الحزب الاموى في هذا البلد .

ولكن على أية حال فقد أستطاع الفاطميون ، أن يضموا الى صفوفهم بعض الشخصيات الأندلسية (1) . وتمكنوا من أخذ ولائهم مثل : الثائر ابن حفصون في جنوب الأندلس ، وقد سبق الكلام عنه ، والقائد علي بن حمدون الجذامي المعروف بابن الأندلسي ، الذي كان أبوه حمدون ـ عميد الأسرة ـ قد قدم من البيرة بالأندلس ، الى منطقة بجاية (بالجزائر) ، وبلاد كتامة (منطقة القبائل الصغرى بالجمهورية الجزائرية) ، حيث انتصر دعاة الشيعة الاسماعيلية ، بجبل ايكجان (بنواحي سطيف) وغيرها (2) ، ولعله كان يعمل في الأندلس ، على نشر دعوة الشيعة ، ولا يستبعد أن تكون له صلة ، بمراكز الاسماعيلية في المشرق ، ومهما يكن من أمر ، فاذا كان دور « حمدون » يتسم بالغموض فإن دور ابنه « علي » ، يبدو واضحا جليا في نشر الدعوة الاسماعيلية ، وتوطيد اركان الدولة الفاطمية ، فقد تزوج من كتامة ، وصحب ابا عبد الله الداعي ، الظاهر بالدعوة فاستهواه وغلب على قلبه ، ودخل في مذهبه ، وكان اسمه « ثعلبة » وابو عبد الله الشيعي ، هو الذي سماه « عليا » فاستمر به (3) .

أما محمد أخوه ، فهو الذي صاحب الداعي الحلواني ، الى بلاد كتامة ، كما أن عليا قد صحب عبيد الله المهدى من سجلماسة الى مدينة رقادة (4) ، وهو الذي ارسله الخليفة الفاطمي عبيد الله ، الى المشرق في بعض المهام ، فاحكم انجازها وعاد الى افريقية ، فازداد بذلك حُظْوة عند عبيد الله المهدي (5) ، وقام بخدمة الدولة الفاطمية

(1) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ص 23 ـ د أحمد مختار العبادي : دراسات ، ص 66 .

(2) Fournel: Les Berbères, étude sur la conquête de l'Afrique par les textes arabes imprimés, T. 2., p. 54.

(3) ابن حيان : المقتبس ، ص 34 تحقيق عبد الرحمن على حجي ، ـ ابن عذاري ، ج2 ص 242 .

(4) د . محمد العيلاوي : بلاط بني حمدون بالمسيلة ص 49 مقال بمجلة الأصالة عدد 24 مايو ابريل قسنطينة 1975 ـ أنظر : مقال الدكتور ابراهيم فخار : بنو برزال في المسيلة ، بمجلة الثقافة الجزائرية عدد 20 الجزائر 1974 .

(5) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 34 .

الناشئة أحسن قيام ، وباخلاص ، الى أن تم على يديه تأسيس مدينة « المسيلة » سنة 313 هـ / 925 م (1) ، بعد أن عهد له أبوالقاسم بن المهدي (322 هـ ـ 334 / 933 ـ 945 م) ، بهذه المهمة ، فقام باختيار موقع هذه المدينة بين سهول الحضنة جنوبا وجبال المعاضيد في الشمال على الطريق الرابط بين افريقية والمغرب ، وسط اراضي بنى برزال ، وبنى كهلان ، على مقربة من هوارة ، في اقليم الزاب بالمغرب الاوسط (2) ، واطلق عليها اسم« المحمدية » نسبة الى محمد ابى القاسم بن عبيد الله ، وهذا يدل على أن اسمه كان محمدا ، وليس عبد الرحمن على خلاف ماهوشائع (3) .

والظاهر أن الغرض من أنشاء هذه المدينة ، وفي هذه المنطقة بالذات هو رغبة الخليفة الفاطمي ، في مراقبة تحركات القبائل البربرية ، التي كثر خروجها على السلطة الفاطمية ، وخاصة منهم : مغراوة ، وبنى يفرن ، وحتى تكون خطا دفاعيا اوليا ، ونقطة الانطلاق ، نحو المغربين الاوسط والأقصى ، يزود منها مؤيديه وانصاره ، بالامدادات السريعة، لمحاربة النفود المتزايد للدولة الاموية في هذه المنطقة ، فكانت كما يلاحظ ابن خلدون : « .. ميرة للعساكر عند محاصرة المنصور بن القائم ، لابى يزيد بن مخلد بجبل كيانة » (4) . وبعد أتمام بناء مدينة المسيلة عقد عبيد الله لعلى بن حمدون عليها ، واضاف له أقليم الزاب ، الذي كان يمتد من الواحات جنوبا ، الى حدود صنهاجة ، بأشير غربا ، والى جبال أوراس شرقا (5) .

نشأ وترعرع كل من جعفر ويحي ، ابنى على بن حمدون ، في بلاط القائم بن عبيد الله المهدى ، مع أولاده ليتحليا بآداب الملوك ، وينشآ نشأة أبناء كبار رجال الدولة وكان صاحب المنصور الأستاذ جوذر ، يسهر على تربيتهما ، مثلما يسهر على تربية أمراء الاسرة الفاطمية الحاكمة .

ولما قامت ثورة ابى يزيد مخلد ـ صاحب الحمار ـ واضطربت الامور في افريقية والمغرب ، كتب الخليفة القائم ، لعلى بن حمدون في المدد ، بالقبائل البربرية المنضوية

---

(1) ابن عذاري : البيان ، جـ 1 ص 268 ضبط صادر بيروت 1950 .

(2) ابن عذاري : البيان ، جـ 1 ص 190

(3) ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرته ، ص 12 نشره وترجمه M. Vonderheyden الجزائر 1927 .

(4) ابن خلدون : العبر ، جـ 4 ص 175

(5) د . محمد العيلاني : بلاط بني حمدون بالمسلة ، ص 49 .

تحت سلطانه فلم يتأخر علي ، وكانت له جولات مشهورة مع أبي‌زيد صمد فيها على وقاوم جيش أبى يزيد بكل بسالة ، حتى كانت نهايته ، في معركة حامية بينه وبين أبى أيوب بن يزيد ، سنة 334 هـ / 945 م ، فتولى أمر مدينة «المسيلة» والزاب من بعده ابنه جعفر ، بالاشتراك مع أخيه يحيى بن علي ، وصارت لهما دولة مزدهرة شبه مستقلة شيدا فيها القصور والمتنزهات ، وقصد بلاطهما العلماء والادباء والشعراء (1) . ومن بين هؤلاء الشعراء ، الشاعر **الايبيري ابن هانىء الأندلسي** (توفي سنة 362 هـ/ 972 م) ، الذي التحق بالمغرب لخدمة المعز لدين الله الفاطمي ، وكان ابوه هانىء ، غريب الاطوار، انتقل من المهدية الى الاندلس ، فعاش بمدينة اشبيلية ، ثم غادرها الى البيرة ــ على مقربة من غرناطة الحالية ، ولا يستبعد أن يكون ، هو الآخر داعيا من دعاة الشيعة ، تعلم أساليب الدعاية ومبادئها بالعاصمة الفاطمية « المهدية » أو بمدينة القيروان .

أما أبنه الشاعر محمد بن هانىء ، فقد طرد من الأندلس ، ربما لمجاهرته بالتشيع في هذا البلد الشديد الكراهية لمبادىء الشيعة ، وعندما عبر الى بلاد المغرب ، اتصل بجعفر بن علي صاحب « المسيلة » ومكث عنده مدة يمدحه ، ثم انتقل بعد ذلك الى المهدية ، حيث أصبح لسان الدولة الفاطمية بالمغرب ، وشاعرها المفوه بدون منازع ، وقد لقى حظوة خاصة عند الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله ، والظاهر أنه كان متشبعا بالمعتقدات الاسماعيلية ، كما تشهد على ذلك قصيدته ، في مدح القائد الفاطمي جوهر الصقلي ، وهي أول قصيدة نظمها على أرض المغرب جاء فيها :

أريك به نهج الخلافة مهيعا يبين وأعلام الخلافة وضعا (2)

وقد اعترف الشاعر محمد بن هانىء نفسه بتشيعه القديم ، الذي سبب له نقمة الامويين وغضبهم عليه ، في قصيدة طويلة مطلعها :

---

(1) د . محمّد العيلاني : المرجع السّابق ، ص 50 وقد بلغ صيت هذه الإمارة حتّى المشرق فمدح الشاعر الحلبي جعفر بقصيدة مطلعها :

جعفــر روحــي لـك الفــدا أبــا أحمــد مـا كـل جعفـر جعفـــر

ما لزاب الا عدن لأنك في الــزاب ومــــاؤه ســـوى الكـوثـــر

د . أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين ، ص 14 .

(2) ابن هانيء الأندلس المغربي : تبيين المعاني في شرح دوان ابن هانيء ، ص 168 وما يليها تحقيق د. زاهي على مطبعة العارف ، 1352 هـ .

وما نقموا الا قديـــم تشيـعـــى فنجـى هزيـرا شـــدة المتدارك (1)

ويعتبر شعره في مدح الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، وثيقة هامة لمبادىء العقيدة الاسماعيلية مثل قوله :

ما شئــت الا مشاءت الاقـــــدار فاحكـــم فأنــت الـواحـد القهار(2)

لم يقف عبد الرحمن الناصر لدين الله مكتوف الأيدي ، حيال هذه المناورات الفاطمية ، وتوسعاتها على حساب أراضي القبائل البربرية ، في المغربين الأوسط والأقصى ، فقد استعمل نفس السلاح ، الذي استعملته الدولة الفاطمية أول الأمر ، وهو النشاط الدعائي والثقافي ، وقد تبين في الفصل السّابق ، كيف كانت الإمارة الأمويّة تعمل منذ بداية عهدها ، على محاربة أي دعوة شيعيّة ، سواء كانت هذه الدعوة في المغرب أو الأندلس ، ولا سيما بعد ظهور دولة الأدارسة العلويين ، سنة 172 788 م ، وقد حرص أسلافه على توطيد علاقاتهم ، مع بعض الدويلات المغربيّة المجاورة للعلويين ، حتى ما كان يخالفها من النّاحية المذهبية مثل : بني رستم ، وبرغواطة وسجلماسة .

وبالإضافة الى العلاقة السياسيّة . كان للأندلسيين نشاط تجاري واسع النطاق في المغرب ، فقد رأينا كيف أسّست الكثير من الجاليات الأندلسيّة ، بعض الثغور أو المحطات التجاريّة على طول السّاحل المغربي ، في أواخر القرن الثّالث الهجري ، التاسع الميلادي ، وأصبح الأندلسيون يتدفقون على هذه المراكز ، للتجارة والإستقرار .

ولا شك أن وجود مثل هذه المجموعات الأندلسية ، على أرض المغرب وافريقية ، تكون قد تركت بصمات فكريّة ومذهبيّة بين سكّانه ، فأهل المغرب والأندلس ؛ يلتقون في حبهم للسنة ومذهب مالك ، وكما أن سكان الأندلس يتعصبون للمذهب المالكي ، فكذلك أهل المغرب ، ودليل ذلك ما رواه المقدسي من أنه ذاكر يوما بعض المغاربة في مسألة فقهيّة ، وذكر قولا للشّافعي ، فقالوا له مخاطبينه : « اسكت من هو الشافعي ؟ انما كان بحرين ، أبو حنيفة لأهل المشرق ، ومالك لأهل المغرب » (3) . وقد يشترك معهم الخوارج ، في خصومة الشّيعة ، اذ هم أعداؤهم منذ خروجهم

---

(1) نفس المصدر ، المقدّمة ص 21

(2) نفس المصدر ، المقدّمة ص 57 ، أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 197 .

(3) المقدسي : أحسن التقاسيم ص 42 عبد العزيز المجذوب : الصراع المذهبي بإفريقية الى الدّولة الزيريّة ، تونس 1975 . ص 89 .

على علي بن أبي طالب ، وهذا ما حدث بالفعل ، فقد انضم صوت الخوارج الى صوت أهل السنّة . لدفع الخطر الفاطمي ومقاومته ، وصادفهم من جرّاء ذلك عناء كبير .

وكان لعبد الرحمان الناصر ، عيون ووسطاء منبثون في جميع أنحاء المغرب ، (1) يوافونه بما يهمه من أخبار الدولة الفاطميّة في المغرب ، وساعدهم في مهمتهم الجاسوسيّة ، وجود الجاليات الأندلسيّة المقيمة ، في كثير من المدن والثغور المغربيّة ، والظاهر أن هؤلاء الأندلسيين ، كانوا حريصين على مصلحة البلد الأم ، التي هاجروا منها ، كما كانوا شديدي التمسّك بالمذهب السني (2) .

وكان الفقهاء السنيون ، أكثر الفقهاء معارضة للفاطميين دائما ، ولا سيما الأندلسيين منهم ، اذ يروي ابن الفرضي ، أن الفقيه القرطبي يحيى بن عمر (ت 289 هـ/ 901 م) (3) ، الذي استوطن مدينة القيروان ، كان شديد التعصب لمذهب أهل السنة ، كارها للبدع حاملا عليها ، وكان يعتز كل الاعتزاز بولائه لبني أميّة (4) ، لذا كان فقهاء السنة ، من الجاليات الأندلسيّة ، أكثر الفقهاء في المغرب عرضه للإضطهاد الفاطمي ، ففي سنة 300 هـ/ 912 م ، قبض على أحد أبناء التجار الأندلسيين ، وهو أبو جعفر بن خيرون .

وكان خيرون هذا من كبار أغنياء القيروان وأثريائها ، اذ هو صاحب المسجد الشّريف ، يملك الفنادق المجاورة لسجن القيروان ، قبض عليه بسعي من القاضي الشّيعي المروذي (5) .

---

(1) ابن سعيد المغربي : المغرب ، جـ1 ص 180

(2) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 30

(3) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، جـ2 ص 181 صححه السيد عزت العطار الحسني القاهرة 1954

(4) المالكي (ابوبكر عبد الله أبي عبد الله) رياض النفوس ، جـ1 ص 398 تحقيق حسين مؤنس القاهرة 1951 بينما كان يجلس في احدى جلساته العلمية ، مع طلابه ، واذا برسالة جاءته من أبي زكريا يحي بن زكريا بن عبد الواحد الأموي ، فوقف عن الدرس وقال : « صاحب هذا الكتاب منّ جده على جدّي ، بالعتق فأنا مواليه » . أنظر رياض النفوس ، ص 398 وما يليها .

(5) ابن عذاري : البيان ، جـ1 ص 169

وفي سنة 309 هـ / 921 م) أمر عبيد الله المهدي ، بقتل الزّاهد محمّد الشذوني ، وسبب ذلك تفصيل هذا الأخير ، لبعض الصحابة على الإمام علي بن أبي طالب (1) ، وكان الصراع المذهبي ، في افريقية والمغرب على أشدّه ، بين أهل السنة والشّيعة ، وبلغ تذمّر المغاربة تذمرا كبيرا ، بسبب احتلال الفاطميين لبلادهم ، وخير دليل على هذا التذمّر ، ما قام به بعض القيروانيين من كتابة بيتين شعريين ، وهما يعبران ، عن مدى السخط الذي انتاب أهل السنّة في افريقية ، ضد الفواطم ومذهبهم ، فقد تلطف هؤلاء القيروانيون الى من وصّل هذين البيتين ، لعبيد الله المهدي وهي تقـول (2) :

الجـور قـد رضيـــــــنا لا الكفـــر و الحمـــاقـــة
يـــا مــــدعـــى الغيــــــوب مـــن كـاتـب البطــاقـــة

وهناك مثال آخر لهذا الصراع المذهبي ، ماأورده المالكي ، في حديثه عن احتلال عبيد الله المهدى لافريقية اذ يقول : « بأن فقيها مالكيا يدعى جبلة ، ترك رباطه بقصر الطوب (3) ، وأقام في مدينة القيروان ، فقيل له : اصلحك الله كنت بقصر الطوب تحرس المسلمين وترابط ، فتركت الرباط والحرس ، ورجعت الى هاهنا . فقال : كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحـر ، فتركناه وأقبلنا نحـرس الـذي قد حـل بساحتنا ، لأنّه أشدّ علينا من الرّوم » (4) .

وقد أصبح الفقهاء يؤلفون الدعامات القويّة ، للحرب ضد الفواطم ، فهم الذين أخذوا يذكّون حماس الجماهير ، في الشوارع والمساجد وقت الصلوات ، وهم الذين حملوا الرايات لقيادة الفرق الثائرة ، مثل ماحدث في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (صاحب الحمار) ، ومن بين هؤلاء الفقهاء ، الذين أشعلوا حمية أهل السنة في افريقية ضدّ الشيعة ، الفقيه أبو الحسن الخلاّف ، الذي قال : «ان قتال الفاطميين أفضل من قتال المشركين» . وانه كان يرى في محاربة الفواطم فرضا وواجبا على كلّ مسلم (5) .

---

(1) نفس المصدر ، جـ 1 ص 187

(2) نفس المصدر ، جـ 1 ص 160ب

(3) يقع قصر الطوب جنوب مدينة سوسة بتونس وقريبا منها . ابن عذاري : البيان جـ1ص 171.

(4) د . أحمد مختار العبادي : دراسات ص 60 ـ 70 أنظر أيضا : Dozy: Supplément, T. I., p. 269.

(5) الدباغ (عبد الرحمن الانصاري) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، جـ 3 ص 34/35 تونس 1902 .

ومنهم : ربيع القطان ،الذى اتخذ عهداعلى نفسه ، بأن لا يشبع من طعام ولا نوم حتي يقطع الله دابر بنى عبيد ، وقال : «كيف لااخرج (أيلمحاربة الفواطم) وقد سمعت الكفربأذني» (1) .

ويتضح مما تقدّم مدى السخط الذي عم الفقهاء ، وسكان افريقية ، وما وصل اليه الإنقسام المذهبي ، الذي أحدثه الإحتلال الفاطمي للشمال الإفريقي ، وبطبيعة الحال ، فإن مثل هذه الأحداث ، تدعم موقف الخليفة السني ، عبد الرّحمن الناصر لدين الله عاهل الأندلس في الغرب الإسلامي ، ومهّدت له الطريق للتدخّل في بلاد المغرب تدخّلا مباشرا . ولهذا لم يتوان هذا الخليفة الأندلسي ، بأن يقوم أول الأمر بإجراءات وقائيّة سريعة ، لمواجهة الفاطميين ، والحد من انتشار نفوذهم .

اعلان نفسه خليفة للمسلمين :

فعندما استتب له الأمر في الأندلس ، وانتهى من اخماد الفتن ، ودانت له جميع أعمال الجزيرة الأندلسيّة بالطاعة ، أقدم على عمل خطير ، لم يتجزّأ على الإقدام عليه أسلافه ، وهو تلقيب نفسه بالخليفة أمير المؤمنين ، النّاصر لدين الله وأرسل بذلك الى كافة أقاليم الدولة ، يأمرهم بالدعاء له ، على المنابر باسم أمير المؤمنين النّاصر لدين اللّه (2) . وعهد الى صاحب الصلاة الفقيه القاضي أحمد بن مخلد

---

(1) الدباغ (المصدرالسابق) جـ 3 ص 37

(2) نص الكتاب الذي تلقب فيه عبد الرّحمن بن محمّد بالقاب الخلافة : «لبسم الله الرّحمن الرّحيم . صلى الله على نبيه محمد الكريم أما بعد فان أحق من استوفي حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله تعالى ما البسه ، فنحن للذي فضلنا الله به . وأظهر اثرتنا فيه ، ورفع سلطاتنا اليه ، ويسر على أيدينا دركه ، وسهل بدولتنا مرامه ، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا ، وأعلى في البلاد من أمرنا ، وأعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحارافهم الينا ، واستبشارهم بما أظلهم من دولتنا ـ انشاء الله ـ فالحمد لله ولى النعم الأنعام ، بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه ، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين ، وخروج الكتب عنّا ، وورودها علينا كذلك ، اذ كل مدعو بهذا الإسم غيرنا ، منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه منه ، وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا ، من ذلك حق لنا ، أضعناه ، واسم ثابت أسقطناه ، فر الخطيب بموضعك ، أن يقول به ، وأجر مخاطبتك لنا عليه ان شاء الله» . أنظر : كتاب ابن حيان المقتبس ورقة 99 ـ الحلل الموشية ص 19 ـ ابن عذاري : البيان جـ 2 ص 198 ـ L. Provençal Y.

Garcia (G): Una Crnica anon ima de Abd al Rahman III Al Nasir, p. 79.

د . عبد العزيزسالم : تاريخ المسلمين في الأندلس ص 319 .

بن يزيد ، بالدعاء له في خطبة الجمعة . في المسجد الجامع بقرطبة مستهل ذي الحجة سنة 316 هـ / 928 م . وقد استمر هذا اللقب في عهده وعهد خلفه من بعده ، حتّى انقرضت دولتهم ، سنة 422 هـ ـ 1031 م (1) .

وكان الدافع الأساسي ، لهذه الخلافة السنيّة الجديدة في الأندلس ، هو تغير الأوضاع السّياسيّة في المشرق ، والغرب الإسلامي ، فقد ضعفت الخلافة العبّاسيّة في بغداد ، واستحوذ على السّلطة في مدينة السّلام ، «الأتراك» دون الخلفاء ، وقد اتّخذ هؤلاء الأتراك ، لأنفسهم الألقاب السلطانيّة .

أما في إفريقية والمغرب ، فقد ظهرت الخلافة الفاطميّة معادية لبني أميّة في الأندلس (2) ، وعلى الصعيد الداخلي ، فقد كان عبد الرّحمن الناصر يرغب في رفع منزلته السّياسيّة والدّينيّة ، أمام رعيته ، بعد أن أطاح بالمعارضة ، وتذهب بعض المصادر الى أنّه استجاب لرغبة الرّعيّة في الاندلس ، والتي نادته بهذا اللقب قبل أن يطلقه على نفسه (3) .

فهذه العوامل كلها اجتمعت لتشجّعه ، على الخروج عن الأصل النظري السني للخلافة ، والقائل بأن الخلافة لا تتجزأ ، لكن عبد الرّحمن ، وضعها موضع الاجتهاد ، وأجاز الفقهاء السنيون بتعدّدها ، ما دام هناك مصلحة عامّة للمسلمين ، واعترفوا بشرعيّة وجود ، أمامين يتوليان حكم المسلمين ، في وقت واحد على شرط ، أن تكون بينهما مسافة كبيرة ، حتى لا يحدث التصادم بينهما .

أما عن نظام الخلافة في الأندلس ، فإنّه يقوم على أساس التوريث ، ويستند الى السياسة أولا ، ثم الدين ثانيا ، وهو نظام يختلف عن النظام ، الذي اتبعه الخلفاء الرّاشدون ، اذكانت خلافة هؤلاء تقوم على الشورى والإنتخاب (4) .

---

(1) ابن حيان : المقتبس رقم 99 ـ ابن عذاري : البيان ، جـ2 ص 198

(2) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 55 ـ ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ 1 ص 198 ـ ابن الخطيب : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص 33 .

(3) مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشيه ، ص 19/18 ـ طبعة تونس سنة 1329 .

(4) د . أحمدمختار العبادي : دراسات ص 62 راجع مقال لنفس المؤلف نظام الخلافة في المغرب الإسلامي في العصور الوسطى فصله من كتاب فلاسفة الإسلام في المغرب العربي ص 152 وما بعدها .

واذا ما قورن بين نظام الخلافة الأمويّة في الأندلس ، وبين خلافة الفواطم في المغرب ، والعباسيين في المشرق ، فإنّه يتبيّن لنا ، أن الأمويين أكثر ديموقراطيّة — ان صح التعبير — من الخلافة العبّاسيّة والفاطمية ، فالأولى كانت تقوم على نظريّة التفويض الإلهي ، ويستطيع الدارس أن يجد هذا في قول أبي جعفر المنصور : «إنما أنا سلطان الله في أرضه» . وهذه النظريّة مستمدّة أصولها من النظريّة الكسروية الفارسيّة في الحكم ، وقد ساد هذا النظام أيضا ، عند ملوك أوروبا في العصور الحديثة (1) .

وكذلك الخليفة الفاطمي ، كان يعتبر نفسه اماما معصوما من الاخطاء ، ولا يسأل عما يقوم بفعله ، لأنه المعلم الأكبر ، الذي ورث العلوم الدينية ، بما فيها أسرار الكون وخفايا الغيب التي انتقلت اليه من النبى ، عن طريق علي بن ابي طالب وابنائه من بعده (2) .

أما الخليفة الأموي فهو انسان عادى قد يخطىء او يصب ، والناس أحرار في نقده ، وأن استطاعوا عزله عزلوه ، ومن امثلة ذلك ، ماجرى بين الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقاضي قرطبة المنذر بن سعيد البلوطى من جفاء ، حينما قام عبد الرحمن ، ببناء مدينة الزهراء ، واسرف في الانفاق عليها الاموال الباهظة وبالغ في تزيينها ، فأخذ القاضي ، يعرض به في خطبة الجمعة في المسجد الجامع وانكر عليه ما بذّره من اموال المسلمين ، في سبيل ذلك ، والخليفة حاضر ، وقد اثار هذا غضبه ، الا انه لم يعاقب القاضي أوخلعه من منصبه ، وإنما الذي فعله هو قوله لابنه الحكم : « لقد تعمدنى منذر بخطبته ، وما عنى بها غيري . وأقسم بأن لا يصلي خلفه أبدا » (3) .

اصطناع الناصر لأمراء المغرب ورؤساء القبائل .

أهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ببلاد المغرب ، وبخاصة بعد أن امتدت يد الفواطم الى المغرب الاقصى ، الذي لا يفصله عن بلاده الا مضيق جبل طارق ، فاتخذ سياسة اصطناع رؤساء القبائل المغربية ، وقد وجد ضالته المنشودة في حلفاء بني

---

(1) د . أحمد مختار العبادى : المراجع السابق ، ص 62

(2) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 182 / 183 .

(3) المقري : نفح الطيب ، ج 2 ص 102 .

أمية القدماء ، وهم الزناتيون ولا سيما مغراوة ، التي اقبلت على الدعوة الاموية السنية اقبالا كبيرا ، وأيدت عبد الرحمن الناصر تأييدا مطلقا ، ولم تتردد في تلبية ندائه عن طيب خاطر. كما حاول أن يكسب بعض امراء الدويلات القائمة في الشمال الافريقي أنذاك مثل : الادارسة ، بفروعهم الثلاثة : بنو محمد ، وبنو عمر ، الذين اتخذوا من قلعة النسر والبصرة وأصيلا مقرا لهم ، وبنو سليمان ، الذين استقروا بتلمسان وسواحلها وأمراء بنى صالح اصحاب نكور ، فارسل اليهم الكتب يدعوهم فيها الى محالفته ، وموالاته مبينا لهم اخطار بنى عبيد ، الذين يريدون اطفاء نور السنة بمبادئهم الاسماعيلية ، ويتظاهر بأنه حامي السنة والدين (1) . وأخذ يحرضهم على الفواطم ، ويبذل لهم الاموال وما يحتاجونه من مؤن وعتاد .

ولم يقتصر عبد الرحمن الناصر ، على محالفة هذه الدول ، بل تعداها الى ماوراءها حيث توجد قبائل البربر ، ولا سيما منها قبيلة زناتة ، التي بادر زعيمها محمد بن خزر الى اجابته ومبايعته ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب مفاخر البربر : « .. وتخطاهم عبد الرحمن الى من سكن خلفهم ، من زعماء قبائل البربر ، يستألفهم ويحمل أهل الطاعة ، على أهل المعصية منهم ، ممدا لمن عجز برجاله ، مقويا لمن ضعف بماله متفقدا بهم في سائر الحالات بالطافه ، متعهدا بوجوه رسله ، وخواصه الى أن تميز أكثر بوادى زناتة في حزبه وارتسموا في طاعته » (2) .

وكان عبد الرحمن الناصر ، قد وجه اليهم سفيره وخاصته ، القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى سنة 316هـ / 928 م (3) ، محملا بالهدايا والألطاف والاموال ، الى رؤساء القبائل البربرية ، وكان محمد بن عبد الله هذا من أصل مغربي (4) ، كما كان دبلوماسيا حكيما ، عرف كيف يستهوى قلوبهم ، ويستميل نفوسهم ، ويحكم المواصلة بينهم ، وبين خليفة الأندلس ، ويقول في ذلك ابن حيان : « ... فلم يلبث

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 103

(2) مؤلف مجهول : كتاب مفاخر البربر ، ص 4

(3) ابن خلدون : كتاب العبر ، جـ 7 ص 53

L. Provençal : Op. cit., T. 2., p. 96, note (1).

(4) القاضي محمد بن عبيد الله بن أبي عيسى من أصل بربري كما يدل عليه اسمه : محمد بن عبد الله بن أبي عيسى كثير بن وسلاس المصمودي أنظر : L. Provençal : Op. cit, T. I. T. 2., p. 96.

أن هويت اليه افئدة كثير منهم ، ومن زعمائهم ، بين مصحح في ولايته ، مستجيب لدعوته ، مغتنم لعطيته ، مستعين بعونه .. » (1) .

وكان من نتائج جولة السفير القرطبي ، في ارض المغرب ، أن اخذت الرسائل والوفود ترد على العاهل الاندلسي ، من رؤساء القبائل المغربية وأمرائه يعبرون فيها عن ولائهم ، ويبعثون له بأخبارهم ، وأخبار الشيعة الفاطميين ، فقد وردت على عبد الرحمن الناصر لدين الله بقرطبة ، رسالة من محمد بن خزر زعيم زناتة وكبير المنحاشين اليه سنة 317 هـ/ 929 م ، ينوه فيها بأعمال ابنه الخير ، وأخويه مسعودوعبد الله أبني الخزر ، ويخبره فيها بما احرزوه من انتصارات باهرة ، على اعدائه أعوان الفواطم ، فقد تم لعبد الله بن خزر ، الاستيلاء على مدينة « المسيلة » ، بعد أن فر منها صاحبها ، علي بن حمدون ، ولجأ الى الجبال المجاورة لها ، واستطاع عبد الله أن يخضع لطاعته ، قبائل تلك الناحية وعلى رأسها بنى برزال ، التي بعثت بولائها وبيعتها للناصر لدين الله ، واخذ عبد الله رهائنها وارسلهم الى أخيه محمد بن خزر ، كما استطاع جيش زناتة ، أن يتحكم في الطريق الواصل بين افريقية والمغرب ، وأن يقطع الامدادات والمؤن ، التي كانت تأتي مدينة « تاهرت » من عبيد الله المهدى ، وخلص له بذلك معظم اقليم الزاب ، ويشير ابن حيان في هذا الصدد بقوله « وانضم اليه من القبائل بالطاعة ، فأخذ دعاتهم واقام جيشه مغاورا لاهل مدينة « تاهرت » ، قاعدة الشيعة وثغرهم ، قاطعا للميرة (عليها) حاجزا بين افريقية وبينهم .. » (2) .

كما وصلت الى قرطبة رسالة أخرى ، من الخير بن محمد بن خزر يطلعه فيها على أحوال أعماله في منطقة وهران ، وكان قد نهض اليهم أبو القاسم بن عبيد الله الشيعي ، الذي استطاع أن يهدم لهم بعض الحصون ، والقلاع بالساحل الوهراني ، وبنى بأحجارها وخشبها ، حصنا منيعا بالقرب من مقرهم ، حتي يأخذ بمخنقهم ، وشحنه بالعدة ، والاقوات والرجال ، وأخذ يغير منه على أملاك زناتة ، لكن الخير لم يتردد في التقدم نحوه ، وأقتحم حصنه ، وقتل معظم من فيه ، وسبى ذراريهم ونساءهم ،

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 105 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 105 ـ ابن عذاري ؛ البيان ، ج 1 ص 194 .

وعاد الى مقره بوهران ، ولم يعد بعد ذلك للعبيديين مكان في الساحل ، ولا منبسط بارض المغرب ماعدا مدينة « تاهرت » (1) .

واتبعها الخير برسالة أخرى ، في نفس السنة أي في سنة 317 هـ / 929 م يخبر الناصر بماجد لديه ، من فتوحات لبعض أراضي القبائل الموالية للعبيديين فقد استولى على مدينتي شلف (2) وسبو ، وتم له ذلك في يسر ودونما عناء ، وقد اسرع سكان هاتين المدينتين بتقديم الطاعة والولاء ، لعبد الرحمن الناصر ، وأقاموا له الدعاء على منابرهم وعاد الى مقره بعد أن أخذ رهائنهم ، وبعث بهم الى أبيه محمد بن خزر (3) .

ثم ورد كتاب آخر الى قرطبة من الزعيم الجزائرى محمد بن خزر مجددا ، للناصر البيعة في آخر سنة 317 هـ ـ 929 م ، وتضمنت هذه الرسالة اعترافه بحق الناصر لدين الله ، واحقيته بالخلافة دون غيره وعلى الرغم من الاغراءات التي كانت تبذل له من قبل الفواطم وبنى العباس ، فقد أتاه كتاب من صاحب مصر « تكين » التركى يغريه بالانضمام الى صفهم ، ولا سيما وأن اخاه المقيم بمصر استدعاه عدة مرات الى التشبث بحبال المسودة من بني العباس ، لكن محمد ابن خزر أبى ذلك بشمم ، وحول وجهه شطر الاندلس ، ولأهمية هذه الرسالة نقتطف منها مايلى على سبيل المثال لا الحصر : والله ياأمير المؤمنين ، ما أعلم على وجه الارض أحدا ، اعرف بما أوجب الله لك مني ، لاني ماقمت بدعوتك الا تقربا الى الله ، تعالى وتوصلا الى قتال كفار المشارقة .. وقد حاولوا أن يبطلوا نور الإسلام كان به أهله ، فاستخرت الله في جهادهم ، وقمت أدعو الى ربي في جوف الليل في التوفيق ، والتسديد ... وفكرت في أمام اعتاق (حله) واكون على بينة من أمرى ، في الدعاء اليه ، وقد تشبث (يقصد أخاه) في حبال المسودة من بنى العباس واستدعاني أخى المقيم عندهم بمصر ، وأتتني كتب « تكين » التركى صاحبهم بمصر في أول الامر ... واستجلابى نحويه ، فعصمنى الله من ذلك باتباع الحق ... حتى علمت بأمر أمير المؤمنين ، انك احق الناس بالخلافة ، انها بيدك ميراث لاينازعك فيها الا من دفع الحق وعصى الله ورسوله ... وأن يصرف الله معشر زناتة بهذه

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 105

(2) مدينة مطلة على فحص وادي شلف بها سوق عامرة تعرف بشلف بنيّ واطيل لزواغة ـ راجع البكري : المغرب ص 69 .

(3) ابن حيان : المصدر السّابق ورقة 105 ، ابن خلدون : كتاب العبر ج 7 ص 53 .

الدعوة ، الحق المنصورة ترفعنا على جميع الناس ، فيكون أولياء وأنصار دولتك فانك يا أمير المؤمنين مولى كل بربرى على الارض . اذ بنى أمية هداهم الله للاسلام وعساكرهم منى .. والاجماع من الناس على انك اولى بالخلافة من كل منتحل اسمها معك كذلك يتمسك كل من تقدم الينا المشرق من نواحي افريقية فكلهم يشكر فعلى بأن الحق معي .. حتى ان صاحب مصر قد رضيه وسره وما ساءه .. » (1) وارفق محمد بن خزر مع هذا الكتاب الطويل ، هدية قيمة كان لها وقع حسن في نفس الخليفة الناصر لدين الله وكانت هذه الهدية عبارة عن عشرة نجب مخصية عجيبة الخلق ، مجهزة بسروجها معلق عليها عشر دراقات من نفائس الدرق ، وعشرين ناقة حامل ، راعيها عبد اسود ماهر يرعى الابل بصيرا بأدواتها ، وثمانية عشر فرسا ، من جياد الخيل العربية ، وقرنها باسدين ضاريين مع سباع اخرى واربع نعامات ، ففرح بها الخليفة فرحا عظيما ، وكافأه عنها مكافأة جزيلة ، وأرسل له هدية مماثلة من الملابس الثمينة والحلى ، والطرائف العجيبة . واختصه الناصر لدين الله ، بمنزلة خاصة فأهدى له ملابس مطرزة عليها اسمه ، وأن دل هذا ، فانما يدل على ارتفاع مكانة هذا الزعيم الجزائرى المغراوى الزناتي عند الخليفة ، وكانت هذه الملابس ، لاتهدى الا للامراء والملوك ، ولم يسبق للناصر لدين الله ، أن اهدى مثلها لغيره من أوليائه ، وقد أرفق مع هذه الهدية كتاب يشكره فيه عما جاء في رسالته الآنفة الذكر (2) .

ولم يقف الخليفة الاموى عند الدعم ، السياسي والمادى لاصدقائه في المغرب ، بل عمد الى جلب فرسان زناتة الى الأندلس ، ليستعين بهم في حروبه ضد المناوئين والخارجين عليه ، وقد تمكن من مقارعة خصومه ، في الداخل بفضل سواعد هؤلاء الفرسان فمتنت بذلك ـ كما لاحظ ابن حيان « أسباب ملكه ، وجل مقداره وبعد صيته » (3) .

وفي سنة 320 هـ / 932 م ، كتب محمد بن خزر الى الناصر لدين الله ، يطلب منه الموافقة على تغيير مكان مقره ، من الداخل الى الساحل ، وقد اختار مكانا استراتيجيا هاما يسمى «سلفا» ـ موضع يقع غرب مدينة «تاهرت» وعزم ان يأخذ معه أهله وأصحابه

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 106 ـ 107

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 108

(3) نفس المصدر ، ورقة 105

وحشمه وعبيده ومواليه وأهل ولايته ، وصنوف الرعية من الخاصة والعامة ، ويؤكد له الطاعة من جديد ، وبين له الهدف من هذا الانتقال حسب ماذكره الزعيم الزناتي للناصر ، هو رغبة في الدنو من الاندلس ليسهل له الاتصال بأمير المؤمنين ، والعبور اليه متى شاء ، وتلقى الامدادات في عجل ، عند الحاجة اليها ، اذ انه سبق وهو في الدواخل فلم يتمكن من استقبال هذه الامدادات ، لان صاحب « تاهرت » تعرض لها واستولى عليها (1) .

وتضمنت رسالة بن خزر ، للناصر لدين الله ، خطة لحصار مدينة « تاهرت » ونظرا لصعوبة تنفيذ هذه الخطة لقلة امكانياته ، فقد طلب من الناصر أن يمده بخبراء مهرة في فن حصار المدن ، من ذوى الخبرة والتجربة في هذا الميدان ، وتزويده بمتخصصين من اصحاب الاسلحة والنشاب وأهل الاقتدار ، على التشييد والبناء ، لذا فانه يلتمس من الخليفة ، أن لا يبخل عليه بما يحتاج اليه ، من عتاد ورجال وقواد ورماة ، حتى يستعين بهم ، مع مالديه من عدة وعدد ، في استئصال شوكة الشيعة من هذه المدينة ، وبالتالي ينفتح الطريق أمامه نحو افريقية قلب الدولة الفاطمية (2).

وحملت نفس الرسالة الى الناصر لدين الله ، خبر لجوء فلفل بن خزر الى عبيد الله المهدى ، ونقض طاعته ، وسبب ذلك حسده لأخيه محمد ، وقد تظاهر أول الامر ، انه يريد الخروج الى المراعى الخصبة يرعى ماشيته ، فابعد بذلك النجعة ، ولم يرابط في السباسب ، بل قصد حواضر الشيعي ، فنزل عنده هو وأبناؤه ، وقليلا من أصحابه الذين تبعوه فتلقاهم عبيد الله بكل ترحيب ، واغدق عليهم العطايا والاموال ، وارتهن عنده ابناءه حتى يؤكد طاعته ، ويحكم صلته وخرج بهم الشيعي الى بعض المغراويين ، المنتجعين لاطراف الزاب ، فهرب منهم الكثير بأموالهم وأولادهم ، ولكن محمد ابن خزر ، تصدى لاصحاب الشيعى ، ونهض اليهم يطوى المراحل ، وأعادهم على اعقابهم خائبين (3) .

وكان عبيد الله الشيعى ، قد أرسل الى محمد بن خزر كتابا ، يدعوه فيه الى موالاته مغتنما فرصة وجود أخيه فلفل عنده يرغبه في طاعته ، مستعملا في ذلك كل وسائل الاغراء

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة . 120

(2) المصدر السابق ورقة 121 .

(3) ابن حيان المصدر السابق ، ورقة 121

والترغيب ، وهو لا يريد منه ذهبا ولا فضة ، وإنما يريد منه افتتاح الخطبة باسمه على منابرهم ، وضرب السكة باسمه ، ويذكره بارسال احد ابنائه أوبعض أخوته ، ليشيع في وسط الناس أن محمدا بن خزر ، قد دخل في طاعته وصار من رجاله ، لكن زعيم زناته لم يحفل ، ولم يكترث بكتابه ، بل اجابه بانه على عهده للناصر الدين الله (1) .

أما الأدارسة العلويون ، فقد تأخروا عن غيرهم ، من أمراء المغرب في تحقيق الطاعة لبنى أمية في الأندلس ، وربما يرجع السبب في ذلك ، الى الاحقاد القديمة ، بين البيت الهاشمي ، والبيت الأموى ، رغم كونهم يقطنون منطقة تعتبر من اقـــرب مناطق المغرب الى الساحل الأندلسي ، اذ كانوا يسكنون بعض القلاع في جبال الريف شمال المغرب الاقصى . وكانت تخضع لنفوذهم ، بعض الثغور البحرية مثل : طنجة وسبتة . وكان هؤلاء الادارسة من بنى محمد ، وبنى عمر يؤدون الطاعة لعبيد الله الفاطمي ، منذ حملاته الأولى للمغرب الاقصى ، ويذكر ابن حيان ان سبب ذلك هو : نصرة العصبية واغماضا على الدنية وابعاداً للأوية وانحرافا لموادة بني أمية للأحقاد القديمة » (2).

ولكن ابن عمهم ادريس بن ابراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان ، صاحب مدينة « ارشقول » في ذلك الوقت ناقض سلوك بقية العلويين ، مع بنى أمية في الاندلس ، وابتدأ بمكاتبة الناصر لدين الله سنة 928/316 م (3) ، يخطب وده ، ويتوخى رضاه ، منحرفا بذلك عن طاعة عبيد الله المهدى ، وأوفد ادريس الى قرطبة وفدا يحمل معه هدية جميلة ، للخليفة الناصر فيها كثير من الابل ، والخيل ، وبعض الحيوانات الافريقية ففرح بها الناصر ، وتقبلها واكرم الوفد ، ثم ضاعف مكافأته (4) .

ولما سمع بنوعم ادريس بن ابراهيم بولائه لبنى أمية في الأندلس ، تعرض منهم الى هجوم عنيف ، فقد ثاروا عليه ، وقاطعوه ، ونبذوه ، واخفروه من ذمته فكتب ادريس ابن ابراهيم سنة 317 هـ / 929 م ، الى الحاجب موسى بن محمد بن حدير ، يشتكي مما اصابه من ابناء عمومته بقوله : « ... فلما ان نجاني الله من صلابته ، وعصمني

---

(1) ابن حيان ، ورقة 122 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقه 106

(3)نفس المصدر ، ورقه 106 ابن خلدون : كزاب العبر ، جـ 7 ص 53 .

(4) ابن حيان : المصدر السّابق ، ورقة106

بولاية أمير المؤمنين سيدي ، وحباني لمحبته ، سمع بذلك بنو عمي ، وبلغهم ما صنعته ، في ذاته أيده الله ... وتمالأوا علي ، ورموني عن قوس واحد ، وقالوا ليس هذا الرجل منا اذ فارق دعوته الى ضرها ، وخرج على علي بن ابي طالب ، الى غوائها عادى أهل بيته واستحاش عليها بصاحب جزيرة الاندلس ، شأنينا وذلك شيء لم يرض قط أحد من أهل بيته ، ولا فعله جده ولا أبوه فصاروا لي حزنا وأذوني ... وكان الباعث لهم على ذلك ، والمتوكل بتأليبهم على ، محمد بن ادريس وابن أخيه الحسن بن عيسى ، المعروف بابن أبي العيش الادريسيان .. حمية جاهلية وعصبية مردية ... » (1) .

ويتضح من هذا النص ، أن الاحقاد الهاشمية العلوية للأمويين ، لازالت متأصلة في نفوس الادارسة ثم حذا حذوه ادريس بن ابراهيم ابن عمه القاسم بن ابراهيم بن محمد ، أمير مدينة « تنس » في الانحياش الى الناصر لدين الله والاعتصام بولايته ، فخاطبه ولاطفه وكان ذلك سنة 317هـ ثم توالت طاعة العلويين له الواحد تلو الآخر (2) .

الا أنه فيما يبدو أن ولاءهم هذا لم يكن عن اخلاص وصدق للامويين ، لأننا نجدهم تارة ينضوون تحت نفوذ خليفة قرطبة ، وتارة أخرى تحت لواء خليفة المهدية بافريقية ، والظاهر انهم كانوا مضطرين تحت عامل الترغيب والترهيب ، من قبل عبد الرحمن الناصر ، وبعض القبائل البربرية ، التي كانت تشن عليهم الحروب وعلى رأسهم زعيم مكناسة ، موسى بن أبي العافية فقد اذاقهم هذا الزعيم المكناسي المرتين ، اذ ظل يطاردهم ويتعقبهم في كل مكان ، فأخرجهم من مدينة فاس ، واجلاهم عن أصيلا ، وطنجة والبصرة ، حتى انحصروا في قلعة حجر النسر منهزمين ، ثم امتدت يده الى بنى محمد بن سليمان بن عبد الله ، في جراوة وتلمسان وجزيرة ارشقول (3) ، ومدينة نكور حيث استولى عليها ، وقتل اميرها المؤيد بن عبد البديع وسبى أهلها ، وكان ذلك سنة 319هـ/ 931م .

وهكذا أمتد نفوذ موسى بن أبي العافية من تلمسان وسواحلها في المغرب الاوسط الى أقصى الشمال الغربي للمغرب الأقصى ، وجنوبا حتى السوس الاقصى (4)

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 107

(2) نفس المصدر والورقة

(3) ابن عذاري : البيان جـ 1 ص 194

(4) ابن عذاري : المصدر السّابق جـ 1 ص 194 ـ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 55 ـ السلاوي : الاستقصا جـ 1 ص 81 .

وفيما يبدوان هذه التوسعات ، التي كان يقوم بها موسى بن أبي العافية ، على حساب الادارسة كانت تلقى تأييدا من عبد الرحمن الناصر ، وبتشجيع منه (1) ويذكر ابن حيان ، أن موسى بن أبي العافية ، خاطب الناصر لديـــن الله وهـــاداه سنة 317 هـ/ 929 م ، فسجل له هذا الأخير ، على أعماله وثبته عليها (2) . بل كان يقدم له الامدادات اللازمة لذلك ، فابن عذارى يروي ، أن « مركبا نزل من الأندلس بمرسى جراوة لموسى بن أبي العافية ، فهبط اليه الحسن بن أبي العيش ، وأخذ ماكان فيه ، فكاتبه موسى ، وكاتب قاضيه ، ووجوه أهل موضعه ، وكلموه في ذلك ، فلم يصرف اليه متاعه ، فزحف اليه موسى بجيشه ، والتقى بابن أبي العيش ، فلمارأى كثرة جنده ، أرسل اليه يطلب المصالحة ، فصالحه موسى وانصرف بعد أن صرف له ما أخذ من المركب (3) .

ولما دان لموسى بن أبي العافية معظم اجزاء المغرب الأقصى ، (4) كاتب الناصر لدين الله مرة أخرى ، يعلمه بذلك مجددا له البيعة ، ففرح الناصر لدين الله ، بهذا النبأ ، وبعث له بالخلع والاموال ، ليستعين بها في حربه ضد العلويين الادارسة ، ومازال الناصر معه ـ يأتيه من بين يديه ومن خلفه ـ حتى رسخت طاعته وأجابه الى مراده ، كما استمالت اليه ، واستهوته قلوب القبائل المغربية الأخرى ، وقطعوا دعوة الشيعة على منابر اعمالهم (5)

احتلال ثغر سبتة Cebta سنة 319 هـ/ 931 م .

لم يكتف عبد الرحمن الناصر ، عند حد التحريض والنشاط الدعائي ، والتدعيم

---

(1) ابن عذاري : المصدر السابق جـ 1 ص 199

(2) أبن حيان : المقتبس ورقه 105 ـ يذكر هذا المؤرخ أن مواصلة موسى بن ابن العافية للناصر لدين الله كانت سنة 317هـ / 929م ، وهذا يختلف عما أورده البكرى (ص 104) وابن عذاري (جـ1 ص 200) اللذان يؤرخان لهذا الحدث سنة 931/319م ولعل ماذكره أبن حيان هو الأصح اذ ربما يكون موسى ابن أبي العافية ، قد أدى الطاعة للناصر لدين الله سنة 317 هـ ثم أعاد تجديد الطاعة والولاء له مرة أخرى سنة 319 هـ / 931 م بعد غزوه لمدينة سبتة .

(3) ابن عذارى : البيان ، جـ1 ص 201

(4) السلاوى : الاستقصا ، جـ 1 ص 81 ، ابن زرع : روض القرطاس ، ص 055 .

(5) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ1 ص 199 ، ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 55 ، السلاوى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 82 .

السياسي والأقتصادي والعسكري ، للقبائل المغربية ضد العبيديين فحسب ، بل تعدى ذلك الى احتلال بعض الثغور ، الواقعة على الساحل المغربي ، المواجهة للشاطيء الأندلسى الجنوبي ، فبعد الاستيلاء على مدينة مليلة بخمس سنوات فقط ، وجه عبد الرحمن الناصر أسطولا بحريا ، بقيادة أمية بن اسحاق القرشي عامله على الجزيرة الخضراء فدخلها بدون مقاومة ، وتسلم المدينة من صاحبها الرضى بن عصام ، في صدرربيع الاول سنة 319هـ/ 931م (1) .

ومدينة سبتة هذه مغربية بموقعها ، اندلسية بتقاليدها ومواهبها ، وكثيرا ماكان تاريخها الإسلامي يصلها بالشاطىء الأندلسي القريب أكثر مما يصلها بأرض المغرب التي ترتكز عليها .

أما عن موقعها الجغرافي ، فانها تقع على شبه جزيرة تحيط بها المياه من معظم جهاتها عدا جهة واحدة ، ومبانيها تطل على سفح الجبل المرتفع والمسمى حاليا بجبل « آخو » فهي اذن بهذا الموقع الاستراتيجي الهام ، تشرف اشرافا تاما على مضيق جبل طارق ، وعلى الشاطيء الاندلسي الجنوبي القريب وتتحكم فيهما ، وهذا الوضع يكاد يعزلها عما وراءها ، من سكان بلاد المغرب ويمنعها من الاتصال بهم ، الا عن طريق البحرأوعن طريق برى شديد الوعورة من الغرب (2) .

ويذكر ابن حيان أن احتلال مدينة « سبتة » ، جاء نتيجة لرغبة أهلها في طاعة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، بعد أن تألق نجمه واعتلا سلطانه ، حسب تعبير ابن حيان (3) .

أرسلت له حاميتها وفدا من كبار شيوخها ، ليقوم بتقديم الولاء له ويسأله الدخول في طاعته ، وانفاذ عامل من قبله ، يتولى شؤون المدينة ويزودهم بفرقة من الرماة ترابط عندهم ، لتحميهم من الخطر الخارجي ، الذي يهددهم ولا سيما من ناحية الادارسة العلويين (4).

---

(1) ابن حيان المقتبس ، ورقه 115 ، البكري : المغرب ، ص 104 راجع أيضا : L. Provençal: Op. cit, T. 2., p. 96.
راجع لنفس المؤلف : La politica africanade Abd Al Rahman III Al Alus, Vol. XI, fasc. 2, 1946.

(2) ليفي بروفنسال : ادب الأندلس وتاريخها ، ص 107

(3) ابن حيان المصدر السابق ، ورقه 119

(4) نفس المصدر ، ورقه 115

وكان يسكن مدينة «سبتة» قوم من العرب والبربر وجالية كبيرة من الاندلسيين من اهالى «قلسانة» Calsena ، هاجروا اليها واستوطنوها ايام الجدب الذي اجتاح الاندلس ما بين سنتي 131هـ ـ 136هـ / 748 ـ 753م (1) .

وينتسب عرب هذه المدينة الى قبيلة «صدف» (2) اما بربرها فينحدرون من غمارة ، وكانت الرئاسة لهؤلاء البربر ، حيث كان يتولى حكمها ويدير شؤونها بنو عصام ، ويؤدون الطاعة لبني محمد الادارسة ، الى ان افتتحها الناصر لدين الله (3) .

وكان المذهب السائد لديهم ، هو المذهب المالكي ، ودليل ذلك ما ذكره ابن عذارى ، من ان اصحابها كانوا يحكمون برأي فقهاء الاندلس (4) .

وكانت أول خطبة أقيمت في جامع المدينة ، باسم الخليفة الناصر لدين الله ، يوم الجمعة ثلاثة من شهر ربيع الأول ، سنة 319 هـ / 931 م (5) واستقر فيها بعد ذلك سلطان الأمويين ، وصارت من أملاكهم واستعمل عليها الناصر لدين الله ، فرج بن عفير (6) ، وفي ذلك يقول ابن حيان : « فتوطدت فيها دولته واستعمل عليها

---

(1) البكرى : المغرب ، ص 104 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 203

(2) «الصدف» قبيلة من كهلان اليمنية انتشر معظمها في مصر وفي بلاد المغرب حيث توجد ، قرية باسمهم بالقرب من مدينة القيروان ، وهي من بين القبائل العديدة التي انتسب اليها القائد المغربي ، طارق بن زياد ويبدو ان فريقا منها ، انتقل الى مدينة سبتة واستقر فيها ، راجع : د أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس : ص 57 حاشية رقم (4) .

(3) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 115 ، البكرى : المصدر السابق ص 104 ابن عذارى : المصدر السابق جـ 1 ص 103 L. Provençal: Op. cit., T. 2., p. 96.

وحول سنوات المحل راجع ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 37 / 038

(4) ابن عذارى : المصدر السابق جـ 1 ص 203

(5) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 115 ـ ابن عذارى : المصد السابق جـ 1 ص 201 ، جـ 2 ص 204 .

(6) يبدو ان الذي فتح مدينة سبتة ، هو القائد ، أمية بن أسحاق القرشي ، صاحب الجزيرة الخضراء . كما هو مبين في المتن ، وكما ذكره ابن حيان (ورقة 119) وليس القائد فرج بن عفير ، كما جاء في كتاب البكرى (ص 104) وغيره ، والظاهر أن «فرجا» هذا ، تولى الولاية من قبل الناصر ، بعد ان فتحها «أمية بعدة أشهر ، بدلبل ما ذكره ابن عذارى ، من ان دخول فرج بن عفير للمدينة ، كان يوم الجمعة الاول من شهر شعبان ، من السنة المؤرخة اى بعد ثلاثة اشهر من الاستيلاء عليها ، من قبل القائد أمية بن اسحاق القرشي ، انظر : كتاب ابن حيان : المقتبس ورقه 119 ـ البكرى : المغرب ص 104 ـ ابن عذارى : البيان جـ 1 ص 204 .

فرج بن عفير ، واستقضى فيها ، حسن بن فتح واتصلت فيها دعوته فعظمت مملكته ، باختياره البحر بعدوتيه ، وملكة للساحلين بشاطئيه ، وامتداد طاعته في نواحيها ، عند ذلك قوى امر شيعته ، ومواليه بارض المغرب ، وتوالت رسل ملوكهم الى «المائة» وتوافرت هداياه ومعاونيه (1) ... وكان أول من سما الى ذلك من ملوك الأندلس وخلفائها منذ سكنها الاسلام » (2) .

أكرم الناصر لدين الله وفد أهل «سبتة» ، ورفع منزلتهم واغدق عليهم العطايا والالطاف واقر عليهم قاضيهم «حسن بن فتح» . كما جاء في النص ، واعادهم الى بلدهم محملين بالهدايا الثمينة (3) ، وأنفذ الناصر لدين الله في ذات الوقت سفيره القاضي ، محمد بن عبد الله بن ابي عيسى ، رسولا الى المغرب ، يحمل الكتب والوصايا ، الى جميع أهل الطاعة في المغرب ، ويخبرهم بما تم للخليفة الأموي من نصر ، بفتح مدينة سبتة فرضة المجاز ــ المقابلة للجزيرة الخضراء ــ وحثهم على مساعدة أهل المدينة ، اذا ما احتاجوا الى ذلك .

وقد قصد السفير الأندلسي ، في أول الامر شيخ زناتة محمد بن خزر ، ثم منصور بن سنان ، وموسى بن أبي العافية أمير مكناسة ، وزاهة بن سراج صاحب مدينة طنجة ، وصاحب مدينة نكور ، وأخيرا انتهى به المطاف الى رؤساء كل من مصمودة ، وعجكسة ، وكتامة الهبط ، وهوارة وغيرهم من أهل الطاعة (4) ، ثم اتصلت اليهم الرسل وتوالت من قبلهم الوفود ، وانثالت عليهم هدايا الناصر وصلاته (5) .

ولما انتهى خبر احتلال مدينة «سبتة» الى مسامع الادارسة من بني محمد ، نهضوا نحو المدينة وجردوا لها جيوشهم ، يريدون اقتحامها ، لكن حاميتها وجنود الناصر لدين الله المرابطين بها ، قاوموهم بشدة ، واستطاعوا ان يردوهم على اعقابهم مفلولين ، وفشلت بذلك جهود الادارسة ، في اعادة مدينة سبتة الحصينة الى نفوذهم ، وادركوا أنه لاطاقة لهم في استرجاعها ، فبادروا بالكتابة الى الناصر لدين الله ،

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 119

(2) نفس المصدر ورقة 115

(3) نفس المصدر ورقة 115

(4) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 116

(5) نفس المصدر ، ورقة 119

يعتذرون له عما فعلوه ، مظهرين الندم على ذلك ، فقبل الناصر اعتذارهم وأظهر هو الآخر تصديق قولهم ، وحرص على مصالحتهم ومسالمتهم ، وهي سياسة التسامح التي اتبعها عاهل الاندلس مع الرعية ، ورؤساء الاقاليم ، واخرج اليهم سفيره القاضي الدبلوماسي محمداً بن عبد الله ابن ابي عيسى ـ قاضي جيان ـ على عادته ، فاجتمع بهم ، ولاطفهم وسكن نفرتهم وهون من روعهم ، وعقد لهم على ولاياتهم ، واخذ بيعتهم للناصر وعاد الى الاندلس (1) .

اما ابراهيم بن ادريس بن عمر زعيم آل عمر من الاشراف العلويين الادارسة ومن معه من اخوته وبني عمه من ولد عمر ، المنافسين لبني محمد بن ادريس ابناء عمومتهم على السلطان في المغرب الاقصى فقد هبوا جميعا نحو سبتة بعد أن جيشوا الجيوش عسى أن يتم لهم ما لم يستطع ابناء عمهم من بني محمد القيام به وهو استعادة المدينة الى سلطانهم ، ولكن أملهم قد خاب أمام حصانة المدينة ومنعتها فعادوا من حيث أتوا ، ولم يلبث هؤلاء الادارسة أن سلكوا نفس الاسلوب الذي اتخذه ابناء عمومتهم من قبل وهو الاعتذار الى الناصر عما بدر منهم (2) ، واظهروا له الاخلاص وتضمن كتابهم شكوى ببني محمد ، والصقوا بهم تهمة الخروج لمحاربة جنود الخليفة في «سبتة» وقالوا في رسالتهم معتذرين لعبد الرحمن : «... وبنو عمنا محمد المباينون لنا ... اذ هم الجاحدون لنا ... أهل الأنكار ، لدعوته والرفع ببيعته والكراهة لدولته ، زحفوا الى مدينة «سبتة» ـ يقصدون بني محمد ـ .. وكنا معشر ولد عمر على خلاف ذلك من أهل الصفو له أيده الله ، والاعتراف بحقه ، .... نتابذ من نابذه ... ونقوم لقيامه ، ونقعد لقعوده ، ونحارب من حاربه ، ونسالم من سالمه ،ونوالى من والاه ، ونعادي من عاداه ، ونقف عند أمره ونهيه ونحن اعز الله أمير المؤمنين سيدنا مستمعون لما يأتي من رأيه في أمر بني محمد ثم تكون منا السمع والطاعة» (3) . وبعثوا مع هذا الكتاب من انفذ بيعتهم وولاءهم له في شهر رجب من سنة 319هـ/931م . ووقع عن الادارسة ، ابراهيم وعيسى ابنا ادريس ، وابن عمهم يحيى بن الحسن ، وجميع رؤساء غمارة (4) .

---

(1) أبن حيان : المقتبس،ورقة 116

(2) ابن حيان : المقتبس،ورقة 118

(3) ابن حيان : المصدر السابق،ورقة 118

(4) ابن حيان : المصدر السابق،ورقة 119

والظاهر أن الخليفة الناصر لدين الله كان يجاملهم ، ويظهر تصديق قولهم بين الآونة والاخرى بتقبل عذرهم ، ومداهنتهم ، تمشيا مع سياسة اللين التي رسمها لنفسه ، فقد اجابهم عن كتابهم واستطاع بفضل سياسته وحنكته أن يصلح ذات البين ، ما بين ابناء العم وأن يكسب طاعتهم جميعا (1).

وكان بنو محمد قد سبقوهم الى البيعة في شهر جمادي الآخر كما أسلفت عندما جاءهم ثقة الناصر وسفيره ابن ابي عيسى ، فاخذ بيعتهم بدون قيد أو شرط ، على عكس بني عمر الذين اشترطوا عليه أن يتخذ موقفا معاديا من بني محمد خصومهم على السلطة ، ثم يكون بعد ذلك منهم السمع والطاعة .

وقد اعترف بنو محمد للناصر لدين الله اعترافا ضمنيا ، بأنه صاحب الحق الشرعي في الخلافة ووراثة عرش اجداده بني أمية الذين تنازل لهم الحسن عنها . أما هم فلم يدخلوا هذه الارض عن افتتاح فتحوه أو عن ميراث ورثوه ، وانما كانت صدفة صادفت جدهم ادريس الاول اثناء لجوئه الى هذا البلد ، وبعثوا للناصر بكتاب طويل نقتطف منه ما يلي على سبيل المثال : «.. والذى اعترفنا به لك غير متنكر علينا لانا لم ندخل البلد عن افتتاح افتتحناه ، ولا عن ميراث طلبناه مع الذي تقدم من فعل جدنا الحسن بن علي في التسليم لسلفك وما مضت عليه جدودنا من البيعة لاجدادك ... وقد سارعنا الى كل مارآه أمينك (ابن ابي عيسى) من عقد الايمان المؤكدة ، واعطاء العهود المغلظة التي حملناها على أن نوالي من والاك ، ونعادي من عاداك ... وقد أمرنا باقامة الدعوة لك على جميع منابرنا في كل عملنا ..» (2) يتضح من هذا النص أن التنافس بين الأدارسة من الفرعين (بنو عمر وبنو محمد) على السلطة والزعامة كان على أشده . فكان كل فريق منهما يريد أن يكسب رضى الخليفة الناصر لدين الله وتأييده ضد الفريق الآخر .

محاولة الناصر للاستيلاء على جزيرة ارشقول سنة 320هـ / 932م

كما حاول الناصر لدين الله بعد فتح سبتة ان يستولي على جزيرة «ارشقول» التي

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 119

(2) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 117 ، 119

لجأ اليها الحسن بن عيسى بن أبي العيش ، صاحب مدينة جراوة (1) ، خوفا من موسى بن أبي العافية الذي استولى على ما كان بيده من اعمال عندما تغلب عليه ، وكان الحسن هذا قد أظهر العصيان ، وخالف حلفاء الناصر لدين الله ، وحارب موسى بن أبي العافية ، الا أن موسى تغلب عليه واضطره الى الفرار فاستقر في جزيرة «ارشقول» المنيعة وقد حاول موسى اقتحام هذه الجزيرة لكنه لم يستطع لحصانتها ، فكتب الى الناصر لدين الله يلتمس منه المدد والمساعدة العسكرية ليتمكن من غزو الجزيرة وطرد الادارسة منها ، فلم يتأخر الناصر لدين الله بتقديم العون له وأمر باخراج اسطوله اليها مجهزا تجهيزا كاملا ، بالجنود والمعدات ، فاقلع موسى من الجزيرة الخضراء يوم السبت 30 من جمادي الأول سنة 320 ﻫ / 932م في مائة وعشرين قطعة حربية (2) على متنها نحو سبعة آلاف جندي بحري منهم خمسة آلاف بحار ، ونحو الف من الحشم يتقدمهم تسعة من المتطوعين من وجوه أهل بجانة والمرية في مراكبهم وأهم هؤلاء المتطوعة : محمد بن رماحس وقاسم بن عبد الرحمن ومحمد بن سهل أخو هارون بن سهل (3) ، وتولى قيادة الأسطول قائدان من قبل الخليفة هما : احمد بن محمد بن الياس ، وسعد بن يونس بن سعد وأن دل هذا العدد الضخم من السفن والمقاتلين المشتركين في هذه الحملة على شيء ، فانما يدل على مدى أهمية هذه الجزيرة الجزائرية وحصانتها . وكونها مفتاح المغرب الأوسط .

حاصر الأسطول الأندلسي الجزيرة مدة طويلة ، حتى كاد أهلها أن يموتوا عطشا ، لنفاذ المياه من جبابهم بسبب طول الحصار ، ولولا أن تداركهم الله بغيث وابل ملأجبابهم وأروى ضمأهم ، لكادوا أن يهلكوا جميعا ، عندئذ لم يجد القائدان بدا من العودة الى «المرية» هروبا من هجوم فصل الشتاء عليهم ، دون ان يتما فتح الجزيرة (4) .

---

(1) انظر ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 125 ، البكرى : المصد السابق ص 78 .

(2) ابن حيان المصدر السابق ، ورقه 125 ، قارن بما ذكره البكرى (المغرب ص 78) من أن عدد قطع الاسطول الذي حاصر جزيرة ارشقول بلغ خمسة عشر مركبا حربيا فقط .

(3) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 125 . اشتراك مثل هذه المجموعة البحرية المتطوعة تدل على أن بعض الأفراد الأندلسيين يزالوا يملكون بعض السفن البحرية لحسابهم الخاص كما كان الحال في عهد الإمارة .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 125 ، البكرى : المصدر السابق ص 78 ، ابن عذارى : البيان جـ 1 ص 205 .

والجدير بالملاحظة هنا هو أنه على الرغم من فشل الاسطول الاندلسي من احتلال جزيرة ارشقول في هذه المرة فانه استطاع الاستيلاء عليها سنة 325هـ / 937م (1) .

الاستيلاء على مدينة أصيلا سنة 322هـ / (934م)

وكان من الطبيعي أن يقدم الناصر لدين الله بتوسيع دائرة نفوذه في بلاد المغرب وان يضع قبضته على معظم الثغور الساحلية المغربية . فعندما نكث أهل مدينة اصيلا سنة 322هـ / 937م ، وخلعوا طاعة بني أمية ، وكانوا قد بعثوا بولائهم للناصر لدين الله بعد فتحه لمدينة سبتة سنة 319هـ / 931م فاغزى الناصر اليهم اسطوله بقيادة عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة فدخل المدينة ، وسكن أهلها واخذ رهائنهم توثقة للطاعة ، واستعمل عليهم احد الموالين لبني أمية من وجوه بربرها ، هو ابراهيم بن العلا ، وترك معه فرقة من الحشم والرماة لتعزيز حامية المدينة والدفاع عنها ، وعاد الى مدينة المرية في شهر شوال من نفس السنة (2) .

الاستيلاء على مدينة طنجة سنة 323هـ (935م)

وكان من الطبيعي أيضا أن يمتد بصر الخليفة الناصر لدين الله الى الركن الاقصى لشمال المغرب حيث توجد مدينة طنجة الهامة ، وقد عرفنا فيما سبق كيف اسرع سكان هذه المدينة لبيعة العاهل الأندلسي والدخول في طاعته حينما استولى اسطوله على مدينة سبتة ، ولهذا لم يقدم الناصر على احتلالها عسكريا خلال هذه المدة (3) .

ولما جاءته الأنباء بانتفاضهم للطاعة . أمر قائده عبد الملك بن سعيد ابن أبي حمامة ــ الذي كان يقوم بمهمة جهادية في شواطىء «برشلونة» ــ أن يتوجه بأسطوله نحو سبتة ، وذلك في شهر رمضان سنة 323هـ / 935م فاحتل عبد الملك مرسى «واسط» التي تقع بين مدينتي سبتة وطنجة ، وأقام القائد الاندلسي بقية السنة مترددا بين الثغور

---

(1) نفس المصدر ، ورقة 153 ، ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 277 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 137

(3) نفس المصدر ، ورقة 119

الساحلية للمغربين الأقصى والأوسط يؤدب المتنفضين ويخضع الثائرين الى أن أقبل فصل الشتاء فعاد الى الاندلس بأسطوله في شهر صفر سنة 324هـ / 936م ، بعد أن اخضع أهل طنجة (1) .

وهكذا استطاع الناصر لدين الله ان يستولى على معظم الثغور البحرية المغربية مثل : مليلة وسبتة واصيلا وطنجة وجزيرة ارشقول ، وأصبح بذلك يتحكم في غرب البحر الابيض المتوسط «فاشتد سلطانه وصار المجاز في يده» (2) وبعد ذلك أخذ الخليفة الناصر لدين الله يتدخل في شؤون المغرب تدخلا مباشرا لاثارة المغاربة ضد النفوذ الفاطمي (3) .

وبعد أن استتب للناصر لدين الله الامر في ربوع الاندلس ، وسادها الهدوء والاستقرار ، عزم ان يصرف انظار رعيته عن الفتن والقلاقل والتفكير في الثورة والخروج عليه ، فاقدم على مشروع خطير ، هو توحيد العالم الاسلامي تحت لواء الخلافة الاموية بقرطبة بعد ازالة الخلافة الفاطمية وقطع دابرها من افريقية والمغرب ، والاطاحة بخلافة بني العباس في بلاد المشرق ، ومن المعروف أن فكرة توحيد المغرب بالمشرق قد راودت الخلفاء العباسيين الاوائل كما صارت تراود الفاطميين كذلك ، فلا أقل من أن يفكر في تحقيقها خليفة الأندلس ، خصوصا بعد أن توفر لديه الكثير من النفوذ والسلطان في بلاد العدوتين .

وكان عبد الرحمن الناصر يهتم كثيرا بالجنود المغاربة ويعقد عليهم آمالا عريضة في تنفيذ هذا المشروع الاندلسي الكبير ، وتشير بعض النصوص التاريخية (4) الى ان خليفة قرطبة كان لايخلي رسالة من رسائله الموجهه الى زعماء المغرب دون أن يحثهم فيها على مؤازرته لتحقيق هذا المشروع وراح يغدق عليهم الهدايا والالطاف والخلع ، وبذل في هذا السبيل أموالا طائلة ، فبعث الى عميد الموالين له في بر العدوة وهو محمد بن خزر يأمره بالاستعداد والتعبئة واستنفار القبائل ، لهذا الشأن وانتظار اليوم المناسب ،

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 145

(2) المقرى : ازهار الرياض في أخبار عياض ، ج 2 ص 257 تحقيق مصطفى السقا ومجموعة من الاساتذة القاهرة 1939 .

(3) د . أحمد مختار العبادى : دراسات ص 74

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 323

الذي يحدده لهم الخليفة للنهوض نحو المشرق ، كما أمر عماله في الاندلس بالتأهب وأعداد الرجال والاجناد ، وانتقاء الرماة ، ومضاعفة عدتهم وعددهم ، وأمر أيضا بتجديد آلات الحرب ، وصنوف الأسلحة ، وأخذ يكثر من جمع المراكب وتطويرها والتوسع في عددها وجعلها فرقتين الأول تتجه نحو سبتة لشحن الجنود المتطوعة ، والاخرى الى منطقة وهران (1) . وكان يريد ايضا بالاضافة الى احياء ملك اجداده في المشرق تخليص الحجر الأسود من عبث القرامطة الذين استباحوا حرمات البيت (2) ، وفي ذلك يقول ابن حيان : «... لما تفرغ باله ـ اى عبد الرحمن الناصر ـ وتقضت بالاندلس اشغاله ، واكتملت له في اعدائه آماله ، ولم يبق عليه فيها بقية يعانيها ، ولاجال يستعمل رجاله فيها ، حرف عزيمته وأمال همته الى ما بين يديه ، من اسباب المشرق ، وطلب ما لم يزل لاوله حقا وله ميراثا ... وحماية بيت الله الحرام المنتكثة حرمته المعظمة المسلوب ركنه المغلوب أهله ، وقد أمر أمير المؤمنين بالتأهب والاستعداد بالرجال ، والاخبار بتجنيد الأباة ، وانتقاء الرماة ، وتضعيف العدد وتكثير العدة ، وتجديد الالات وتكميل الادوات ، والحشود بالجنود لميقات معلوم ، وأن يستكثر من جمع المراكب ، الى ما قد قام منها ، وبتوسيع عددها بتجميل الاساطيل المؤيدة ... والسير طائفة منها نحو سبتة وأخرى الى جهة وهران ... فاستعد ـ يقصد محمد بن خزر ـ وتأهب لتكون صدر القواد كما أنت صدر أولي الوداد...» (3) .

ولم يلبث الناصر لدين الله ان بعث برسالة مماثلة الى شيخ مكناسة موسى ابن أبي العافية يخبره فيها بما ينوي القيام به ، ويطلعه عما تم له من اعداد الجنود

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 122 ـ معلومات انفرد بها ابن حيان ولم يتطرق اليها غيره من مؤرخي المغرب والاندلس .

(2) يقصد بذلك اقتلاع الحجر الأسود من مكانه في مكة بيد سليمان بن الحسن القرمطي سنة 317 هـ وبأمر من جعفر بن أبي علاج القرمطي في عهد المقتدر العباسي ، ولما مات جعفر ، رد اخوته الحجر الأسود الى موضعه سنة 339 هـ/950 م ـ أنظر ابن عذارى ج 1 ص 220 ويقول ابن حيان في هذا الصدد (ور ة 124) «في طلبه (اي الناصر) للملك المشرق ، واشفاقه بما انتهك من حمة الذين بما فعله القرمطي .. وذلك مما شد أمير المؤمنين عزما وشغل قلبه غيظا وغما ... وهتك البيت الحرام واستلب ما فيه . وحدث فيه ما لم يحدث في الاولين ولايزال في الآخرين» .

(3) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 122 / 123 .

والاساطيل ، ويأمره هو الآخر باستنفار القبائل وتعبئة الجيوش لذات الغرض ، ووعده بالمكافأة والالطاف ورفعة المنزلة (1) .

ولكن هذه الفكرة ظلت حبيسة المخيلة لم تتعداها ، اذ لم تنزل حيز التطبيق ، وثبت أنه يستحيل تنفيذها ، نظرا لبعد الشقة بين الاندلس والمشرق ، وعدم توفر الامكانيات اللازمة لهذا المشروع الضخم ، والخطير في نفس الوقت .

وقد صادف هذه السنة اى سنة 320هـ / 932م ان وقع خلاف بين الزعيمين المغربيين محمد بن خزر ، وموسى بن أبي العافية ، أسفر عن نشوب حرب طاحنة بينهما ، هزم خلالها محمد بن خزر ، وكان سبب هذا الخلاف كما تذكره المصادر(2) هو تأييد محمد بن خزر لابن أبي العيش، الحسني في حروبه ضد موسى بن أبي العافية ، فخشي الناصر لدين الله من فساد أحدهما على دولته ، ولاسيما وان موسى المكناسي حديث العهد بالطاعة ، فقد كان يلي عبيد الله المهدي ويدين له بالولاء .

فأخرج الناصر لدين الله اليهما سفيره القاضي المغربي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ، فاستطاع ان يزيل الخلاف الذي كان بين الزعيمين المغربين المكناسي والزناتي ، وان يصلح بينهما ، حتى كتب موسى الى الناصر يعتذر عما بدر منه ، ويبرر موقفه في رسالة طويلة ، ارفقها بهدية جميلة تتكون من أثنى عشر فرسا من جياد خيوله ، فكافأه عنها خليفة قرطبة بهدية قيمة (3) .

وفي سنة 321هـ/933م ، سرح الناصر لدين الله القائد ، عبد الملك بن أبي حمامة في قطعة من الاسطول الى مدينة سبتة المغربية ، ثم أردفه بقطعة أخري بقيادة سعيد بن يونس ، وكان هذا القائد قد خرج لقتال الفرنجة في عشرة مراكب وخمسة شواني ، لكن العواصف حالت دون تقدمه نحو بلد الفرنجة ، وعطبت له بعض المراكب ، فاضطران يعود من حيث أتى الى ميناء طرطوشة ، ومنها تحول بأمر الخليفة الى الشاطىء المغربي حيث أرسى في مدينة سبتة ليقوم بتدعيم وحدة عبد الملك بن أبي حمامة

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 124 ـ 125

(2) نفس المصدر ورقة 123 ـ ابن عذاري : البيان ج1 ص 204 ـ 205

(3) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 123

في السواحل المغربية وارهاب أهل العصيان ، وتعزيز صفوف أهل الطاعة وظل القائدان باسطولهما هناك الى أن أقبل فصل الشتاء ، فقفلا عائدين الى مدينة المرية (1) .

وفي نفس السنة ورد على الناصر لدين الله كتاب من ابراهيم بن العلا ، وعلون بن شراق وجماعة من سكان مدينة « أصيلا » يؤكدون له ولاءهم ، ويخبرونه بأن بني محمد الادارسة هجموا عليهم على حين غفلة طامعين في المدينة لكن الله منحهم اكتافهم ، فانصرفوا مهزومين ويرجع الفضل الاول في هذا الانتصار الى المساعدات والامدادات السريعة التي قدمها وليه وصفيه موسى بن أبي العافية ، ثم سألوه انفاذ قوة من الحشم تقيم عندهم ، لتعضيدهم في الدفاع والذود عن المدينة ، فأمر الناصر لدين الله عامله على «سبتة» محمد بن أصبغ أن يمدهم بما يحتاجون اليه (2) .

وعندما استولى موسى بن أبي العافية على ملك الادارسة العلويين في تلمسان ومدينة أرشقول وجراوة ، وفاس ، والبصرة ، وأجبر بعضهم على طاعة بني أمية في الأندلس ، وعلم بذلك عبيد الله المهدي أرسل جيشا من عشرة آلاف مقاتل بقيادة حميد بن يصل المكناسي ، صاحب تاهرت وابن أخي مصالة بن حبوس (3) . وقد انتهت هذه الحرب بفرار موسى واصحابه ، من مدينة فاس ومضوا الى حصن «بعين اسحاق» ببلاد تاسول فتحصنوا به ، وبعث موسى الى الناصر لدين الله يستنجده ، فلم يتأخر هذا الاخير ، وجرد اليه قوة كبيرة ، من الجند بقيادة قاسم بن طملس فنزلت في مدينة سبتة ، ثم كتب الناصر يستنفر القبائل المغربية ضد صاحب الشيعة ، ولم يكتف بهذا بل ارسل مرة أخرى وحدة بحرية قام بتجهيزها على جناح السرعة ، اذ أن الاسطول الاندلسي في هذه الفترة كان يقوم بالجهاد في سواحل الفرنجة .

واستطاع موسى بن أبي العافية ، أن يهزم اعداءه ، بفضل الامدادات السريعة والجهود المكثفة المشتركة المغربية الاندلسية ، فقتل عددا كبيرا وغنم منهم خيولا كثيرة .

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 128

(2) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 129 ، لم يرد هذا الاسم في جملة ولاة الناصر لدين الله على مدينة سبتة في كتاب البيان لابن عذارى (ج 1 ص 304) .

(3) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 56 ــ السلاوي : الاستقصا ص 83 .

وعاد حميد بن يصل الى تاهرت مفلولا ، وكتب موسى الى عاهل الاندلس يخبره بالنصر ويشكره على نجدته (1) .

وفي هذه السنة أي سنة 322هـ / 933م ، وردت على الناصر لدين الله بقرطبة رسالة من صفيه موسى بن أبي العافية يخبره فيها بقدوم ميسور الخصي غلام أبي القاسم بن المهدي ، وبرفقته صاحب تاهرت ابو مالك يغمراسن بن أبي شحمة الكتامي ، فتوغل ميسور وأصحابه في المغرب الأقصى ، وأنزل به دعاة الشيعة وفرقهم في مختلف المناطق ، ودعا بعض القبائل المغربية المحادية لأعمال موسى بن أبي العافية لطاعة المهدي ولكنهم أبوا ذلك ، ولاذوا بالفرار الى أوغارهم ومعاقلهم وتحصنوا بها ، فلما يئس منهم ، كاتب أهل مدينة فاس وأعطاهم العهود الغليظة ، وأكد لهم سلامتهم وأمنهم إن هم نزلوا وانضموا الى صفوفه ، فاغتر به محمد بن ثعلبة صاحب مدينة الاندلسيين (2) ، واحمد ابن بكر أمير عدوة القرويين (3) ، وقدما اليه مع وجوه من رجال العدوتين (المدينتين) ولما صارا بين يديه غدر بهما وأخذهما واستولى على ماكان معهما من خيل واسلحة وغيرها وبعث بهما الى المهدية (4) .

وحينما رأى أهل المدينة ذلك أغلقوا الابواب في وجهه ، وقدموا على انفسهم حسن بن قاسم اللواتي فحاصرها ميسور سبعة أشهر ، ولما طال الحصار صالحه أهلها

---

(1) ابن حيان : المقتبس، ورقة 129 ، 130 ، 131 ، معلومات جديدة لم ترد في كتب مؤرخي المغرب فابن أبي زرع يذكر انه لما انهزم موسى الى حصن «عين اسحاق» تقدم حميد الى فاس بعد فرار مدين بن موسى منها فاستعمل حميد عليها حمدان بن حمدان الهمذاني ، ثم عاد الى افريقية وذلك سنة 321هـ / 933م وحينما هزم موسى وبلغ ذلك بنو ادريس تظاهروا بحجر النسر على ابي القاسم قائد ابن ابي العافية فهزموه وقتلوا عسكره انظر روض القرطاس، ص 56 . السلاوى الاستقصا ص 83 ــ البكرى : المغرب، ص 128 ــ ابن خلدون العبر جـ 6 ص 275 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 137 ، ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 275 ، بينما يذكر ابن أبي زرع (روض القرطاس ، ص 55) . بأن موسى قتل عبيد الله بن ثعلبة بن محارب عامل فاس من قبل المهدي وولى مكانه أخوه محمد بن ثعلبة ، ثم عزله وولى مكانه طوال بن يزيد .

(3) وكان أحمد بن بكر قد ثار في مدينة فاس على عامل الشيعة حامد بن حمدان الهمذاني وقتله وبعث برأسه وولده الى موسى بن أبي العافية الذي بعثه الى الناصر لدين الله بقرطبة مع سعيد بن الزراد انظر : البكرى : المغرب ص 128 ــ ابن عذارى : البيان جـ 1 ص 209 ، بن أبي زرع : روض القرطاس ص 55 ، السلاوى : الاستقصا جـ 1 ص 83 .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 137 ، روض القرطاس ص 55 ، السلاوى : المصدر السابق جـ 1 ص 83 .

على دفع مبلغ من المال قدره ستة آلاف دينار وكتبوا بيعتهم الى أبي القاسم الشيعي ، وطبعوا اسمه على سكتهم ، وخطبوا له على منابرهم ، فخلى سبيلهم واتجه نحو موسى بن أبي العافية بحصن «لكاى» (1) وتمركز بالقرب منه على مسافة ستة أميال . وأقام أربعة أيام يكاتب موسى في الاعتراف بطاعة الفاطميين ، لكن موسى أنف من ذلك ولم يجبه فتقدم ميسور نحوه بجيش كبير ، ودارت بين الفريقين حرب ضروس انتهت بانتصار موسى بن أبي العافية على ميسور الخصي (2) .

وقد اغتنم الادارسة (بنو محمد وبنو عمر) فرصة انشغال موسى في الحرب وساروا الى مدينة أصيلا في محاولة أخرى لاعادتها الى نفوذهم الا أنهم فشلوا هذه المرة أيضا .

وكان موسى قد بعث الى محمد بن حزب الله صاحب سبتة يدعوه الى ارسال جيش ومراكب لمقاتلة هؤلاء الادارسة لكنه تماطل وتعلل بأنهم لايزالون ملتزمين بالطاعة للعاهل الاندلسي فغضب موسى لهذا الجواب ، وكتب الى الناصر يشكو عامله ويؤكد له أثبات مساعدة بني محمد وبني عمر لميسور في حربه ضده ، ويحذره من محمد بن حزب الله وسوء معاملته للمغاربة وفي ذلك يقول : « وان محمد بن حزب الله المخدوع كثير الطمأنينة لم يحسن تحكم معاملة البرابرة ، فيكن من أمير المؤمنين اليه تبصرة والله يكشف له عن الضال وبغيه المكارة » (3) . فأجابه الناصر وطمأنه ونوه بشجاعته واخلاصه وبعث له بهدية قيمة (4) .

وعاود ميسور الفتى خروجه الى المغرب في السنة التالية أي سنة 323هـ / 934م على أثر الثورة التي قام بها أهل «تاهرت» ضد عامل الشيعة ابن أبي شحمة وذلك بعد أن اتفقوا مع أهل السنة من المغراويين على طاعة الناصر ، خرج ميسور في جيش

---

(1) السلاوي : الاستقصا ص 83

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة 138 يتبين من هذا النص ومن نصوص بعده أن ميسور قام بحملتين الى المغرب الأقصى الأولى كانت سنة 322 هـ / 933 م انهزم فيها والثانية كانت سنة 323 هـ / 934 م التي انكشف فيها مو ى نحو الصحراء ، بينما تذكر مصادر المغرب والأندلس الأخرى انه خرج مرة واحدة في هذه الفترة وهي التي انهزم فيها مو ى سنة 323 هـ . أنظر البكري ص 128 ـ روض القرطاس ص 56 ـ السلاوي ج 1 ص 83.

(3) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 138 .

(4) نفس المصدر ، ورقة 138 .

كبير ، ومعه بعض القواد أمثال ابن أبي شحمة المخلوع وصندل الفتى ، لاخماد الثورة ومطاردة الفتيان والقواد ، الذين فروا من افريقية ، ولجؤوا الى موسى بن أبي العافية خائفين على أنفسهم بعد الانقسام الذي دب في الأسرة العبيدية بعد وفاة عميدهم عبيد الله المهدي . وقد قتل أبو القاسم عددا من أخوته (1) ، واضطره هذا الى الخروج من مدينة المهدية الى رقادة بعيدا عن دسائس أخوته ومؤامراتهم واستقر بها مع أهله وحشمه (2) .

وقد لاحظ ذلك ابن أبي العافية في كتابه الموجه للناصر بقوله : «وسقط في أيديهم ، وزاد في خوفهم (أى القواد والفتيان) ما فيه طاغيتهم أبو القاسم مع أخوته بالمهدية من خلاف وتساقط كثير منهم ومن شيعهم علينا ، وهرب طوائف من عسكرهم مستأمنين الينا حتى صارت الطريق سالكة الينا من عندهم، بالهاربين من فتيانهم وأولي البأس منهم» . هذا وقد اجتاز كثير منهم الى بلاد الاندلس (3) ، وبعث موسى ، بتقرير مفصل للعاهل الاندلسي ، عن الأوضاع المضطربة في المهدية، ثم أخذ يسأله الامداد العسكري ، حتى يستطيع أن يمد سلطانه على هذه المنطقة ولاسيما وأن الفواطم في المهدية يتخبطون في أزمة سياسية خطيرة ، اذ كثرت الخلافات بين الأسرة الحاكمة وفي ذلك يقول : «فالأمور هناك مضطربة ... فلو كانت من أمير المؤمنين مبادرة ، الى امدادنا لرجونا الفرصة فيهم ، ورجونا بحول الله انتظام طاعته من أقصى المغرب الى أنأى المشرق (4)» .

والظاهر ان الناصر لدين الله كان يولي لمدينة سبتة عناية خاصة دون غيرها من المدن الساحلية المغربية الاخرى . وهذا ما تبين من خلال رسالة موسى بن أبي العافية الى الخليفة الناصر ، ومرد هذا الاهتام أن الخليفة الأموي كان يعتبرها أهم قاعدة تمكنه من التحكم في ممر مضيق جبل طارق وغرب البحر المتوسط وهي الجديرة بأن تحافظ على استمرار واستقرار نفوذه وسلطانه على أرض المغرب .

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 139 ويذكر انه قتل اخوته جميعا ماعدا واحد منهم قد استطاع الفرار والاحتماء بقبيلة كتامة التي أيدته وبايعته خليفة لينافس أبا القاسم ، كما قام بقتل عدد كبير من كبار رجال الدولة .

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة 147 .

(3) نفس المصدر ورقة 145 .

(4) ابن حيان : المقتبس ورقة 147.

لكن الزعيم المكناسي يخالفه في وجهة نظره ، ويذكره بأنه لاخوف على مدينة «سبتة» ولاداعي للاكثار من تزويدها بالمؤن والجيوش ، اذ أن حامية صغيرة من أهلها تكفي للدفاع عنها . فهي حصينة بطبيعتها ومن يريدها من الأعداء لايستطيع ان يصل اليها لان البحر يحيط بها والوعر يكتنفها من حولها (1) .

وربما يصدق هنا المثل العربي القائل بأن «أهل مكة أدرى بشعابها» فقد أخذ موسى يلح على الناصر لدين الله،بضرورة ضبط مدينة طنجة وتزويدها بالجند والاسلحة وبما تحتاجه من عتاد ومؤن ، فانها ترعى انتباه الادارسة دائما ، ومحط انظارهم ، وهي عرضة لهجماتهم المتكررة والغرض من شكها بالرجال والعتاد هو حمايتها من غارات الادارسة والضغط عليهم بواسطتها حتى لايتطلعوا الى اخوانهم المشارقة ، وبالتالي يضمن استمرار طاعة أهل المغرب للناصر لدين الله (2) .

وفي آخر سنة 323هـ / 934م ، ورد كتاب آخر من موسى الى الناصر لدين الله يخبره بأن ميسور الخصى واصحابه تقدموا نحوه الى حصن «لكاى» يساعدهم في ذلك الادارسة من بني محمد ، وبني عمر ، وقامت بينهم حرب ضارية ، اختلط فيها الحابل بالنابل ، وأخل فيها العاقل أسمه ، وكانت هذه الجولة لصالح موسى بن أبي العافية ، الذي قتل منهم نحو مائتي فارس وغنم منهم خيلا كثيرا (3) .

ولم يلبث أن وصل على أثر كتاب موسى بن أبي العافية كتاب آخر من اسماعيل بن عبد الملك الى الناصر لدين الله يعلمه بما حدث لجيش نصيره موسى وانكشافه الى الصحراء أمام جيش ميسور الخصي ، فقد فر موسى بمن معه متعلقا بفيافي الصحراء حتى لايتمكن منه قائد الشيعة بعد أن هزمه وقتل كثيرا من جنده (4) .

ووصلت سفارة الى قرطبة من أبراهيم بن أبي العيش تحمل اخبار موسى بن أبي العافية ، وما صار عليه من حال بعد هزيمته امام الخصي ميسور ، كما انها جاءت

---

(1) نفس المصدر ورقة 146 .

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة 146

(3) نفس المصدر ورقة 147

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 147 ويضيف ابن خلدون (العبر ج 6 ص 277) انه كانت بينهما حرب الى ان غلبه ميسور وتقبض على ابنه الغورى ، فغربة الى المهدية ، واجلى موسى عن اعمال المغرب الى نواحي ملوية ووطاط وما وراءها من بلاد الصحراء وقفل عائداً الى افريقية .

لتجدد ولاءها للناصر لدين الله ، متبرئا من التهمة التي نسبت اليهم ، وهي المشاركة في الحرب مع الشيعة ضد موسى بن أبي العافية .

وقد جاء في رسالتهم التي سلموها للعاهل الأندلسي ما يلي : «... بلغنا أنه نمي الى سيدي أمير المؤمنين عنا أنا توجهنا الى الفاسق ميسور لايسر الله أمره على أسوأ الوجوه ، ولم يكن ذلك أكرم الله ، سيدنا أمير المؤمنين . يبادرنا الى قائده محمد بن حزب الله ـ صاحب سبتة ـ بالرهائن التي تكون وثيقة على طاعتنا ، واسلمنا اليه مع ذلك رهائن كل من أنضوى الينا من البربر حتى يقتنع بالتوثقة» (1) .

ويبدو انه رغم ما عبر عنه الادارسة في رسالتهم من طاعة للخليفة الاندلسي وولاء له ، فانهم غير صادقين فيما يقولون ، وأنهم غير مخلصين فيما كانوا يظهرون للناصر لدين الله وإنما اتخذوها مطية لكسب رضاه ، وتفادى غضبه حتى لا يثير عليهم القبائل البربرية الموالية له في المغرب والظاهر أن الناصر على بيّنة من ذلك ، وإنما كان يمنحهم الفرص لعلهم يصدقون ، تمشيا مع سياسته ، فعندما قدم ميسور الخصي الى المغرب الأقصى هللوا لقدومه ، وهرعوا لاستقباله ولم يقفوا عند هذا الحد بل اشتركوا معه بكل ما يملكون من قوة ضد موسى بن أبي العافية ، اذ كانت الفرصة مواتية لهم للانتقام من هذا الزعيم المكناسي ، الذي طردهم من جُلّ اعمالهم وحجرهم في الاوعار ، وقد استطاع هؤلاء العلويون ان يستردوا كثيرا من المدائن التي كانت في حوزة موسى بن أبي العافية بعد فراره الى الصحراء أمام الجيش الفاطمي (2) .

لم يتأخر الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله في نصرة موسى بن أبي العافية ونجدته ، فقد أغزى الخليفة اسطولا الى الشواطىء المغربية ، يتكون من أربعين مركبا حربيا ، حمل على متنه ثلاثة آلاف مقاتل منهم خمسمائة من الحشم ، وكان اندفاع هذه السفن الحربية من مدينة سبتة الى مدينة مليلة ونكور وجراوة فتم له السيطرة عليهما ، وظلت هذه السفن تجوب الموانيء المغربية مدة تزيد عن ستة أشهر ، فاعتز بذلك موسى بن أبي العافية ، وأعاد ما كان قد فقده من مدائن واقاليم ،

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 148

(2) السلاوى : الاستقصا ج 1 ص 83 . ويذكر البكرى (المغرب ص 128) وابن عذارى (البيان ج 1 ص 209 انه لما ورد ميسور الى المغرب حاصر موسى بن أبي العافية وتولى معظم تلك الحروب بنو ادريس حتى جلى موسى الى الصحراء ، وصار ما كان بيده الى آل ادريس .

ثم قفل الأسطول بعدها عائدا الى الأندلس سنة 324هـ/ 935م بعد أن أنهى مهمته (1) .

ويروي المؤرخ أبن حيان أنه في هذه السنة أى 324هـ / 935م توالت على قرطبة أربعة كتب من أربعة مواضع تحمل نبأ أربعة فتوح . قرئت كلها في يوم واحد في المسجد الجامع بقرطبة يوم الجمعة (2) .

وفي ذلك اشاد الشاعر ابو عثمان بن أدريس :

فتوح توالت بالسعود الطوالع قلدتها الاسماع من كل سامع
وقائع أدتها صحائف اربع تخبرن عن انباء تلك الوقائع (3)

لم يقتصر التعاون بين المغاربة وعبد الرحمن الناصر على الناحية السياسية والعسكرية فحسب بل شمل أيضا النواحي الاقتصادية والعمرانية ، اذ أنه لما عاد موسى بن أبي العافية الى اعماله من الصحراء سنة 324هـ / 935م بعث الى الناصر يلتمس منه تزويده بالمؤن حتى يستطيع ان يخرج من الظروف القاسية التي حلت به من جراء حملة ميسور الخصي وطلب منه ايضا مساعدته بالمهندسين والبنائين والمساعدين المتخصصين في ميدان العمران ومواد البناء والآلات اللازمة للبناء ، ليعيد اصلاح وبناء ما افسدته الحرب ودمرته المعارك ، كما طلب منه الاسراع بتجريد قوة بحرية الى احدى الموانىء التابعة لاعماله لتشد من ازره ، وحتى يتنسى له استخدامها عند الضرورة (4) .

فأجابه عبد الرحمن الناصر لما طلب وبعث له ما يحتاجه من مواد البناء المختلفة والمهندسين والبنائين وما أشبه ذلك ، فانفذ اليه محمد بن الوليد بن فشقيق رئيس المهندسين الأندلسيين ومعه ثلاثون بناء وعشرة من النجارين وخمسة عشر من الحفارين وستة من الجبارين المهرة في عمل الجبر ، وستة من النشارين لنشر الخشب وحدادين

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 149 . ويذكر ابن خلدون (كتاب العبر ج 6 ص 377) ان موسى بن أبي العافية رجع من الصحراء الى اعماله في المغرب فملكها وولى على عدوة الاندلسيين أبا يوسف بن محارب الازدى وخاطب شيخ مكناسة العاهل الاندلسي في الامداد . فبعث له عددا من اسطوله لتحميه .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 149

(3) نفس المصدر ورقة 150

(4) ابن حيان : المقتبس ورقة 151

وحصارين ، اختارهم من أمهر واحدق الحرفيين الاندلسيين وجهزهم بآلاتهم وأدواتهم (1) .

وكذلك ارسل اليه مؤونة تتكون ، من اصناف مختلفة من الأطعمة والحبوب مثل : القمح ، والشعير ، والفول ، والحمص ، والعسل ، والسمن ، والزيت وما شابه ذلك وانواعا أخرى من الهدايا ، والطرائف اللطيفة وكان ذلك سنة 325هـ / 936م (2) .

ووردت رسالة أخرى الى الناصر لدين الله من شيخ مكناسة يطلعه فيها عما قام به الاسطول الاندلسي في سواحل المغرب ، فقد استطاع هذا الأسطول أن يؤدب أهل العصيان من سكان مدينة نكور ، ثم توجه نحو جزيرة « ارشقون » التي عسر عليهم فتحها في السنوات الماضية لحصانتها ومنعتها ، لكن هذه المرة تمكنت السفن الحربية الاندلسية بمشاركة الجنود المكناسيين تحت قيادة الزعيم موسى بن أبي عافية من اقتحامها والاستيلاء عليها وغلى جميع ما فيها ، وخربوا بنيانها (3) ثم تحولوا الى مدينة جراوة التي لجأ اليها ابن أبي العيش فدارت بينهما معارك عنيفة انهزم خلالها الادريسي وعسكره وفروا متعلقين بالجبال الوعرة وظل الأسطول الاندلسي يجوب البحر وينتقل من ثغر الى آخر على طول سواحل المغربين الأوسط والأقصى حتى ارتجت له ارض العدوة حسب قول ابن حيان (4) .

ويبدو أن الانتصارات التي احرزتها الجيوش المغربية الاندلسية على جنود الشيعة وحلفائهم غيرت من ميزان القوى في المنطقة ، لذلك خلع الادارسة طاعة الفواطم وتسابقوا في تقديم طاعتهم وولائهم لصاحب قرطبة فقد وصل اليه كتاب من ابراهيم بن محمد الحسني رئيس بني محمد يعتذر فيه عما قدمه من مساعدات الى الجيش الفاطمي وبرر تصرفه هذا بأنه وليد الخوف من بطش ميسور وجنوده وحرصا منه على أرواح رعيته وحرمتهم ، كما أبدى رغبته في مصالحة موسى بن أبي العافية فرد عليه الناصر بالقبول والموافقة (5) . اذن وجد الأمويون في الأندلس عونا لهم في المغرب على

---

(1) نفس المصدر والورقة

(2) نفس المصدر ورقة 153

(3) ابن حيان المقتبس ورقة 153 ـ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 277 .

(4) نفس المصدر ، ورقة 161 .

(5) نفس المصدر ورقة 152 .

درىء الاخطار المدلهمه في الفاطمين ، واستفادوا من مساندة قبائل البربر المقيمة في المغربين الأقصى والأوسط ، بفضل موقع مضاربها الجغرافي ولاسيما منها قبيلة مكناسة الضاربة في المغرب الاقصى ومغراوة وبني يفرن من زناتة البترية التي تمتد رقعتها غرب بلاد الجزائر ووسطه ، حيث تشرف على حدود افريقية التابعة للفاطمين .

وقد عززت بلاد المغرب مساعدتها العسكرية بتأييدها السياسي للخلافة الاموية بالاندلس وهو أمر حيوي بالنسبة للخلافة الوليدة ، واضحت هذه القبائل سنداً قوياً للأمويين ، تصد كل الاخطار الداهمة من افريقية ، ولم تقف عند حد الدفاع فقط ، بل أخذت تهدد المهدية عاصمة الفاطميين ، وكفلت بذلك للاندلس الهدوء والرخاء والاستقرار.

وظل عبد الرحمن الناصر لدين الله يتوسم الخبر في هؤلاء المغاربة ، ويتلقى منهم التقارير ، تقريرا تلو آخر دونما انقطاع عن أحوال المنطقة وما يجري بها . وكذلك كانت تأتيه الرسائل من المغرب حاملة له أسمى عبارات الود والتقدير والاخلاص والتعاون ، بالاضافة الى الانباء العامة لهذا البلد ، فقد ورد كتاب من موسى بن أبي العافية يعلمه بما تم بينه وبين محمد بن خزر زعيم زناتة من مصالحة ، فقد أنهيا كل الخلافات المتعلقة بالمنافسة على الأعمال حتى يتفرغا للعدو المشترك ، وهم المشارقة في افريقية وتاهرت . وتدعيما لهذه المصالحة المغراوية المكناسية فقد توجاها بالمصاهرة (1) .

كما تضمنت رسالة موسى هذه أخبار الانشاء العمراني ، الذي بدأه منذ عودته من الصحراء وان البنائين والمهندسين الأندلسيين ومساعديهم على وشك انجاز بعض أعمالهم كما سأله تعويض هذه المجموعة بمجموعة أخرى لان الاولى سئمت طول الغربة والبعد عن أهلهم وأولادهم ووطنهم ، ولم يغفل في رسالته ان يطلب منه مساعدة عسكرية أخرى تشمل مائتي فارس بمعداتهم ليستعين بهم في حربه ضد أعدائه الادارسة العلويين (2) .

وعندما نكبت مكناسة بوفاة زعيمها وشيخها موسى بن أبي العافية في شهر ذي الحجة سنة 326 هـ / 937 م (3) بعث ابنه مدين الى الخليفة عبد الرحمن الناصر

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 162 .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 162

(3) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 165 وقيل انه قتل في بلاد ملوية سنة 341 / 952م ـ أنظر السلاوى ج 1 ص 82 .

يخبره بذلك ، فرد هذا الاخير معربا ومعبرا له عن عميق حزنه بفقدان واحد من اكبر حلفائه ، وأرفق خطابه هذا كتاب تعيينه على أعمال أبيه وأشرك معه في الولاية أخاه منقدا بن موسى فسر الاخوان ووجها اليه بدورهما رسالة جددا فيها بيعتهما وولاءهما للعاهل الاندلسي وبرفقتها هدية ثمينة (1) .

وفي هذه السنة أيضا بعث الناصر لدين الله هدية الى الخير بن محمد الزناتي تدعيما للصداقة والتحالف ، عبارة عن ثياب من الخز العبيدي ، المختلف الصنعة والالوان ، وست وثلاثين شقة مطرزة واثنين وعشرين ثوبا ، واربع وعشرين عمامة من عمائم الخز الرفيع (2) .

اكتسب عبد الرحمن الناصر ولاء جديدا ، وتأييدا من القائد الشيعي حميد بن يصل المكناسي ، الذي خدم الدولة الفاطمية مدة طويلة ، وأصبح من أكبر قوادها في المغرب ، فقد لجأ هذا الأخير الى محمد بن خزر حليف الأمويين في الاندلس ، وبعث بولائه الى الناصر ، فأجابه بالقبول ، واوسع عليه بالعطايا والهدايا ، ورفع منزلته حيث عينه قائدا لقواته في المغرب (3) الاوسط وأجاز الى الأندلس ، فاقام عنده مدة ثم أعاده الى مهمته في المغرب . وكان انحياش حميد بن يصل للامويين يوم الخميس 26 من شهر رجب سنة 328هـ / 939م (4) .

وتدعيما للعلاقة الطيبة والوثيقة بين المغاربة والأمويين فقد استقبل الناصر لدين الله في بلاطه بقرطبة في شهر شعبان من سنة 328هـ / 939م وفداً يترأسه محمد بن مدين بن موسى المكناسي وعمه فرج بن موسى ، استقبالا كبيرا ورحب بهم وأكرمهم وانزلهم بقصر «البنتيل» (5) شرقي قرطبة ، وجاء هذا الوفد لتجديد البيعة وتوثيق الصلة بين زعيم مكناسة وخليفة قرطبة ولما سألوه الانصراف الى بلدهم ضاعف لهم الهدايا والخلع ، وأرسل معهم الى حليفه مدين بن موسى من الصلة والكسوة والحلية والثياب والفرش

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 165

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 165

(3) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 54

(4) ابن حيان : المقتبس ورقة 176 ـ ابن خلدون : العبر ج 7 ص 54

(5) انفرد ابن حيان يذكر «قصر البنتيل» وشرق قرطبة حافل بمثل هذه القصور التي ترجع الى أصول قديمة ، ولعله القصر المسمّي : Penolcazar (Coria)

مالا يقدر بثمن . وعادوا من قرطبة الى بلادهم في شهر ذي الحجة اى بعد ثلاثة اشهر قضوها ضيوفا في كنف الناصر لدين الله (1) .

وفي هذه السنة أيضا أشخص عاهل الاندلس قاضيه منذر بن سعيد الى المغرب لحسم النزاع الذي نشب بين الخير بن محمد بن خزر الزناتي ، ومدين ابن موسى بن أبي العافية المكناسي بسبب تنافسهما على سلطان الغربين الاوسط والاقصى ، وقد أدَّى بهما هذا النزاع الى استعمال السلاح فنشبت بينهما حرب شديدة (2) .

ولما طالت الحرب بينهما ولم يتغلب احدهما على الآخر ، كتب كل واحد منهما الى الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله بقرطبة يستحكمه في الامر ، فلم يتردد هذا الاخير ، وبعث الى عبد الله بن الخير عم الخير بن محمد الزناتي ، والى داود بن مصالة المكناسي كبير اصحابه يأمرهما بمساعدة رسوله القاضي المنذر بن سعيد في مهمته ، وقد كللت مهمة هذا القاضي القرطبي بالنجاح ، حيث استطاع أن يصلح ما فسد بينهما ، وان يسكن غضبهما ، وتم ذلك كما أراده بفضل ، حكمته ودبلوماسيته البارعة وعاد بعدها الى الأندلس (3) .

واهدى صاحب قرطبة الى الخير بن محمد بن خزر بهذه المناسبة هدية ثمينة عبارة عن صنوف مختلفة من الكسى الفاخرة ، والامتعة الرفيعة ، وآلات حربية متباينة من دروع ، وتروس ، ودرق ، والوية ، وطبول وما اشبه ذلك .

كما أهدى له ايضا خاتما من خواتمه الخاصة من الفضة الزمردية الرفيعة القدر ، نقية الجوهر ، منقوش عليه أسمه ليختم به رسائله أثناء الكتابة (4) .

وفي آخر ذي القعدة من هذه السنة (328) قدم الى قرطبة وفد من وجوه سكان جزائر بني مزغني (5) من اعمال الشيعة يحمل كتابا الى الخليفة عبد الرحمن الناصر ،

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 176

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة 176

(3) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 176 ــ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 278

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 176

(5) جزائر بني مزغني او مزغنا او مزغنان او مزغناى هي منطقة الجزائر عاصمة الجمهورية الجزائرية الحالية وفي كل هذه الاسماء (فتح الميم) ، ومزغنى اسم لقبيلة بربرية سكنت هذه المنطقة في القرن الثاني الهجرى الثامن الميلادي ، وهي بطن من صنهاجة ـ أنظر كتاب : نور الدين عبد القادر : صفحات في تاريخ الجزائر من اقدم عصورها الى انتهاء العصر التركي ص 31 ـ ط . قسنطينة 1965 م .

يخطبون وده وولايته ، ويسألونه الدخول في طاعته والانضواء تحت نفوذه ، ويلتمسون منه ايفاد عامل من عماله ليقوم بشؤونهم في بلدهم فاستجاب صاحب قرطبة لطلبهم ولم يتوان في ذلك ، وعاد الوفد الى المغرب في عقب ذي الحجة من السنة المؤرخة (1) .

ولم تقف مساعدات عبد الرحمن الناصر لحلفائه في المغرب عند حد الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية والعمرانية بل تعدت هذه النواحي الى الشؤون الصحية ، فقد كان يهتم أيضا بشؤون عماله ويسهر على راحتهم ، فابن حيان يروي لنا أنه وصلت رسالة الى الناصر من ابن أبي العيش يلتمس منه فيها انفاذ طبيب من أطبائه لعلاجه من مرض ، انتابه فجأة ، ولان أطباءه عجزوا عن تشخيص هذا المرض الذي أقلقه ،فاخرج اليه الناصر طبيبه الخاص . سليمان بن عبد الملك المعروف بابن باج الطبيب ، بعد ان أباح له خزائن الطب وسمح له بان يحمل معه ما يصلح لعلاج علة ابن أبي العيش التي ذكرها فاخذ ابن باج الطبيب معه انواعا كثيرة من الادوية والاشربة والعقاقير وعبر الى المغرب وأقام عند ابن أبي العيش حتى عالج مرضه ثم عاد الى قرطبة (2) .

تدعيم الناصر لثورة أبي يزيد الخارجي :

ابتدأ أمر أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الخارجي كما تذكره بعض النصوص سنة 316هـ 928م (3) ، والظاهر أنه لم يتمركز الى الحد الذي يستطيع فيه الاعلان عن ثورته في وجه عبيد الله المهدي في هذا التاريخ . وظل أبو يزيد يدعو لقتال الفواطم سرا مختفيا في كثير من مناطق المغرب الاوسط ، بين جبل اوراس ـ معقل الثوار ـ وبني برزال بجبال المسيلة الى أن كان الوقت الذي وصل فيه مع صاحبه أبي عمار الاعمى الى جبل اوراس ونزلا على النكار بالنوالات (4) ، واجتمع الى أبي يزيد الخارجي القرابة وسائر الخوارج وبايعوه على قتال الشيعة ، واتفقوا معه أن يصير الامر شورى بينهم ان هم تمكنوا من الاستيلاء على المهدية والقيروان (5) . وكان ذلك سنة

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 176 ـ 177 ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثاني ص 43 .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 177

(3) ابن عذارى : ج 1 ص 93 .

(4) النوالات جمع نوالة : اكواخ تبني من القش والطين

(5) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 28

331هـ / 942م عندئذ أقدم أبو يزيد على تفجير ثورة شاملة وغزا افريقية فاسرع اهل أفريقية بالانضمام اليه وبخاصة أهل السنة منهم ، وهم زعماء المعارضة الدينية في البلاد وكانوا يرون في حرب الفاطميين انتقاما لهم وجهادا في سبيل الله (1) .

واستطاع أبو يزيد خلال ثلاث سنوات تقريبا ان يجتاح افريقية وان يقضي على نفوذ الشيعة في المغربين الاوسط والاقصى اثر سلسلة من العمليات الحربية ، أفنى فيها كثيرا من جنود الشيعة حتى وصل أبواب المهدية سنة 333هـ / 944 (2) .

لكن ظهور قبيلة صنهاجة ، وعلى رأسها زيري بن مناد وتحالفه مع الفاطميين ضد عدوهم المشترك قبيلة زناتة غيرت مصير الحرب ، اذ أنه أنقذ المهدية من أستسلام محقق لابي يزيد ، وأخيرا كانت المعركة الضارية التي قررت مصير هذا الزعيم النكارى تلك التي وقعت عند أسوار مدينة القيروان سنة 335هـ / 946م وقد حاول بعدها أبو يزيد الكرة عدة مرات لكنه لم يفلح ، اذ فر بعدها الى جبال كيانة بالمغرب الاوسط ، وأختفى عند بني برزال لكن جيوش المنصور بن القائم كانت تتبعه حتى قبضت عليه متأثرا بجراحه ومات سنة 336هـ / 947 وشغلت هذه الثورة عهد الخليفة محمد القائم ، وجزءا من عهد ولده اسماعيل المنصور (324 ـ 341هـ / 945 ـ 952م) .

وكان ابو يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار ، يميل الى الامويين في الاندلس ، فابن عذارى يذكر أنه في منسلخ شوال من سنة 333هـ 944م ، قدم على الناصر رسولان من أبي يزيد ، يحملان له أخبار تغلبه على مدينتي القيروان ورقادة ، وما جاورهما وايقاعه باصحاب الشيعي فيهما ، وما يعتقده من ولاية الناصر واعتناق دعوته ، وتواصلت كتب أبي يزيد ورسله على قرطبة منذ ذلك الوقت الى حين وفاته (3) .

ففي السنة التالية (334) جلس الناصر لدين الله لوداع السفارة الثانية التي ارسلها

---

(1) محمد الشابي : دولة صاحب الحمار ، ونفوذه ، فصلة من كتاب المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية (المنعقد بتونس ما بين 18 ـ 29) مايو سنة 1963 .

(2) عن تفاصيل أحداث هذه الثورة راجع : الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ج 1 ص 96 وما يليها . ابن عذارى : البيان ج 1 ص216 وما يليها ابن خلدون كتاب العبر ج 7 ص 26 وما يليها ـ د . عبد العزيز سالم المغرب الكبير ج2 ص 622 مقال : محمد الشابي المرجع السابق .

(3) ابن عذاري : البيان ج2 ص 212

أبويزيد الى قرطبة ، وكانت تتكون من أهل القيروان ، وهم ثلاثة أفراد ، كبيرهم تميم بن أبي العرب التميمي ، فأجابهم الناصر لما طلبوا وأذن لهم بالانصراف (1) .

ويشير ابن خلدون لهذه السفارة أيضا بأن صاحب الحمار بعث رسله في وفد من أهل القيروان الى الناصر الأموي صاحب قرطبة ويعلن التزامه الطاعة والقيام بالدعوة لبني أمية ويطلب من العاهل الأندلسي ان يمده بالعون والمساعدة (2) .

وارسل أبو يزيد سفارة ثالثة سنة 335هـ / 946م الى قرطبة برئاسة ولده أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الاباضى ، فأكرمه الناصر وأمر بانزاله في قصر الرصافة ، وقد أعد له من الفرش والوطاء والغطاء والآنية والآلة فاقام هنالك تحت نزل واسع واكرامة موصولة (3) ، وعند انصرافه امده الناصر بمبلغ كبير من المال ، لتعزيز مركز والده (4) .

ويتضح مما سبق أن الناصر لدين الله قد تدخل في الحرب الى جانب أبي يزيد تدخلا مباشرا وايجابيا ، وأنه لم يقف عند حد التأييد السلبي فقط ، بل قدم للثورة كل ما تتطلبه الحرب من عتاد ومال ، وربما يكون قد ارسل بجيوشه وقواده لمساندة هذا الثائر الزناتي (5) .

وقد بلغت هذه الامدادات والاعانات التي قدمها الناصر لصاحب الحمار مبلغا كبيرا . اذ كان الى جانب هذا يقوم بسك النقود وضربها له في دار السكة بقرطبة . ولعل ذلك كان يكلفه جزءا من ذهب الخزانة الاندلسية (6) ، وحتى ان ابا يزيد لم يكتب اسمه على الدينار ربما حتى لايثير حفيظه أصحابه الخوارج ولكي لايرتاب منه الناصر لدين الله ، الذي كان يريد فعلا بسط نفوذه على بلاد افريقية والمغرب وطرد اعدائه

---

(1) نفس المصدر ج 2 ص 212 ـ 213 ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثاني ص 43 .

(2) ابن خلدون : كتاب العبر ج 7 ص 28 ، 29

(3) ابن عذارى : المصدر السابق ج 2 ص 214 ـ ابن الابار : الحلة السيراء الجزء الثاني ص 390 .

(4) احمد مختار العبادى : دراسات ص 77

(5) راجع مقال محمد الشابي : دولة صاحب الحمار ونقوده ص 597

(6) وجد (25) قطعة من الدنانير الذهبية في مدينة القيروان تحمل تاريخ 333هـ . وطول قطر الدينار الواحد 18,9 مليم ووزنه 4,20 غرام كتب في =

التقليديين الادارسة والفواطم . والظاهر انه تحمل من أجل ذلك أعباء الحرب الافريقية (1) .

وعلى الرغم من أن أبا يزيد صاحب الحمار استمر نحو خمس قرن من الزمن يقاوم الشيعة ويهدد كيان الدولة الفاطمية في أفريقية والمغرب الا ان ثورته هذه أنتهت اخيرا بالفشل وقضى عليها بقتله سنة 336هـ / 947م .

ولا أكون مبالغا اذا قلت بأن ثورة صاحب الحمار قد خدمت النفوذ الاموي في بلاد المغرب خدمة كبيرة فقد تقلص في عهدها سلطان الفاطميين الى مدينة المهدية ، وكادت ريحهم ان تذهب من أفريقية والمغرب وبالتالي انتشر سلطان بني أمية في هذا البلد أنتشارا كبيرا .

وفي سنة 332هـ/ 943م اخرج الناصر لدين الله قائده « قاسم بن محمد » الى المغرب لحرب بني محمد الادارسة ، لما اظهروا الخلاف عليه ، وبعث الكتب الى وليه محمد بن الخير بن محمد زعيم زناتة وغيره من أمراء القبائل البربرية الموالية له يأمرهم بالاستعداد لذلك ، وعبر القاسم البحر الى مدينة سبتة في النصف الاول من ربيع الاول . فلما تبين لأبي العيش بن محمد ، قدوم الاسطول ، اسرع الى اعلان الطاعة لصاحب الأندلس ، فعقد له القاسم الامان على نفسه ، وانفذ أبو العيش ابنه محمدا رسولا الى قرطبة ليؤكد ولاء والده فاحتفل الناصر بقدومه ، واستقبله استقبال كبار رجال الدولة وأدناه من مجلسه في قصر الزهراء ، وبالغ في تكريمه ومكث الرسول عنده نحو السنة (2) .

وأثناء استقبال الناصر لمحمد بن أبي العيش دخلت عليه وفود أخرى من الادارسة أمراء المغرب ، وانعقد في نفس اليوم كتاب أمان محمد بن ادريس ثم انصرف الوفد بعد أن أكد التزامه بالطاعة ، عائدا الى بلده (3)

= وسطه «ونبأ الله لاحكم الا الله لا اله الا الله وحده لاشريك له الحق المبين» اما الوجه الثاني الطوق الاول فكتب عليه : «الذين آمنوا به وغزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون» الطوق الثاني كتب عليه « محمد رسول الله بالهدى ودين الحق يظهره على الدين كله الوسط : العزة لله محمد رسول الله خاتم النبيين وهذه الآيات ما هي الا شعار الخوارج انظر : محمد الشابي : المرجع السابق ص 600 / 601 .

(1) محمد الشابي : المرجع السابق ص 602

(2) ابن عذارى : البيان جـ 2 ص 213

(3) نفس المصدر والصفحة ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثاني ص 43 .

وفي عقب شوال من سنة 333هـ / 944م قدم على الناصر رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي أمير زناتة في المغرب الأوسط ، ومعه رسول «حميد بن يصل» المكناسي يعلمان الخليفة الناصر لدين الله بما أحرزاه من نصر على اعدائه في «تاهرت» اذ تم لهما دخولها وأقامة الدعوه للناصر بها (1) .

وفي سنة 333هـ / 924م أمر الخليفة الناصر لدين الله قائده محمد بن رماحس عامل المرية بالخروج على راس الأسطول الى العدوة المغربية لتأديب بني محمد الادارسة ، الذين خلعوا الطاعة فتوجه محمد في ذي الحجة مزودا بخمسة عشر مركبا حربيا وشينين وفتاش وبرفقته قاسم بن طملس وعدد كبير من الحشم الى مدينة سبتة ، وعندما شاهد الادارسة القوات الاندلسية اسرعوا مقدمين الطاعة ومرسلين الرهائن مع محمد بن عبد الله بن أبي عيسى القاضي . وكان محمد بن رماحس قد استخلف مكانه على الولاية كل من ابنه عبد الرحمن وقاسم بن عبد الرحمن بن مطرف ولما انتهى من مهمته عاد الى عمله في المرية (2) .

وفي عام 336هـ / 947م وصل الى قرطبة حميد بن يصل المكناسي قادما من المغرب فاستقبله الناصر لدين الله استقبالا رسميا وأكرم مورده وأجمل موعده (3) .
وفي السنة التالية جلس الناصر بقصر الزهراء لاستقبال الوفود التي وصلت الى قرطبة من المغرب في هذه السنة (337هـ / 948م) فدخل اليه «حميد بن يصل» ، ثم وصل بعده منصور ، وأبو العيش أبنا أبي العافية ، ودخل معهما حمزة بن ابراهيم صاحب جزائر مزغني ، فوصلهم الى نفسه وكساهم جميعا ثم اذن لهم بالانصراف الى بلادهم (4)

ولما وصلت الى قرطبة أخبار انتقاض بني محمد الادارسة للطاعة أمر الناصر لدين الله قائديه أحمد بن يعلى ، وحميد بن يصل المكناسي بالخروج اليهم ، فخرجا من قرطبة للنصف من شهر رجب ، وعندما وصلا بقواتهما الى الجزيرة الخضراء قدم

---

(1) نفس المصدر والصفحة
(2) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص 82
(3) ابن عذارى : البيان جـ 2 ص 215
(4) ابن عذارى : المصدر السابق جـ 2 ص 215

رسول من عند الادارسة الحسنيين يؤكد طاعة قومه ، والانقياد لامر الناصر في هدم مدينة «تطاون» التي لم يكن راضيا عن بنائها .

ثم وصل محمد بن أبي العيش الى الناصر لدين الله رسولا من قبل أبيه فاستقبله الناصر ، ولم يلبث محمد وهو في كنف العاهل الاندلسي ان وردت مسامعه خبر وفاة أبيه أبي العيش ، فأدناه الناصر منه وعزاه بوفاة والده ، وعقد له على عمله وصرفه سنة 337هـ / 948م الى بلده ، وكان ابن عمه «جنون» قصد الى بلده فاحتوى على ماله وأهله بعد وفاة أبيه أبي العيش واستولى على زمام الأمور ، وعندما أقبل محمد من الأندلس وسمعت المغاربة من أنصار محمد بذلك رجعوا الى عيسى بن جنون ، وقتلوا أكثر أصحابه وسلبوه ما كان قد أخذه من ابن عمه ولم يخلصه منهم الا سرعة جواده مع سبعة من فرسانه (1) .

وفي نفس العام (337هـ / 948) قدم الى قرطبة أحمد بن الأطرابلسي البوري بن موسى بن أبي العافية ليخبر الناصر بما جد في بلاد المغرب فقد استطاع الخير بن محمد بن خزر وأخوه حمزة وعمه عبد الله ومعهم يعلى بن محمد من بني يفرن أن يحتلوا مدينة «تاهرت» بعد معارك شديدة مع حاميتها التي استنصرت بميسور الفتى القائد الشيعي الذي عجز عن رد الهجوم بل أخذ اسيرا مع مجموعة من أصحابه ووقع ايضا في أيديهم عبد الله بن بكار اليفرني الذي كان قد نقض طاعة الناصر ، وتعلق بحبال الشيعة وخطب ودهم وصلتهم (2) .

ثم وصل وفد آخر الى بلاط الناصر يتكون من ابنى البوري بن موسى المكناسي ورسول من الخير بن محمد الزناتي يحملون انباء هذا الانتصار وهو قطع دابر الشيعة من مدينة تاهرت فقرىء كتابهم بجامعي قرطبة والزهراء (3) .

---

(1) ابن عذارى : المصدر السابق ج 2 ص 216

(2) ابن عذارى : البيان ج 2 ص 216 ـ ابن خلدون : العبر ج 7 ص 54

(3) ابن عذارى : المصدر السابق ج 2 ص 217

وفي آخر جمادى الآخر من سنة 343 هـ / 954 م وصل الى قرطبة فتوح بن الخير بن محمد بن خزر رسولا من قبل أبيه ومعه عدد من وجوه تاهرت ووهران ، يحملون رؤوس قواد المشارقة الشيعيين يتقدمها رأس ميسور الخصي ورأى محمد بن ميمون وغيرهما من رؤوس اعلام الشيعة وقوادهم وعشرة من بنودهم أخذت منكسة معها عدد من الطبول ، فرفعت هذه الرؤوس والبنود والطبول على باب قصر قرطبة ، واوسع عبد الرحمن الناصر اكراما على الوفد (1) .

على أن النزاع بين الفاطميين والامويين ، الذي ظل فترة طويلة يعتمد على الحرب الباردة القائمة على التسلح ، واحتلال المواقع الاستراتيجية الهامة ، واثارة الفتن بين قبائل البربر ، وتدبير المؤامرات والدسائس من خلف الستار ، أى أنه كان عبارة عن صراع مسلح بين المغاربة الموالين للفواطم ، والمغاربة المؤيدين للامويين في الاندلس ، ولم تتحدث النصوص حتى ذلك الوقت عن نشوب حرب فعلية ومباشرة بين قوات الخلافتين المتنازعتين سواء منها القوات البرية اوالقوات البحرية الى ان تطور الامر بينهما في سنة 344هـ / 955م ، فاتخذ العداء مظهرا قويا في عهد المعز لدين الله الفاطمى ، حيث لم تمض على توليه الخلافة سنتين فقط واشتعلت نيران الحرب بينه وبين العاهل الاندلسي ولم تنقطع الا في فترات ، وقد وصف لنا نص تاريخي ابتداء هذه المعارك بأن الناصر لدين الله انشأ مركبا وسيره نحو المشرق يحمل أمتعة بقصد التجارة فلقي في البحر مركبا فيه رسول من صقلية الى المعز لدين الله الفاطمي فقطع عليه المركب الاندلسي الطريق ، واخذ ما فيه ، كما اخذوا الكتب الموجهة للمعز وبلغ ذلك صاحب المهدية فجهز اسطولا الى الاندلس وقوده الحسن بن علي عامله على جزيرة صقلية فوصل الاسطول الى المرية واحرق جميع ما في مينائها من المراكب ، وأخذ الحسن ذلك المركب الكبير بعد عودته من الاسكندرية وفيه جوار ومغنيات وامتعة لعبد الرحمن الناصر لدين الله صاحب الاندلس ، ونزل من في الاسطول الى بر الاندلس ، فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين الى المهدية (2).

---

(1) إبن عذارى : المصدر السابق جـ 2 ص 218

(2) ميشال امارى : المكتبة الصقلية ، ص 411 / 412 ط لبسيا 1887م ـ مؤلف مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، جـ 4 القسم =

ويبدو أن الدافع الاساسي الذي جعل المعز لدين الله ينتقم من الامويين في هذه المعركة هو تلك الرسالة التي استولى عليها قائد المركب الاندلسي من سفينة الفاطميين ويرجح المستشرق دوزي ان تكون هذه الرسالة تتضمن خطة مدبرة لهجوم فاطمى على الاندلس ، والظاهر أن قائد السفينة الاندلسي كان على علم بخطورة هذه الرسالة فلم يتردد في الاستيلاء عليها (1) .

وكان رد فعل عبد الرحمن الناصر لدين الله أن أمر باطلاق اللعنة على ملوك الشيعة على جميع منابر الأندلس ، وانفذ الكتب بذلك الى سائر عماله (2) ولم يلبث عبد الرحمن ان جهز اسطولاً وأمره بالخروج الى بلاد افريقية ، فلما وصل الى شواطئها خرجت اليه عساكر المعز فاقتتلوا قتالا عنيفا ثم عادوا الى الاندلس (3) . والظاهر ان هذه الحملة لم توفق في غارتها على سواحل افريقية فعادت ادراجها (4) . لذلك أمر الناصر لدين الله مملوكه غالب بن عبد الرحمن الناصري بالابحار في اسطول كبير في السنة التالية (345هـ / 956م) نحو شواطىء أفريقية ، وكان هذا الاسطول يتكون من سبعين سفينة فهاجم مدينة الخزر (القالة حاليا) واضرم النار فيها كما اتجه نحو منطقة طبرقة غرب مدينة بنزرت التونسية وتعداها الى مدينة سوسة شمال مدينة المهدية فخربهما (5) ، هذا وعلى صعيد المغرب الأقصى والأوسط لم يتوقف الناصر لدين الله عن امداد قواده ومواليه بالجند والأسلحة والأموال ، لمقاومة جيوش الشيعي المعز لدين الله الفاطمي ، وتجريد اسطوله نحو الموانيء المغربية حتى يرهب عدوه ، ويؤدب الادارسة الذين ما انفكوا يعلنون عصيانهم كلما سنحت الفرصة لذلك ، فابن عذارى

= الثاني ص 199 ـ راجع د . احمد مختار العبادى وعبد العزيز سالم : البحرية الاسلامية في مصر والشام ، ص 65 ، د . محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص 219 وما يليها . دار الفكر العربي 1967 .

(1) Dozy: Histoire des musulmansd'Espagne, T. 2., p. 165.

د . احمد مختار العبادى : دراسات ص 80 ـ حسن ابراهيم حسن ، طه شرف : المعز لدين الله ص 39 .

(2) ابن عذارى : البيان جـ2 ص 220

(3) ميشال امارى : المرجع السابق ص 414

(4) H. Ibrahim Hassan: Relation, p. 22.

(5) ابن عذارى : البيان جـ 1 ص 221 ـ انظر : العيون والحدائق في اخبار الحقائق جـ 4 ص القسم الثاني ص 208 حيث يذكر ان عدد الاسطول بلغ (90) سفينة .

يشير الى أنه ورد كتاب الى الناصر لدين الله سنة 344هـ / 955م من يصل بن حميد قائده في أرض المغرب يخبره بما تم له من نصر على الجيش الفاطمي ، وقد قتل من رجاله العدد الكثير ، كما يذكر أيضا أنه وصل في نفس الوقت الى قرطبة أبن عم حميد بن يصل ومعه ستة وثلاثون رجلا من وجوه قبيلة كتامة الذين لجؤوا اليه فارين من جيش المعز لدين الله ، جاءوا الى قرطبة يعلنون طاعتهم للناصر ، فجلس لهم على سريره بقصر الزهراء واستقبلهم استقبالا حسنا ، وأمر لهم بالخلع ، ووصلوا بصلات جزيلات وأمروا بالرجوع الى القائد حميد بن يصل (1) .

وفي سنة 345هـ / 956م خرج القائد قاسم بن عبد الرحمن من قرطبة الى حميد بن يصل في بلاد المغرب حاملا له أحد عشر حملا من المال ، واحمالا أخرى من العدة ، لتقوية الجيش في دفاعه عن نفوذ الخلافة الاموية في المغرب وقد وصل اليه في الخامس من شهر صفر من السنة المذكورة ، واستطاع حميد بعد هذه الامدادات ان يستولى على منطقة تلمسان (2) .

لم يسكت الخليفة الفاطمي المعز لدين الله عن هذه الغارات التي وجهها صاحب الاندلس الى سواحله ، كما لم يبق مكتوف الايدي امام ما يقوم به من توسعات في المغربين الاقصى والاوسط ، فاضطر في سنة 347هـ / 958م (3) ان يبعث قائده جوهرا ، الصقلى الى المغرب لاخضاع البربر لسلطان الفواطم والقضاء على النفوذ الاموي فيه ، وقد نجح جوهر في اكتساح المغرب الاوسط والاقصى واخضاع البربر لسلطان مولاه (4) ، ولكنه لم يستطيع أن يحتل القواعد الاموية الساحلية . فابن عذارى يذكر أنه وصل الى مضيق سبتة ولكنه لم يقدر عليها ، فتوجه نحو سجلماسة ، فدخلها وقتل أميرها محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله .

وبقي جوهر يجول في ارجاء المغرب نحو السنة ثم عاد بعدها الى افريقية (5) . وقد حرص عاهل الاندلس على أن يبعث صاحب شرطته القائد أحمد بن يعلى على

---

(1) انن عذارى : البيان جـ 2 ص 220

(2) ابن عذارى / البيان جـ 2 ص 221

(3) نفس المصدر جـ 1 ص 222 ـ العيون والحدائق جـ 4 القسم الثاني ص 213 213 .

(4) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ص 5

(5) ابن عذارى : المصدر السابق جـ 1 ص 222

رأس الأسطول الى السواحل الخاضعة لسلطان الشيعة ليؤازر موانيه ضد هجوم جرهر الصقلي . ولما وصل احمد بن يعلى الى مدينة «آسلان» ـ من عمل تلمسان ـ وجد القائد الشيعي جوهر قد قتل يعلى بن محمد بن صالح اليفرني صاحب مدينة «افكان» بتلك النواحي غدراً ، فعاد الى قرطبة وبرفقته ولد ابن قرة ابن عم يعلى بن محمد المقتول ، الذى قدمه قومه بني يفرن عليهم . فبالغ الناصر في اكرامه (1) .

ولم يكتف صاحب الأندلس بهذا بل أوصل الى نفسه حريز بن منذر في جماعة من وجوه الموالى والعرفاء ، ورجال الجند يأمرهم جميعا بالخروج الى مدينة «سبتة» مع فتاه «بدر» صاحب السيف ليتصدى لحملة جوهر الصقلى في بلاد المغرب فعبروا الى «سبتة» ومكثوا بها الى ان تحول جوهر عنها ، فانصرفوا بعد ذلك يتقدمهم بدر عائدين الى قرطبة في أواخر ذي الحجة سنة 348هـ / 959م (2) .

ولايفوتني أن أشير الى أن الناصر لدين الله كان له اصدقاء ومؤيدين في جنوب افريقية ، حيث تسكن مجموعات من الخوارج الاباضية التي كانت تدين بالولاء المذهبي والسياسي للرستميين ـ حلفاء بني امية ـ في تاهرت ولما انقرضت هذه الدولة على يد الفواطم ، صار هؤلاء الخوارج يدينون الى مشايخ العلم «والعزابة» . الذين كان لهم تنظيم اداري وديني خاص ، لايخضع للسلطة المركزية الفاطمية (3) . ورغم انهيار السلطة السياسية للاباضيين فان القوة المذهبية ، ظلت كما هي عليه من قبل لم تضعف رغم الاضطهاد الشيعي لهم .

وكان شيخهم في ذلك الوقت أبو القاسم يزيد بن مخلد الاباضي ، قتله المعز لدين الله الفاطمي لارتيابه منه في أنه يعمل في السر للقضاء على دولته ، فثارت ثائرة

---

(1) ابن عذارى : البيان ج 2 ص 222 ، مفاخر البربر ص 4

(2) ابن عذارى : المصدر السابق ج 2 ص 222 / 223 .

(3) العزابة هيئة دينية تمثل أعلى سلطة دينية في المجتمع الاباطي لها سلطة روحية مطلقة وقرارها غير محدود وغير مردود ، منهم الخطيب والمفتي ، والمؤذن ، بل كل الوظائف الدينية تتجسم في هذه الهيئة ويتعدى اختصاصها احيانا الى الامور الدنيوية ، ويمر اعضاؤها بمراحل حيث يبتدئون اعضاء في هيئة «الاروان» أو الطلبة وهي ادنى سلطة تتكون من الطلبة الحفظة للقرآن الكريم الى ان يصلوا الى مجلس العزابة وليس للتسمية مدلول اجتماعي كما هو عند المسيحيين القساوسة ، فالعزابة يتزوجون ويمارسون حياتهم الدينية على اوسع نطاق .

الاباضية لمقتله ، ويصف ذلك الدرجيني بقوله : «ولما قتل ابو القاسم عظمت المصيبة فيه عند جميع أهل الدعوة ، وبلغ فيهم قتله مبلغا عظيما» (1) . فأخذوا يمهدون لثورة شاملة ضد الفواطم ، وارسلوا بعض المشايخ الى مختلف مناطق تجمعات الاباضية في مزاتة وورجلان والزاب ونفوسه وطرابلس ، وجربة وغيرهم يحفزون الهمم ضد الفواطم وبوغرون الصدور عليهم ، ويجمعون الأموال والسلاح والرجال للقضاء على الفاطميين ، وقد تزعم هذه الحركة شيخان من كبار شيوخ الاباضية في ذلك الوقت هما : أبو نوح سعيد بن زنغيل ، وأبو خزر يعلا بن زلتان (2) .

اجتمع هذان الشيخان مع بقية شيوخ الاباضية واتفقوا على مكاتبة بني أمية في الاندلس ، بشأن المعز لدين الله الفاطمي ، ويلتمسون منهم المساعدات ويذكر الدرجيني بقوله : «فاتفق رأى الشيخ واصحابه على ان يكاتبوا بني أمية في شأن ابي تميم (المعز لدين الله) ويستنهضوهم ليكون قيامهم عليهم ، وبنو أمية بجزيرة الاندلس ، فأمروا ابا نوح بأن يكتب الكتاب فكتبه عنهم بما أرادوا من الرأى ، ووجه الكتاب الى بني أمية فأخذ الكتاب في الطريق ، فانتهى به الى أبي تميم فقرأه فازداد حنقا» (3) .

تحالف الناصر مع اعداء الفواطم من ملوك الغرب والشرق :

سلك الناصر لدين الله سياسة اسلافه في محالفة اعداء أعدائه من اباطرة الشرق وملوك الغرب ضد الدولة الفاطمية فقد تحالف مع ملك ايطاليا «هوج دي بروفانس Huges de Provence الذي كان يرغب في الانتقام من الفاطميين بسبب توجيه الخليفة الفاطمي الثاني أبي القاسم القائم قائده على بن اسحاق الى جنوب ايطاليا حيث ضرب ميناء مدينة جنوة (4) .

---

(1) الدرجيني : المصدر السابق جـ2 ص 127

(2) الدرجيني : المصدر السابق جـ 1 ص 127 ، الشماخي : السير ص 349 عبد العزيز مجدوب الصراع المذهبي ص 215 .

(3) الدرجيني : طبقات المشائخ في المغرب جـ2 ص 127ـ الشماخي : كتاب السير ، ص 349 نسخة بخط مغربي .

(4) ابن ابي دينار : المؤنس ص 51

وكذلك تحالف مع إمبراطور بيزنطة قسطنطين السابع الذي كان هو الآخر يريد ان يعيد جزيرة صقلية الى حظيرة الامبراطورية ، فقد استقبل الناصر لدين الله سفارة هذا الامبراطور في شهر صفر سنة 338هـ / 949م ، وكان يوم وصولهما الى قرطبة يوما مشهودا وقد اشادت به المصادر الأندلسية وبالاحتفالات الفخمة والحفاوة البالغة التي استقبلت بها (1) .

وتشير بعض المراجع الى ان الناصر لم يقف عند هذا الحد ، بل استعان ببعض سفن ملك ليون Léon لإستعمالها في هجوماته على السواحل الافريقية (2) .

كما تؤكد بعض المصادر الفاطمية عن وجود اتفاق بين الناصر لدين الله وامبراطور بيزنطة على محاصرة الدولة الفاطمية وتطويقها من الشرق والغرب ، ويقول في ذلك القاضي النعمان : «بعد أن كتب الناصر الى طاغية الروم يسأله النصرة ، وأهدى اليه هدايا وارسل اليه رسلا من قبله فأجابه الى ذلك ، وجاءت أساطيل الروم من القسطنطينية ، ومراكب بني أمية من الاندلس» (3) .

والظاهر أن المصادر الاسماعيلية كانت مغالية في حكمها على هذه المعاهدات التي ابرمت بين الناصر لدين الله ، وأباطرة بيزنطة ، اذ رمته بالتواطؤ الحربي المشترك مع دولة مسيحية ضد الفاطميين ، والراجح انها كانت على غرار المعاهدات السابقة التي أبرمت بين الأمير عبد الرحمن الأوسط ، والأمبراطور البيزنطي ثيوفيل سنة 225 / 840 وهي تقوم على ترك الحرية لأصدقاء الدولة الاموية في قتال عدوهم المشترك لكن فيما يبدو بدون ارتباط معهم في العمليات الحربية (4) .

كما عمل الناصر لدين الله على توطيد صلاته وعلاقته مع الاخشيديين في مصر ، فقد بعث اليهم مبلغا من المال يقدر بعشرة آلاف دينار لتوزيعها على فقهاء المذهب المالكي لمحاربة الدعوة الشيعية هناك ، والجدير بالملاحظة هو أن صاحب المدرسة

---

(1) المقرى : نفح الطيب جـ 1 ص 343 وما يليها .

(2) H. Ibrahim Hasan: Relation, p. 22.

(3) القاضي النعمان : كتاب المجالس والمسايرات جـ 1 ص 226 مخطوط بمكتبة آداب القاهرة تحت رقم (26060) د . احمد مختار العبادى : دراسات ص 78 ـ د . حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف : المعز لدين الله ص 40 .

(4) د . احمد مختار العبادى : المرجع السابق ص 78 .

المالكية في مصر في تلك الفترة من أصل اندلسي هو أبو اسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن القرطبي ، وكان هذا العالم المالكي يذم مذهب الفاطميين وتصرفاتهم ، ويتمنى الموت قبل ان يرى أقدامهم تطأ ارض مصر ، وبالفعل فقد ادركته المنية قبل احتلالهم لها بنحو ثلاث سنوات أي سنة 355هـ / 946م (1) .

وقد ذكرت قبل هذا كيف أن صاحب مصر ، كان على اتصال بمحمد بن خزر زعيم زناتة ، وكيف انه عبر له عن سروره ورضاه برسالة ارسلها له بمناسبة مبايعة عبد الرحمن الناصر ، وهكذا حرص عبد الرحمن على احاطة نفسه بالاصدقاء والحلفاء ، الذين اشتركوا جميعا في عدائهم للفواطم ، ليضمن لنفسه استمرار مقاومتهم ومحاولة طردهم من المغرب ، وهذا ما حدث ، فقد شعر الفاطميون بأن أرض المغرب غير مستقرة تحت اقدامهم وان الخطر يحف بهم من جميع النواحي ، ولاسيما من جهة اولئك البربر المغاربة ، وكثرة تقلباتهم وغارات بني أمية ودسائسهم ومؤامراتهم ، وعليهم ان يتداركوا هذا كله ، فيبدأوا يفتشون عن مكان آخر يكون اكثر مأمنا واستقرارا لهم (2) . أما عبد الرحمن الناصر فقد نجح في سياسته التي سلكها مع المغاربة فغدت بلاد المغرب الاقصى وجزء من بلاد الجزائر (المغرب الاوسط) تحت سلطانه .

---

(1) ابن الابار : الحلة السيراء جـ 1 ص 201 ، والحاشية رقم (1)
د . محمود على مكى : التشيع في الاندلس ، ص 32 ـ د . احمد مختار العبادى : دراسات ص 79 .

(2) راجع الدرجيني : المصدر السابق جـ 2 ص 138 ـ حيث يذكر توصية المعز لدين الله لبلكين بن زيرى عندما عزم الرحيل الى مصر وقال له : «أسفني اولاد المجوس زناتة ومزاتة واعلم اني تركت لك بافريقية مائة الف منزل فمتى هممت بمحاربة عدو فاجعل على كل منزل فارسا واحدا فانك تكتفي بذلك حرب من تريد حربة ويريد حربك» .

الفصل الثاني

سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الخليفة الحكم المستنصر بالله

(350 ـ 366 هـ / 961 ـ 976 م)

اعتلى الحكم المستنصر بالله دست الخلافة بعد وفاة أبيه عبد الرحمن الناصر لدين الله ، سنة 350هـ / 961م ، وهوكبير السن ، اذ بلغ من العمر سبعة واربعين سنة أو ثمانية واربعين ، وهذا راجع الى طول حكم أبيه ، حتى كان الناصر لدين الله يمزح معه دائما ويقول له : «لقد طوّلنا عليك يا أبا العاصي» (1) .

الا أنه فيما يبدو ، كان خبيرا بشؤون الحكم والدولة ، لأن أباه كان يشركه في تدبير أمورها ، خلال فترة عهده الطويل ، الذي امتد نحو خمسين سنة .

كان الحكم حسن السيرة عادلا عالما شغوفا بالعلوم والقراءة ، حريصا على اقتناء الكتب النادرة ويتصيدها ، من مختلف الاقطار والبلدان ، مهما كلفه ذلك من ثمن ، وغالبا ما كانت تأتيه التواليف من المشرق قبل ان يطلع عليها إهلها هناك .

فقد كان له وراقون ، وعملاء في كل من بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها ، ينتخبون له الكتب ، المختلفة في العلوم والفنون والآداب وينسخونها له (2) .

ونتيجة لهذا الإهتمام العلمي الذي بذله الخليفة الأموي بقرطبة تكونت لديه مكتبة ضخمة بالقصر الخليفي بمدينة الزهراء ، ضمت نحو أربعمائة ألف مجلد ، في مختلف العلوم والفنون والآداب ، ومما يسترعى الانتباه ان معظم المصادر تجمع على

---

(1) ابن الابار : الحلة السيراء جـ 1 ص 200

(2) ابن الابار : المصدر السابق جـ 1 ص 202 ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 61 ـ المقرى : نفح الطيب جـ 1 ص 362 .

أن الخليفة المستنصر بالله ، إطلع على هذه المؤلفات كلها ، ولم يكتف بقراءتها فقط ، بل كان يعلق على هوامشها بخطه (1).

ولم يقف عند حد اصطياد الكتب والتواليف فحسب ، بل تعدى ذلك الى استقطاب رجال العلم والادب ، من انحاء العالم الاسلامي الى عاصمته (2) ، واغدق عليهم العطايا واباح لهم خزانة الكتب يطلعون عليها ، سواء منهم العلماء المسلمون أوغيرهم .

وله أيضا نواح أخرى خيرة ، تتجلى في الأعمال الجليلة التي قام بها خلال فترة حكمه ، مثل تيسير العلم والتعليم المجاني للجميع ، اذ انه فتح عدة كتاتيب بقرطبة ، وارباضها لابناء الفقراء يتلقون فيها مبادىء القراءة والكتابة وأصول الفقه وحفظ القرآن دون مقابل (3).

أما الاعمال العمرانية فقد أخذت شأوا كبيرا في عهده ، وأهمها تلك الزيادة التي أحدثها في المسجد الجامع بقرطبة من جهة القبلة سنة 350هـ / 961م ، اي بعد توليه كرسى الخلافة مباشرة ، وهو دليل على التزايد المستمر لسكان العاصمة الاندلسية .

وعلى الرغم من هذه الانشاءات العمرانية والخيرية المتباينة الى جانب انشغاله بالقراءة ومطالعة الكتب ، ومجالسة العلماء ، وتسيير شؤون الدولة والرعية ، كان يقوم بتجهيز الصوائف والشواتي بانتظام لجهاد المسحيين في الشمال ، وذلك للمحافظة على استقرار حدود دولته وتثبيتها .

سياسة الحكم المستنصر بالله المغربية

والظاهر ان الخليفة الحكم لم يتورع في أتباع سياسة أبيه عبد الرحمن الناصر في عدائه الشديد للفواطم ، وأتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لذلك (4).

---

(1) ابن الابار : الحلة السيراء ج 1 ص 202 ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 62 ـ المقرى : نفح الطيب ج 1 ص 371 / 372 .

(2) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ص 59 ـ المقرى : المصدر السابق ج 1 ص 371 . راجع كتاب الدكتور : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ص 313 ـ 314 .

(3) انظر كتاب الدكتور احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ص 227 .

(4) L. Provençal : Hisoire, T. 2., p. 195.

وإذا كان موضوع البحث هو سياسة الحكم المستنصر نحو المغرب ، فلا مناص من أن نتطرف الى نوعية هذه السياسة ، وأبعادها ومظاهرها وآثارها ، في العلاقة الأندلسية المغربية ، وما نتج عنها من احلاف وتكتلات متناقضة ، (1) زجت بالمغاربة في متاهة من الحروب والصراعات الطويلة بين بعضهم البعض ، وهي احدى مظاهر الانحطاط الاجتماعي والسياسي ، التي أدت الى عدم وجود كيان مغربي موحد .

والحقيقة ان علاقات الامويين بالمغاربة ، تتوقف على نوع العلاقات بين هؤلاء المغاربة وبين الفاطميين في المغرب ، فالأمويون في الأندلس كانوا يهتمون بشتى الوسائل ليتجنبوا الخطر الفاطمي الذي بات يهددهم ، بحيث صاروا يقنين تماما بأنهم اذا لم يسهروا على دولتهم سهرا حازما سوف يطغى عليهم الفواطم الذين كانوا يتحينون الفرصة لذلك .

لهذا رغب بنو أمية في التوسع ناحية بلاد المغرب أولا وفرض نفوذهم عليه وايجاد خط دفاعي أول في هذه المنطقة ثانيا كما عملوا على جذب الحلفاء والانصار الى جانبهم من رؤساء القبائل وامراء المغرب وتحريضهم ، على الدولة الفاطمية .

كانت الدعوة الاموية في المغرب قد بدأت تتقلص ، وانقبض اولياؤهم الى اعمال سبتة ، وطنجة ، بعد حملة الشيعة بقيادة جوهر الصقلي الموجهة للمغربين الاوسط والاقصى ، وبوفاة الناصر لدين الله . لكن الحكم المستنصر بالله ، لم يترك الامور تتدهور وتتفاقم ، وواجه الموقف بحزم وجدية فاتخذ قرارا يتعلق بالاحتياطات العسكرية وتحصين المواقع الاستراتيجية اللازمة للامن والتي يستدعيها الوضع الراهن فاستهل عمله بأن أسقط على أهل سبتة الوظائف المخزنية والمغارم السلطانية سنة 353هـ/ 964م ، ثم خاطب أمراء المغرب ورؤساء قبائله ، سالكا في ذلك الخط السياسي الذي رسمه أبوه من قبل ، وكان أول من استجاب له ، زعيم زناتة محمد بن الخير بن محمد بن خزر ، لما كان لأبيه وجده من ولاية للناصر لدين الله (2) .

---

(1) متناقضة لأنها كانت تعتمد على سيادة العصبية القبلية ، ورئاسة الاسرة ، اى ان هذه الاحلاف والتكتلات لم تكن تملك مقومات الدولة الراسخة المستقرة ، بل كانت تستند في سلطانها على حشود القبيلة وكانت تجرى في الحكم على قاعدة الاستبداد المطلق انظر : دول الطوائف للاستاذ محمد عبد الله عنان ص 46 ـ القاهرة 1960م . ومقال ابراهيم فخار : بنوبر زال ص 58 .

(2) ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 55

L. Provençal: Histoire, T. 2., p 185

وتضاعف عزم الحكم في حماية اعمال العدوة المغربية فحشد عزائم المغاربة ضد الفواطم وبسط آمالهم (1) بالترغيب تارة ، والترهيب أحيانا حتى انقاد اليه الكثير منهم ، وحرصا منه على تحصين حدوده الجنوبية ، فقد تحرك بنفسه سنة 353هـ / 964م من قرطبة الى المرية ، قاعدة اسطوله لمعاينة ما يجري بها من تحصينات ، ولتفقد احوال المجاهدين المرابطين بهذا الثغر البحري استعدادا منه لمواجهة أى هجوم فاطمي متوقع على الجبهة الشرقية للأندلس (2) .

كما عمل على تطوير الاسطول ، وضاعف في عدده وعدته اذ قفز عدد السفن من ثلاثمائة في عهد أبيه عبد الرحمن ، الى ستمائة قطعة في عهده ، وجعل من مدينة المرية مقرا رئيسا ، لهذا الاسطول الضخم لمواجهة الخطر الفاطمي ، في حين جعل من مدينة اشبيلية مقرا ، للأسطول المرابط على سواحل المحيط لمواجهة الخطر النورماندى (3) .

ونتيجة لهذه السياسة الأموية ، فقد اسرع الادارسة العلويون الى تجديد الولاء والطاعة للخليفة الجديد . فهناك رواية المؤرخ المغربي أبن عذارى تذكر ، بأن الخليفة الحكم قعد على السرير بقصر الزهراء ، في النصف من شوال سنة 356هـ / 967م ، قعودا بهيا لاستقبال رسولين ، وصلا من امراء المغرب الادارسة ، لتجديد المبايعة ، والتزام الطاعة ، فأدنى الخليفة اليه هذين الرسولين والطف جوابهما (4) .

وتتابعت الرسل والوفود على قرطبة من المغرب لتقديم الولاء والطاعة للعاهل الأندلسي. وتدعيم الصلة القوية بين المغاربة والاندلسيين . وتلتمس في نفس الوقت من حكومة قرطبة ، الامدادات والمساعدات العسكرية ففي المحرم سنة 360هـ / 970م احتفل الخليفة المستنصر بالله بقدوم ثلاثة رسل هم : عيسى بن محمد ، ومحمد بن العالي ، وحسن بن علي ، من بني محمد الادارسة امراء المغرب ، يجددون الولاء

---

(1) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ص 6 .

(2) ابن عذارى : البيان جـ 2 ص 336 ـ 237 ، محمد عبد الله عنان ـ دولة الاسلام في الاندلس (الدولة العامرية وسقوط الخلافة الاندلسية) ص 43 القاهرة 1958 .

(3) د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ص 42 ـ 43 المغرب الكبير ، جـ 2 ص 613 .

(4) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 240 .

للاموين وطاعتهم ، ويطلبون منهم مساعدة عسكرية ، وايفاد بعثة تتكون من الرماة ، لتعضيدهم وتقويتهم ضد أى هجوم مفاجيء . يتعرضون له من الجيش الفاطمي وحمل الوفد للخليفة هدية قيمة من خيل وجمال وغير ذلك ، فسر بها وتقبلها احسن قبول (1) .

أستمرت السيادة الفاطمية الأموية المشتركة سائدة في بلاد المغرب ، تطعمها روح المنافسة ، والعداء التقليدي بين بني هاشم ، وبني أمية من جهة ، وبين قبيلتي صنهاجة البرنسية ، وزناتة البترية من جهة أخرى (2) ، فالصناهجة حلفاء الفواطم بينما زناتة مؤيدة للنفوذ الأموي في المغرب . وأصبح الصراع في بلاد المغرب عبارة عن صراع بين صنهاجة وزناتة ، وضرب بعضهما ببعض . وبات واضحا كل الوضوح ، ان البرانس فاطميون والبتر أمويون (3) .

أما الفاطميون والأمويون ، فاقتصروا على اثارة الفتن والدسائس من وراء الستار (4) . حتى أصبح المغرب منقسما على نفسه يعيش في فوضى مظلمة تحت ظل الدسائس العديدة ، والحروب المتكررة ، الى النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادي ، حيث تمكنت صنهاجة أوبني زيرى ، من فرض سيطرتها باسم الدولة الفاطمية على القسم الشرقي للمغرب حتى نهر ملوية (5) .

أما القسم المتبقى منه ، وهو القسم الغربي من نهر ملوية الى طنجة ، فقد ظل يخضع لسيطرة زناتة ، وحلفائها الامويين في الأندلس ، وهكذا حدث نوع من توازن القوى في المنطقة ، بين الخلافتين : الفاطمية المتمثلة في الزيريين ، والاموية المتمثلة في الزناتيين ، والظاهر أن وطأة الشيعة قد خفت بعض الشيء عما كانت عليه من قبل ، بسبب تحول مقر الدولة الفاطمية من افريقية الى مصر (6) .

---

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ2 ص 241

(2) L. Golvin : Le Maghrib central à l'époque des Zirides, recherches d'archéologie et d'Histoire, p. 34.

(3) د . حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص 78 مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1957م .

(4) د . احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ص 229

(5) ابن حيان : العبر ، جـ7 ص 59 ـ د . احمد مختار العبادى : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ص 83 .

(6) Ch. A. Julien : Histoire de l'Afrique du Nord, T. 2., p. 68.

انتقال مقاليد الامور الى صنهاجة في افريقية :

وقبل أن أتابع الحديث عن سياسة الحكم المستنصر بالله في بلاد المغرب ، رأيت أنه من الاهمية بمكان ، ان أقف وقفة قصيرة عند قبيلة صنهاجة أو بالاحرى عند بني زيري خلفاء الفواطم في افريقية والمغرب ، لنتعرف على كيفية وصولهم الى تأسيس دولة في هذه المنطقة ، دون غيرهم من القبائل المغربية الاخرى الموالية للدولة الفاطمية ، ولاسيما قبيلة كتامة ، التي قامت الخلافة الفاطمية على اكتافها وبين ظهرانيها ، حيث ان صناجة أصبحت الطرف الآخر القوى المنافس والمناوىء ، للنفوذ الاموى في الشمال الافريقي .

فبينما كان الخليفة الاموى الحكم المستنصر بالله يعمل بكل جدية ، على اتخاذ كافة الاحتياطات الضرورية لتأمين حدود بلاده الجنوبية من الغزو الفاطمي ، باكتساب تأييد زعماء المغرب ، كان الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بصدد تنفيذ مشروعه لاحتلال مصر . فقد بعث جيشا كبيرا بقيادة «جوهر الصقلي» الى بلاد النيل (مصر) سنة 358هـ / 969م ، وتمكن هذا القائد من احتلالها ، وأسس بها عاصمة جديدة ، اطلق عليها اسم «القاهرة المعزية» وقد وصف الدكتور أحمد مختار العبادى ، هذا الحدث بانه فريد من نوعه ، اذ لم يسبق لمصر أن فتحت من حدودها الغربية ، الا في ايام الفراعنة حينما غزاها اللوبيون أيام الاسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين (1) .

عند ذلك أصبح المعز لدين الله ، يهتم أكثر بالمولود الجديد يوليه عناية اكبر ، حيث اخذ يوجه أنظاره نحو المشرق ، ويعد نفسه للرحيل من بلاد المغرب ، الذي أصبح استقرار الفواطم به مصدرا للمتاعب وبقاؤهم فيه محفوف بالمخاطر ، أمام هجمات المغاربة المتكررة ووثباتهم وتقلباتهم السريعة ، وبخاصة انه تحقق له ما لم يتحقق لغيره من أسلافه رغم المحاولات الكثيرة في إيجاد مقر جديد أكثر مأمنا واستقرارا من بلاد المغرب .

ولما عزم المعز لدين الله على المسير الى مصر ، أخذ يفكر فيمن يسند له ولاية المغرب

---

(1) د . احمد مختار العبادى : سياسة القاطميين نحو المغرب والاندلس ص 17 ـ دراسات ص 83 .

وقام باختيار ولاءأهم حلفائه (1) ، وأول من قصده من هؤلاء الحلفاء ليجس نبضه ، هو الأمير جعفر بن علي المعروف بالاندلسي صاحب مدينة «المسيلة» واقليم الزاب ، لكن هذا الأمير ، فشل في رده على الخليفة المعز لدين الله ، حينما عرض عليه الامر فقال للمعز : «تترك معي احد اولادك اوأخوتك يجلس في القصر ، وانا ادبر ، ولاتسألني عن شيء من الاموال ، لأن ما اجبيه ، يكون بازاء ما انفقه ، واذا اردت امرا فعلته ، من غير ان انتظر ورود امرك فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ، ويكون تقليد القضاء ، والخراج وغيره من قبل نفسي» (2) .

فغضب المعز لهذا الرد ، الذي يوحي من البداية على رغبته في الاستقلال ببلاد المغرب ، فعبر عن ذلك بقوله : «ياجعفر : عزلتني عن ملكي ، وأردت أن تجعل لي شريكا في أمري واستبددت بالاموال والاعمال دوني ، قم فقد أخطأت حظك ، وما أصبت رشدك» (3) وخرج من مجلسه غاضبا .

وكان من بين القبائل الكبرى ، التي لها اتصال قوي بالفاطميين ، هي قبيلتي صنهاجة وكتامة .

اما زناتة فقد بذل الفواطم ، كل ما في جعبتهم من وسائل الاغراء والترهيب ، لكسب ولائها وتحويلها عن الامويين الا أنهم فشلوا في ذلك . واذا أردنا أن نتعرف على الوقت الذي ظهرت فيه علاقة صنهاجة بالدولة الفاطمية في المغرب لوجدناها مبكرة، اذ انه من صالح الدولة الفاطمية الناشئة ، مصانعة قوى المنطقة المحيطة بها ، لتكون درعا واقيا لها ، وسندا قويا تستند اليه عند الحاجة .

أما بنوزيرى زعماء صنهاجة ، فانهم اظهروا ارتياحهم لقيام هذه الدولة الجديدة كما اظهروا كياسة ولباقة ، في التعامل معها ، وخاصة حينما آثروا الاستمرار في سياسة تجنب الاصطدام معها ، حتى يحتفظوا بقوتهم حين يحين الوقت المناسب لذلك . فالدعوة الفاطمية في بلاد المغرب ، نشأت بين ظهراني كتامة وجبالها ، وانتشرت

---

(1) راجع في هذا الصدد مقال : د . موسى لقبال : المعز لدين الله الفاطمي وجيل جديد من كتامة من خلال وثيقة فاطمية معاصرة ص 41 ، مجلة الاصالة عدد 30/29 يناير فبراير 1976 م .

(2) المقريزى : اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا ص 99 تحقيق د . جمال الدين الشيال القاهرة 1967م .

(3) نفس المصدر والصفحة .

بفضل سواعد رجالها ، واصبحت بذلك كتامة هي الدعامة القوية التي ترتكز عليها الدولة الفاطمية الناشئة وعصبها وسرّ قوتها .

وقد ادرك بنو زيرى هذه الحقيقة ، وبدلا من ان ينطووا على انفسهم ويقفوا من الفواطم موقفا عدائيا ، اخذوا يتقربون منهم شيئا فشيئا ، ليحلوا محل كتامة ، التي بدأت تستنزف قواها بسبب الحروب الكثيرة التي خاضتها ، وقد عمل أيضا بنو زيري جادين على ان يظهروا للفاطميين الولاء والاخلاص الصادقين . ولعل بنو زيرى ارادوا من وراء هذا العمل ان يبرهنوا للفواطم عن قوتهم وجدارتهم بمنافسة كتامة واحتلال مكانتها ، ولاسيما وأن الكتاميين ماانفكوا يخرجون من معركة الا ويدخلون لأخرى ، حتى انتهت قواهم ونقص عددهم (1) ، وهذا ما تأكد بالفعل حينما لعب بنو زيرى دورا بالغ الأهمية ، في حصار أبي يزيد مخلد النكاري (صاحب الحمار) للمهدية اذ استطاعوا ان يفكوا الحصار على الفواطم وتخليصهم من يد الثوار (2) ، ومنذ ذلك الوقت استرعت صنهاجة انتباه اصحاب افريقية وأصبحت ساعدهم الايمن .

لم يجد المعز لدين الله بدا من التوجه الى زعيم صنهاجة «بلكين بن زيرى» ، ليعرض عليه ولاية افريقية والمغرب . دون قبيلة كتامة التي وقفت هي الاخرى موقفا جافيا ، وعنيدا منه ، اشبه ما يمكن بموقف جعفر بن علي بن حمدون ، عامل مدينة المسيلة واقليم الزاب ، اذ بعث المعز الى شيوخ كتامة رسولا من أمنائه يختبر حقيقة طاعتهم وولائهم ، وقال لهم : «ياإخواننا قد رأينا ان ننفذ رجالا من قبلنا الى بلدان كتامة ، يقيمون بينهم ، ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها علينا في بلادهم ، فاذا احتجنا اليها انفذنا خلفها فاستعنا بها على ما نحن بسبيله» (3) .

عندئذ رد بعض شيوخ كتامة على رسول المعز بأنفة وكبرياء قائلين له : «قل لمولانا ، والله لافعلنا هذا أبدا ، كيف تؤدى كتامة الجزية ، ويصير عليها في الديوان ضريبة ؟ وقد أعزها الله قديما بالاسلام ، وحديثا معكم بالايمان ، وسيوفنا بطاعتكم في المشرق والمغرب » (4) .

---

(1) مراجع عقيلة الغناى : علاقات الامارة الصنهاجية بجيرانها وأثرها في ليبيا ص 22 بني غازى بدون تاريخ .
(2) ابن الاثير : الكامل ج 7 ص 47 .
(3) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص 98 .
(4) المقريزى : المرجع السابق ص 98

فعاد الرسول الى المهدية وأخبر الخليفة المعز بما دار بينه وبين الكتاميين ، فأمر باحضار جماعتهم وقال لهم : «ما هذا الجواب الذي صدر عنكم ؟» فقالوا : «نعم هو جواب جماعتنا ، ماكنا يامولانا بالذي يؤدى جزية تبقى علينا» (1) . عند ذلك قام المعز من شدة الغضب وادرك حقيقة كتامة ، بانها تريد ان تخلع عنها رداء الطاعة والولاء للفاطميين إن هم غادروا المغرب الى مصر ، أو هم قللوا من الامتيازات التي يتمتعون بها .

فعمل المعز على انهاء الموقف بقوله : «بارك الله فيكم فهكذا أريد أن تكونوا ، وانما أردت أن اجربكم ، فانظروا كيف انتم بعدى اذا سرنا عنكم الى مصر ، هل تقبلون هذا أو تفعلونه وتدخلون تحته ممن يرومه منكم ؟ والآن سررتموني بارك الله فيكم » (2) .

ولم يبق اذن سوى صنهاجة أمامه ، فبعث الى رئيسها يوسف «بلكين بن زيرى» ، الذي كشف عن سياسة ماهرة في الحوار الذي دار بينه وبين المعز لدين الله ، يدل على نضوجه السياسي ووعيه الدبلوماسي . كما يدل أيضا على دهائه وكياسته ، فلعله كان يتحين الفرصة ويتصيدها اذ أخذ يجامل المعز ويخادعه ، حتى يحصل على ما كان ينشده ، فقد تصنع الخوف من هذه المسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقه ، وهي ولاية افريقية والمغرب بكل ما فيه من فوضى سياسية واضطراب اجتماعي وتناقضات مذهبية ، فهي لم تَصْفُ لاهل بيت رسول الله (صلعم) فكيف تصفو اذن ليوسف بلكين وهو صنهاجي بربري ؟

هذا ما يتضح لنا من خلال المناقشة التي دارت بين الخليفة الفاطمي والزعيم الصنهاجي ، اذ قال له المعز : «تأهب لخلافة المغرب» ، فتظاهر بلكين بعدم القبول واكبر ذلك عليه وقال : «يامولانا انت وآباؤك الائمة من ولد رسول الله (صلعم) ماصفا لكم المغرب ، فكيف يصفو لي وانا صنهاجي بربري ؟ قتلتني يامولاى بلا سيف ولارمح ..» فلم يزل به المعز حتى قبل الأمر وقال : «يامولانا : بشريطة ان تولى القضاء

---

(1) المقريزى : المرجع السابق، ص 98

(2) المقريزى : اتعاظ الحنفا، ص 98

والخراج لمن تراه وتختاره ، والخبر لمن تثق به ، وتجعلني انا قائما بين أيديهم ، فمن استعصى عليهم امروني به حتى أعمل فيه ما يجب ، ويكون الامر لهم وانا خادم بين يديك» (1) .

فاستحسن المعز لدين الله الفاطمي جواب يوسف بلكين بن زيرى ، واعتبره يخدم مصالح الفاطميين في المغرب ، وشكره على قوله هذا وعهد اليه بامارة المغرب ، والحقيقة ان صنهاجة هي المرشح الوحيد في هذه الآونة والجديرة بالقيام بهذا الدور الشاق لان الكتاميين ـ كما جاء من قبل ـ انهكوا قواهم في بناء اركان الدولة الفاطمية وانتشارها في المغرب ومصر.

أما جعفر بن علي ، فليس له عصبية تحميه وتذود عنه وعن مبادىء الشيعة ، وليس له وزن بين القبائل المغربية الرئيسية الثلاثة : كتامة ، وزناتة ، وصنهاجة والظاهر ان الجفاء كان يسود العلاقة بين بني زيرى أصحاب «أشير» ، وبني حمدون اصحاب المسيلة ، بحكم الجوار في الأعمال ، والتنافس على السلطان ، وهذا ما سنعرفه بعد قليل .

ولما انصرف بلكين من حضرة الخليفة بعد تسلمه ولاية المغرب استفسر أبو طالب أحمد بن عبيد الله ، وهو عم الخليفة وكان حاضرا المقابلة عن صدى اجابة الزعيم الصنهاجي ، وقال للخليفة : «يامولانا : اوتثق بهذا القول من يوسف (بلكين) وانه يعني ما ذكره ؟ فقال المعز : يا عمنا كم بين قول يوسف وقول جعفر ، واعلم يا عم أن الأمر الذي طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير اليه أمر يوسف ، فإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر ولكن هذا أولا أحسن وأجود من ذوي العقول ، وهو نهاية ما يفعله من ترك دياره» (2) . وقد جاءت اجابة المعز لعمه اعترافا ضمنيا منه بالسيادة الاقليمية لاهل بلاد المغرب (3) ، اذ كان المعز يعرف مسبقا ما سيؤول إليه أمر المغرب بعد رحيله الى مصر ، وأن المسألة لم تعد أكثر من كونها مسألة وقت فقط فبنو زيرى سوف يستقلون بهذه المنطقة عن الفاطميين ، حسبما يرى الخليفة الفاطمي ، ولهذا فقد اتخذ المعز لدين الله بعض الإجراءات لذلك حيث استثنى من امارة الزيريين منطقة طرابلس ،

---

(1) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص 99

(2) المقريزى : المصدر السابق ص 99 ـ 100

(3) د . ابراهيم العدوى : بلاد الجزائر ، ص 269

ووضع عليها أحد الكتاميين (1) ، حتى يكون شوكة في ظهر صنهاجة ، واقتطع منهم أيضا جزيرة صقلية وولى عليها احد ثقاته الحسن بن علي بن أبي الحسن (2) ، ليكون اسطوله اداة طيعة في يد الفواطم يهددون به بني زيرى متى شاءوا ، وبهذا يكون الخليفة الفاطمي قد عمل قدر استطاعته على الحد من شوكة صنهاجة ، حتى لاتستطيع الاستقلال ببلاد المغرب (3) .

وهكذا بدأت افريقية والمغرب عهدا جديدا في ظل الحكم الصنهاجي ، وتجلت هذه المواهب الزيرية في الخطة التي رسمها شيوخ هذه القبيلة لانفسهم ، للمحافظة على بقاء مقاليد الامور في أيديهم ، اذ تابع زيرى بن مناد وابنه بلكين من بعده سياسة مساندة الفواطم ، والتصدى للنشاط الزناتي الاموي ، اعداء الفواطم الالداء ، فاصطدم بهم ودخل معهم في صراع عنيف وطويل ، ترتب عليه قتل شيخ زناتة محمد بن الخير بن محمد بن خزر في احدى المعارك ، التي دارت بينه وبين بلكين بن زيرى ، في شهر ربيع الآخر سنة 360هـ / 970 (4) . وبعدها بخمسة أشهر فقط لقى زعيم صنهاجة زيرى بن مناد نفس المصير ، في عملية انتقامية بالقرب من نهر ملوية ، دبرها له بنو خزر بالاشتراك مع آل حمدون امراء المسيلة ومواليهم بني برزال ، في رمضان سنة 360هـ / 970م . وهي السنة السابقة مباشرة لانتقال المعز لدين الله الفاطمي لمصر (5) .

ثم بعثوا علي البغدادي كاتب جعفر بن علي رسولا الى الحكم المستنصر بالله ، يحمل له خبر مقتل زيرى بن مناد ، وولاء آل حمدون وطاعتهم ويسألونه الاعتصام بدعوته والاعتراف بحقه (6) .

---

(1) ابن خلدون : العبر ، جـ 6 ص 317 ـ النويرى : نهاية الارب ، جـ 22 ص 137

(2) نفس المصدر والصفحة ـ النويرى : المصدر السابق ، حـ 22 ورقة 137 .

(3) حسن ابراهيم حسن وطه شرف : المعز لدين الله ، ص 66 مكتبة النهضة المصرية سنة 1947م .

(4) ابن حيان : المقتبس ، ص 38 ـ ابن الاثير : الكامل ، جـ 7 ص 43 ـ مفاخر البربر ، ص 6 ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 243 ـ ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 315

(5) ابن حيان : المقتبس ، ص 36 ـ مفاخر البربر ص 6 ـ ابن عذارى : البيان جـ 2 ص 242 . ابن خلدون :

(6) العبر جـ 6 ص 316 ـ ابن عذارى : المصدر السابق جـ 2 ص 242 .
ابن حيان : المصدر السابق ص 37

وكان جعفر بن علي عاملا على مدينة «المسيلة» واقليم الزاب للخليفة الفاطمي ، وأحد ثقاته البارزين في المنطقة ، والظاهر أنه فسد أخيرا ما بينهما بسبب منح المعز ثقته لقبيلة صنهاجة . وعقده لزعماء بني زيري ولاية المغرب وافريقية كما جاء من قبل . وقد ترتب على ذلك حدوث جفاء وكراهية في العلاقة بينه وبين بني زيرى ، والسبب فيما يبدو هو التنافس على الاعمال ، ونيل الحظوة عند صاحب افريقية (1) .

وقد أدت هذه الضغينة الى مساعدة زناتة ، وتحريضها على صنهاجة والظاهر انه كان يهاديهم من أجل ذلك ، ويبعث لهم بأخبار بني زيرى ربما تخص النواحي السياسة والعسكرية والاقتصادية ويحذرهم اذا ما علم بانهم يريدون الهجوم عليهم .

ويشير الى ذلك ابن حيان بقوله : «.. الى ان قتل محمد بن الخير وأخذ له فرسا من عتاق الخيل . كان امامه معد بن اسماعيل ، صاحب افريقية قد حمل عليه جعفر بن علي فأهداه جعفر الى محمد بن الخير ، فارسل به زيرى الى معد ، وبعث اليه بكتب اصابها في بيت ابن خزر بخط جعفر بن على يكاتب بها زناتة ، ويطلعهم على عورات زيرى ويحذرهم منه متى اطلع أنه يريدهم .» (2) .

وكان المعز قد بعث الى جعفر بن علي فرحا الصقلبي يستقدمه الى المهدية ، فتظاهر بالخروج اليه ، بأهله وولده وعبيده وعسكره وسلاحه وامواله واتجه نحو طريق القيروان ، ولكنه لم يلبث ان تحول نحو الغرب ومال الى زناتة ولحق بها . واعلن بذلك عصيانه على الفواطم وانحياشه الى بني أمية في الاندلس (3) .

ولما تمت هزيمة صنهاجة بعث جعفر بن علي أخاه يحيي بن علي ، وبعض شيوخ زناتة امثال : عبدون بن الخير بن محمد بن خزر ، ومسعود بن عطية بن عبد الله بن خزر ومقاتل بن أبي خزرون بن أبي العزيز خزر ، رَسُلاً منه الى قرطبة ، يؤدون الطاعة باسمه ويؤكدون البيعة ، ويلتمسون العون والنصرة من عاهل الاندلس (4) .

---

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 1 ص 315 ، انظر ايضا ابن حيان الذي يذكر بان صنهاجة كانت تتعدى على اعمال جعفر بن علي ويرجع السبب في ذلك لمتاخمة حدود اعمالهما ، وكانت أيضا تتحامل عليه وتسعى به للمعز انظر ابن حيان : المقتبس ص 37 . النويرى : المصدر السابق ج 22 ورقة 136 .

(2) ابن حيان : المقتبس ص 35

(3) نفس المصدر ص 37 ـ النويرى ج22 ورقة 136 مفاخر البربر ، ص 7 ـ إبن خلدون : العبر ج6 ص 315 النويرى ج22 ورقة 136 .

(4) ابن خلدون : المصدر السابق ج 6 ص 315

مصطحبين معهم رأس زيرى بن مناد زعيم زناتة المقتول ونحو مائة من رؤوس وجوه أصحابه (1).

وقد شكل الخليفة الحكم المستنصر بالله ، وفدا كبيرا من رجال دولته لاستقبالهم والترحيب بهم ، فاستقبل « يحي بن علي » بمرسى « محملة » - بالقرب من بجاية من قبل باجيت بن محمد وأحمد بن عبد الملك صاحب المخزول وحلّ رجال زناتة بمرسى « المرية » في شوال سنة 360 هـ ، وقدمت لهم هدايا كثيرة من خليفة قرطبة وهي عبارة عن ثمانية وستين فرسا ونحو مائة وخمسين من البغال لحمل أثقالهم وضروب من الوطاء والغطاء والقباب والخيم (2)

ولم يلبث جعفر بن علي أن عبر هو الآخر الى الاندلس ، بعد شهر واحد فقط من وصول اخيه والوفد المرافق له الى بلاط الحكم ، لاحقا بهم ، فنزل بمرسى «بزليانة» (3) بكورة «رية» مرفوقا باهله ومواليه وعبيده ، فأمر الخليفة صاحب السكة والمواريث قاضي اشبيلية ، محمد بن أبي عامر بالخروج لإستقباله ومعه هدية ثمينة من الخليفة الى جعفر عبارة عن اربعة من عتاق الخيل ، وبغل اشهب مسروجين بسروج الخلافة وخمسين فرسا من جياد الخيل لحمل فرسانه ومائتي زاملة لحمل اثقاله ، وكثيرا من الاخبية والقباب وما شاكل ذلك مبالغة من الخليفة في تكريم جعفر بن علي ورجاله (4).

هذا وقد اسهبت المصادر في وصف مراسيم هذا الاستقبال ، وحفاوته البالغة وتكريما من الحكم المستنصر بالله لهؤلاء الوافدين خصهم باستقبال رسمي فجلس على السرير بقصر الزهراء محفوفا برجالات دولته ، من حجاب ووزراء ، وقواد وأهل العلم والفقه والعدول وغيرهم من طبقات اهل الخدمة بالاضافة الى عمال الاقاليم وقواد الثغور الذين جاءوا لمشاهدة هذا الحفل البهيج فقد اصطفت الجيوش بمختلف

---

(1) ابن حيان : المصدر الشابق ص 40 ـ 45 ـ مفاخر البربر ص 8

(2) ابن حيان : المصدر السابق ص 40

(3) بزليانة : Ventas de Bezmiliana قرية تقع في الساحل الاندلس الشرقي على البحر الابيض المتوسط تبعد عن مدينة مالقة Malaga بثمانية أميال : انظر كتاب المقتبس لابن حيان ص 41 حاشية رقم (1).

(4) ابن حيان : المصدر السابق ص 41 ـ 42 ـ ابن عذارى : البيان جـ 2 ص 243 ـ 244.

فرقها وصنوف اسلحتها وملابسها المتباينة ، من رجالة وخيالة ، وفتيان وفرسان ومرتبين الى كتائب مصففة ومنظمة تنظيما عسكريا جميلا (1) ، حتى أن الشعراء الهمتهم هذه المناظر البديعة فنظموا قصائد كثيرة بهذه المناسبة (2) .

قرب الحكم اليه كلا من جعفر ويحيي وبني خزر ، ورفع منزلتهم ، تمشيا مع سياسة اصطناع الحلفاء التي رسمها أبوه من قبل ، وأغدق عليهم بالالطاف وأجرى على جعفر واخيه يحيي الف دينار دراهم (3) ، لكل واحد منهما في كل شهر ، فضلا عن نفقات القمح وغيره ، وأجرى أيضا على بني خزر كثيرا من الاموال ، والقمح المعلوفة وانفذ الى زناتة بالمغرب الأوسط اموالا جزيلة وخلعا كثيراً مكافأة لها على هذا الانتصار (4) .

ولما وردت الانباء الى المعز لدين الله ، بحدوث هاتين النكبتين معا وهي : خلع جعفر الأندلسي طاعة الفواطم ، ومقتل حليفه زيرى بن مناد الصنهاجي وهزيمة جيشه ، عظم عليه ذلك وازعجه ، فعجل بتقليد بكلين بن زيري أعمال أبيه في منطقة «أشير» وأضاف له مدينة «تاهرت» والمسيلة واقليم الزاب ، والاراضي التي

---

(1) ابن حيان : المقتبس ص 51 حول وصف هذا الاحتفال بقدوم جعفر واخيه يحيي وزعماء زناتة انظر كتاب : المقتبس لابن حيان ص 40 الى ص 57 .

(2) من بين هؤلاء الشعراء : محمد بن شخيص الذى نظم قصيدة عينية طويلة مطلعها :

بأيمن اقبال وأسعد طائر	تباشير محتوم من الامر واقع
توانت بملك من مقوض	لملك الى مهدى مروان راجع

المقتبس ص 54 .

والشاعر يوسف بن هارون الشاعر الرمادى الذي انشد بهذه المناسبة قائلا :

ولقد عجبت لفعلة المستنصر	اذ اكشف الجيش اللهام لجعفر
ولوان من اهواه يبرزوجهه	قامت لواحظه مقام العسكر

المقتبس ص 56 . ابن عذارى : البيان جـ 2 ص 244

(3) دينار دراهم : اى يقدم لهم قيمة كل دينار بالدراهم ، وليس بالدينار الذهبي وقد اختلفوا فيما يساوى الدينار الذهبي من الدراهم . راجع : ابن حيان ، المقتبس ص 53 حاشية (3) تحقيق د . عبد الرحمن حجى راجع ايضا : ابو الحسن بن يوسف ضوابط السكة ص 140 وما يليها صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد العدد 1 ـ 2 مجلد (6) مدريد 1958م .

(4) ابن حيان : المقتبس ص 53 ـ مفاخر البربر ص 7

سيتم فتحها على يده من بلاد زناتة ، وزوده بجيش كبير ، وأمره بالتوجه الى المغرب في أول سنة 361هـ / 971م(1) .

توغل «بلكين» في أراضي زناتة ، وأنزل بها هزائم مريرة ، وقتل منها العدد الكثير ، وأجلاها من المغرب الأوسط ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل أخذ يطارد فلولها الى ما وراء نهر ملوية الى احوازسبتة مدفوعا في ذلك بعامل الكراهية ووازع الانتقام لأبيه ، ثم عاد بعدها الى أفريقية ليودع المعز ويتسلم منه ولاية افريقية والمغرب (2) .

ثورة الحسن بن جنون الأدريسي على الحكم :

كان الزعيم الأدريسي الحسن بن جنون بن القاسم (3) يوالي بني أمية في الأندلس ، ويدانهم ، وأثناء حملة بلكين بن زيري الصنهاجي المذكور آنفا ـ طمع الحسن في الوثوب باصحاب الحكم المستنصر بالله ، وحلفائه في المغرب ، وكشف بذلك النقاب عن نواياه الحقيقية ، وهي عداوته لحكام الأندلس ، ويشير الى ذلك صاحب كتاب روض القرطاس الى أن ميوله الى صاحب قرطبة ، لم تكن عن حب صادق له ، وانما كانت عن خوف منه لقرب المسافة بين أعماله ، في الريف المغربي وبلاد غمارة وبين بلاد الاندلس (4) .

لهذا وجدناه عندما اتيحت له الفرصة ، قام بثورة عامة تمكن خلالها من احتلال مدينة طنجة ، وتطوان ، وأصيلا ، وسائر المنطقة الجبلية الممتدة شمال وادي لكوس
واختار القلعة الشاهقة ، المعروفة بقلعة النسر أو حجر النسر في شمال شرق القصر الكبير مقرا لقيادته (5) .

---

(1) مفاخر البربر ص 8 .

(2) مفاخر البربر : ص 8 ـ ابن خلدون : العبر ج 7 ص 57

(3) اختلف في اسم هذا الزعيم الادريسي ، فتارة تذكره المصادر بالحسن ابن قنون .وأخرى بكنون وأحيانا بجنون ، والحقيقة كما يرويها العالم المغربي الكبير عبد الله بن جنون ان الاسم يكتب بكاف عليها ثلاث نقاط وتعرف بالجاف وتنطق .جيم باللهجة المصرية اى بدون تعطين جنون

(4) ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص 60 ، السلاوى : المصدر السابق ج 1 ص 87.

(5) مفاخر البربر ص 8 .

وأمام هذه الاحداث الخطيرة التي ادت الى تقلص النفوذ الاموى في بلاد المغرب وخروج بعض الثغور الهامة من ايديهم ، رأى الحكم انه من الضرورى ان يحافظ على أمن دولته وسلامتها وذلك ، بالاسراع في معالجة الموقف باستئصال شوكة الادارسة في هذه الناحية ، وخرج بقراره هذا عن السياسة التقليدية المتسترة وراء القبائل المغربية ، الى سياسة واضحة تقوم على التدخل المباشر في شؤون العدوة المغربية ، للابقاء على نفوذه فيها واتخاذها خطا دفاعيا اماميا للاندلس من ناحية الجنوب .

ولم يتوان الحكم في تعبئة جيوشه واساطيله ، استعدادا لعبور المضيق ، وصبغ تدخله العسكري السافر هذا ، بالصبغة الدينية ، حيث تظاهر بمظهر حامي الاسلام والسنة النبوية من غي الشيعة المارقين حسب قوله (1) .

ففي شهر رمضان سنة 361هـ / 971م دعا الحكم القائد الوزير «محمد بن القاسم بن طملس» وعهد اليه بقيادة الجيش والخروج به الى مدينة «سبتة» بأرض العدوة لمقارعة الادارسة هناك ، وأوصاه بالتزام آداب الحروب ، والاخذ بالعفو والصفح عن الرعية ، الا أنه في الوقت نفسه ، حثه على بذل جهوده في مغاورة الثائر الادريسي ومنازلته ، وزوّده بالاموال والخلع (2) .

ركب القائد الاندلسي البحر من ميناء الجزيرة الخضراء في النصف الأخير من شهر شوال سنة 361هـ / 971م ، الى مدينة سبتة ، وفي الوقت ذاته ، وصل اليها قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بن رماحس بالاسطول ، وبذلك تكاملت وتكاثفت الجيوش والأساطيل بهذه المدينة المغربية ، ومنها بدا الهجوم معاً براً وبحرا ، فاتجه محمد بن القاسم الى مدينة «تطوان» فدخلها دون مقاومة ، اذ وجدها خالية من حاميتها ، ثم عاد نحو الغرب الى مدينة «طنجة» ليساعد عبد الرحمن بن رماحس ، الذي سبقه اليها باسطوله (3) ، وحاصر بها الامير الادريسي «الحسن بن جنون» الذي أخذ يشد من عزم أهلها الا أنه لم يستطع مقاومة الحصار ، فاضطر الى الفرار تحت وابل من

---

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 111 ـ 112

(2) ابن حيان : المصدر السابق ص 80

(3) نفس المصدر ص 81 ـ ابن عذارى : البيان جـ 2 ص 245 .

النبال ، مع بعض أصحابه وخاصته ولايلوى على أحد دون ان يأخذ من الأموال والاخبية شيئا حيث تركها جميعا غنيمة للجيش والاسطول الاندلسيين (1) .

ولما شاهد أهل المدينة فرار زعيمهم الادريسي استسلموا بمدينتهم لقائد الأسطول ، الأندلسي وخرج شيخهم ابن الفاضل مع أبنائه وجماعة من وجوه أهل طنجة الى ابن رماحس يطلبون منه الامان وهم ينادون .

الطاعة لله ولأمير المؤمنين الحكم المستنصر (2) فاعطاهم أياه ودخل ابن رماحس بعد ذلك المدينة دخول المنتصر في شوال سنة 61 هـ / 971 م (3) .

وانفذ ابن رماحس كتابا بهذه المناسبة الى الحكم مع فحلون بن هذيل ومسعود بن محمد صاحبي البريد ، فسر لهذا الإنتصار وكافأ كل واحد منهما بمائة دينار دراهم وغمرهما بخلعه (4) .

أما القائد محمد بن القاسم بن طملس ، فقد تعقب فلول الحسن في الجبال الوعرة التي تعلق بها ، ودخل معه في معركة عنيفة ، استطاع القائد الاندلسي خلالها ان يلحق الهزيمة بالادارسة ، ولم ينقذ «ابن جنون» منها الا سرعة جواده ، وخفة حمله ، ثم عرج «ابن طملس» في طريقه على مدينة «دلول» واحتلها دون عناء كبير (5) ، ومنها توجه نحو ساحل المحيط ، الى مدينة «أصيلا» ، ليؤدب أهلها الذين نقضوا طاعة الامويين في الاندلس ، فدخلها واعاد ولاءهم للحكم المستنصر ، ووجد في مسجدها منبرا جديدا مرسوما باسم الشيعي المعز لدين الله الفاطمي فاحرقه ، بعد أن خلع من أعلاه اللوح الذي يحمل اسم صاحب افريقية وارسله مع كتاب الفتح الى قرطبة (6) .

ومما تجدر الاشارة اليه هو أنه رغم الانتصارات العسكرية العديدة التي احرزها الجيش الاندلسي على الادارسة في المغرب ، الا أنه لم يستطع القضاء عليهم ، حيث

(1) ابن حيان نفس المصدر السابق ص 89 ـ ابن عذاري : المصدر السابق جـ 2 ص 245 .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ص 89 ـ ابن عذارى : المصدر السابق جـ 2 ص 245

(3) ابن حيان : المصدر السابق ص 89 ـ 90 ـ ابن عذارى : المصدر السابق جـ 2 ص 245 .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ص 90

(5) ابن حيان : المصدر السابق ص 90 ـ ابن عذارى البيان جـ 2 ص 246 .

(6) ابن حيان : المصدر السابق ص 90 ـ 91 ـ ابن عذارى : المصدر السابق جـ 2 ص 246

ان هذه الانتصارات لم تكن سهلة ميسورة ، فقد استنزفت من حكومة قرطبة الكثير من الوقت والجهد والاموال والانفس ، التي افاض في شرحها ابن حيان بقوله : «... فقاد خيول الاندلس اليهم ، وربط أكابر قواده بثغرهم وغطى البحر بينه وبينهم بأساطيل الاموال ، والاسلحة والعدد والاطعمة التي أفرغها على مماريسهم ، وتحويل المستمالين من أهل بلدهم عليهم ، حتى قهرهم ...» (1) .

وأشار في مكان آخر أنه في صدر ذى الحجة من سنة 361هـ / 971م سير الحكم المستنصر الى القائد محمد بن القاسم بن طملس بالمغرب مع صاحب الرسائل والبريد ، الاموال اللازمة لتغطية نفقات الجيش والحروب الدائرة مع الادارسة (2) .

وظلت الامدادات المادية والعسكرية ترد على المغرب من الاندلس كل حين ، فإبن حيان يشير الى ان الحكم دعا كل من القائد قيصر ، وسعد الجزيرى ورشيق من وجوه موالى أبيه عبد الرحمن ، واسماعيل بن عبد الرحمن بن الشيخ ، وعبد الرحمن بن يوسف بن ارمطيل ، وعبد الرحمن بن أبي جوشن ، وأمرهم بالتأهب للغزاة ، في الأسطولين المجهزين ، في ثغري المرية واشبيلية وخلع عليهم كثيرا من الخلع وأجزل عليهم الصلات الوافرة ، وزودهم بالأموال والمدد وانفذهم الى المغرب (3) .

كما وجه في صدر شوال من سنة 362 هـ /972 م ، ثقته محمد بن عبد الله بن أبي عامر الى المغرب حاملا معه الأموال والحلي والخلع لتوزيعها على المغاربة الذين استمالت نفوسهم الى بني أمية بالاندلس وولاه في نفس الوقت قضاء القضاة بالمغرب ، فضلا عن المناصب التي يتقلدها مثل خطتي الشرطة الوسطى والعليا والمواريث وقضاء كورة اشبيلية (4) ، هذه امثلة أوردتها على سبيل المثال لا الحصر تبين مدى النزيف الاقتصادى الذي كلف الدولة الأموية في حربها الافريقية ضد الادارسة .

أما « الحسن بن جنون » فإنه لم يستسلم لهذه الهزائم ، بل أخذ يجمع شمله ويوحد صفوفه من جديد ، ثم باغت الجيش الاندلسي على حين غرة في مكان يعرف بفحص « مهران » باحواز طنجة ، وأنزل به هزيمة ساحقة ، وقتل القائد الأندلسي ، محمد بن

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ص 191 .

(2) ابن حيان : المقتبس ص 91

(3) إبن حيان : المقتبس ص 81

(4) نفس المصدر ص 123

القاسم بن طملس ونحو الف وخمسمائة من جنده ، في آخر ربيع الاول سنة 362 هـ / 972 م . ولجأ الفل الأندلسي الى مدينة سبتة مستغيثا بالخليفة الحكم المستنصر بالله (1) :

ثارت ثائرة الخليفة المستنصر بالله لهزيمة جيشه ، ومقتل وزيره وقائده فصمم بكل جدية على محو آثار هذه الهزيمة ، واسترداد كرامته ، وكرامة جيشه ونفوذه في المغرب ، ويظهر ذلك واضحا جليا من خلا ل تصرفاته وتصريحاته ، ومراسلاته الكثيرة التي بعث بها الى قواده في الشمال الافريقي .

ومن حسن الطالع ، فإن المؤرخ القرطبي ابو مروان بن حيان ، نقلا عن المؤرخ المعاصر عيسى الرازي ، أورد معظم تصريحاته ورسائله هذه في كتابه « المقتبس » ، وكأنها أشبه بجريدة يومية تسجل الاحداث أولا بأول (2) .

فقد كتب المستنصر الى قواده المرابطين في مدينة طنجة أمثا ل : عبد الرحمن بن رماحس ، وسعد ، وقيصر ، وكذلك الى قواده في مدينة « أصيلا » أمثال : عبد الرحمن بن ارمطيل ، ورشيق بن عبد الرحمن يأمرهم بعدم التفاوض مع « الحسن بن جنون » ويحثهم على مقاتلته ، ومقاتلة اعوانه دون هوادة .

كما أنه لم يغفل توصيتهم بألا يستعملوا العنف مع القبائل المغربية المنضوية تحت نفوذ الادارسة ، بل من الأفضل أن يسلكوا سياسة اللين معهم واستمالتهم الى صفوفهم وذلك بانفاذ دعاة مهرة اليهم يقيمون بين ظهرانيهم حتى تطمئن نفوسهم الى الدعوة الاموية .

وأمرهم بالاكثار من تجنيد الاتباع وحملة الاخبار ، وبث الجواسيس واذكاء العيون في كل مكان حول الأدارسة لتسقط أخبارهم وتحركاتهم أولا بأول . ولم ينس أن يذكرهم بالتكاثف والتعاون جميعا ، من أجل تقليم أظافر الادارسة واخضاعهم الى نفوذه لاعادة سلطانه على بلاد المغرب (3) .

---

(1) نفس المصدر ، ص 96 ـ مفاخر البربر ، ص 9 ـ ابن عذارى : البيان جـ 2 ص 246 ابن خلدون : جـ 7 ص 38 ، جـ 6 ص 451 روض القرطاس ، ص 61/60 ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثالث ، ص 221 .

(2) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 231

(3) راجع كتاب إبن حيان : المقتبس ، ص 97 ـ 98 ـ 99 ـ 102 .

ولم يكتف الحكم بالجيوش والأساطيل المرابطة في الثغور المغربية فحسب بل أرسل جيوشا واساطيل أخرى لمساعدة قواته المفلولة هناك ، وان دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى الاهتمام البالغ الذي يوليه العاهل الأندلسي للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، واصراره على التحكم فيه وقد لاحظ المؤرخ القرطبي ابن حيان ذلك بقوله : « .. استظهارا على ضبط المجاز عليه واليه ، واستطالة بفضل قوته واشتداد سلطانه .. » (1) .

ويبدو ان الخليفة الحكم المستنصر بالله قد رمى بكل ثقله وامكانياته المادية والبشرية من أجل ذلك ، فالنصوص التاريخية ذكرت بأنه عطل في سبيل حروبه الافريقية ، معظم جيوشه المرابطة في الثغور الشمالية المتاخمة لحدود الممالك المسيحية الاسبانية ، وجردها من كبار القواد ، على الرغم من المخاطر التي تهدد دولته من هناك ، وبعث بهم الى العدوة المغربية (2) .

خروج القائد غالب بن عبد الرحمن لتدعيم القوات الأندلسية في بلاد المغرب :

استدعى الحكم القائد الوزير « غالب بن عبد الرحمن » من مدينة سالم Medinaceli (3) ، فوافاه بقرطبة بمن معه من مرابطي هذا الثغر ، في جمادى الآخرة سنة 362هـ/972 م ، وضم اليه جيشا كبيرا وأمده بالأموال وأمره بالمسير نحو المغرب لقتال الادارسة ، واستنزالهم من معاقلهم ، وقال له عند وداعه : « سر سير من لا اذن له في الرجوع حيا الا منصورا أو ميتا ، فعذورا ، وابسط يدك في الانفاق ، فإن أردت نظمت للطريق بيننا قنطار مال » (4) .

---

(1) نفس المصدر : ص 190

د . أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 231 .

(2) مفاخر البربر ، ص 8 ـ 9 .

(3) مدينة سالم تقع شمال مدريد بنحو 153 ك . م في الطريق الرابط بين مدريد وسرقسطه ، وهي الآن من أعمال مقاطعة سورية وسميت بسالم نسبة الى سالم ورعمال المصمودي الذي يحتمل ان يكون من قادة الرعيل الأول من الفاتحين . والمدينة هي قاعدة للثغر الأوسط الى جانب طليطلة قاعدة الثغر الادنى وسرقسطة قاعدة الثغر الأعلى . راجع د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 222/223 .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ص 108 .

فخرج غالب بالعدد والعدة وآلات الحرب محملا بالالطاف والخلع والكسوة الفاخرة بالاضافة الى الاموال التي تقدر بعشرة آلاف دينار لصلات الحلفاء من وجوه القبائل المغربية المنحرفين عن طاعة الادارسة (1) وأبحر من ميناء الجزيرة الخضراء يريد مدينة « طنجة » في رمضان سنة 362 هـ /973 م لكن صادفته عاصفة قوية اضطرته الى العودة من حيث أتى ، فبقي هناك الى ان تحسن الجو وهدأ البحر ، فاجتاز المضيق مرة أخرى الى طنجة .

ولما انتهى خبر قدومه الى زعماء القبائل المغربية ، بادروا بالكتابة اليه مجددين الولاء والطاعة فكتب اليه كل من : عبد الكريم بن يحيى ، ومحمد بن يحيى الصنهاجي ، صاحبي مدينة « فاس » واسماعيل بن البورى ، ويحيى أخيه زعيمي مكناسة وغيرهما من وجوه أهل العدوة (2) .

تقدم غالب نحو الادارسة ، وعلى رأسهم زعيمهم « الحسن بن جنون » الذي فر من مدينة « البصرة » الى معقله الشاهق : بقلعة النسر : القريب من مدينة سبتة بحريمه وجميع أمواله وذخائره (3) . وفي نفس الوقت تحرك قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس باسطوله من مدينة طنجة الى مدينة « أصيلا » كي يتعاون مع الاسطول الاندلسى المرابط هناك ، وبالتالي يكون بالقرب من القائد الاعلى للجيوش الأندلسية في المغرب الوزير « غالب بن عبد الرحمن » فسر الخليفة المستنصر بالله لهذه الحركة . وبارك صواب التدبير في اجتماع الاسطولين (4).

أخذ غالب يطارد الادارسة في معاقلهم ، ويتتبعهم من حصن الى آخر في الجبال الوعرة ، ونجح في ذلك أيما نجاح ، حيث استطاع ان يحاصرهم في جبل « الكرم » وجبل « مهران » ، وحاول ان يستنزلهم الى السهول والمنبسطات ليتمكن من الالتحام بهم .

ورغم تعلقهم بالاوعار فان غالبا ناوشهم ، وقتل منهم الكثير واحتز عددا من رؤوس حما تهم ، وكان ذلك في شهر شوال سنة 362 هـ /972 م ، كما استطاع أن يستعين

---

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 108 .

(2) إبن حيان : المصدر السابق ص 108

(3) روض القرطاس ، ص 61 .

(4) إبن حيان : المصدر السابق ، ص 116

بسكان حصن « الكرم » من بربر كتامة ، بعد ان استمالهم اليه ، ونجح في تأليبهم على الزعيم الادريسي الثائر ، ثم مدهم بالفرسان والرجالة والبنود والطبول وغيرهم من الاسلحة، فثاروا على الادارسة بهذا الحصن .

فلما رأى ذلك زعيمهم لم يتمالك وركب جواده وهرب مع خاصته وصهره صاحب مدينة « البصرة » محمد بن جنون وعلي بن خلوف (1) وغيرهما من حاشيته الى قلعة النسر. فاحتوى الجيش الاندلسي على كل ما كان به من امتعة وابنية ومواعين واقوات واطعمة واسلحة وغير ذلك ، فاستعانوا بها .

ووجدوا ايضا في سجن هذا الحصن عددا كبيرا من السجناء من اصحاب الادارسة ومن وجوه القبائل المغربية الذين ارتهنهم الحسن بن جنون واوثقهم بالحديد فسرحهم غالب واستعان بهم (2) .

وردّ الخليفة الحكم عن كتاب غالب الذي وجهه اليه بمناسبة دخوله لحصن « الكرم» يحمد مقامه وينوه بأعماله ويشكر فعله ، ويذكره بأنه جاد في حربة مع الادارسة ومصمم على قطع دابرهم من بلاد المغرب مهما كلفه ذلك من نزيف اقتصادي وبشري ، ويظهر ذلك من خلال الرسالة التي وجهها الى القائد الأعلى لجيوشه في المغرب « غالب بن عبد الرحمن » إذ يقول له : « .. وقد كفاك الله الاشتغال بالتفكير في مال أو طعام ، فرادها موصولة بك متلاحقة لديك ... حتى يفتح الله في الظلام القاطع بعد له ، ولو أتى ذلك على بيوت الأموال المترعة وأهراء الاندلس المختصة ، فلو لم يبق منها غير ما في الاهراء الخاصة بقرطبة لاحتمل اليك جميع ما فيها .. ولا ستسهل أمير المؤمنين التحرك الى الجزيرة واتخاذها وطنا مستقرا ، ولأجاز لمجاهدة هذا الفاسق (يقصد الحسن بن جنون) كل جندي في ديوانه مع كل متصرف في مملكته .. (3).

وبعث له بالأموال كصلات للمنضمين اليه من أصحاب « الحسن بن جنون » وتوزيعها عليهم حسب مكانتهم ورتبهم وقرن بها فاخر الكسوة وعددا كبيرا من السيوف المحلاة (4) .

---

(1) إبن حيان : المقتبس ، ص 134 ـ أما إبن عذارى فيذكر بأن على بن خلوف هو صهره وصاحب مدينة البصرة .

(2) إبن حيان : المصدر السابق ، ص 135

(3) إبن حيان : المقتبس ص 130 ـ 131

(4) إبن عذارى : البيان ج 2 ص 247

لم يقف الحكم عند الجيوش والأساطيل الموجهة الى المغرب ، بل استدعى أيضا القائد الوزير صاحب الثغر الأعلى « يحي بن محمد بن هاشم التجيبي » ، من مدينة سرقسطة في ذى الحجة سنة 362 هـ /973 م ، بمن معه من رجال الثغر ، ثم أضاف اليه قوة كبيرة أخرى من المقاتلين الاندلسيين ، وأمره بالسير نحو المغرب لمؤازرة غالب هناك ، وأرفق معه أخوته يوسف ومحمداً وهاشماً وهديلا وبني عمه التجيبيين (1) .

وزوده بالأموال والعتاد ، وهدايا كثيرة من الكسوة الفاخرة والسيوف المحلة لتقديمها الى حلفاء بني أمية في المغرب والمنحاشين الى دعوتهم من اصحاب الادارسة (2) .

ووجه أيضا في نفس الوقت بني خزر الذين قدموا الى قرطبة رفقة يحيى بن علي الأندلسي الى المغرب للحاق ببني عمهم الذين انضموا الى عسكر غالب بن عبد الرحمن في حربه ضد الادارسة العلويين (3) .

ثم أوصل اليه يحيى بن علي الاندلسي ، وقعد له قعودا بهيا ثم أمره هو الآخر بالتأهب للخروج الى بلاد المغرب برجاله القادمين معه من العدوة لتعضيد الجيش الاندلسي ومساعدته هناك وغمره بالخلع والمال فاجتاز يحيى المضيق حيث انضم الى غالب بن عبد الرحمن (4) .

وهكذا اجتمعت لغالب هذه الحشود الهائلة من العساكر الاندلسية والمغربية فتقدم بهم نحو مدينة « البصرة » بعد أن بث العيون والجواسيس حولها ، وأخرج الأموال الى أهلها من كتامة وهي السياسة التي اوصاه بها الحكم فثاروا على صاحبها الادريسي وقتلوا خاله ، محمد بن عبد السلام واحتزوا رأسه ، وبعثوا الى غالب يستقدمونه ، فتقدم اليهم ، وابقى رفيقه القائد يحيى بن محمد التجيبى في حصن الكرم يقف على بنائه ، وأقام بها مدة ثم ثقفها غالب وشكها بالرجال والجند واستعمل عليها « عبد الرحمن بن محمد بن الليث » ، ثم انتقل منها لمتابعة فلول الادارسة وكان ذلك سنة 363 هـ /973 م (5) .

---

(1) إبن حيان : المصدر السابق ص 125 ـ مفاخر البربر ص 9 ـ ابن عذارى : البيان ج 2 ص 247 .
(2) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 129
(3) ابن حيان : المصدر السابق ص 124 ـ 125
(4) نفس المصدر ص 130
(5) ابن حيان : المقتبس ص 144/143 ـ ابن عذارى : البيان ج 2 ص 147 .

وبعث بذلك الى مولاه الحكم بقرطبة مع فتاه « قند » يخبره بما تم له من فتح ، وبرفقة كتابه هذا خطاب بعث به أهل مدينة البصرة ومعهما رأس ابن عبد السلام فاستقبل الخليفة قندا استقبالا رسميا وشعبيا في قرطبة وخرج الناس لمشاهدة رأس الادريسي ثم قعد له الخليفة يسأله عن اخبار المغرب وأحوال جنده (1).

ولم يلبث غالب أن شدَّد الحصار على الادارسة فوزع الأموال على رؤساء القبائل المغربية ولا سيما رؤساء غمارة ومن معهم من الجند ، ووعدهم بالجاه والمال ورفعه المنزلة ان هم تخلوا عن مساندة الحسن بن جنون فاستجابوا له ، واخذ هؤلاء المغاربة يتفرقون من حول الزعيم الادريسي وينضمون الى صفوف الجيش الاندلسي حتى لم يبق معه الا خاصته ورجاله حسب قول ابن ابي زرع (2) .

ولم يكتف الخليفة الحكم المستنصر بالله بكل هذه القوات والاساطيل التي وجهها الى غريمه الادريسي « الحسن بن جنون » بل ارسل ايضا الشعراء والقضاة ، والامناء وجعل مهمتهم معرفة احوال الجيوش والرعية في المغرب أو بعبارة اوضح القيام بمهمة الاستعلام والاستطلاع ومن بين هؤلاء المبعوثين ، محمد بن أحمد بن مفرج قاضى « ريه » وأبو عبيد القاسم بن خلف الجبيرى الفقيه فقضيا هناك ردحا من الزمن ثم عادا الى قرطبة (3) ، وأرسل أيضا كلا من القاضى عبد الملك بن منذر بن سعيد ، والخازن أحمد بن محمد الكلبي الى مدينة « الفرج » ، ليقفا على حقيقة الشكوى التي قدمها أهل هذه المدينة ضد القائد رشيق بن عبد الرحمن (4) .

كما أنفذ في شعبان سنة 362 هـ /972 م ، أحد ثقافه صاحب الشرطة الوسطى والمواريث ، قاضى كورة اشبيلية ، محمد بن عبد الله بن أبي عامر ، وكان محمد هذا حسن الدراية بالمسائل المالية ، واسع الخبرة بشئون الادارة حتى لقب بفتى الدولة (5) ، واصطحب معه صاحب الشرطة الصغرى قاضى الثغر الأعلى محمد بن على بن أبي

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 143 .

(2) روض القرطاس ص 61 ـ ابن خلدون : العبر جـ 2 ص 452

(3) ابن حيان : المقتبس ، ص 91

(4) نفس المصدر ، ص 105

(5) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 106 راجع أيضا كتاب د . خالد الحوفي تاريخ العرب في إسبانيا عصر المنصور ، ص 23 بيروت 1966 .

الحسين ، والخازن أحمد بن محمد الكلبي الى مدينة « أصيلا » بالمغرب الاقصى ، أمناء ومراقبين للقواد (1) .

وكذلك بعث الشاعر الجزائري محمد بن حسين التميمي المعروف بالطبني (نسبة الى مدينة طبنة جنوب شرق جمهورية الجزائر) الى المغرب ، ليرافق القائد الوزير غالب بن عبد الرحمن ويستعين به في شؤونه ومؤازرته في تدبيره باعتباره خبيرا بأحوال المنطقة وبطبائع أهلها وولوجه في شؤونهم (2) .

الوفود والسفارات المغربية الى قرطبة :

نجح الحكم أيما نجاح في سياسته المغربية إذ ان المصادر تتحدث باسهاب عن الوفود المغربية الكثيرة ، التي حلت ببلاط الخليفة الحكم المستنصر بالله معلنة الطاعة والولاء ، ولو حاولت ان اتطرق الى ذكر جميع الوفود والسفارات المغربية التي وردت على قرطبة ، لضاق بنا المجال ولا ينتابنا الملل من ذلك ، ولهذا ساقتصر بالاشارة الى بعضها فقط على سبيل المثال لا الحصر.

ففي غرة جمادي الآخرة سنة 362 هـ /972م ، قدم وفد على قرطبة يمثل قبيلة مصمودة بلغ عدد افراده نحو سبعين رجل ، كانوا قد فروا من صفوف الادارسة العلويين ولجأوا الى القائد الأندلسي عبد الرحمن بن رماحس بطنجة راغبين في طاعة صاحب قرطبة فلم يلبث ابن رماحس ان ارسلهم الى قرطبة حيث استقبلهم الخليفة الحكم ، وقبل انابتهم واوسع عليهم وانزلهم بمنية نجدة .

كما وفد على الحكم المستنصر في نفس الوقت رسول « جنون ادريس » صاحب مدينة الاندلسيين (3) ، ورسول عبد الكريم صاحب مدينة القرويين ، يرغبان الدخول في طاعة صاحب قرطبة ، والقيام بدعوته فكرّم الحكم الرسولين (4) .

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 106

(2) ابن حيان : المقتبس ، ص 108 ـ 19

(3) نفس المصدر ، ص 96 ـ ابن عذارى : البيان جـ 2 ص 246

(4) ابن عذارى : المصدر السابق جـ 2 ص 247 ـ أما ابن حيان فيذكر بأنه صاحب مدينة الاقلام (المقتبس ، ص 103) .

وفي آخر شعبان سنة 362 هـ /972 م قدم على الحكم ، القاسم بن يحيى بن القاسم بن ابراهيم بن محمد المسمى « جنون » ، وهو ابن أخي الحسن بن جنون ، قادما من المغرب خارجا عن طاعة عمه جانحا الى طاعة المستنصر بالله ، فاكرمه الخليفة واوسع عليه الجراية ، وانزله في دار ابن أمية بقرطبة (1) .

وفي شهر رمضان من نفس السنة عهد الحكم الى الوزراء بالقعود في بيتهم ، لاستقبال رؤساء القبائل المغربية القادمين من المغرب ومشاهدة توزيع الصلات والكسى عليهم ، التي أمر بها الخليفة المستنصر بالله ، وكان يتقدم هؤلاء المغاربة أبو العيش بن أيوب بن بلال رئيس كتامة ، فاجزل الخليفة عطاءه وخلع عليه الخلع الرفيعة ، ثم دعى من كان معه من الرؤساء ، فقدمت اليهم صلاتهم ، وخلعهم ثم لاصحابهم وأعوانهم كل حسب رتبته ومكانته وبوّأهم رئاسة قومهم وأمرهم بالانصراف الى بلدهم (2) .

وفي صفر سنة 363 هـ /973 م ، جلس الخليفة الحكم المستنصر بالله على سريره بقصر الزهراء ، محفوفا بالحجاب ، والوزراء وكبار رجال الدولة ومختلف طبقات أهل الخدمة ، لاستقبال الادارسة الوافدين عليه من المغرب امثال : عبد الرحمن بن محمد بن أبي العيش ، وحسين بن يحيى بن حسن بن ابراهيم وحسن بن جنون الحسنيين وبعض رجالهم ، ثم تلاهم بعد ذلك شيوخ مدينة « البصرة » ، وبعض علمائها وفقهائها ، فاستمع الخليفة اليهم وسر لحديثهم ، وأوسع عليهم بالخلع والصلات (3) .

وكذلك دخل قرطبة « جنون بن عيسى الحسني » ، فاكرم الخليفة الحكم متواه واحتفى به حفاوة بالغة ، ووصلت أيضا الى قرطبة في الوقت نفسه الخيل التي بعث بها صاحب عدوة القرويين بفاس ، وعدتها نحو خمسة وثلاثون فرسا هدية للخليفة (4) .

واستمرت الوفود والرسل تتقاطر كالسيول على بلاط قرطبة دونما انقطاع ، من المغرب سواء من الادارسة العلويين أو رؤساء القبائل المغربية ، حاملة له الطاعة والولاء والهدايا الكثيرة . وكان الخليفة الحكم كريما سخيا معهم ، يقعد بنفسه لاستقبالهم

---

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 103 ـ ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 247 .
(2) نفس المصدر ، ص 109
(3) نفس المصدر ، ص 114
(4) ابن حيان: المقتبس ، ص 146

وتوديعهم ولا يرفض لهم طلبا . وعلى ما يبدو فان الخليفة المستنصر قد نجح في كسب ود المغاربة بسياسته هذه ، حيث استجاب له الكثير من أمرائهم وانحاشوا الى دعوته ، وفي ذلك يقول ابن حيان : « ... قد صار الى الطاعة (أي طاعة الحكم) جميع أمراء المغرب وعامة قبائل البربر ، فليس فيه منابذ غير الشقى الخائن حسن بن حنون ... » (1).

وبهذه السياسة الذكية الحازمة ضيق الخليفة الحكم المستنصر بالله الحصار على الادارسة ومن ثم أعطى أوامره الى قواد جيوشه واساطيله في المغرب للقيام بحملة جماعية واسعة النطاق على حصن « الحسن بن جنون » المعروف « بحجر النسر » فاشتد الأمر عليه وضاقت أحواله .

إستسلام الحسن بن جنون الادريسي :

ولما أشتد الحصار عليه وطال ، فر من حوله الكثير من اصحابه وأعوانه وخدمه ، حتى ابنه المنصور وأخته وأمها اضطروا للتّخليّ عنه واللّجوء الى القائد الاندلسي غالب بن عبد الرحمن عند ذلك أجبر الثائر الادريسي ، على الاستسلام بمن تبقى معه ، بعد أن طلب الامان لنفسه ولاتباعه ، وكان قد وجه الى القائد الاندلسي ابنه ، علياً بن حسن لهذا الغرض (2) .

دخل غالب بن عبد الرحمن قلعة « حجر النسر » وصلى في مسجدها صلاة الجمعة مع الأمير الادريسي ، ودُعي للخليفة الحكم على منبره في أواخر جمادى الآخرة سنة 363 هـ / مارس 973 م (3) .

وهكذا احتل غالب القلعة الادريسية بعد حروب طويلة ، ومعارك مريرة استنزل بعدها جميع العلويين من معاقلهم واخرجهم منها ولم يترك أحدا بها ، ثم سار نحو مدينة « فاس » فملكها ، وثبت عبد الكريم على عدوة الاندلسيين ومحمد بن حسن على عدوة القرويين ، وأخذ منهما الرهائن مع كتابى بيعتهما للخليفة ، وبعث بهم الى قرطبة (4) .

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 146 ؛ ابن عذارى : البيان ج 2 ص 248

(2) نفس المصدر ، ض 148

(3) نفس المصدر ، ص 148

(4) نفس المصدر ، ص 150 ـ 151

وسكنت بذلك ريح الأدارسة ، الذين طالما ناوءوا النفوذ الأموي في المغرب وقاوموه بشدة منذ قيام دولتهم في المغرب الاقصى ، سنة 172 هـ / 788 م .

وفي المحرم سنة 364 هـ / 974 م ، عاد القائد غالب شيخ الحروب وفارس الخطوب الى الاندلس ومعه « الحسن بن جنون »وأقربائه من الامراء الادارسة ، حافين بشيخهم وكبيرهم « أحمد بن عيسى » المشهور « بجنون » صاحب مدينة « الاقلام » وما ولاها بارض العدوة (1) .

وكان يوم دخولهم الى مدينة الزهراء أحفل أيام الدولة لما ظهر فيه من فخامة الملك وكثرة الجمع ، حيث أمر الحكم الناس بالخروج الى لقائهم ، وركب هو في جمع غفير من وجوه رجال الدولة ، فتلقاهم وعفى عنهم ، وأوسع على الحسن بالعطايا ، ورتّب نحوسبعمائة فارس من انجاد المغاربة في ديوان جنده (2) .

والجدير بالملاحظة هنا هوأن عاهل الاندلس قد وفق تماما في اختيارالوقت المناسب ، والظروف المواتية لعبور جيوشه الى بلاد المغرب ، ففي الوقت الذي كانت فيه الجيوش والاساطيل الاندلسية تعبر المضيق ، كان المعز لدين الله الفاطمي متوجها بجيوشه واساطيله الى مقره الجديد بمصر.

وكان خليفته في افريقية والمغرب يوسف بن بلكين منشغلا في هذه الآونة بتوطيد اركان دولته الناشئة ، بإخماد الفتن ، والثورات التي نشبت ضده في مدينة القيروان وهذا مما لاشك فيه ، قد ساعد مهمة القوات الاندلسية وفتح المجال أمامها لنشرالدعوة الأموية في المغرب الأقصى . دون أن تتعرض لها صنهاجة . وقد لاحظ ذلك صاحب كتاب مفاخر البربر بقوله : « ... فنزل قصر معد بالمنصورية ، وتمت له المملكة (أي بلكين) تعجل بالخروج نحو المغرب في شعبان من هذه السنة (362 هـ) وقد عظم عسكره ، وبعد صيته ، فقضى الله ان اضطربت بعده القيروان .. فتوقف بلكين من أجلها الى أن جلت عنه العماية مع انقضاء سنة 364 هـ /974 م » (3).

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 174 ـ ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 61 ـ 62 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 6 ص 452 .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 194 ـ ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 248

(3) مفاخر البربر ، ص 9 ـ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 62 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 6 ص 453 ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثالث ، ص 222 ـ وحول حفاوة الاستقبال ومراسيمه كتاب ابن حيان : المقتبس ، ص 194 وما يليها .

استقطاب الحكم المستنصر بالله للمغاربة لدعم قواته :

ومن الملاحظ أيضا أن الخليفة الحكم المستنصر بالله قد شجع هجرات القبائل المغربية من بلاد المغرب الى بلاد الاندلس ، دعما لقواته وعملا بسياسة حفظ التوازن في المنطقة ، والحق رجالهم بجنده ، وبوّأهم بداره وأدخلهم في خدمته ، ولا سيما منها الفرق المغربية التي قدمت أخيرا الى الاندلس مع آل حمدون الأندلسي ، وبني حسن الادارسة العلويين ، ورجال البرازلة سكان جبل سالات وما اليه من اعمال المسيلة (1) .

برز هؤلاء البرازلة ، بعد المعركة التي دارت بين صنهاجة من جهة ، وبين زناتة وجعفر بن علي سنة 360 هـ / من جهة أخرى ، وكان لهم اليد الطولى في مقتل زيري بن مناد ، لذلك استقدمهم الخليفة الحكم الى الاندلس ، ونظمهم في طبقات جنده ، لما اشتهروا به من شجاعة وبأس وركون للطاعة ، وتغاضى عن اختلافهم المذهبى إذ كان البرازلة يدينون بالمذهب الخارجي الاباضي النكاري ، رغم تعصبه لأهل السنة ومذهب مالك (2) .

هذا بالاضافة الى من لحق به من قبائل أخرى مثل زناتة وغيرها من القبائل المغربية المنحاشة الى طاعة بني أمية في الأندلس (3) .

وقد رفع الخليفة الحكم المستنصر بالله ، منزلة هؤلاء المغاربة ، الذين عبروا لخدمته في الاندلس ، وأصبحت فيهم رئاسة الجيوش وقيادة المعارك . ولما كانوا يتحلون به من بأس وشجاعة واقدام فاعجب بهم الحكم كثيرا ، لدرجة أنه كان يتسلى بمنظرهم الجميل ، عندما كان مريضا ، حيث كان يطل عليهم من قصبة دار الرخام ، ليستمتع بمشاهدة استعراضهم ، حينما كانوا يتحركون للعب بالخيول ، وكثيرا ما كان يعبر لمن حوله عن انطباعاته الحسنه تجاههم وإعجابه الشديد بهم بقوله : « ما أعجب انقيادها (أي الخيل) بهم » (4) ويردد دائما قول الشاعر المتنبي :

---

(1) مفاخر البربر ، ص 13 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، ص 192 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 111

(3) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 192

(4) ابن حيان : المقتبس ص 193 .

فكـــأنما ولـــــــدت قيامـــا تحتهـــم   وكأنهم ولـدوا على صهواتهـــا(1)

وعندما أشتد المرض على الخليفة الحكم المستنصر بالله ، وشلت حركته انتقلت السلطة الى وزرائه وحاشيته ونسائه ، فاضطربت شؤون الدولة وطمع الاسبان في الشمال وكثر إعتداؤهم على الثغور الاسلامية المتاخمة لحدودهم وتطاولوا عليها .

عند ذلك رأي وزير الحكم وصاحبه جعفر بن عثمان المصحفي ضرورة استدعاء القائد يحي بن محمد التجيبي من المغرب ، ليسد به الثغور الأندلسية الشمالية (2) ، وأقام مكانه بإسم الخليفة أميرين من أصل اندلسي هما : جعفر بن علي الأندلسي وأخيه يحيى لخبرتهما بشؤون المغرب وأهله من جهة ، ولشدة عداوتهما لبني زيري الصناهجة من جهة اخرى ، وخلع عليهم خلعا فاخره ، ودفع لهما اموالا وكسي كثيرة ، لتقديمها الى زعماء القبائل المغربية هناك وارفق معهما بعض رجالهما واتباعهما وانفذهما الى المغرب فوصلا الى قلعة النسر سنة 365 هـ /975 م ، حيث سلم لهما القائد يحيى بن محمد التجيبى مقاليد الأمور ، وقفل عائدا الى الاندلس ، ولم يلبث ان وجهه الخليفة لتوه الى مدينة سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى في نفس السنة اي سنة 365 هـ / 975 م .

وقد استطاع جعفر بن علي أن يضبط أمور المغرب ، وان ينجح في اكتساب زعماء القبائل المغربية ويدعم مركزه بهم وأهم هؤلاء بدو بن علي شيخ بني يفرن ، وزيرى وأخيه مقاتل بن عطية بن عبد الله المغراويين زعيمى زناتة ، وبني البورى رؤساء مكناسة ، وغيرهم من بني مرين ، وبني مروة (3) .

وتعاون هؤلاء جميعا في دفع هجمات « بلكين » زعيم صنهاجة المتكررة على أراضيهم وتمكنوا من تثبيت أقدام الأمويين في المغرب بقية أيام الحكم (4) .

كما لم يلبث الوزير جعفر بن عثمان المصحفي أن أقدم على عمل كان له عواقب وخيمة فيما بعد وذلك أنه قرر إخراج الادارسة من الأندلس ليتخلص منهم ومن نفقاتهم الثقيلة ، فإذن لهم بالرحيل الى بلاد المشرق بعد أن أخذ من زعيمهم « الحسن » العهود والمواثيق بعدم الذهاب الى بلاد المغرب ، ثم قدم لهم الأموال ، ليستعينوا بها على السفر ،

---

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 193 والبيت قصيدة يمدح فيها أبا أيوب أحمد بن عمران الانطاكي .

(2) مفاخر البربر. ص 13 .

(3) مفاخر البربر : ص 14

(4) نفس المصدر والصفحة .

واوكل لمن أخرجهم من ميناء المرية فعبروا البحر الى تونس ومنها الى مصر سنة 365 هـ وهناك استقبلهم الخليفة الفاطمي الخامس ، العزيز بالله بحفاوة بالغة واقرهم عنده ، وأكرمهم وأحسن اليهم ، ليحتفظ بهم كسلاح يمكن اشهاره في الوقت المناسب ضد أعدائه بني أمية وحلفائهم في المغرب (1) .

لم يكتف الحكم المستنصر بالله بالنشاط العسكري ، ضد الشيعة الفواطم في المغرب وحلفائهم بل اتخذ أيضا مظهراً آخر هو المظهر الثقافي فعمل على محاربة الدعوة الشيعية بواسطة العلماء الذين جندهم للدفاع عن آراء بني أمية السنية ومبادئهم ونشرها .

كما أن الحكم مد يده الى مصر ، وأخذ يكافيء فقهاء المالكية ويشجعهم بصلاته ، فقد بعث الى رئيس فقهاء المالكية الاندلسي الأصل أبي إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف با بن القرطبي بمصر ، وابي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وغيرهما (2) مقتديا في ذلك بسياسة أبيه عبد الرحمن عندما أرسل الى هذا الفقيه نفسه عشرة آلاف دينار ليوزعها على فقهاء المالكية بمصر ، وقد كان رد الفعل من طرف الأخشيديين مماثلا ان اخرجوا مثل هذا المبلغ ووزعوه على شيوخ الشافعية (3) .

كما فتح الحكم ذراعيه لكل لاجيء سياسي هارب من الاضطهاد الشيعي الفاطمي سواء كان هؤلاء اللاجئين من بلاد المغرب أو من مصر ، ومن بين هؤلاء اللاجئين القادمين من مصر ، إبن الازرق الأموي الذي خرج من مصر ، فقبضت عليه الفواطم في إفريقية وسجنته بالمهدية ، ولعل الذي دفعهم الى ذلك هو شكّهم في كونه جاسوسا أمويا ثم تمكن من الفرار ، ولجأ الى قرطبة حيث اكرمه الحكم ، وظل هنالك الى أن توفي سنة 385 هـ/995 م (4) .

ومنهم أيضا اسماعيل بن عبد الرحمن القرشي الذي رحل من مصر سنة 360 هـ / 970 م بعد أن استولى عليها جوهر الصقلي بسنتين ، واتجه الى حاضرة الأندلس مدينة قرطبة فحل من خليفتها محلا طيبا (5) .

---

(1) مفاخر البربر ، ص 15 ـ راجع أيضا : أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب ، ص 234 .

(2) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ 1 ص 201 .

(3) ابن الآبار : الحلة السيراء جـ 1 ص 201 تعليق رقم (1) .

(4) د . محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ص 32 .

(5) المقري : نفح الطيب جـ 4 ص 69 .

وكذلك حكم بن محمد القيرواني القرشي (ت 370 / 980 م) الذي تردد كثيرا بين عاصمة الأندلس ومدينة القيروان ، ويبدو أن الحكم كان سخيا معه وبالغ في إكرامه ، لمشاركته في النشاط الدعائي ضد الشيعة من جهة ولانه تعرض لسجن المهدية بسبب مهاجمته للشيعة الفواطم من جهة أخرى (1) .

اعتنى الحكم المستنصربالله أشد العناية بتشجيع حركة التأليف في الشؤون المغربية وخاصة ما يتعلق منها بإخبار الشيعة ومذ هبها ، ولعل الحكم هو صاحب هذه السياسة التي أنفرد بها ، فقد كلف المؤرخ القيرواني محمد بن يوسف بوضع كتاب عن تاريخ المغرب ، ومسالكه وممالكه ، وحروبه ، والظاهر أن هذا العمل ليس الغرض منه خدمة العلم فقط بل ربما كان كذلك تمكينا للسياسة التقليدية التي جرت عليها الخلافة الاندلسية في الشمال الإفريقي (2) .

وقد ورد في بعض المصادر كيف ان عاهل الأندلس ، اغتنم فرصة وجود سفارة برغواطة في قرطبة ، وطلب من رئيسها ابى صالح زمور البرغواطي أن يؤلف له عن أخبار هذه القبيلة ونسبهما ودياناتهما ، فكتب له ما أراد باللغة البربرية وترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية بأمر من الحكم ويعد هذا الكتاب وثيقة حية في تاريخ البرغواطيين ، أستقى منه معظم المؤرخين مادتهم عن أخبار برغواطة وديانتها (3) .

كما وجه الحكم عناية خاصة بتاريخ العلويين فقد شارك بنفسه في تأليف كتاب يتضمن انساب الطالبيين القادمين الى المغرب وكلف معاوية بن هشام المرواني المعروف بابن الشبانية ، بتأليف كتاب في نسب العلويين وغيرهم من قريش ، فوضع له كتاب عنوانه « التاج السنى في نسب آل علي » ولعله يحتوى على أخبار الشيعة في المغرب والاندلس كما يدل عنوانه على ذلك (4) .

---

(1) د . محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 33

(2) د . محمود علي مكي : المرجع السابق ص ، 33

(3) المقرى : نفح الطيب جـ 4 ص 60 ـ عبد الله يوسف الغنم : مصادر البكرى ومنهجه الجغرافي ، ص 137ـ الكويت 1974 م .

(4) د . محمود علي مكي : المرجع السابق ، ص 33 ـ 34

الباب الثالث

سياسة الأمويين نحو دول المغرب منذ وفاة الحكم المستنصر حتى سقوط الخلافة الأموية



الفصل الأول

سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر هشام المؤيد بالله

(366 هـ ـ 399 / 976 ـ 1008)

عهد الحكم المستنصر بالله بولاية العهد ، لأبنه أبي الوليد هشام وهو طفل صغير ، لا يتجاوز العاشرة من عمره ، وذلك سنة 365 هـ /975 م ، أي قبل وفاته بسنة واحدة ، وأخذت له البيعة من الخاصة والعامة في مدينة « قرطبة » وسائر كور شبه جزيرة الأندلس ، والمناطق الأخرى المنضوية تحت سلطان الخلافة الأندلسية ، فيما وراء المضيق ببلاد المغرب (1) .

وقد احتاط الحَكَم لهذا الأمر قبل وفاته ، وكأنه يعرف مسبقا ما ستؤول إليه الخلافة بعد وفاته ، فحاول أن يعمل ما يمكن عمله ، لضمان إستمرارها في يد ولده هشام المؤيد بالله ، فجمع كل من يثق به من كبار رجال دولته ، وكتب له العهد أمامهم وأشهدهم على ذلك ، ولم يكتف بهذا بل أخذ منهم العهود والمواثيق ، لمؤازرة إبنه الخليفة الصغير ، والإخلاص له ، ومساعدته في تيسيير شؤون الدولة .

لكن هذه العهود والمواثيق ، ضرب بها عرض الحائط ، بعد وفاة الحكم مباشرة سنة 366 هـ /976 م ، بظهور بوادر الخلاف والإنشقاق في صفوف رجال الدولة ، فانقسموا الى فئتين :

فئة تتكون من العسكريين ، وأخرى من المدنيين ، وكل واحدة لها وجهة نظرها في هذا الموضوع ، تدفعها في ذلك مآربها وأطماعها الشخصية . .

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب جـ2 ص 249 .

وكان العسكريون وهم الصقالبة ورجال الجيش والحرس الخليفى ، أكثر جمعا وأحد شوكة من المدنيين ، يتزعمهم « فائق » المعروف بالنظامى صاحب البرد والطراز و« جؤذر » صاحب الصاغة والبيازرة (1) .

أما المدنيون وعلى رأسهم رئيس الوزراء الحاجب ، جعفر بن عثمان المصحفي ، فقد تمسكوا بوصية الحكم وحرصوا على تنفيذها ، لعل ذلك يخدم مآربهم وأطماعهم ، وهو الإستئثار بزمام الأمور في الدولة .

وكادت أن تدور رحى حرب أهلية دامية خطيرة في مدينة « قرطبة » ، بين الفئتين المتنافستين ، لو لا أن تدارك الموقف بسرعة ، جعفر المصحفي وأصحابه الوزراء ، فأنهوا هذا السباق بتدبير مؤامرة أودت بحياة مرشح العسكريين ، المغيرة بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، قام بتنفيذها شخصية جريئة وطموحة هو محمد بن أبي عامر المعافري اليمني .

وبذلك رجحت كفة الوزراء وخلا الجو لهشام من المنافسين على كرسي الخلافة (2).

غير أن الخليفة هشام لم يكن له في السلطان شيء ، لا من قريب ولا من بعيد لصغر سنه ، فقد استحوذت على زمام الأمور في بادىء الأمر أمه السيدة « صبح البشكنسية » ، التي بدأت حياتها في القصر جارية مغنية محظية عند الحكم (3) ، ولم تلبث أن زادت عنده حظوة عندما انجبت له هشاما ، وأصبحت بذلك أم ولد ، ومنذ ذلك الحين قوى نفوذها في القصر ، ولا سيما في الفترة التي كان الحكم فيها مريضا ، فأتيح لها أن تكون هي المدبر في شؤون الدولة .

وسوف نرى كيف ظهرت عن طريقها ، شخصية محمد بن أبي عامر على مسرح السياسة ، وكيف استطاع بذكائه المتوقد ودهائه وحزمه ، أن يسيطر على الخليفة وشؤون الخلافة ، وعلى أمه السيدة صبح نفسها .

على أن موضوع الأهمية هنا ، هو أن تاريخ الخلافة الأندلسية في الفترة ما بين سنة 366 هـ /976 م ونهاية القرن الرابع الهجري 399 هـ / 1008 م ، ما هو الا تاريخ

---

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 259

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 261 ـ المقرى : نفح الطيب ، ـ جـ 1 ص 373 .

(3) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 253

أسرة جديدة تمكنت من فرض وجودها ، والإستبداد بالحكم في قرطبة دون اصحابها الشرعيين ، هي الأسرة « العامرية » المتمثلة في محمد بن أبي عامر وولديه من بعده عبد الملك المظفر وعبد الرحمن الناصر المعروف بشنجول ، وهي أسرة ليست من البيت الحاكم ، وإنما ساعدها حسن الطالع أن تصل الى السلطة بفضل موهبة المؤسس الأول محمد بن أبي عامر وطموحه ، اذ أستطاع أن يستولي على أمور الدولة ، وأن يتصرف فيها بيد من حديد ، فأسس بذلك دولة عامرية داخل الإطار الشرعي للخلافة الأموية في الأندلس امتدت طيلة أيامه ، وأيام ولديه من بعده نحو ثلاثه وثلاثين سنة ، حتى أن المؤرخين أرخوا لهذه الفترة تحت عنوان « تاريخ الدولة العامرية » (1) .

ظهور شخصية محمد بن أبي عامر :

وقبل أن أنتقل بالحديث الى صلب الموضوع ، فضلت أن أقف قليلا عند نشأة هذه الدولة ، ومؤسسها محمد بن أبي عامر ، لأنه هو المحور الذي ستدور حوله الأحداث، وهو المدبر والصانع للسياسة الأندلسية في البلاد المغربية ، خلال عصر الخليفة هشام المؤيد بالله .

ومحمد بن أبي عامر هذا ينحدر من أسرة عربية يمنية ، دخل جده عبد الملك المعافرى أرض الأندلس في جيش طارق بن زياد سنة 92 هـ /710 م ، (2) وأبدى ضروبا من الشجاعة والإقدام في هذا الفتح ، ويرجع إليه الفضل في الإستيلاء على مدينة « قرطاجنة » شرقى الأندلس ، وأستقر بعد ذلك بنو عامر في مدينة « طرش » Torrox الواقعة على نهر يسمى وادي آره oudi Ara في شمال شرق الجزيرة الخضراء (3) . وقد برز منهم القضاة والولاة والعلماء ، ولهذا نشأ محمد بن أبي عامر نشأة علمية حسنة .

---

(1) وضع المؤرخ القرطبي المعاصر أبو مروان بن حيان كتابة « البطشة الكبرى » وخصص جزءا منه لتاريخ هذه الفترة تحت عنوان أخبار الدولة العامرية أو المآثر العامرية . أنظر كتاب ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ 1 ص 269 المقرى : نفح الطيب ، جـ 1 ص 376 ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 83 .

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 257 ـ المقرى : نفح الطيب ، جـ 1 ص 376

(3) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 72 .

انتقل ابن أبي عامر إلى قرطبة يطلب فيها العلم والمعرفة ، فدرس الحديث وقرأ اللغة العربية على يد كبار شيوخها من أمثال : أبي علي القالي البغدادي وأبي بكر بن القوطية ، وأبي بكر بن معاوية القرشي وغيرهم من شيوخ المسجد الجامع (1) .

وعندما تم تعليمه اقتفى أثر عمومته وخؤولته ، الذين كانوا يشتغلون بمهنة القضاء (2) ثم فتح دكانا عند باب القصر ، يكتب فيه لمن يعن له من الخدم والمرافقين للقصر وعامة الناس الشكاوي والعرائض والالتماسات ، وسرعان مانبغ في هذه المهنة ، فاستهوته قلوب الناس ، وذاع صيته بينهم وبخاصه عند خدم القصر وغلمانه ، لِمَا كان يتمتع به من ذكاء ونشاط وقوة الشخصية مع مهارة في معاملة الناس ، ولم يلبث أن سمعت به السيدة « صبح » أم هشام المؤيد ، عن طريق من كان يأنس إليه من فتيان قصر الخليفة (3) .

وكانت السيدة صبح في ذلك الحين في حاجة الى كاتب يدير شؤون أموالها وضياعها ، فاسندت له هذه المهمة ، فلم يتأخر عن عمله وواجباته وكان عند حسن ظنها ، إذ أظهر كفاءة ممتازة وقدرة فائقة في وظيفته ، حتى جذب أنظار السيدة صبح إليه ، ولم تخف إعجابها به ورضاها عنه ، بل وسرعان ما تحول ذلك الإعجاب الى « حب » فاستهوته وغلب على قلبها ، بما يقدم لها من صنوف التحف الثمينة ومختلف الهدايا الجميلة ، لدرجة أن الخليفة الحكم المستنصر بالله صرح بذلك علنا أمام خواصه قائلا : « إن هذا الفتى قد خلب عقول حرمنا بما يتحفهم به » (4) .

ومنذ ذلك الوقت أخذت السيدة صبح تتوسط له عند الخليفة الحكم وتذكره بمناقبه ، وتنوه بأعماله وسلوكه ، حتى ولاه قضاء بعض النواحي بكورة رية ثم رقاه إلى الإشراف على أموال الزكاة والمواريث بإشبيلية ، وادارة الشرطة الوسطى والعليا وأمانة السكة (5) .

---

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 257

(2) نفس المصدر ، جـ 2 ص 257

(3) ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الرابع المجلد الأول ، ص 43 ، القاهرة 1945 م - المقرى : نفح الطيب ، جـ 1 ص 376 .

(4) المقرى : نفح الطيب ، جـ 4 ص 87 ، جـ 1 ص 376 - وانظر أيضا ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 252 .

(5) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 251 ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ، ص 68 . ابن حيان : المقتبس ، ص 123 .

وما انفكت كفاءته تظهر ، ومازال كذلك الخليفة الحكم يرقيه ويقلده الوظيفة تلو الأخرى ، حيث جعلهُ وكيلا على أبنه وولي عهده هشام ، فزاد رفعة وقدرا عند الخاصة بولي العهد ومكانه من السيدة والدته ، فأحتاج الناس إليه وغشوا بابه يلتمسون منه الوساطة وقضاء الحاجة وفي ذلك يقول إبن عذارى : « فاحتاج الناس إليه وغشوا بابه فأنساهم من سلف من أصحاب السلطان سعة اسعاف ، وكرم لقاء وسهولة حجاب .. » (1) .

استمر الخليفة الحكم في تقليد إبن أبي عامر الأمانات والخطط وترقيته سلم الوظائف إلى أن وصل إلى مرتبة الوزارة آخر أيامه ، وسبقت الإشارة الى أنه وفد عدة مرات الى بلاد المغرب في مهام كثيرة ، منها حمل الأموال إلى القواد الأندلسيين المرابطين هناك ،والى حلفاء الدولة من المغاربة ، ومطالعة أحوال الجند ، ومراقبة تصرفات القواد في تلك المنطقة ، وأخيراً عين قاضي القضاة بها سنة 362 هـ / 972 م (2).

ولما توفي الحكم وحدثت أزمة توريث الخلافة بين أبناء البيت الحاكم ، كان المنصور هو القطب الذي تدور حوله الأحداث السياسية ، والعسكرية ، فمنذ ذلك الحين بدأ إبن أبي عامر عهداً جديداً يمارس حياته كرجل سياسي ودبلوماسي محنك ، وأظهر خبرة ولباقة في إدارة شؤون الدولة وكياسة في معاملة الأصدقاء .

استبداد محمد بن أبي عامر بالسلطة والتخلص من منافسيه :

أخذ محمد بن أبي عامر يشق طريقه قائداً عسكريا ورجلاً سياسياً بإرادة قوية وسعي لايكل . منتهزا في ذلك الفرص المواتية لنشر نفوذه وتوسيع سلطانه ، وفرض هيبته على حساب زملائه من كبار رجال الدولة ، يضرب بعضهم ببعض واستطاع بدهائه أن يمكر بهم وأن يوقع بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً ، وهكذا تخلص ممن كان يخشاهم الواحد تلو الآخر ، غير مبال بضمير أو أخلاق في سبيل الوصول إلى أهدافه لقد عمل

---

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 258 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، ص 123

بنظرية ميكيا فلي ، (في القرن الخامس عشر) قبل أن يوجد ، وهي سياسة الغاية تبرر الوسيلة (1) .

استهل إبن أبي عامر سياسته هذه بنكبة الصقالبة ، فقد استغل الخصومة التي كانت بينهم وبين الحاجب جعفر المصحفي ، ووجهها لصالحه ، واستعان به في نكبتهم وأخراجهم من القصر ، وكان عددهم نحو ثمانمائة صقلبي ، وبذلك قصم إبن أبي عامر أول عروة من عرى الخلافة (2) .

ثم أنتقل بعد ذلك الى خصم آخر،يُعدّ من أكبر منافسيه على السلطة وهو الحاجب جعفر المصحفي ، وقد مهد له بالتقرب الى ذى الوزارتين والسيفين القائد غالب بن عبد الرحمن ، صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى ، بصفته أكبر القواد وأشجعهم آنذاك ، فأرتبط معه برباط المصاهرة حيث تزوج من ابنته « أسماء » ، وكان يوم زواجه بها أعظم عرس في الأندلس حسب تعبير المقرى (3) .

ومنذ ذلك الحين،عمد ابن أبي عامر الى مصانعته ومظاهرته وتأييده في خلافه مع المصحفي ، ولم يكتف بهذا بل بالغ أيضا في خدمته وأكرامه داخل القصر عند السيدة « صبح » أم الخليفة حتى أكتسب محبته وثقته وتم له ما أراد (4) .

كما قام بالسعاية ضد المصحفي لدى الخليفة هشام المؤيد ، واوغر عليه صدره وتمكن من إصدار قرار منه بعزل الحاجب جعفر من مناصبه ، والقبض عليه ومحاسبته وزج به في غياهب السجون عدة سنوات ولم ينفع الحاجب جعفر المصحفي كثرة توسلاته،التي كان يبعث بها الى محمد بن أبي عامر من داخل سجن الزهراء ، بواسطة القصائد الشعرية الكثيرة التي،كان ينظمها خصيصا لهذا الغرض .

هبني أسأت فأين العفو والكرم إذ قادني نحوك الاذعان والندم
يا خير من مدت الأيدي إليه أما ترثى لشيخ نعاه عندك القلم

---

(1) د . أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 244 ـ راجع أيضا كتاب الاستاذ المرحوم عبد الحميد العبادى : المجمل في تاريخ الأندلس ، ص 146 .

(2) ابن عذارى : البيان ، ج 2 ص 259 ـ المقرى : نفح الطيب ، ج 1 ص 376 .

(3) المقرى : نفح الطيب ، ج 1 ص 376 ـ أنظر أيضا : ابن عذارى البيان ، ج 2 ص 267 .

(4) ابن عذارى : البيان ، ج 2 ص 265

بـا لغت في السخـط فاصفح صفح مقدر ان الملوك اذا ما أسترحموا رحموا (1)

لكن ابن أبي عامر لم يرق لحاله ، ولم يصغ لتوسلاته ، بل زاده ذلك قسوة وأصرارا على إذلا له وإهانته ، وأمر شاعره الخاص،عبد الملك بن أدريس،أن يجيبه عن أبياته فقال :

الآن يا جاهلا زلت بك القـــــدم تبغى التكرم لما فاتك الكـــــرم
أغريت بي ملكا لـــولا تثبتــــــه ما جاز لي عنـده نطق ولا كـــرم
فايأس من العيش اذ قد صرت في طبعه ان الملوك اذا ما استنقموا نقمــــوا
نفسي اذا سخطت ليست براضيـــة ولو تشفع فيك العرب والعجم (2)

وأبقاه محمد بن أبي عامر في السجن المطبق بمدينة الزهراء الى أن توفي وقيل قتل خنقا سنة 372 هـ / 982 م (3) .

ولم يبق أمامه ما يخشاه سوى المنافس الخطير الثالث ، صهره شيخ الموالي « غالب » ، الذي فطن لنواياه وأهدافه ، فأخذ يحنق عليه لحجره على الخليفة هشام ، وجمعه السلطة في يده والاستبداد بها ، ولاحظ ذلك إبن الخطيب بقوله : « ... لما رآه يطوي الدولة طيا وسنتيها خلقا جديدا . منسوبا إليه معروفا بإصطناعه ، فاضمر له الخديعة ورجاعنه الاراحة .. » (4) .

ولكن غالب لم يظهر له ذلك ، وظل يترصد له في سرية تامة ، وينتظر بفارغ الصبر اليوم المناسب لتصفية حسابه معه ، وسنحت الفرصة له يوم التقى به بعد الغزوة التي قام بها إبن أبي عامر على قلعة أنتيسة Antieza (غربي مدينة سالم بنحو 40كم) من الثغر حيث يقيم القائد،غالب فدعاه الى وليمة وأنفرد به،وأخذ في عتابه ، ثم كسر عليه غالب بسيفه ، وكاد أن يجهز عليه لولا خفة جواد إبن أبي عامر وسرعته ، فأطلق سيقانه للريح وخلص صاحبه من موت محقق (5) .

---

(1) ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ 1 ص 259 ـ المقرى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 385 .

(2) ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ 1 ص 267 ـ المقرى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 385 .

(3) ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ 1 ص 267 ـ المقرى : نفح الطيب ، جـ 1 ص 385 ؛ راجع : ابن فاقان : مطمح الانفس ، ص 8 .

(4) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 72

(5) ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 278

حينئذ أخذ ابن أبي عامر يحسب له ألف حساب ، ويعمل بكل ما في وسعه للقضاء على المنافس الثالث ، الا أنه لم يقدم على مواجهته مواجهة مباشرة بنفسه لأنه يعلم أن القضاء على هذا القائد ، لا يمكن أن يتم بنفس السهولة ، التي تم بها التخلص من جعفر المصحفي ، لأن غالبا كان يتفوق عليه في الفروسية ويبزه شجاعة واقداما ، لذلك آثر أن يستعين عليه بقائد ، لا يقل عنه شجاعة وفروسية ، الا وهو جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي ، الذي استقدمه من المغرب مع ستمائة من المقاتلين المغاربة ، ليعضد به ساعده ، ويتقوى على خصمه غالب (1) .

ورماه أيضا بقائد الثغر الأعلى « أبي الأحوص » معن بن عبد العزيز التجيبي « وحسن بن أحمد بن عبد الودود » في معظم أهل الثغور (2) علاوة عن جيش الحضرة ، الذي يقوده محمد بن أبي عامر نفسه ، وأمام هذه الحشود الهائلة ، لم يجد القائد غالب بدا من التحالف مع بعض ملوك الدول المسيحية الاسبانية في الشمال والإستعانة بهم (3)

وفي سنة 371 هـ / 981 م ، وقعت المعركة الفاصلة بين الطرفين ، لاقي خلالها محمد بن أبي عامر عناء كبيرا ، من جرّاء ما أظهره غالب من بطولة وشجاعة رغم كبر سنه ، وكادت كفته أن ترجح ، لولا أن حدث ما لم يكن في الحسبان ، حيث سقط غالب من فوق صهوة فرسه ميتا ، فتفرق جيشه ونزلت به الهزيمة (4) .

ولم يلبث إبن أبي عامر ، ان دبر مكيدة لقتل جعفر بن علي بن حمدون الإندلسي ، الذي ساعده في حربه ضد غالب ، وواطأ إبن أبي عامر أبا الاحوص معنا بن عبد العزيز بن محمد التجيبي ، على قتل القائد جعفر ، فدعاه الى وليمة وقدم له الشراب فافرط جعفر فيه ، وارصد له من قتلوه وهو عائد بالليل الى منزله ، في قصر العقاب سنة 372 هـ / 982 م وهو ثمل ، وتظاهر محمد بن أبي عامر بالحزن عليه (5) ، ثم قتل بعد ذلك أبا الاحوص وأنفرد وحده بالحكم (6) .

---

(1) ابن عذاري : البيان ، جـ 2 ص 278 .
(2) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 72
(3) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 279 - ابن الخطيب : المصدر السابق ، القسم الثاني ص 72 .
(4) ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 279 - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 72 .
(5) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ 1 ص 306 - ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 280 - 281 .
(6) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 279 .

وبهذه السياسة الجريئة الحازمة، تمكن محمد بن أبي عامر من منازلة معظم منافسيه على السلطة والقضاء عليهم ، وخلا له بذلك الجو للاستقلال بالملك والإنفراد به دون اصحابه الشرعيين ، فتغلب على الخليفة هشام وحجره في القصر ، وشدد الحراسة على بابه بترتيب الحراس والبوابين ، وأمرهم بملازمة الحراسة ليلا نهارا ، ومراقبة تحركات من بداخل القصر سرا وجهارا ، حتى أصبح الخليفة محجورا مهجورا لا تراه الخواص ولا العوام (1) .

ويصف إبن الابار الحالة التي آل اليها الخليفة هشام المؤيد بالله ، بقوله : « ليس له من الأمر غير الإسم خاصة فما ظنك برجاله ومواليه الذين كان يرهب منهم وبهم يحترس » (2) .

فقد جرده من كل شيء الا من الاسم الخليفي ، والدعاء له على المنابر وكتب اسمه على السكة والطرز وفي ذلك قال أحد المؤرخين : « ومحا رسم الخلافة بالجملة ولم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء على المنابر وكتب إسمه على السكة والطرز .. (3) » .

وتسمى بالحاجب المنصور سنة 371 هـ /981 م ، وأمر بأن يحيا بتحية الملوك ، وأنفذ الكتب والمخاطبات والأوامر بإسمه ، ولم يقف عند هذا الحد،بل أمر العمال في مختلف المقاطعات والاقاليم التابعة للدولة الأموية في الأندلس ، بالدعاء له على المنابر عقب الدعاء للخليفة هشام المؤيد بالله (4) .

والظاهر أن المنصور بن أبي عامر ، أحس بكثرة حساده وأعدائه ، فخاف على نفسه من دخول القصر الخليفي بقرطبة ، فقام ببناء مدينة لنفسه وحاشيته ، أطلق عليها إسم « الزاهرة » ، انتقل اليها سنة 370 هـ /980 م ، بأهله وذويه وأنزل بها خاصته وعامته ، وشحنها بجميع أنواع الأسلحة والجند والأموال ، والأمتعة وأتخذ فيها الدواوين والأعمال ، بدلا من مدينة « الزهراء » (5) .

---

(1) نفس المصدر، جـ 2 ص 276 .
(2) الحلة السيراء : جـ 1 ص 269
(3) المقرى : نفح الطيب ، جـ 1 ص 374
(4) نفس المصدر والصفحة .
(5) المقرى : نفح الطيب ، جـ 2 ص 113

وخاطب المنصور عمال الأقاليم في الأندلس والمغرب بأمرهم بتوجيه المراسلات والجبايات والأموال الى مدينته الجديدة ، وحذرهم من الذهاب الى قصر الخليفة أو الإتصال به .

ورغم إنشغال المنصور بن أبي عامر ، بتوطيد أركان دولته الناشئة واستئثاره بالسلطة ، فلم ينصرف عن الجهاد ، وتنظيم الصوائف والشواتي ، كل سنة الى المناطق الشمالية ، حيث توجد الممالك المسيحية المتاخمة لحدود دولته ، وتذكر بعض المصادر العربية ، أنه قام بنحو سبع وخمسين غزوة قادها جميعا بنفسه ، وقد زادته هذه الغزوات الناجحة المظفره مفخرة وعزة وشرفا وهيبة ، سواء في نظر رعيته أو أعدائه ، فتوغل في بلاد جليقية غارسا في نفوس أهلها الذعر والفزع ، وكان المنصور لا يعود من غزوة إلا ويستعد لأخرى ، ولم ينهزم له فيها جيش ولم تنكس له راية ، فأحبته الناس واستمالت إليه قلوبهم (1) .

اعتماد المنصور على المغاربة في بناء قواته :

لاشك أن السياسة العنيفة والجريئة ، التي أتبعها الحاجب المنصور ابن أبي عامر . كان يعتمد في تطبيقها على أيد قويه ، ورجال شجعان منحوه كل الإخلاص ، كما منحهم هو كل التكريم فتقوى بهم وعلا شأنهم به ، ويبدو أن معظم هؤلاء الرجال الشجعان من المغاربة ، فهناك ما يشير الى أن المنصور اتجه بانظاره الى البلاد المغربية ، واستقدم كثيرا من أبنائها وكوَّن منهم جيشه الجديد ، وأصبحوا هم الذعامة الأولى في بناء دولته ونصرته ، وان معظم أفراد هذا الجيش من قبائل زناتة ومكناسة وبني برزال وصنهاجة وأزداجة ، وغيرهم من أبناء المغرب الذين أمّو الأندلس ، وأسرعوا الى الانخراط في صفوف قواته ، عندما أنتشرت أخبار كرمة معهم وأحسانه اليهم ، فتحركت همة الكثير منهم ، ولحقوا باخوانهم القدماء هناك (2) .

وكانت الدفعة الأولى من المتطوعين المغاربة في عصر المنصور، والتي عبرت المضيق الى الأندلس هي تلك التي أجتازت مع جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي عامله على

(1) المقرى : نفح الطيب ، جـ 1 ص 376 ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 65 .

(2) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 75 ـ المقرى : نفح الطيب ، جـ 1 ص 373 .

المغرب سنة 367 هـ/ 987 م ، لتغذي جيشه بالمقاتلين . وكان عددها نحو ستمائة فارس (1) .

وقد اتفق أن تحرك في هذه الفترة ، نائب الفواطم في إفريقية بلكين بن زيري الصنهاجي ، في حملته المشهورة على المغرب الأقصى ، والتي أكتسح فيها أمامة زناتة وأجفلها الى مدينة سبتة ، قاعدة الخلافة الأندلسية في المغرب .

فاستغل المنصور هذه الحادثة ، وبعث الى رجال زناتة يشجعهم على الهجرة والاقدام إليه ، والظاهر أن أعوانه قد أشاروا عليه بذلك وقالوا له : « قد أمكنك الله من اصطناع فرسان زناتة وإعتقاد المنة عليهم ، فارسل اليهم يأتوك سراعا فليجد احسانك اليهم مكانا » (2) .

ومازال المنصور يسعى في استقدامهم ، ويبذل الاحسان اليهم ، والتوسعة عليهم وما زالوا هم أيضا ينثالون عليه انثيالا فاقبلوا عليه إقبالا منقطع النظير وأيدوه تأييدا مطلقا ولبوا نداءه ، وظلوا يتلاحقون وفرسانهم يتواترون ، حتى أن الرجل منهم كان يجيىء الى الأندلس : « بلباس الخلق الأعجب فيبذل بلباس الخز الطرازي وغيره ، ويركب الجواد العتيق ويسكن القصر... حتى صاروا أكثر الأجناد في الأندلس » (3) .

فحسنت بذلك أحوالهم ، وكثرت أموالهم ، وصاروا أظهر الجند نعمة ، واعلى منزلة ، وأصبحت فيهم رئاسة الجيوش وقيادة المعارك ، ولم يزالوا خاصة المنصور وبطانته . فقدم رجالهم وأخر رجال العرب ، واسقطهم عن مراتبهم ، لئلا ينافسوه وينازعوه على السلطة ، ويتم له الانفراد بها من جهة ، وربما أيضا لما رآه من أن العرب أصبحوا طبقة أرستقراطية نفذت مزاياها الحربية من جهة أخرى (4) .

وكما ساعد المنصور بن أبي عامر وشجعه ، على استخدام هؤلاء المغاربة في قواته ، معرفته بطباعهم ، التي لم تكن غريبة عنه ، فقد سبق له أن عاش في بلادهم وبين

---

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 279 ـ مفاخر البربر ، ص 15

(2) مفاخر البربر ، ص 17 ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 293

(3) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 294/293

(4) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 2 ص 379

قبائلهم ، عدة سنوات قاضيا يرعى شؤون الناس ، ويحكم في مظالمهم ، كما عمل أمينا خاصا للخليفة الحكم المستنصر بالله هناك .

ولكي يزيد المنصور بن أبي عامر من أضعاف العصبية القبلية ، سواء بين المغاربة أو العرب ، قام بتنظيم الجيش الى فرق مختلفة ، من كل نوع بحيث جزأ القبائل وجعل المجموعة الواحدة من الجند ، عبارة عن فرق من كل قبيلة ، ليخفف ويضعف من حدة الفتن القائمة على هذه العصبية القبلية ، وبالتالي يسهل عليه التحكم فيه وقيادته .

أطلق المنصور على هذا الجيش المغربي الجديد إسم الحضرة ، أي جند العاصمة يخضعون لرئاسته وقيادته ، ولا يطيعون غيره ، وبهذا يكون الجيش الأندلسي في هذه الفترة مقسما الى قسمين :

قسم يديره الحاجب المنصور بنفسه ، وهو جيش الحضرة ، والقسم الثاني يدير أمره القائد غالب صاحب مدينة « سالم » ويسمى جيش الثغر(1) .

سياسة المنصور المغربية :

أما عن سياسة المنصور بن أبي عامر المغربية ، فيبدو أنه رغم مشاغله الكثيرة بالشؤون الداخلية للبلاد ، وتنفيذ خططه العديدة في سبيل القضاء على الخصوم والمنافسين ، لبناء صرح دولة عامرية قوية ، فضلا عن الصوائف والشواتي ، التي كان يقودها بنفسه للجهاد في كل سنة ، فإنه أيضا كان يهتم اهتماما خاصا ، ببلاد المغرب الذي يعتبر المصدر الرئيسي لجيوشه وقواته .

فقد سار المنصور هو الآخر ، على نفس السياسة التي سار عليها الناصر والمستنصر من قبل ، والتي تقوم على ضرورة اصطناع أمراء المغرب ورؤساء قبائله ، والتدخل المسلح المباشر في المغرب ، اذا أقتضى الأمر لذلك ، حتى يحافظ على النفوذ الأموي فيه من جهة ، ولتأمين حدود دولته الجنوبية من جهة ثانية .

والظاهر أن المنصور بن أبي عامر ، قد اقتصر في أول عهده على ضبط مدينة سبتة وما والاها ، بالعمال والجيوش الأندلسية ، وقلدها كبار رجال الدولة من أرباب السيوف

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 265

والأقلام ، وعوَّل على ضبط ما وراء ذلك من البلاد المغربية على أبنائها من أمراء زناتة (مغراوة وبني يفرن) ، ومكناسة وغيرهم من الموالين للدولة الأموية في الأندلس ، وشرح ذلك صاحب كتاب مفاخر البربر بقوله : « وأقتصر محمد لأول قيامه على ضبط مدينة سبتة وما والاها ، بجند السلطان الأندلسي وقلدها كبار رجاله ، من أصحاب السيوف والأقلام ، وعوَّل في ضبط ما وراء ذلك على ملوك زناتة ، وتعهدهم بالجوائز والخلع ، وأكرم وفودهم ببابه ، وأثبت من رغب منهم الاثبات في ديوانه .. » (1) .

وصادف آنذاك أن ظهرت قوة آل خزر المغراويين الزناتيين ، بحيث أمتد سلطانهم على أغلب أعمال المغربين الأوسط والأقصى ، بعد أن تمكنوا من كسح مكناسة وطردها من مدينة « فاس » ، وغيرها من المناطق التابعة لهم ، وحلوا محلهم (2). ومنذ ذلك الوقت أخذ المنصور بن أبي عامر يصطنع زعماء مغراوة ويتعهدهم بألطافه ، وخلعه وأمواله ، ويكرم وفودهم ويثبت جنودهم في ديوانه ، وشجعهم على ضبط أمور المغرب وأطلق يدهم فيه . ولعل من نتائج هذه السياسة ، أن قام خزرون بن فلفل ، أحد أمراء بني خزر المغراويين المرتسمين بولاية بني أمية في الأندلس ، بالسير على رأس جيش زناتي كبير نحو مدينة سجلماسة (تافيلالت حاليا) لمتابعة طرد المكناسيين من أعمالهم ، والإستلاء عليها ، ولا يستبعد أن يكون المنصور وراء ذلك ، لأنه معروف بهذه السياسة ، فبرز إليه أبو محمد المعتز بالله المدراري أمير المدينة ، فهزمه خزرون وقتله ، وأستولى على المدينة وعلى ذخيرتها من الأموال والسلاح ، ومحا بذلك أثر دولة بني مدرار السجلماسيين منها ، وأقام الدعوة بها للخليفة هشام المؤيد بالله ، وهي أول دعوة أقيمت لبني أمية على منابر سجلماسة ، منذ تأسيس دولتهم في الأندلس ، وكان ذلك سنة 367هـ/977م ، وكتب خزرون ابن فلفل بعد ذلك الى العاهل الأندلسي ، يخبره بما تم له من إنتصار على بني مدرار ، وبعث له برأس « المعتز بالله » ، فنسب ذلك الى المنصور بن أبي عامر وتيمن لحجابته ، فكافأ خزرون على ذلك ، وعقد له على مدينة سجلماسة (3) .

---

(1) مفاخر البربر ، ص 16 ـ ابن خلدون : العبر ، ج7 ص 77

(2) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ص 279

(3) مفاخر البربر ، ص 17/16 ـ ابن عذارى : البيان ، ج 1 ص 231/230 ـ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 273 وج 7 ص 40 .

وعلى أثر استلاء مغراوة على سجلماسة ، زحف بلكين بن زيري صاحب أفريقية ، وظهير الدولة الفاطمية بها ، الى المغرب الأقصى ، زحفته المشهورة المشار اليها سابقا . وأستطاع بلكين أن يجفل زناتة من مضاربها ، ويتعقب فلولها الى مدينة « سبتة » ، فاجتاز أمراؤها البحر الى المنصور بن أبي عامر صارخين مستغيثين ، فلم يتأخر عنهم ، وأعد لبلكين بن زيري بظاهر « سبتة » جيشا كبيرا من المغاربة والأندلسيين ، إذ كان المنصور قد توجه الى الجزيرة الخضراء عندما جاءته صرخات الإستغاثة ، وسّير جيشه بقيادة جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي الى سبتة ، بعد أن زوده بالأموال اللازمة لتغطية نفقات الحرب ، وبقي هو في الجزيرة الخضراء ، يشرف بنفسه على الامدادات ، ويترقب الوضع في المغرب من قرب وعن كثب (1) .

ولما أشرف بلكين على الجيش الأندلسي،من أعالي الجبال المطلة على المدينة،ورأى منعتها وحصاناتها،وكثرة جيشها وسرعة امداداتها ، أدرك بأنه يصعب عليه فتحها عن طريق البر ، ولا يمكن ذلك الا بواسطة المراكب بالبحر ، فلم يقبل أن يزج بنفسه وجيشه ، في عملية انتحارية كهذه ، فحول وجهه منها وقال لأصحابه : « انما سبتة حيّة ولت ذنبها حذاءنا ، وفغرت فاها نحونا » وأنصرف نحو الجنوب (2) .

أما المنصور بن أبي عامر ، فقد أمر جعفر بن علي بالعودة إليه بقواته الأندلسية ، واستعمل على مدينة سبتة ، أحد أقاربه مخلد بن محمد بن زكريا التميمي المعروف بابن برطال ثم قفل عائدا الى قرطبة (3) .

عودة الحسن بن جنون الى بلاد المغرب وثورته على المنصور :

لم يلبث المنصور بن أبي عامر أن تصدى بكل حزم لهجوم آخر،تعرض له حلفاؤه في المغرب الأقصى ، لا يقل خطورة عن الأول . لكن هذه المرة لم يكن الهجوم من طرف صنهاجة ، وإنما كان من طرف الأمير الأدريسي « الحسن بن جنون » ، الذي كان مقيما في بلاط الفواطم بالقاهرة منذ عام 365 هـ/975 م .

---

(1) مفاخر البربر ، ص 17 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 41 ، 59

(2) مفاخر البربر ، ص 17 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 7 ص 41 ـ النويرى نهاية الارب ، جـ 22 ورقة 140

(3) مفاخر البربر ، ص 18 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 7 ص 41

ويبدو أنه خلال المدة إلتي قضاها في بلاط القاهرة،كان العزيز بالله ووزيره يعقوب بن كلسي، يحرضانه على العودة الى شمال افريقية،لأحياء الدولة الإدريسية من جديد حتى يتخلصا من نفقاته الباهضة،التي أثقلت الخزانة مدة ثماني سنوات (1) . وصادفت الفكرة هوى في نفس الحسن بن جنون فتحمس للأمر ، عند ذلك كتب له العزيز بالله بعهده على المغرب،وأمر عامله بإفريقية بلكين بن زيري ، أن يقويه بالجيوش والأموال ، فسار الحسن الى بلكين فأمده بجيش من ثلاثة آلاف من صنهاجة ، ولما إنتهى بهم الى المغرب،سارعت الى نصرته قبيلة بني يفرن بزعامة يلو بن يعلى بن محمد وأخيه زيري وإبن عمه ابي يداس وعدد كبير من العلويين الذين جاهروا بطاعته (2) .

وعندما وصل خبرهما الى المنصور،أنفذ إليه ابن عمه عمرا بن عبد الله المعروف بعسكلاجة،على رأس جيش كثيف سنة 375 هـ /985 م ، وقلده أمر المغرب وسائر أعماله وأمره بمحاربة الحسن بن جنون ، فعبر « عسكلاجة » الى مدينة سبتة ، فانضم إليه آل خزر المغراويون،وهم محمد بن الخير ، وخزرون بن فلفل ومقاتل وزيرى ابنا عطية وسائر مغراوة ثم وجه المنصور تعزيزات عسكرية أخرى،لتعضيد إبن عمه في المغرب ، بقيادة كل من ابنه عبد الملك ومحمد بن أحمد بن جابر وصهره،الوزير عبد الرحمن بن محمد التجيبي وغيرهم من وجوه القواد الأندلسيين ، وظل هو بالجزيرة الخضراء،التي جعل منها مقرا لعملياته الحربية ، يشرف منها على المعارك ويدير دفتها منها كعادته (3) .

انضمت هذه الامدادات العسكرية،الى جيوش الوزير إبن الحكم عمرو بن عبد الله وسارت نحو الثائر الادريسي ، فاحاطت به وطوقته ، وعند ذلك لم يجد الحسن بن جنون بدا من الاستسلام،وطلب الامان لنفسه ولأهله على أن يسير الى الأندلس كمثل حالته الأولى ، فأمنه « عسكلاجة » ، واشخصه الى الأندلس وكتب لإبن عمه المنصور يخبره بذلك ، لكن المنصور لم يمض أمان ابن عمه،وأنفذ إليه من قتله في الطريق،وأتاه برأسه في جمادى الأولى سنة 375 هـ /985 م ، لكثرة فساده ، ونكث عهوده (4) .

---

(1) مفاخر البربر ، ص 19

(2) مفاخر البربر ، ص 19 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ7 ص 41 ، 60 ـ روض القرطاس ، ص 62 .

(3) مفاخر البربر ، ص 19 ـ 20 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ7 ص 41

(4) مفاخر البربر ، ص 20 ـ ابن عذارى : البيان ، جـ 2 ص 281 ـ ابن الخطيب ، القسم الثالث ص 224 ، ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 41 ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 63 ـ السلاوى : الاستقصا ، ص 89 .

وتشير بعض المصادر الى أن المنصور بن أبي عامر ، أمر بإخراج الادارسة من الأندلس والمغرب على أثر هذه الثورة ، فتفرقوا بين القبائل المغربية ، واضطروا خوفا من جنود المنصور ، أن يتخلوا عن نسبهم العلوي ، وأنهارت بذلك دعوة الإدارسة بالمغرب الأقصى ، وتفرق أنصارهم وسكنت ريحهم (1) .

وقد أثار قرار المنصور أستياء الادارسة فأخذوا يعرضون به في أشعارهم ، لانها هي الوسيلة الوحيدة ، التي بقيت لديهم يتنفسون بها ، عن سخطهم الشديد على المنصور ابن أبي عامر ، وحسبي أن أذكر هنا الأبيات التي نظمها الشاعر الادريسي ، ابراهيم بن ادريس يهجوفيها المنصور ، ويحرض عليه بني أمية في الأندلس :

فيما أرى عجب لمن يتعجب ... جعلت مصيبتنا وضاق المذهب
إني لأكذب مقلتي فيما أرى ... حتى أقول غلطت فيما أحسب
أيكون حيا من أمية واحد ... ويسوس ضخم الملك هذا الأحدب
أبني أمية أين أقمار الدجى ... منكم وما لوجودها تتغيب (2)

استدعى المنصور بن أبي عامر عامله « عسكلاجة » ، من المغرب ، وولي مكانه أحد ثقافة ، الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي سنة 376هـ/986م ، ومنحه السلطة المطلقة ، في تدبير شؤون الأعمال ، المنصورية تحت النفوذ الأموي ، في العدوة المغربية وأطلق يده ، في الأموال وأمده بالعساكر ، وأمره أن يعمل على استمالة القبائل المغربية ، والإحسان اليها ، ولا سيما منها قبيلة مغراوة وزعيميها مقاتل وزيري ابني عطية لبلائهما الحسن ، في سبيل اخماد ثورة « الحسن بن جنون » الأخيرة ، ولا نحياشهما لبني أمية وصدق طاعتهما (3) .

اتساع دائرة النفوذ الأموي في بلاد المغرب :

ظل الوزير الحسن بن أحمد بن عبد الودود ، في ولايته يسوس المغرب ويضبط

(1) مفاخر البربر ، ص 20 ، ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 63
(2) مفاخر البربر ، ص 21 ـ ابن عذارى : البيان جـ 2 ص 282
(3) ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 61

أموره ، حتى سقط قتيلا في احدى المعارك العنيفة مع يدو بن يعلي اليفرني ، فعهد المنصور بن أبي عامر بولاية المغرب ، إلى أحد أبنائها الأفذاد ، وهو الزعيم المغراوي زيري ، الذي أنفرد برئاسة مغراوة ، بعد مهلك أخيه مقاتل بن عطية سنة 378 هـ / 988 م ، وحرضه على مقاتله بني يفرن ، وازالة شوكتهم وأوكل إليه أيضا ، محاربة بني زيري الصناهجة أصحاب افريقية ، ومن تبعهم من أولياء الشيعة الفواطم ، بالديار المغـــربيـــة (1) .

والظاهر أن جهود المنصور بن أبي عامر ، في تطبيق سياسته الإفريقية قد كللت بالنجاح ، إذكان هو رجل التوسع الأموي ، وأشدهم فاعلية في هذا المضمار في ذلك الوقت ، ففي ظل حكمه توصلت الدولة الأموية الى قمة مجدها ، في الغرب الاسلامي. وقد أحسن المنصور التصرف باستمالة آل خزر المغراويين الزناتيين ، بزعامة زيري بن عطية وتوليته بلاد المغرب ، لأن مغراوة يومئذ كانت فيما يبدو أقوى القبائل المغربية وأجدرها لحكم المغرب ، ودليل ذلك أن زيري بن عطية ، استطاع أن يجمع كلمة شعبه ، ويبسط سلطانه على معظم أعمال المغرب ، بعد أن أزاح قبيلة مكناسة من مضاربها وأعمالها في شمال وجنوب المغرب الأقصى ، حتى مدينة سجلماسة (2) .

وبفضل هذه السياسة ، التي انتهجها المنصور مع المغاربة بلغت الدعوة الأموية ، في عهده أوج عظمتها ، وأقصى اتساعها ، بحيث لم تعهده من قبل إذ أمتدت من اعمال الزاب وتاهرت وتلمسان شرقا ، الى مدينة سجلماسة جنوبا(3). ومما زاد في تدعيم هذا النفوذ الأموي في المغرب ، انضمام الزعيم الصنهاجي ، أبو البهار بن مناد ، بأعماله الى طاعة بني أمية في الأندلس ، وخلعه لطاعة العبيديين ودعوتهم ، وكان أبو البهار قد خالف إبن أخيه ، المنصور بن بلكين بن زيري صاحب القيروان وافريقية ، واستولى على بعض أعمال المغرب الأوسط ، التابعة للدولة الصنهاجية مثل : الزاب والونشريس وتاهرت وشلف وتلمسان ، وقطع عنها دعوة الفواطم ، وخطب لهشام والمنصور على منابرها سنة 379 هـ / 989 م (4) .

---

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 7 ص 60

(2) مفاخر البربر ، ص 17/16 ـ ابن عذارى : البيان ، جـ 1 ص 231/230 ابن خلدون : العبر ، جـ 6 ص 273 جـ 7 ص 40 .

(3) مفاخر البربر ، ص 16 ـ 24 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 66 جـ 6 ص 321

(4) مفاخر البربر ، ص 24 ـ ابن عذارى : البيان ، جـ 1 ص 244 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 630 .

ولم يلبث أن اقتفى أثره في ذلك،صهره خلوف بن أبي بكر صاحب « تاهرت » ، وهو أكبر قواد الدولة الزيرية الصنهاجية في المغرب الأوسط ، ثم حذا حذوهما أخوه عطية بن أبي بكر،فكتب أبو البهار الى المنصور بن أبي عامر يسأله،الدخول في طاعته ، وطلب منه أن يكتب له الى زيري بن عطية المغراوي،صاحب فاس أن يكون عنده (1) .

لكن المنصور فيما يبدو كان يشك في ولائه واخلاصه ، لذلك رد عليه بكتاب ، يتأكد من اخلاص نيته قائلا له : « ان كنت على نية فيما وصفته عن نفسك ، فارسل الي ابنك يكون رهينة عندي ، وأفعل معك ما أحببته » (2) .

فارسل إليه أبو البهار ابنه في مركب مع كاتبه ميمون المعروف بابن الدابة،لكن قدّر لهذا المركب ان يصاب بالعطب في،وسط البحر،فغرق وغرق معه جميع من كان عليه (3) ، وتكررت المراسلات بينهما،الى ان تأكد المنصور من صدق نيته وحسن طاعته،عندما أرسل له أبو البهار أبنه الثاني رهينة ، عند ذلك بعث المنصور له والى صهره خلوف هدايا وأمتعة كثيرة وأموالا جزلة ليتقويا بها (4) .

والظاهر أن أبا البهار أراد أن يدعم صلته بالمنصور،ويؤكد طاعته فانفذ إليه وفدا برئاسة ابن أخيه،فارس صنهاجة أبي بكر بن حبوس بن زيري بن مناد في طائفة من أهل بيته ووجوه قومه ، فوافوا قرطبة سنة 381 هـ/991 م ، فاستقبلهم المنصور وأكرم مثواهم، وأنزلهم أحسن منزلة ثم أوصل إليه رئيسهم أبا بكر ، وخلع عليه وعلى جميع أعضاء الوفد ، وغمرهم بصلاته وأعادهم الى بلادهم مكرمين ، كما وجه معهم الى أبي البهار،مبلغا من المال يقدر بخمسة وعشرين ألف دينار دراهم وهدايا عبارة عن خمسمائة قطعة من صنوف ثياب الخز وغيره وحلية وآنية والطاف تقدر قيمتها،بنحو عشرة آلاف دينار تكريما له ، ودعاه الى مظاهرة حليفه زيري بن عطية،ومؤازرته على يدو بن يعلى اليفرني،وقسم بينهما أعمال المغرب (5) .

---

(1) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 244

(2) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 244

(3) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(4) مفاخر البربر ، ص 24 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 63 ، جـ 6 ص 321 ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 245 .

(5) مفاخر البربر ، ص 25 ـ ويذكر ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 64 ان الهدية تقدر بنحو عشرة آلاف درهم ، بدلا من دينار.

غير أن ولاء خلوف بن أبي بكر ، وأخيه عطية لبني أمية لم يستمر طويلا ، إذ سرعان ما خلع طاعة المنصور بن أبي عامر ، وعاد الى الدعوة الفاطمية ، فأمر المنصور حليفه زيري بن عطية ، بتأديب خلوف على ذلك ، فاسرع اليه الزعيم المغراوي واستطاع أن ينزل به الهزيمة ، وقتله مع جملة من أصحابه ، وأن يستولى على عسكره ، وأن يعيدهم الى طاعة المروانية ، ولم ينج منهم الا عطية ، مع قليل من اتباعه حيث فر شريدا الى الصحراء ، وكان ذلك سنة 381 هـ / 991 م .

ومنذ ذلك الوقت ، بدأ الخلاف بين أبي البهار وزيري بن عطية ، لأن الأول تقاعس عن مساعدة الأخير ، في حربه ضد خلوف وتظاهر بالمرض ، ولعل ذلك للوصلة التي كانت بينهما حسب قول إبن خلدون (1) ، وكتب الزعيم المغراوي الى المنصور ، يخبره بما انتهى إليه خلوف بن أبي بكر ، فسر الحاجب بذلك ، وأمر بقراءة الخبر على المنابر (2) .

ويبدو أنه على أثر هذه المعركة ، عاد زيري بن عطية الى عاصمته ، وتقدم نحو عدوة الأندلسيين ، التي احتلها يدو بن على اليفرنى اثناء غيابه ، فحاصره زيري ، ثم أقتحم أسوارها ، والتحم معه في معركة دامية ، هلك فيها الكثير من الطرفين وأخيرا كانت الدائرة على بني يفرن ، فقتل زعيمهم يدو واحتز زيري رأسه وبعث به الى المنصور ، مع كتاب الفتح ، ففرح بهذا النبأ ، وانفذ إليه كثيرا من الخلع والصلات (3) .

وقد حرص الزعيم المغراوي زيري بن عطية ، على اظهار طاعته وولائه ، لبني أمية في الأندلس ، بالدعاء لهشام والمنصور على منابر أعماله ، وما يخوضه من حروب في سبيل نشر دعوتهم في المغرب ، وبما يتحفهم من هدايا نفيسة ، مما جعل المنصور بن أبي عامر يثق به ، ويرى المؤرخون أن المنصور استدعا زيري بن عطية لزيارة قرطبة والنزول عنده ، حتى يقربه منه ويكرم مثواه ، ويزيد في عطائه ، ويغريه بذلك على بني يفرن (4).

---

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 7 ص 64 ـ مفاخر البربر ، ص 25

(2) مفاخر البربر ، ص 25 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 7 ص 64

(3) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثالث ص 165 ، ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 70 ـ السلاوى : الاستقصا ، جـ 1 ص 92 وقيل ان يدو فر بعد هزيمته أمام زيري ، وتعلق بالصحراء وهناك ، لقى حتفه على يد أحد اقربائه ـ انظر : البربر ، ص 25 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 64 .

(4) مفاخر البربر ، ص 22 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 7 ص 64 .

فعبر زيري بن عطية المضيق ، سنة 381 هـ /991 م ، الى قرطبة يحمل معه هدية قيمة ، تشتمل على طيور جميلة ، لها أصوات بديعة ، ووحوش كاسرة محمولة ، في أقفاصها الحديدية ، كالاسود والنمور ، فضلا عن الثمور المغربية المشهورة بجودتها وكبر حجمها ، واجاز معه نحو ستمائة من أتباعه ، ما بين فارس وراجل (1) .

وقد احتفل المنصور بوصوله احتفالا عظيما ، حيث برز للقائه بالجيوش والعُدة واصطفت لرؤيته الخاصة والعامة ، وأنزله مع حاشيته بقصر جعفر بن عثمان المصحفي ، وغمره بالمال والخلع والصلات ، ومنحه لقب الوزارة وجدد له عهده على المغرب ، وثبت رجاله في ديوانه ، وقدم له هدية تضاهي هديته ، عبارة عن خيل وسلاح كثير ، وأموال وكسى والطاف فاخرة ، وصرفه الى اعماله (2) .

ثم تفاقم الخلاف بين الزعيمين المغربين ، زيري بن عطية المغراوي ، وابي البهار الصنهاجي ، مما أدّى بهما إلى الاصطدام المسلح ، فلحقت الهزيمة بأبي البهار ، وفر الى مدينة « سبتة » ، يزعم العبور الى الأندلس ، ولما رأى جيش المنصور بقيادة كاتبه عيسى بن سعيد ، الذي أرسله لمعاينة الخلاف وأحكام أمر أبي البهار ، تظاهر بالطاعة وحاد عن لقائه ، ثم صعد الى قلعة جراوة ، واستقر بها (3) ، ومن هناك أخذ يراسل ابن أخيه المنصور بن بلكين ، صاحب افريقية ، حتى صلح ما كان بينهما ، ورحب هذا الأخير بعودته الى قومه وأعماله ، فخلع أبو البهار بذلك ، طاعة بني أمية في الأندلس ، وعاد الى الدعوة الفاطمية ، عند ذلك جمع المنصور بن أبي عامر ، سائر أعمال المغرب في يد زيري بن عطية ، وعهد إليه بمناجزة الصنهاجي المنشق ، فلم يتأخر الزعيم المغراوي ، وتقدم بجيشه الزناتي الكبير يكتسح أعماله في المغرب الأوسط واستطاع ان يستولى على تلمسان ، ووهران وشلف ، وغيرها من المناطق ، التي كانت تحت السيطرة

---

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 7 ص 61 - ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 69 - السلاوى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 91 ، وقد أختلف المؤرخون في تحديد السنة التي أبحر فيها زيري الى الأندلس ، لزيارة المنصور بحيث ذكروا سنة 380 هـ (مفاخر البربر ص 22) ، وسنة 381 هـ (ابن خلدون جـ 7 ص 61) ، و 379 هـ (ابن عذارى جـ 1 ص 252) ، و 382 هـ (روض القرطاس ص 69) ، ويبدو ان زيري بن عطية ، قام بأكثر من زيارة الى قرطبة ، لهذا اختلف المؤرخون في تحديد تاريخها .

(2) مفاخر البربر ، ص 22 - ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 62 - روض القرطاس ، ص 69 السلاوى ، ص 91 .

(3) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 7 ص 65 ، ويذكرها صاحب كتاب مفاخر البربر ، بإسم جارت (ص 26).

الصنهاجية ، وضمها الى أعماله ، فاتسع بذلك نفوذه ، وقويت شوكته ، وأصبح يحكم ما بين اقليم الزاب بالمغرب الأوسط ، الى السوس الأقصى ، وكان ذلك سنة 383 هـ / 993 م (1).

وهكذا بلغ النفوذ الأموي ، في بلاد المغرب عصره الذهبي ، على يد زيري بن عطية المغراوي الزناتي ، إذ دخلت الدعوة الأموية الى منابر جديدة في أقليم الزاب ، وشلف والونشريس وتلمسان ووهران وتاهرت فضلا عن المغرب الأقصى ، الشمالي والجنوبي ، حتى سجلماسة والسوس الأقصى .

وأنفذ زيري بن عطية بهذه المناسبة ، رسوله الى قرطبة يحمل معه الى المنصور بن أبي عامر ، هدية نفيسة ، قدمت له في حفل بهيج ، فكان ما ظهر منها مائتا فرس ، من عتاق الخيل ، وعشرون فرسا وخمسون جملا ، من المهاري السُّبق وألف درقة من جلود اللمط ، واحمال كثيرة من قسي الزان ، وأصناف أخرى من الوحوش الصحراوية الكاسرة ، وغير ذلك من الالطاف والتحف فيها الطيور الجميلة ، ذات الصوت البديع ، وزرافة حرص زيري على وصولها الى قرطبة حية لكنها نفقت في الطريق ، فجيء بجلدها محشوا ، وكثيرا من الثياب الصوفية الرفيعة ، والثمور الجيدة ، فعظم سرور المنصور وأجزل المكافأة لزيري بن عطية عليها ، وكان ذلك ، سنة 384 هـ (2) .

ولما اتسعت أعمال زيري بن عطية في البلاد المغربية ، وكانت مدينة « فاس » ، بموقعها في الطرف الغربي ، للمغرب الأقصى ، قد أصبحت لا تصلح مقرا دائما له ، لتسيير شؤون ولايته الشاسعة في المغربين الأوسط والأقصى ، فقام بإختيار مكان يناسب هذه الأعمال ، ويتوسطها بين ظهراني قبيلة زناتة ، وأختط فيه مدينة « وجدة » ، سنة 384 هـ / 994 م ، (على الحدود الجزائرية المراكشية حاليا) ، وابتنى بها قصبة وقصرا ، وأحاطها بأسوار ضخمة وسكنها بأهله وحاشيته ، ونقل اليها حشمه وعساكره ، وجعل منها عاصمة له (3) .

---

(1) مفاخر البربر ، ص 26 ـ ابن عذارى : البيان ، جـ 1 ص 246 ـ 247 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 22 روض القرطاس ، ص 69 ـ السلاوى : الاستقصا ، ص 91 .

(2) مفاخر البربر ، ص 27 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 7 ص 66 روض القرطاس ، ص 69 ـ السلاوى ص 91 ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 157 .

(3) ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 66 ـ روض القرطاس ، ص 70 ـ السلاوى الاستقصا ، ص 92 .

وكان زيري بن عطية قد غرس من قبل « رياض القرطاس » بنواحي مدينة فاس ، أثناء فترة إقامته بها ، حتى صار يعرف بالقرطاس (1) .

ثورة زيري بن عطية المغراوي على المنصور :

غير أن هذه العلاقات الطيبة بين الزعيم المغراوي والحاجب الأندلسي ، التي دامت نحو العشر سنوات ، لم تلبث أن تغيرت فجأة عقب الزيارة الأخيرة ، لزيري بن عطية الى الأندلس ، وقد ذكرت المصادر العربية ، روايات مختلفة عن أسباب الخلاف الذي وقع بينهما ، ومن بين هذه الأسباب : ان زيري بن عطية عندما رجع الى بلاده ، وأستوت قدماه على أرض طنجة تسم وخاطب وطنه قائلا : « الآن علمت أنك لي » (2) . وهذه العبارة فيما يبدو إن دلت على شيء ، إنما تدل على ما كان يخالج قرارة نفس الزعيم المغربي ، في الاستقلال ببلاده والانفراد بحكمه .

ومنها احتقاره ، للقب الوزارة ، الذي منحه أياه المنصور بن أبي عامر ، لدرجة أنه عندما ناداه أحد رجاله باسم الوزير ، صرخ في وجهه قائلا له : « وزير من يالكع ، لا والله الا أمير بن أمير ، واعجبا من ابن أبي عامر وخرقته ، والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله وأن له منا ليوما (3) والله لقد تأجَّرنى فيما أهديت إليه حظا للقيم ، ثم غالطني بما له تبتيتا للكرم ، الا أن يحتسب بثمن الوزارة التي حظني بها عن رتبتي » (4) .

ومنها استصغاره للعطاء ، الذي كان يجريه المنصور له كل سنة ، وانكاره على المنصور بن أبي عامر ، في الاستبداد بالحكم وحجرة على الخليفة هشام ، ويبين ذلك الشعار ، الذي كان يردده جنود زيري في المعارك ، التي دارت بينهم وبين الجيش الأندلسي ، وهو « هشام يا منصور » ، بينما كان شعار جنود المنصور ، الذي كانوا يردون به على جيش زناتة « يا منصور » ، وهناك فارق له مغزاه بين الشعارين (5) .

---

(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ 7 ص 128 ـ مفاخر البربر ، ص 37 .

(2) مفاخر البربر ، ص 22

(3) ذكر في رواية أخرى « وأن له منا ليوثا » أنظر كتاب مفاخر البربر ، ص 22

(4) مفاخر البربر : ص 22 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 62 ـ روض القرطاس ، ص 7 .

(5) مفاخر البربر ، ص 29 ـ د . أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 256 ـ د . حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص 82 مكتبة النهضية المصرية ، القاهرة 1957 م .

ويبدو أن العلاقة بين زيري والمنصور ، وصلت الى درجة كبيرة من الفتور ، باكتشاف هذا الأخير ، المؤامرة التي كانت تديرها السيدة « صبح » ، بالاشتراك مع زيري بن عطية ضده ، بسبب استئثار المنصور بالحكم ، وحجره على ابنها الخليفة هشام ، لذلك اتهمته باغتصاب السلطان بواسطة دعاتها ، واعوانها المخلصين لها ، وظلت تسعى جاهدة للاطاحة به ،وتضاعف العمل من أجل حماية ابنها ، واعادة زمام الأمور له .

وعندما لم تتمكن من إيجاد نصير لها ، من القواد ورجال الدولة في قرطبة ، والأندلس قاطبة ، لأن عيون المنصور ساهرة لاتغفل ، وان القواد والجند خاضعين له خضوعا تاما ، حينئذ علمت بأنه لا يمكن لها القضاء عليه ، الا عن طريق قوة خارجية . لذلك حولت وجهها ، شطر المغرب الى زيري بن عطية المغراوي ، الذي كان يحنق على المنصور وينقم عليه ، فأخذت تتصل به ، وتبعث له برسلها وتدفع به الى مناوأة هذا الدكتاتور الاحدب ، وتحرضه لحشد الحشود والاجتياز الى الأندلس ، لتحرير ابنها من استبداد المنصور وتخليصه من قبضته ، وخولت لنفسها في سبيل ذلك ، ان تطلق يدها في أموال بيت المال . وأخذت منه الكثير . فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية . أنها حاولت إرسال بعض الأموال ، من بيت المال على شكل هدايا داخل « جرار» ، لكن المنصور بن أبي عامر بفضل يقظته وكثرة جواسيسه استطاع أن يكتشف هذه المؤامرة ، ويستولى على الأموال . ولكي يضع حدا لنشاط السيدة صبح ، واعوانها في القصر ، قام على الفور بنقل بيت المال من القصر الخليفي في مدينة الزهراء ، الى مدينته الجديدة الزاهرة (1) .

وكيفما كان الحال ، فان كثرة الروايات وتعددها ، في أسباب الخلاف الذي نشب بين المنصور ، بن أبي عامر وزيري بن عطية المغراوي . فمما لا ريب فيه هو أن الزعيم المغراوي ، كان يضمر في قرارة نفسه الاستقلال ببلاده ، وأنه أتخذ من هذه الأسباب والمسوغات ، ومن تمسكه بالدعوة الأموية ، ذريعة لتحقيق هدفه المنشود ، وهو السيادة الوطنية ، تحت الراية الزناتية (2) .

أخذ زيري بن عطية يشهر بسياسة المنصور الاستبدادية ، ويعرض به ويظهر استياءه منه ، لاستحواذه على الخلافة دون صاحبها الشرعي ، هشام المؤيد الأموي ،

---

(1) ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، المجلد الرابع القسم الأول ص 52 ـ 54 .
(2) أنظر كتاب د . أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 256 .

ثم أعلن ثورته ، سنة 386 هـ / 996 م ، بقطع ذكر إسم المنصور في الخطبة على منابر أعماله ، واقتصر على ذكر اسم الخليفة هشام فقط ، وطرد عماله من جميع البلاد المغربية ، ما عادا أولئك الذين يتولون ثغور المغرب الأقصى البحرية المطلة على المضيق ، مثل : ثغر مليلة وسبتة وطنجة ، ورد عليه الحاجب المنصور بن أبي عامر ، بأن عزله من خطة الوزارة ، وقطع عليه مرتبها الذي كان يجريه عليه كل سنة ، ومحا اسمه من ديوانه ، وتبرأ منه واعتبره خارجا عاصيا عليه (1) .

والظاهر أن المنصور بن أبي عامر ، حاول أن يقنع الزعيم المغراوي بالتخلي عن قراره بواسطة كاتبه الخاص عيسى بن سعيد اليحصبي ، الذي أرسله إليه في مجموعة من قواته الأندلسية ، وكلفه بالنظر في أمره واستصلاح شأنه . لكن زيري لم يبال به ، واستمر في ثورته على المنصور ، حتى استعصى أمره على عيسى بن سعيد ، عند ذلك فضل ، ان يبقى في المغرب الى نهاية سنة 386 هـ /996 م . علّه يستطيع استمالة بعض أعوان الزعيم الثائر ، وقد تحقق له ذلك عندما انضم إليه أحد قواد زيري بن عطية البارزين ، محمد بن محمود المعروف بابن البقال صاحب قلعة « النسر » ، فاجازه عيسى الى قرطبة ، حيث استقبله المنصور وقربه منه ، وأحسن إليه وسماه بالناصح (2) .

عبور القوات الأندلسية الى العدوة المغربية لاخضاع زيري بن عطية :

ثم جهز المنصور جيشا كبيرا بقيادة مملوكه « واضح » الصقلبي ، صاحب مدينة « سالم » ، وزوده بالأموال والسلاح والكسى ، وأصحبه بمجموعة أخرى من القواد الأندلسيين ، وبعض الأمراء المغاربة الموالين للمنصور الحانقين على زيري بن عطية . ولا سيما امراء مكناسة وبني يفرن ، الذين طردهم زيري من أعمالهم ، أمثال : أبو نوبخت بن عبد الله بن بكار اليفرني ، واسماعيل بن البوري ، ومحمد بن عبد الله بن مدين المكناسيين ، وخزرون بن محمد من ازداجة ، وغيرهم من الأمراء المغاربة ، الذين كان المنصور محتفظا بهم في قرطبة ، لمثل هذه الظروف (3) .

---

(1) مفاخر البربر ، ص 28 ـ ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 66 ـ روض القرطاس ، ص 70 ـ 71 ، السلاوي : ص 92 ـ 93 .

(2) مفاخر البربر ، ص 27 ـ 28 .

(3) مفاخر البربر ، ص 29 ـ ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 67 ـ روض القرطاس ، ص 71 .

عبر « واضح » المضيق بقواته ، ونزل بمدينة طنجة ، سنة 387 هـ /997 م ، وهناك انضمت إليه كل من قبيلتي ، غمارة و« صنهاجة » ، ثم تقدم يريد مدينة «فاس» ، لكن زيري بن عطية ، كان له بالمرصاد ، حيث أسرع إليه والتقى به في وادي « رادب » ، جنوبي طنجة ، وظل يقاتله نحو ثلاثة أشهر ، حتى أنزل به وبجيشه الأندلسي الهزيمة ، ففرواضح الى طنجة ، مستغيثا بمولاه المنصور ، يطلب المزيد من المدد (1) .

وبهذه الهزيمة الثقيلة ، اضطر المنصور بن أبي عامر ، الى الخروج بجميع الجيوش الأندلسية ، وقوادها الى الجزيرة الخضراء كعادته ، وكان الحاجب المنصور قد ابتنى له القصور والمنازل ، على طول الطريق الرابط ما بين مدينة قرطبة والجزيرة الخضراء ، على غرار ما فعله في الطرق الرابطة أيضا بين عاصمته والثغور الأندلسية الشمالية (2) .

ثم أسند المنصور قيادة هذه الجيوش الى إبنه عبد الملك المظفر، بدلا من فتاه واضح ، وأجازها الى مدينة سبتة ، ومكث هوكعادته في الجزيرة الخضراء يراقب سير المعارك من هناك عن كثب ، ويقف على امداد ابنه بالاجناد والقواد (3) .

ولما بلغ زيري بن عطية عبور عبد الملك المظفر بهذه القوات الضخمة ، شعر بالخطر على نفسه ، فبعث الى جميع بطون زناتة يستنفرهم ، فاسرعت الى نصرته الوفود والقوات من جميع بلاد المغرب (4) .

هزيمة الزعيم المغراوي في معركة وادي « مني » :

فنهض بهم الزعيم المغراوي زيري ، والتقى الجيشان بوادي « مني » باحواز طنجة ، ودارت بينهما معارك شديدة ، سنة 388 هـ /998 م اختلط فيها الحابل بالنابل ، ظلت فيها الحرب متكافئة بين الفريقين ، الى أن لعبت الخيانة دورها ، ولا يستبعد أن يكون عبد الملك المظفر ، هو الذي حاك خيوطها من وراء الستار ، إذ قام بتحريض غلام أسود اسمه كافور بن سلام ، كان زيري بن عطية قد صرع أخاه من قبل .

(1) روض القرطاس ، ص 71 ـ السلاوى : الاستقصا ، ص 93 .

(2) مفاخر البربر ، ص 30 .

(3) ابن عذارى : البيان ، جـ 1 ص 252 ـ 253

(4) روض القرطاس ، ص 71 ـ السلاوى : الاستقصا ، ص 93

فاغتنم هذا الغلام الفرصة وتسلل الى خيمة زيري ، وطعنه بطعنات غير قاتلة في رقبته ، وفر ناجيا بنفسه ، الى معسكر عبد الملك المظفر ، وبشره بقتله لزيري بن عطية ، وعندما تأكد المظفر من صحة الخبر ، شدَّد القتال وقوي الهجوم على جيوش زناتة ، وهم في حالة دهشة من جراء جروح أميرهم ، واستطاع أن يمزق صفوفهم ، ويهزم جموعهم ، ويستولي على ذخائرهم ، من المال والسلاح والخيل والابل وغيرها ، عند ذلك لم يجد اصحاب زيري بن عطية بدا من حمله والفرار به متخنا بجراحه ، وعرَّجوا على مدينة « فاس » حيث أخذوا أولاده وعياله وانصرفوا بهم الى الصحراء (1) .

أما عبد الملك المظفر بن المنصور ، فقد تابع فتحه للاقاليم المغربية حتى بسط سلطانه على المغرب الأقصى ، وما ولاه الى سجلماسة ، وتلمسان وتاهرت بالمغرب الأوسط (2) . فكتب الى أبيه يخبره بهذا الفتح ، فعظم سرور المنصور وتضرع لله شاكرا ، وبث الصدقات على الفقراء ، واعتق الموالى بهذه المناسبة ، وأمر بقراءة هذا الخبر على منبر جامع الزهراء بقرطبة وعلى منابر قواعد الأندلس كلها شرقا وغربا ، حتى أن الشعراء اشادوا بهذا اليوم ونوهوا في أشعارهم باهبات المنصور وكفاءته العسكرية ضد زيري بن عطية (3) .

ثم عهد المنصور لابنه عبد الملك بولاية المغرب ، فاصلح نواحيه ، وشد ثغوره ، وعين العمال على النواحي ، فولى محمد بن الحسن بن عبد الودود على تادلا ، واستعمل حميد بن يصل المكناسي على سجلماسة ، ثم قفل عائدا الى الأندلس بعد أن استخلف مكانه مملوك أبيه واضح سنة 389 هـ/999 م (4) .

---

(1) مفاخر البربر ، ص 33 ـ ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 68 ـ روض القرطاس ، ص 71 ويذكر ابن عذارى ، ان الذي غدر به هو ابن عمه الخير بن مقاتل ، فطعنه برمح في قفاه وهرب ، انظر : البيان ، ج 2 ص 282 .

(2) ابن عذارى : البيان ، ج 1 ص 253

(3) مفاخر البربر ، ص 33 . ومن بين هؤلاء الشعراء الذين اشادوا بهذه المناسبة شاعر العصر ابن دراج القسطلي الذي قال :

لئن صديت البـاب قـوم ببغيهـم ... فسيف الهدى في راحيتك صقيل
فـإن يحيـى فيهـم بغى جالـوت جدهم ... فاحجـار داود لـديـك مشـول
أراقـم تغـري ناقـع السـم مالهـا ... بمـا حملـت دون الغـداة مقبـل
اذا نفثـت في زورزيـري حمـاتهـا ... فويـل لـه من ذكرهـا وأليـل

ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 1 ص 253 ـ ابن خلدون : العبر ج 7 ص 69 .

وأما زعيم مغراوة زيري بن عطية ، فإنه لما اندملت جراحه وتحسنت أحواله وصحته أخذ يجمع شمله فجيش الجيوش وكتب الكتائب من مختلف بطون زناتة ، وتقدم بهم نحو مضارب صنهاجة في المغرب الأوسط ، مغتنما في ذلك فرصة قيام شيوخ صنهاجة على حفيد أخيهم الأمير الجديد باديس بن المنصور ، وهو منشغل بقتال عامله على مدينة « طبنة » فلفول بن سعيد الزناتي ، واستطاع زيري بن عطية ان يتغلغل داخل الأراضي الصنهاجية وان ينزل بهم الهزائم الكثيرة فقد دخل مدينة المسيلة عاصمة اقليم الزاب ، وبلاد شلف ، ومدينة تاهرت وتنس وتلمسان ، وأقام على منابرها الدعاء للخليفة هشام المؤيد ، والمنصور إبن أبي عامر ، ثم زحف على مدينة « أشير » ، قاعدة ملوك صنهاجة ، وأناخ على بابها مدة طويلة محاصرا لها (1) .

وقد شجعه على ذلك أعمام باديس بن المنصور ، وزاوى بن زيري بن مناد ، وجلال وماكسن ، وغيرهم من أمراء صنهاجة الذين طلبوا الامان من زيري بن عطية ولجأوا إليه ، فارين من الأمير باديس صاحب افريقية .

وبعد أن تم لزيري هذا الفتح في المغرب الأوسط ، انفذ الى المنصور بن أبي عامر ، كلا من ثقته « دقاق الحاج » وقاضيه « فتوح الأزرق » ، سنة 389 هـ /999 م . يسترضيه ويخبره عن استعداده للدخول في طاعته من جديد ، واقامة الدعوة له مؤكدا له صحة طاعته وولائه وصدق انابته ، وطالبا منه اعادة العهد له بولاية المغرب . وقد اشترط زيري على نفسه ، ان يرسل ابنه وابن أخيه رهينة للمنصور ان هو اعاده الى ولاية المغرب ، واستأذنه في قدوم زاوي بن زيري الصنهاجي وأخيه جلال ، فأذن المنصور لهما بدخول الأندلس ، سنة 390 هـ /1000 م ، ولم يكترث لطلب أخيهما الثالث أبي البهار لسابق نكثه (2) .

والظاهر أن المنصور بن أبي عامر قد قبل التماسات زيري بن عطية ، وطلباته ، ورضى عما يقوم به من إقامة الدعاء له وللخليفة هشام في اعماله ، ومن منازلة صنهاجة ، الا أنه فيما يبدو لم يبعث له بعهده على ولاية المغرب ، لان المنصور ظل يُعين الولاة على البلاد المغربية من كبار رجال دولته ، الى أن توفي سنة 392 هـ /1002 م .

---

(1) مفاخر البربر ، ص 38/35/34 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 70 وروض القرطاس ، ص 72 .
(2) مفاخر البربر ، ص 35 ـ ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 70

ويتضح كذلك من خلال نص لصاحب كتاب مفاخر البربر، الذي يقول : «... أقام الخطبة (يقصد زيري بن عطية) لابن أبي عامر وابنه ، فيما صار إليه من بلاد صنهاجة بعد دعائه للخليفة هشام ، فقبل ابن عامر ورضي ، وذلك في جمادي الأخير من هذه السنة (389 هـ / 999 م) » (1) .

ولم يزل زيري بن عطية يغير على أعمال صنهاجة ، وينزل بهم الهزيمة تلو الأخرى ، ويحاصر قاعدتهم « أشير » ، الى أن أشتدت علته وانتقض عليه جرحه من جديد فانصرف الى بني عمه ، وقضى نحبه هناك ، سنة 391 هـ / 1001 م (2) .

المعزبن زيري يصالح العامريين :

اجتمع آل خزر وكافة شيوخ مغراوة ، على مبايعة المعز بن زيري بن عطية ، زعيما لهم خلفا لأبيه والظاهر أن المعز هذا لم يكن راضيا عن السياسة التي انتهجها والده ، مع كل من الدولة الزيرية الصنهاجية ، والدولة العامرية ، بدليل أنه عندما تولى رئاسة مغراوة مباشرة لم يلتزم بانتهاج هذه السياسة ، وفضل عدم اتباعها ، بحيث انصرف عن محاربة صنهاجة ، واكتفى بما بين يديه من أعمال. وصالح المنصور بن أبي عامر، ودخل في طاعته ، وأقام له الدعاء ولابنه عبد الملك ، عقب الدعاء للخليفة هشام المؤيد بالله ، ومازال المعز على ذلك حتى توفي المنصور بن أبي عامر واستمر كذلك مع خليفته عبد الملك المظفر ، الذي تولى الحجابة وشؤون الدولة بعد أبيه ، سنة 392 هـ / 1002 م (3) .

وهكذا أعادت الخلافة الأندلسية سيادتها من جديد على معالم أراضي المغربين الأوسط والأقصى ، إذ كان يمثلها على الاقليم الاول المعز بن زيري بن عطية المغراوي ، ويمثلها على الاقليم الثاني ، الولاة الذين كان المنصور بن أبي عامر يحرص على انتقائهم من بين كبار رجال الدولة ، أمثال : مملوكه واضح ، وعبيد الله ابن أخيه ، واسماعيل بن البوري المكناسي ، وأبا الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي (4) .

---

(1) مفاخر البربر ، ص 34

(2) مفاخر البربر ، ص 32 ، 35 ، 36 ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 7 ص 70 .

(3) مفاخر البربر ، ص 39 - ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 70

(4) مفاخر البربر ، ص 36 - المصدر السابق ، ج 7 ص 69

واستمر الحاجب الجديد ، عبد الملك المظفر بن المنصور في تطبيق السياسة المغربية التي انتهجها والده من قبله ، وهي المحافظة على النفوذ الأموي في بلاد المغرب ، وضرورة مصانعة رؤساء القبائل المغربية .

.وعندما تأكد عبد الملك من اخلاص المعز بن زيري المغراوي ، للدعوة المروانية وولائه لها ، عقد له على ولاية المغرب كله ، ماعدا سجلماسة التي كان المملوك واضح قد أعادها الى أيدي « وانودين بن خزرون وابن عمه فلفول ابن سعيد » المغراويين مقابل مال يؤديانه كل سنة إلى حكومة قرطبة ، ورهينة من ابنائهما (1) .

وكذلك اشترط على المعز بن زيري رهينة ، فارسل إليه ولديه حمامة ومعنصر مع تقديم اتاوة سنوية من المال والخيل ، والسلاح والدرق ، وغير ذلك مما تدعوه الضرورة وتتطلبه الحاجة (2) .

وكتب له المظفر بن المنصور بعهد الولاية ، وبعث به مع وزيره وخاصته أبي محمد بن علي بن حدلم في ذى القعدة سنة 397 هـ /1007 م ، وقد رأيت أن انتخب بعض الفقرات من ظهير تعيينه على سبيل المثال لا الحصر : « بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد : من الحاجب المظفر سيف دولة الامام الخليفة هشام المؤيد بالله ، أمير المؤمنين أطال الله بقاؤه ، عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الى كافة مدينتي « فاس » وكافة أهل المغرب اما بعد : ... ان المعز بن زيري بن عطية أكرمه الله تابع لدينا رسله وكتبه متنصلا من هنات رفعته اليها ضرورات ... وقد وعد من نفسه ، استشعار الطاعة ولزوم الجادة واعتقاد الاستقامة ، فوليناه ما قبلكم وعهدنا إليه ان يعمل بالعدل فيكم ، واشهدنا الله عليك بذلك ... وقد وجهنا ابا محمد بن علي بن احدلم وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ، لياخذ ميثاقه ويؤكد العهد فيه عليه بذلك ، وأمرناه باحضاركم ذلك واشراككم فيه فاتقوا بذلك ، واسكنوا إليه وليقضي القاضي أبو عبد الله اكرمه الله احكامه مشدودا ظهره بنا معقودا ، سلطانه بسلطاننا ولا تأخذه في الله لومة لائم فذلك ظننا به إذ وليناه ، وأملنا فيه إذ قلدناه والله المستعين وعليه التكلان .. » (3) .

---

(1) ابن عذارى : البيان ، ج 1 ص 254 ـ ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 79

(2) مفاخر البربر ، ص 39 ـ ابن عذارى : البيان ، ج 1 ص 253 أما ابن خلدون (ج 7 ص 70) وروض القرطاس (ص 73) والسلاوى (ص 95) فيذكرون ان الرهينة كانت لابنه معنصر فقط .

(3) مفاخر البربر ، ص 40 ـ 41 ـ ابن خلدون : العبر ، ج 7 ص 71 ـ 72 السلاوى : الاستقصا ، ج 1 ص 94 ـ 95 .

وبهذا العمل يكون الحاجب عبد الملك المظفر ، قد أعاد الثقة من جديد الى حلفاء الدولة الأموية التقليديين وهم آل خزر المغراويون ، وأن يكسب ولاء زناتة التي انتشرت الدعوة الأموية في المغرب على اكتافها منذ الرعيل الاول لامراء بني أمية في الأندلس ، واليها يرجع الفضل في ابقاء الدعاء للخليفة هشام على منابر المغرب ، ولكي يزيد من أصطناعهم ، قام عبد الملك بتجنيد واستخدام رجالهم في جيوشه ، مقتفيا في ذلك أثر أبيه المنصور بن أبي عامر.

وكما أن عبد الملك المظفر عوَّل على آل خزر المغراويين في ضبط أمور المغرب تحت السيادة الأموية ، فإنه أيضا اعتمد على بني زيري بن مناد الصنهاجيين ، الذين عبروا الى بلاد الأندلس ، واستقروا بنواحي غرناطة في عهد والده المنصور في تنفيذ مشاريعه الجهادية في الثغور الشمالية ، وقد أبلى بنو زيري بلاء حسنا في جهادهم ضد المسيحيين ، مما جعل المظفر بن المنصور يزداد ثقة بهم ، ويحسن اليهم ، ويقلدهم الوظائف العالية في دولته ، ويجعلهم في بطانته ، فاستماتوا في خدمته ، ولعبوا دورا بالغ الأهمية من أجل تثبيت أقدام العامريين في السلطة ، وفي ذلك يقول إبن خلدون : « واستغلظ أمر صنهاجة بالاندلس ، واستفحلت امارتهم ، وحملوا دولة المنصور ابن أبي عامر وولديه المظفر والناصر من بعده ، على كاهلهم » (1).

الا أن عهد عبد الملك المظفر ، لم يدم أكثر من سبع سنوات حيث اصابته ذبحة صدرية مات على أثرها سنة 399 هـ /1009 م ، فتولى الحجابة وزمام الدولة من بعده أخوه عبد الرحمن الناصر بن المنصور ، المعروف باسم شنجول نسبة الى جده لامة شانجة Sancho Garces Abarca لأنه كان أشبه الناس به (2).

ولما بلغ ذلك الى المعز بن زيري ظهير الدولة الأموية في بلاد المغرب ، وجه وفدا من فتيان بني عمه ، وجملة من شيوخ القبائل ، وبعض وجوه مدينة « فاس » لتهنئته وتجديد الولاء ، والطاعة له وبعث له معهم هدية قيمة ، تشتمل على احمال كثيرة من السلاح والدرق وعدد من الخيول وجملة من الأموال وبعض الطرف المغربية الجميلة

---

(1) ابن خلدون : العبر ، جـ 6 ص 367 ـ انظر أيضا : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ 7 ص 120 ، مذكرات الأمير عبد الله المسماه بكتاب التبيان نشر وتحقيق ليفي بروفنسال ـ دار المعارف بمصر 1955 ـ ابن بسام الذخيرة ، المجلد الاول ، القسم الرابع ص 61 .

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 41

فسربها عبد الرحمن ، وشكر للمعز ذلك وسرح إليه ولديه حمامة ومعنصرا ، بعد أن خلع عليهما ، وعلى الرسل الذين قدموا إليه وجدد له العهد على اعماله بالعدوة المغربية ، وبوصول حمامة ومعنصر المرتهنين الى أبيهما « بفاس » ، جمع المعز بن زيري نحوا من تسعمائة فرس ، وبعث بها الى قرطبة ، ولم تصل من المغرب الى الأندلس هدية أعظم منها ، حسب تعبير السلاوي (1) .

تجدر الإشارة هنا ، الى أن انتقال الدولة الفاطمية من افريقية والمغرب الى القاهرة ، وإبتعادهم عن بلاد الاندلس وأصحابها الأمويين ، لم يؤثر في الفكرة المعادية التي تراود عقول بني أمية في لأندلس نحوهم منذ زمن بعيد ، إذ يروي المؤرخون أنه قامت في سنة 395 هـ /1005 م ثورة سنية في « برقة » قام بها ثائر على الفاطميين يدعى الوليد بن هشام ، من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل الملقب بأبي « ركوة » ، خرج من الأندلس متظاهراً بالتصرف ، واشتغل بتعليم الصبيان ثم زعم أن مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته (2) ، وعندما عظم أمره وقوي مركزه ، ضرب السكة وأجهر الدعوة للخليفة هشام المؤيد بالله ، وخطب باسمه على منابر برقة . وكان يلعن الحاكم بأمر الله الفاطمي وآبائه ، واستطاع ان يستولى على برقة ، حتى فزع منه صاحب مصر ، فعزم على الخروج من القاهرة الى الشام ، وبرز الى بلبيس بعساكره وأمواله ، الا أن خواصه اشاروا عليه بالعودة فعدل عن قراره ، ورجع الى القاهرة حيث أخذ يعد العدة للقاء أبي ركوة (3) .

وقد تمكن هذا الثائر السنى الأموي ، ان ينزل بالفواطم سلسلة من الهزائم خلال سنة 397 هـ /1007 م ، ويطاردهم حتى اهرامات الجيزة . ولكنه انهزم أخيرا وأسر على يد القائد الفاطمي الفضل بن عبد الله ، الذي حرص على أخذه الى الحاكم بأمر الله حيا لينتقم منه ، فعرضه هذا الأخير في شوارع القاهرة عرضا مزريا ثم قتله وصلبه (4) .

---

(1) السلاوى : الاستقصا ، ص 95 ، وأنظر أيضا ابن عذارى : البيان ، ج 1 ص 254/253 الذي يذكر بأن عدد هذه الخيول نحو سبعمائة .

(2) المقرى : نفح الطيب ، ج 3 ص 411 ـ 412

(3) ابن تغرى بردى (جمال الدين) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج 4 ص 212 القاهرة بدون تاريخ.

(4) ابن تغرى بردى المصدر السابق ، ج 4 ص 217 ـ ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ص 234 الى ص 237 .

ولا يستبعد أن تكون للعامريين ، يد في تحريك هذه الثورة في قلب الدولة الفاطمية (1) ، ولاسيما وأن المنصور بن أبي عامر كان يحلم قبل وفاته بمد سلطانه على بلاد المشرق ، وكثيرا ما عبر عن هذه المطامع بأبيات شعرية يقول فيها :

منع العين أن تذوق المنايا حبها ان ترى الصفا والمقاما
لي ديون بالشرق عند أناس قد أحلوا بالمشعرين الحراما
ان قضوها نالوا الاماني والا جعلوا دونها رقابا وهاما
عن قريب ترى خيول هشام يبلغ النيل خطوها والشآما (2)

وهكذا كادت ثورة أبي ركوة أن تحقق أحلام المنصور ، ولو بعد وفاته بقليل ولكنها أنتهت بالفشل ، شأنها في ذلك شأن المحاولات الكثيرة ، التي قام بها بنو أمية وأنصارهم ، للقضاء على الشيعة الفواطم ، وأسدل بذلك الستار على الصراع الحاد الذي ظل قائما بين الخلافتين ، الفاطمية ، الشيعية والأموية السنية مدة قرن من الزمن ، لأن كلا من بني أمية والفواطم دخلوا مرحلة جديدة لا يحسدون عليها وهي مرحلة الضعف والانحلال .

---

(1) د . محمود علي مكي التشيع في الأندلس ، ص 29/28 .
(2) المقرى : نفح الطيب ، جـ 1 ص 383 ـ راجع ايضا : كتاب الدكتور أحمد مختار العبادى : فسر تاريخ المغرب والأندلس، ص 258 .

الفصل الثاني

سياسة الدولة الأموية نحو دول المغرب في فترة الانتقال ما بين هشام المؤيد بالله وسقوط الخلافة الأموية في قرطبة

(399 هـ ـ 422 / 1009 ـ 1031 م)

من المعروف أن امتداد نفوذ ، أي دولة من الدول ، وانتشاره خارج حدودها ، يرتبط ارتباط وثيقا بأوضاعها الداخلية ، وبمدى إمكانتها وقوتها وضعفها .

وعلاقة الدولة الأموية في الأندلس ، ببلاد المغرب ، في هذه الفترة غيرواضحة ، لأن المصادر التاريخية المتداولة الآن بين أيدينا ، لم تتطرق اليها ، بل أهملت هذا الجانب إهمالا ، يكاد يكون كاملا ، ولعل السبب في ذلك يرجع ، الى عدم وجود سياسة معينة ، لخلفاء بني أمية مع دول المغرب في ذلك الوقت ، أوان وجدت ، لم تكن ذات أهمية كبيرة ، مما أدى بالمؤرخين والرواة ، الى العزوف عن ذكرها ، ويوجهون عناية أكبر ، لما يدور في ساحة الأندلس ذاتها من فتن داخلية ، وصراعات دموية بين الأندلسيين من جهة ، والبربر المغاربة من جهة أخرى ، في سبيل الاستيلاء على كرسي الخلافة . .

إلا أن هذا التبرير لا يمنع مطلقا أن أحاول قدر استطاعتي ، القاء بعض الضوء على جوانب هذه السياسة ، ونوعية العلاقة الأندلسية المغربية في هذه الفترة ، من خلال النصوص الشحيحة والإشارات العابرة المتناثرة ، التي تمكنت العثور عليها في ثنايا المصادر القليلة التي في متناول أيدينا .

سقوط العامريين :

وقد رأيت أنه من المفيد ، أن أتطرق الى الظروف ، التي قامت فيها الحرب الأهلية في الأندلس ، ومراحل تطورها بايجاز ، والصراع الطويل والمرير ، الذي دار بين الأندلسيين والمغاربة ، وما تسبب عنه من ضعف الدولة الأموية ، ثم سقوطها نهائيا ، لتكون الصورة واضحة ومتكاملة .

فمن المعلوم أنه حدثت في أيام الدولة الأموية ـ كما سبقت الاشارة ـ هجرات مغربية كثيرة ، معظمها من قبائل زناتة البترية ، التي كانت موالية لبني أمية في الأندلس ، ومن الثابت أيضا أن الخلفاء الأمويين كانوا يغدقون الاعطيات عليهم ، ولا يضنون بها ، ويرحبون بقدومهم ، ويولونهم الأعمال ويشجعونهم بمختلف الطرق والوسائل الممكنة ، على العبور الى بلاد الأندلس ، حيث اشركوهم في قيادة الجيوش ، واعتمدوا عليهم اعتمادا كبيرا سواء في حركة الجهاد المقدس ضد النصارى في الثغور الشمالية ، أو في محاربة النفوذ الفاطمي في الشمال الافريقي . وهكذا أصبحت قبائل المغرب ، التي تمتاز بالروح الحربية العالية ، والتفوق في القتال ، معينا لاينضب يستمد منها الجيش الأندلسي حاجته من المقاتلين في كل حين .

وقد تضاعف عدد هذه الهجرات ، في أيام الدولة العامرية ، وبالتحديد في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر صاحب الدولة ، وكافل الخلافة الأموية ، الذي استدعى كثيرا منهم للخدمة في قواته ، واستعان بهم في تثبيت حكمه ، وتوطيد أركان سلطانـه .

وبالإضافة الى رجال زناتة ، وبني برزال ومكناسة ، الذين قدموا إليه زرافات ووحدانا ، عن طيب خاطر ، وفد عليه كذلك ، فريق آخر من المغاربة لا يقل أهمية عن قبائل زناتة ، هو فريق بني زيري الصناهجة ، فنظمهم في طبقات جنده من المغاربة ، وسائر رجال البربر ، وأحسن اليهم ، وأكرم وفادتهم واصطنعهم لنفسه ، واستعملهم في الوظائف السامية ، واتخذهم بطانة لدولته ، وأصبحوا منذ ذلك الوقت ، عصبة له ودعامة قوية تسند ظهره ، فاعتز بهم أمره واشتد ازره ، وادال بهم عساكر الأموية ، وتغلب على القبائل العربية ، حتى أسقط رجال الدولة ومحا رسم الخلافة (1) .

حينئذ أنقلبت نفوس الأمويين والأندلسيين على المغاربة ، وسقطت قلوبهم عليهم وخزرتهم عيونهم فأصبحوا يضمرون لهم الشر والكراهية ، ويحقدون عليهم سلبهم الامتياز ، الذي كانوا يتمتعون به قبل مجيئهم الى الأندلس ، وينقمون عليهم مظاهرتهم للعامريين ، ونسبوا إليهم تغلب المنصور وولديه من بعده على الدولة ، واعتبروا وفوذ هؤلاء المغاربة الى

---

(1) ابن خلدون : العبر ، ج 2 ص 367 .

أرض الأندلس ، والخدمة في جيشهم احتلالا مغربيا مقنعا لهم ، فراحوا يترقبون الفرص المواتية للوثوب عليهم .

ومما زاد الطين بلة ، تولى أمر الحجابة عبد الرحمن شنجول ، بعد وفاة أخيه عبد الملك ، ولم يكن ليتمتع بالخصال ، التي كان يتمتع بها والده وأخوه وهي قوة الشخصية ، والشدة والحزم وبعد النظر ، فتعجل بتلقيب نفسه بالناصر ثم المأمون ، وتسمى بالحاجب الأعلى ناصر الدولة ، وافتتح عهده بالخلاعة والمجون ، وانغمس في اللهو والملذات ، ولم يكتف بهذا ، بل تطلع الى ما لم يتطلع إليه أبوه أو أخوه من قبل ، وهو وراثة العرش الأموي في الأندلس ، والاستئثار بما تبقى لهم من رسوم الخلافة ، فحمل الخليفة هشام المؤيد ، على أن يعهد إليه بولاية العهد ، ليقوم بأمر المسلمين من بعده ، ولم يجد هشام بدا من تلبية رغبته ، لضعفه ، وسوء تدبيره ، ونقصان فطرته (1) .

ظن عبد الرحمن شنجول بن المنصور ، أن مقاليد الأمور ، قد آلت إليه وحده ، فانتابه الغرور ، وأنفذ بهذه المناسبة الكتب الى مختلف الأقاليم في الأندلس ، وبلاد المغرب يخبرهم بذلك ، ويأمرهم بالدعاء له بالعهد ، بعد الدعاء للخليفة هشام المؤيد بالله (2) .

كما أستمر في متابعة سياسة أبيه ، وفي الاعتماد على العناصر المغربية ، والاستخفاف ببني أمية وبرجال الدولة العرب الاندلسيين واستفزازهم حتي وصل الأمر به الى التدخل في شؤونهم الخاصة ، بحيث فرض عليهم أن يتزيوا بالزي المغربي ، وخلع القلانس الطوال المرقشة الملونة ، التي كانو يتميزون بها عن العامة ، ويتباهون بها على طبقات الرعية ، واستبدالها بالعمائم المغربية ، وتوعهدهم ان هم لم يفعلوا ذلك

فمن الطبيعي أن تثير هذه التصرفات حفيظة الأمويين وأنصارهم الأندلسيين ، وهزتهم هذه التصرفات المريبة هزا عنيفا ، وعز عليهم أن تنتقل الخلافة من ايدي عصبتهم المضرية ، الى أيدي الأسرة العامرية اليمنية القحطانية ، بعد صدور قرار ولاية العهد من هشام المؤيد (3) ، فثارت ثائرتهم ، وازعجهم هذا الحادث ، فضاقت الدنيا بهم ،

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 38

(2) ابن عذارى : المرجع السابق ، جـ 3 ص 46

(3) ابن عذارى : البيان ، جـ 7 ص 48

ويؤكد ذلك وصف إبن عذاري لهم بقوله : « وكانت عندهم أعظم محنة ، كلهم يعزي عنها نفسه ويكفكف عبرته ... وأهتبل بنو مروان وشيعتهم بالبلد ، غرة العامريين فيما ارتكبوه من ذلك فدبت عقاربهم الى الناس ، وقاموا في قلب الدولة العامرية بجد وبصيرة ، فلم يخذلهم الناس وظفروا بالبقية » (1) .

وكان هذا فيما يبدو ، هو السبب المباشر والرئيسي الذي مهد للفتنة التي انتهت بسقوط الدولة العامرية ، وبالتالي قدمت لاضمحلال الخلافة الأموية في الأندلس وإنحلالها (2) .

قام الأمويون تتبعهم العامة من أهل قرطبة ، بثورة على الخليفة هشام المؤيد ، وحاجبه عبد الرحمن بن المنصور ، أثناء غياب هذا الأخير للجهاد في الثغور الشمالية ، فخلعوه عن العرش وولوا مكانه ، رجلا منهم أحد أحفاد عبد الرحمن الناصر لدين الله ، هو محمد بن هشام بن عبد الجبار ، ولقبوه بالمهدي في جمادى الأخير ، سنة 399 هـ / 1009 م (3) .

ولما انتهى خبر الثورة الى عبد الرحمن بن المنصور ، عاد لتوه من الشمال يطوي المراحل الى قرطبة ، رغم نصيحة خواصه بعدم العودة ، لكنه أصر على المسير إليها ، فكان كلما اقترب منها ، انفض من حوله جماعته من الصقالبة العامريين والبربر المغاربة ، لمّا رأوا فيه سوء السلوك وقبح الأفعال ، فكان أول من أنصرف عنه من القواد المغاربة ، محمد بن يعلى وابن عمه بكاس بن سعيد الناس وأبوزيد بن دوناس اليفرني ، في جموع زناتة وزيرى بن عرابة المطماطي ، وحباسة بن ماكسن بن زيري مع من كان معه من صنهاجة ، وتوالى يعد ذلك رؤساء القبائل المغربية في الانسحاب من صفوفه ، ولحقوا بالخليفة الجديد محمد بن هشام المهدي بقرطبة ، حتى صار عبد الرحمن في قلة من اصحابه ، وعندما شارف على منزل ارملاط الأدنى من قرطبة ، أرسل إليه المهدي من قتله واحتز رأسه وحمله إليه ، وانتهت بذلك الدولة العامرية ، التي دامت ما يزيد عن ثلاثين سنة وذلك في سنة 399 هـ/1009 م (4) .

---

(1) ابن عذارى : المرجع السابق ، جـ 7 ص 43 - 47

(2) نفس المصدر ، جـ 3 ص 42

(3) ابن الخطيب : اعمال الاعمال ، القسم الثاني ص 127

(4) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 50/51/73

الحرب الأهلية :

لكن محمد بن هشام المهدي لم يحسن مقابلة المغاربة ، الذين تحولوا عن نصرة عبد الرحمن بن المنصور ، ولحقوا به ، فأهانهم وأهان بعض رؤسائهم ، واعتمد في تسيير شؤون دولته ، وتثبيت حكمه ، على العساكر الذين جندهم من عامة القوم ، الذين لم يتوانوا عن الانضمام اليه ، والانثيال عليه ، بعد نجاح ثورته لمساعدته ومساندته ، فقد جاءوا من الأسواق والأرباض الغربية ، فكان منهم الجزارون والعنازون والسفلة وسائر غوغاء الناس ، ممن تنقصهم التجربة بفنون الحرب ، والجهل بعواقبها ، تدفعهم أحقادهم الشديدة على العناصر البربرية المغربية ، ومآربها الشخصية في النهب والسلب والاغتنام ، حتى لم يبق منهم على حد قول ابن عذارى في المدينة « حجام ولا كناف ولاذو مهنة ذلية » (1) .

فقد قربهم الخليفة المهدي اليه ، واستعان بهم وآثرهم على غيرهم من الجند الصقالبة والمغاربة ، ثم خرج بهم إلى مدينة الزاهرة العامرية ، فكسروا سجنها ، وأخرجوا منه اللصوص والأشرار وأصحاب الجرائم ، فنهبوا المدينة وما كان بها من الأموال والأسلحة والخزائن ، والأمتعة والآلات السلطانية واقتلعوا أبوابها ووثائقها وخشبها ، وغير ذلك مما حوته القصور وباعوه في الأسواق (2) .

ثم امتدت يدهم إلى منازل المغاربة بالرصافة ، فنهبوها ودخلوا دور بني ماكسن وبني زاوي وأهانوهم ، ولعل ذلك كان بتشجيع من محمد بن هشام المهدي ، الذي أظهر بغضه الشديد لهم ، فكثيرا ما كان يتكلم عنهم بسوء الثناء ويتوعدهم ، وأجزل المكافأة لكل من أتى برأس مغربي ، فتسارع أهل قرطبة واجتهدوا في قتل من استطاعوا قتله ، فدخلوا على « سنار البرزالي » الذي كانت له آثار حسنة في الجهاد ، فذبحوه على فراشه ، وقتلوا نحو سبعة عشر تلمسانيا قدموا من الجزائر للجهاد في سبيل الله ، وهتكوا الحرمات وسبوا النساء وباعوهن في دار البنات (3) .

---

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 61 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 127 .
(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 7 ص 61
(3) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 61

وقد بلغ الأندلسيون في تصيد أهل المغرب ، والبحث عنهم حتى قتلوا خطأ كثيرا من الخراسانيين والشاميين ظنوهم برابرة . كما أخذوا يقتلون غيلة كل مغربي وجدوه في خلوة أو منفردا . ولعل هذا هو السبب الذي جعلهم يتكتلون ويتجمعون حتى لا يفتك بهم أهل قرطبة ، ويؤيد ذلك قول ابن عذارى : « وكان البربر إذا دخلوا أسواق قرطبة تخوفوا من العامة ، فإن صهل فرس على فرس قامت نفرة ، لتعصب العامة عليهم وبغضهم فيهم ، وهم مع ذلك صابرون ينهون سفهاءهم وعبيدهم أن يمد أحد منهم يده إلى أندلسي » (1) .

ورغم ما حدث للمغاربة من تعسف ، وتقتيل وإهانات من قبل العامة ، فقد تروي الكثير من شيوخهم وآثروا الاتصال المباشر بالخليفة المهدي ، لاستطلاع رأيه فيما حدث ويحدث قبل أن يقدموا على أي شيء ، يؤدي إلى العنف ، فتوجه زاوي وحبوس وحباسة أبناء ماكسن ، وغيرهم من زعماء القبائل المغربية ، ودخلوا على المهدي يشتكون ما أصاب قومهم ، فتظاهرلهم بالاعتذاروامربقتل بعض المعتدين ، ثم فيما يبدوا كلّف أحد وزرائه ، وهو البكري بأن يعلن للناس في قرطبة وأرباضها ، أن أمير المؤمنين المهدي قد عفا عن جميع المغاربة شريطة أن يعودوا إلى بلادهم ، ويشتغلوا بفلاحة الأرض وخدمتها كما كانوا (2) .

والظاهر أن البربر لم يستجيبوا لهذا النداء ، ولم يقبلوا هذا الشرط ولم يطمئنوا لهذا العفو الشامل ، فلم يخرجوا من بيوتهم خوفا من العامة المتربصين لهم في كل الطرق ، واضطروا إلى البقاء متسترين عند أصحابهم من أهل المدينة ، (3) ولذلك اضطروا أخيرا ، إلى اتخاذ موقف معين لوضع حد لهذه الاضطهادات من ناحية وللتسابق الذي بدأ يحتدم ، بين الطامعين في الخلافة من بني أمية ، فالتفوا أول الأمر حول هشام بن سليمان الأموي الملقب بالرشيد ، وقاموا بثورة على المهدي إلا أنه لم يكتب لها النجاح ، اذ استطاع المهدي وجموعه أن يخمدوها ويقضوا عليها في المهد ، وقبضوا على الرشيد وقتلوه صبرا (4) .

---

(1) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ص 92

(2) ابن عذارى : البيان ، ج 3 ص 82

(3) نفس المصدر ج 3 ص 88

(4) نفس المصدر ج 3 ص 83/82

لم يستسلم المغاربة لهذه الهزيمة ، بل زادتهم قوة وعزيمة واصراراً على المقاومة والإطاحة بعرش المهدي ، فقد بايعوا سليمان بن الحكم بالخلافة وجمعوا له الأموال ولقبوه بالمستعين بالله في عقب شوال ، سنة 399 هـ / 1009 م ، وساروا معه نحو قلعة رباح ، حيث انضم اليهم أهلها ، عند ذلك أدرك المهدي خطأ سياسته وحرج موقفه ، فحاول أن يرأب الصدع وأن ينقذ ما يمكن إنقاذه ، بعد انضمام عروة اتحاد المسلمين في الأندلس ، فأرسل إليهم التاجر الجزائري عباس البرزالي « رسولا يؤمنهم على أنفسهم ، ويدعوهم للعودة إلى قرطبة » (1) .

لكن هذه المبادرة لم تأت أكلها ، إذ لم يصغ المغاربة لسفير المهدي وقالوا له : « لولا أنك رسول وتاجر لقتلناك ... فليس لرجوعنا من سبيل لأنه إن أمنتنا لم تؤمنا رعيته وإن أمنتنا عامته لم تؤمنا جنده » . وتدل هذه العبارة على معاني الحقد والشر الذي كان الأندلسيون يضمرونه للمغاربة من جهة ، وحالة الفوضى والاضطراب واللا أمن الذي عاشته مدينة قرطبة وضواحيها ، في هذه الفترة من جهة أخرى (2) .

وهكذا انقسم الجيش الأندلسي في قرطبة على نفسه ، إلى قسمين رئيسيين متعاديين ، المغاربة من ناحية ، والأندلسيين من أهل العاصمة من ناحية أخرى ، وتفاقم الوضع بين الحيين الأندلسي والمغربي منذ تولية محمد بن هشام المهدي الخلافة في قرطبة ، وكبرت هوة الشقاق بينهما ، لدرجة أنه صار من الصعب تضييق الخلاف بينهما .

ومنذ ذلك الحين بدأت نار الفتنة تتوقد ، وتتوهج بين الطرفين المتحاربين ، ولا شك في تقديري أن المسؤول الأول ، عن اشعال هذه الفتنة ، التي أطلق عليها الأندلسيون « بالفتنة البربرية » ، هو محمد بن هشام المهدي وأتباعه ، وكان الأولى والأصح بهؤلاء الأندلسيين ، أن يطلقوا عليها فتنة « محمد ابن هشام المهدي » لأنه هو باعثها وموقد نارها ، وشاهر سيفها في الأندلس (3) .

وتناسى المهدي وأنصاره ، الدور البالغ الأهمية ، الذي لعبه المغاربة في ترسيخ اقدام الإسلام والمسلمين في شبه جزيرة الأندلس . فقد ربطوا مصيرهم بمصير أبناء

(1) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 82

(2) نفس المصدر ، جـ 3 ص 84/82

(3) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ 2 ص 5 ـ ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 76

هذا البلد ، منذ بداية الفتح ، وباتوا يعبرون اليه من وقت إلى آخر ، أفرادا وجماعات بمحض إرادتهم ، وتلبية لنداء الجهاد المقدس ، الذي ترسب في نفوسهم وصار جزءا من كيانهم (1) .

ولعل المقري التلمساني قد أصاب التقدير ، عندما عبر عن محمد بن هشام المهدي بقوله : « ولقد كان قيامه مشؤوما على الدين والدنيا ، فإنه فاتح أبواب الفتنة في الأندلس ، وماحي معالمها ، حتى تفرقت الدولة ، وانتشر السلك وكثر الرؤساء وتطاول العدو إليها ، وأخذها شيئا فشيئا ، حتى محا اسم الإسلام منها » (2) .

أما سليمان المستعين بالله وجيشه المغربي ، فقد استعانوا بالملك القشتالي شانجة بن غارسية Sanchogarcia بن فردلند المعروف في المصادر العربية باسم « ابن مامة دونة » على أعدائهم في قرطبة ، فلم يتأخر الملك النصراني عن ذلك ، لأنه وجدها فرصة سانحة للانتقام من المسلمين (3) .

تحرك سليمان بقواته ، تعززه قوات حلفائه النصارى ، القشتاليين ، نحو العاصمة الأندلسية ، واكتسح في طريقه ، الفتى واضح صاحب طليطلة قاعدة الثغر الأدنى ، وهو أحد أعوان المهدي ومؤيديه .

وعندما وصل إلى مكان يعرف بقنطش أو قنتيش (4) التقى به المهدي ودارت بينهما معركة شديدة ، انهزم هشام المهدي خلالها ، وقتل الكثير من جيشه ، كما راح ضحيتها عدد كبير من الفقهاء ، وأئمة المساجد ، والمؤذنين والمؤدبين ، ومن خيار أهل قرطبة وأخلاط من الناس ، وقد لاحظ ذلك ابن حيان بقوله : « من كل طبقة أخذت وقعة قنتيش ، حتى من أهل الباطل » (5) .

---

(1) د . أحمد مختار العبادي : صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس ، ص 84 مقال بمجلة البينة عدد (9) السنة الأولى يناير الرباط 1963 .

(2) المقري : نفح الطيب ، جـ 2 ص 112

(3) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 82 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثاني ص 132/131 .

(4) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 89/88 ـ ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ 2 ص 6 ـ ابن بسام : الذخيرة ، قسم أول م (1) ص 30 ـ وهو موضع في شمال شرقي القليعة Cualmelato غير بعيد عن ملتقى وادي ارملاط Al Coléa بالوادي الكبير. راجع الحلة السيراء ، جـ 2 ص 6 حاشية (2) .

(5) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص 30 / 31 .

فرّ واضح على اثر هذه الهزيمة ، عائدا إلى ثغره ، بينما حاول محمد بن هشام المهدي ، استمالة المغاربة البربر. فأظهر لهم هشام المؤيد بالله وأقعده حيث يراه الناس ، لأنهم كانوا يكثرون من الترحم عليه والمطالبة بدمه (1) ، ووجه اليهم القاضي ابن ذكوان ، غير أن المغاربة تمسكوا بخليفتهم وإمامهم المستعين بالله ، وسخروا من القاضي وقالوا له : « سبحان الله يا قاضي ، يموت هشام بالأمس وتصلي عليه أنت وغيرك ، واليوم يعيش وترجع الخلافة اليه ، وجعلوا يتضاحكون منه » (2) .

عندئذ تحايل المهدي على الفرار ، ولحق بصاحبه الفتى واضح بطليطلة ، في جمادي الأولى ، سنة 400 هـ / 1010 م ، وهكذا انتصر المستعين بالله والمغاربة على الأندلسيين من أهل قرطبة ، تؤازرهم فرقة من النصارى القشتاليين بقيادة الملك غارسية بن فردلند .

لكن سليمان المستعين لم يستمتع بكرسي الخلافة في قرطبة طويلا ، لأن سلطانه فيما يبدو لم يتعد قرطبة وبعض الأقاليم في الأندلس ، أما الثغور الشمالية من طرطوشة شرقا إلى لشبونة غربا فقد ظلت على طاعة محمد بن هشام المهدي (3) ، ولأن المهدي لم يتورع في اتباع نفس السبيل ، الذي اتبعه المستعين من قبل ، وهو الاستعانة بالنصارى ، فاستجاش بحاكم برشلونة ريموند بوريل الثالث وأخيه أرمنجول (أرمقند Armongol de Urgel Raimond Bonell) ، اللذين فرضا شروطا قاسية على المهدي وهي : تسليمهم مدينة « سالم » قاعدة الثغر الأوسط ، والالتزام بدفع دينارين في اليوم ، لكل جندي نصراني ، ومائة دينار للقومس (الملك) ، وتوفير لهم ما يلزمهم من طعام وشراب ، وأن يكون لهم ما يغتنموه من عسكر المغاربة ، وأن نساءهم ودماءهم وأموالهم حلال لهم لا يحول أحد بينهم ، فالتزم المهدي وصاحبه واضح لهم بذلك (4) .

---

(1) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ص 31

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 89

(3) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ 2 ص 7 ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 90 .

(4) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 94

ولما وصلوا إلى مكان يعرف بدار البقر El Vacar (1) . التقى الجيشان ودارت بين المستعين والمهدي حرب مريرة ، أبلى فيها الجنود المغاربة بلاء حسنا ، في قتال الفرنجة وأصحاب المهدي ، وكبدوهم خسائر جسيمة في الأرواح ، حيث قتلوا الملك الفرنجي أرمقند Armengol وغددا كبيرا من جنوده (2) . إلا أن سليمان المستعين ، لم يصمد في هذه المعركة ففر بمن معه ، ناجيا بنفسه إلى شاطبة .

وعندما رأى الجند المغاربة ذلك من إمامهم ، انحازوا إلى مدينة الزهراء ، وأخذوا عيالهم وأولادهم ومتاعهم ، ثم انصرفوا نحو الجنوب الأندلسي ، وبالذات إلى الجزيرة الخضراء في شهر شوال ، سنة 400 هـ / 1010 م (3) . والظاهر أن الأسباب التي جعلت المغاربة ، يختارون هذه المنطقة ، هي كون موقعها الجغرافي قريبا من وطنهم الأصلي ببلاد المغرب ، ولا يفصلها عنه إلا ذلك المضيق الضيق ، وربما لأنهم كانوا ينوون العبور اليه ، إذا ما ساءت ظروفهم على أرض الأندلس ، من جرّاء مضايقة الأندلسيين لهم ، ومطاردتهم من جهة ، أو ليتمكنوا من تلقي الإمدادات والإعانات العسكرية السريعة ، وغيرها من إخوانهم أهل العدوة ، للاستعانة بها ضد المهدي وأنصاره الأندلسيين من جهة أخرى .

اغتنم العامة فرصة خروج الجيش المغربي من مدينة الزهراء ، فدخلوها ونهبوا كل ما فيها من متاع البربر ، وقتلوا من وجدوه بها ، كما دخلوا مسجدها فأخذوا حصره وقناديله ومصاحفه ، وصحائف أبوابه (4) وأمروا بقتل كل من تشبه بالبربر ، وكل عدوى حتى من لم يكن قد رأى العدوة أوسمع بها ، راح ضحية سيوف العامة ، وأكثروا من قتل الناس ، لدرجة أنه من كانت بينه وبين آخر عداوة قال هذا بربري ، فيقتل في الحال ولا يسأل عنه ، ولم يتورعوا في قتل أطفال البربر وشق بطون النساء

---

(1) تعرف هذه المنطقة بدار البقر أوعقبة البقر ، وتسمّى حاليا : Al Vacar وهو حصن يقع شمال قرطبة ، ويبعد عنها بنحو 20 كلم . أنظر : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ 2 ص 7 ، حاشية رقم (1) .

(2) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 133 ـ ابن عذارى : المصدر السابق جـ 3 ص 95 .

(3) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 95 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 134 ـ المقري : نفح الطيب ، جـ 1 ص 404

(4) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 3 ص 95

الجوامل ، وكذلك حذا حذوهم الفرنجة فسبوا كثيرا من القرطبيات الجميلات وادَّعوا أنهن بربريات (1) .

أقسم محمد بن هشام المهدي بالإيمان المغلظة ، ألا يغمد سيفه ، وألا يرفع حالة الحرب ، إلا إذا انتهى من قضية المغاربة نهائيا ، فطلب الأموال من أهل حاضرته ، لسداد أجور المرتزقة الفرنجة ، ولتغطية نفقة الحرب ، ثم تقدم إلى الجزيرة الخضراء ، بكل من قدر على حمل السلاح من القرطبيين ، وجميع جيوش الثغور والنصارى الفرنجة ، فالتحم جيشه الكبير هذا مع المغاربة بوادي « آره » ، في ذي القعدة سنة 400 هـ 1010 م (2) ، واقتتلوا قتالا شديدا ، لاقى خلالها جيش المهدي والنصارى العناء الكبير ، من ضربات المغاربة الذين كانوا يقاتلون قتال المستميت لإعادة كرامتهم ، وكانت هذه الوقعة بالنسبة لهم ـ فيما يبدو ـ هي الفرصة الأخيرة ، للدفاع عن كيانهم ووجودهم في هذا البلد ، لهذا فقد صمدوا في المعركة صمود الأبطال ، ودافعوا عن أنفسهم بكل ما أوتوا من قوة ووجهوا للمهدي وحلفائه الفرنجة ضربة قاصمة ، أعطوا خلالها درسا قاسيا لأعدائهم في القتال ، والبطولة حتى تمكنوا من هزيمتهم ، وقتلوا من الفرنجة نحو ثلاثة آلاف قتيل ، من بينهم وزير الملك الفرنجي ، وغرق منهم في الواد اعداد كثيرة ، واحتوي المغاربة على ما في عسكر المهدي ، وحلفائه من سلاح ومال ودواب (3) .

ومن الطريف فقد وصف لنا صاحب كتاب مفاخر البربر بعض ضربات المغاربة في هذه المعركة كما ذكر أسماء أصحابها ، والتي أصبحت مضرب الأمثال بين الناس في ذلك العصر ، لدرجة أن المغاربة اتخذوها مادة للدعاية لأنفسهم ، وللتفاخر بها

(1) نفس المصدر ، جـ 3 ص 97

(2) وادي آره Guadiaro يكرّ بجنوب رندة ، ومتفرع من وادي اللبن Guadalevi ويصب في البحر الأبيض المتوسط شمالي جبل طارق انظر : ابن عذارى ، جـ 3 ص 96 ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 90 ـ راجع مقال د . أحمد مختار العبادي : صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس ، ص 90 بمجلة البينة السنة الأولى العدد (9) الرباط يناير 1963 م ـ ويسميه ابن الخطيب وادي يارو أو وادي السقائين بأحواز مربلة أنظر : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 134 وتعليق السيد عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص 354 حاشية رقم (3) وابن خلدون العبر ، جـ 7 ص 46 يطلق عليه وادي « أيره » .

(3) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 135

على أعدائهم ، وفي ذلك يقول : « وكان من عجائب الضراب ، يوم « آره » المتحدث عنه في الآفاق ، إلى اليوم ثلاث ضربات ، ما سمع بمثلها في الدهر ، مضاء سيوف وقوة سواعد ، منها ضربة أبي روليث ، لبيضة التي حملت إلى مدينة برشلونة ، والتي وضعتها الأفرنجة في الكنيسة هناك ، اعتبارا ومعذرة ، وضربة حباسة بن ماكسن الصنهاجي فارسا آخر منهم ، بدرع حصينة ثقيلة فهتكت الزرد وقدته ، وقدت جنب لابسه فجدلته ، وضربة بهلول بن تمايت الدمري يخطم فرس علج منهم ففصلت حديدتي اللجام ، ولحيتي الفرس جميعا ، ورمت بخطمة وما تكنفه من الحديد ، وخر الفرس لفيه ، فصارت هذه الضربات اعجوبة عند الناس » (1)

ولا يستبعد أن يكون هذا الانتصار السابق ، مدعوما بمساعدات قبائل العدوة المغربية ، التي ربما تكون قد هبت لنجدة إخوانهم دونما تحفظ ، مما أدى بأصحاب المستعين ، إلى اشتداد سواعدهم وتقوية نفوسهم على القتال من جديد .

والظاهر أن المستعين بالله ، أدرك تمام الإدراك أهمية بلاد المغرب في هذه الآونة من الناحية الاستراتيجية والبشرية ، وهنا يظهر اهتمامه بالمغرب ويتجلى ذلك بوضوح عندما قام على اثر معركة « وادي آره » ، بإرسال قائده علي بن حمود الإدريسي العلوي المغربي ، إلى الشمال الافريقي ، ليضبط قاعدة الأمويين الرئيسية هناك وهي مدينة « سبتة » ، فعبر إليها علي بن حمود بقواته ، واستطاع أن يستولي عليها باسم إمام المغاربة وخليفتهم في الأندلس « سليمان المستعين بالله » ، وقطع الدعوة للمهدي وأقامها للمستعين ، وأصبح بالتالي يتحكم في مضيق جبل طارق ، يحمي ظهر صاحبه من الجنوب بإمداده بما يحتاجه من المقاتلين المغاربة ، ويؤكد ذلك قول المؤرخ ابن عذارى : « وفي تاريخ هذه الهزيمة بوادي آره على ابن عبد الجبار (المهدي) والنصارى ، كان جواز علي بن حمود إلى سبتة ، وانتزى فيها باسم سليمان ، وقال لهم : إنه علي ابن عبد الجبار ، وأن أمير المؤمنين هو سليمان فملك سبتة »(2) .

وبعد أن استوثق الأمر لسليمان المستعين في بلاد الأندلس أعاد علي بن حمود إلى جانبه ، ليقود فرقته البربرية المغربية كعادته (3)

---

(1) راجع مقال : د . أحمد مختار العبادي : صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس ، ص 90 وما يليها

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 96 أنظر أيضا : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 149 .

(3) ابن الخطيب : المصدر السابق ، القسم الثاني ص 149 .

كما تطلع بنو خزرون أصحاب مدينة طرابلس الغرب ، في إقامة علاقات طيبة مع حكومةقرطبة ، إلا أن هذه المبادرة لم تأت في أوانها ، إذ كانت الدولة الأموية في هذه الفترة ، بدأت تلفظ أنفاسها ، فهناك بعض المؤرخين ذكروا ، أن فلفولا بن سعيد بن خزرون الزناتي ، الذي استولى على مدينة طرابلس سنة 391 هـ / 1001 م ، بادر بمراسلة محمد بن هشام المهدي صاحب قرطبة ، وأوفد إليه وفدا يحكم الصلة بينهما في شوال ، سنة 400هـ / 1010 م ، راغبا في طاعته ، موعدا اياه بالدعاء له على منابر أعماله ، وضرب السكة باسمه ، وطلب منه الإمدادات العاجلة ، للتغلب على الحصار الذي ضربه عليه ، نصير الدولة باديس بن المنصور الصنهاجي ، صاحب افريقية ، بعد أن يئس فلفول من استغاثه الخليفة القاطمي الحاكم من مصر (1) .

تلقى محمد بن هشام المهدي ، الوفد وخلع على أعضائه الخلع الكثيرة ، وبعث لفلفول بهدية نفيسة مع بعض رجاله ،غير أنهم لمّا وصلوا إلى مدينة طرابلس ، وجدوا فلفولا قد مات ، واقتحم باديس بن المنصور الصنهاجي ، صاحب افريقية أسوارها ، وأمربالقبض على الأندلسيين من رجال المهدي وضرب أعناقهم جميعا (2) .

فلم يكتب لهذه العلاقة الطيبة أن تستمر ، لأن وضع المهدي في قرطبة لا يسمح له بإرسال النجدات العسكرية والمادية ، لهؤلاء الزناتيين بطرابلس ، بسبب تدهور موقفه من جراء الحصار المحكم ، الذي ضربه عليه المستعين وأصحابه المغاربة .

انقسمت إذن بلاد الأندلس ، وشمال المغرب الأقصى ، إلى مناطق نفوذ بين الخليفتين المتنازعين . الخليفة سليمان المستعين بالله وأنصاره المغاربة . استطاع أن يمد نفوذه على الجنوب الشرقي الأندلسي ، وشمالي العدوة المغربية ، أو بالأحرى على مدينتي سبتة وطنجة وبلاد غمارة ، وأما الخليفة محمد بن هشام المهدي فقد خضعت له ، مدينة قرطبة والثغور بشمال البلاد .

أما الشرق الأندلسي فقد استولى عليه جموع الصقالبة العامريين ، على إثر

(1) ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 86

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 78 ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 86/85

قيام الفتنة في قرطبة ، حيث أقاموا لهم دولا في كل من بلنسبة وشاطبة ودانية والمرية والجزر الشرقية ، بعد أن ضعفت السلطة المركزية وزالت هيبة الخليفة (1) .

ولما تم للمستعين فتح قرطبة ، سنة 403 / 1013 ، واستتب له الأمر ، سارع بتوزيع العمال على الأقاليم التي تم له فتحها وإخضاعها لسلطانه ، سواء في الأراضي المغربية أو الأندلسية ، فعين ست قبائل مغربية على بعض الكور الأندلسية ، وبعض الأعمال في بلاد المغرب ، فأعطى صنهاجة كورة البيرة وولى مغراوة على جوفي البلاد ، وازداجة وبني دمر على كورتي شذونة ومورور وغيرهما من الحصون ، وبني برزال وبني يفرن على جيان وما ولاها غربا .

وعقد لمندر بن يحي التجيبي على سرقسطة ، مكافأة له على مساعدته في فتح قرطبة ، وأعاد القائد علي بن حمود الإدريسي إلى المغرب حيث ولاه مدينة سبتة ، وعين أخاه الأكبر منه سناء القاسم بن حمود على الجزيرة الخضراء ومدينتي طنجة وأصيلا ، وأصبحت بذلك دولة المستعين بالله ، دولة بربرية مغربية خالصة (2) .

وهكذا أصبحت ضفتي مضيق جبل طارق الشمالية والجنوبية ، في يد الأسرة الحمودية تتحكم فيه ، وكان علي وأخوه القاسم أبناء حمود بن ميمون ، من سلالة الأمير أبي حفص عمر بن إدريس الثاني ، الذي كان يحكم بلاد غمارة بشمال المغرب الأقصى ، وقد لاذ الحموديون كغيرهم من الأدارسة بالاختفاء في الأراضي المغربية بين القبائل البربرية ، خشية على أنفسهم من فتك عساكر بني أمية وحلفائهم ، واضطروا تحت هذا الخوف أن يتخلوا عن نسبهم الإدريسي العلوي ، بعد إخماد ثورة زعيمهم الحسن بن جنون ـ المشار اليها سابقا ـ فاندمجوا في الوسط البربري ، وتخلقوا بأخلاقهم وتطبعوا بطبائعهم البدوية ، حتى أصبحوا يتكلمون بلسانهم البربري الزناتي ، ويؤكد هذا الكلام ، قول ابن حيان القرطبي ، « فنكحوا اليهم وتبربروا » (3) .

---

(1) ابن عذارى : البيان ، ج 3 ص 78 ـ ابن خلدون : العبر ، ج 3 ص 115

(2) ابن عذارى : البيان ، ج 3 ص 114 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 139 ـ المقري : نفح الطيب ، ج 1 ص 25 .

(3) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ص 78 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 132 . حيث يذكر هذا المصدر الأخير بأن عليا لما قبض على سليمان وأخيه وأبيه فقتلهم وقال بلسانه الزناتي « لا يقتل الزلطان إلا الزلطان ومعناه السلطان » راجع أيضا : 327

L. Procençal: Histoire T. 2. p. 327.

وقد لحق علي والقاسم أبناء حمود بالأندلس ، مع جملة البربر المغاربة الذين اجتازوا اليها ، للخدمة في جيش الدولة العامرية (1) ، ولمّا حدثت الفتنة ونصب المغاربة إمامهم ، سليمان بن الحكم المستعين بالله ، اختص به علي والقاسم وتفانيا في خدمته ، إذ كانا يقودان فرقا مغربية ، أبلت بلاء حسنا في الحروب التي دارت ضد المهدي وأنصاره ، فطار لهما عندئذ ذكر في الشجاعة والإقدام ، فقربهما اليه ، ومنحهما الأعمال الواقعة على ضفتي المضيق (2) .

ومن الغريب أن أحد أصحاب سليمان المستعين بالله ، وهو القائد الجزائري عبد الله البرزالي ، لم يكن مرتاحا لتعيين هذين العلويين على الأعمال المغربية ، وفطن لعواقب ذلك ، فنصح المستعين بالله بإبعادهما ، وحذرهُ من طموحهما ، ورُوت بعض المصادر بأنه أسرع اليه ودخل عليه وقال له : « يا أمير المؤمنين ، بلغني أنك وليت بني حمود العلويين على المغرب ، فقال : نعم ، قال له : أليس العلويون طالبيين ؟ فقال : نعم ، فقال له : تأتي إلى الأحناش فتردهم ثعابين ، فقال له : قد نفذ الأمر بذلك » (3) .

استيلاء الحموديين على الخلافة بقرطبة :

ومن الغريب أيضا ، أن ما تنبأ به عبد الله البرزالي ، قد تحقق فعلا ، فقد أخذ علي بن حمود منذ توليه إمارة سبتة ، يعد العدة سرا للخروج على الخليفة سليمان المستعين بالله ، ويغلب على الظن أن فكرة احياء الدولة العلوية الجديدة ، في المغرب والأندلس قد سمت إلى نفسه ، وأصبح يتطلع اليها ، ولا سيما بعد أن ضعفت الخلافة في قرطبة ، وكثر طلابها من أفراد البيت الأموي (4) .

---

(1) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 456/455 ـ القلقشندي (أبو العباس أحمد) صبح الأعشى ، ج 5 ص 159 القاهرة 1915 .

(2) الضبي : بغية الملتمس ، ص 22 ـ محمد علي السنوسي : الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية ، الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر ، سنة 1966/1386 م .

(3) ابن عذارى : البيان ، ج 3 ص 114 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص ص 150 .

(4) ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ص 284

استبد علي بن حمود أول الأمر ، بمدينة سبتة سنة 404 هـ / 1013 م ، أي بعد سنة فقط من توليه أياها ، بحيث قتل قاضيها ، محمد بن عيسى وعميدها الفقيه ابن يربوع ، وكلاهما من أنصار المستعين بالله ، قد أرسلهما إلى سبتة ليستطلعا أمر علي ، ويكونا عينا عليه (1) .

ثم أنه خاطب أخاه القاسم بن علي بقرطبة ، فلحق بعمله بالجزيرة الخضراء واستولى عليها ، عند ذلك أعلن علي بن حمود ثورته على الخليفة المستعين ، وبرر ذلك بأن الخليفة الشرعي السابق ، هشام المؤيد بالله صير اليه ولاية العهد ، وأوصاه بالخلافة من بعده ، عندما « اضطرب أمره وتبين له انعدام دولته » (2) .

وسواء صحت هذه الرواية أو لم تصح ، فإن الذي لا جدال فيه هو أن عليا اتخذها ذريعة لتحقيق أهدافه ، وحاول أن يحيط ثورته هذه بسياج من الشرعية ليستمد منه سلطانه ، ويكسب به الأنصار والمؤيدين .

وكتب علي بن حمود بذلك ، إلى خيران العامري صاحب المرية ، الذي كان يحقد على سليمان المستعين والمغاربة بقرطبة ، وبني زيري صنهاجة أصحاب البيرة ، الذين لا زالوا لم ينسوا نزعتهم الشيعية ، فاستجابوا له ، وشجعوه على العبور إلى مدينة مالقة ، فلم يتأخر علي بن حمود ، وعبر اليها بقواته واستولى عليها وقتل صاحبها ، سنة 405 هـ / 1014 م (3) . وهناك أظهر لحلفائه بأنه لا يريد إلا

ابن عذارى : البيان ، جـ جـ 3 ص 115 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 141 .

(2) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ص 26 ـ ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 114 ـ ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 284 ، أما ابن الخطيب فيذكر أنه : « لما تنفس مخنق العامريين الموالي والصنائع الهاشميين وعادوا على سليمان بالحقود البربرية صرف بعضهم إلى علي بن حمود أمير سبتة من الحسنيين عهدا منسوبا إلى هشام المؤيد وبخطه زعموا العهد فيه بالأمر بعده إلى علي بن حمود » وتعهدوا له بالمؤازرة والتعضيد وشجعوه على القيام . أنظر : أعمال الاعلام القسم الثاني ص 141 راجع أيضا : تعليق د . عبد العزيز سالم : في تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 356 ، حاشية رقم (3) .

(3) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 116 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 141 ـ بينما يذكر عبد الواحد المراكشي وابن الأثير أن صاحب مالقة وهو عامر بن فتوح تنازل له على المدينة وأدخله اليها . أنظر : المعجب ص 91 الكامل في التاريخ جـ 5 ص 284 الضبي : بغية الملتمس ص 92 ، حققه وترجمه المستشرق الاسباني فرنسيسكو كوديرا Françiscus Codera مجريط 1884 م .
راجع أيضا : Luis Seco de Lucena: Los Hamudies de Malaga Y., Algeciras p. 11-21.

نصرة هشام المؤيد ، الذي استجار به ، فانحاش اليه الناس وكثر أتباعه ، فأتاه خيران العامري ، بجيشه الصقلبي ، وزاوي بن زيري وحبوس بن ماكسن واخوته ، وبنو عمه الصنهاجيون ، فعظم شأنه وقوى ساعده وبايعوهُ بالخلافة ، ثم ساروا معه نحو قرطبة ، وبالقرب منها خرج اليهم سليمان المستعين بجيشه المغربي ، والتقى الجمعان ونشب بينهما قتال شديد ، هلك فيه خلق كثير من أتباع سليمان المستعين ، الذي قِيدَ أسيرا إلى علي بن حمود ، ومعه أخوه وأبوه فقتلوا جميعا صبرا ودخل علي قرطبة دخول المنتصر في المحرم ، سنة 407 هـ / 1017 م (1) ، ودعا الناس إلى بيعته فبويع له وتسمى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله ، بينما بقي أخوه القاسم بن حمود في الجزيرة الخضراء ، متأهبا لتقديم المساعدات والإمدادات اللآزمة عند الحاجة ، وسقطت بذلك الخلافة الأموية في الأندلس ، وانتقلت من البيت الأموي إلى البيت الحمودي العلوي الهاشمي (2) .

وكانت العادة قد جرت على أن الجيش الأندلسي ، هو الذي يعبر إلى المغرب ويتدخل في شؤونه ، ولا سيما منذ احتلال عبد الرحمن الناصر لمدينة سبتة سنة 319 هـ / 931 م ، بل كان خلفاء بني أميةهم الذين يقومون بتعيين ولاة المغرب ، باعتبارها أصبحت ولاية خاضعة لنفوذهم وسلطانهم ، أما في هذه الفترة فقد انعكست الأمور ، وتطورت بحيث أصبح الجيش المغربي هو الذي يتدخل في أمور الأندلس ويدير سياستها .

وقد بدأ علي خلافته موفقا مع الرعية ، إذ افتتح عهده بالعدل والإنصاف بين الناس ، وحرص على ان يجلس للمظالم ويقيم الحدود (3) بنفسه فاحبه أهل قرطبة لسلوكه هذا من جهة ، ولابتعاده عن الحزب المغربي من جهة ثانية ، فافتتنوا به

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 287 ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 91 ـ ابن عذارى البيان ، جـ 3 ص 116 ـ ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثاني ص 145 .

(2) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص 28 .

(3) راجع ابن بسام : المصدر السابق ، القسم الأول المجلد الأول ص 79 ـ ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 3 ص 123/122

وكان علي قد ترك ، على أعمال شمال العدوة المغربية ، إبنه يحي وولى إبنه إدريس مالقة ، وأقر أخاه القاسم بن حمود على اشبيلية والجزيرة الخضراء (1) .

غير أن هذه السياسة لم تدم طويلا ، فسرعان ما تخلى عنها الخليفة الحمودي العلوي ، وحوّل وجهه عن أهل قرطبة ، وانقلب عليهم ، وعزم على إخلاء المدينة من الأمويين ، حتى لا يعود اليهم السلطان ، وعاد إلى الحزب المغربي عندما ظهر المرتضى مطالبا بالخلافة لنفسه ، يسانده في ذلك خيران العامري صاحب المرية ، وبعض أمراء الثغور حينئذ انقلبت عليه النفوس ، وكرهه الناس ، فدبر له صقالبة المروانيين ، الذين كانوا من أقرب الناس اليه ، مؤامرة أودت بحياته ، حيث قاموا بقتله بالحمام في غرة ذي القعدة ، سنة 408 هـ / 1017 م (2) .

ثم تولى القاسم بن حمود الخلافة من بعده ، واستمر فيها نحو أربع سنوات ، إلى أن نازعه عليها ابن أخيه يحي بن علي ، الذي اتفق مع أخيه ، إدريس عامل مالقة ، على أن يتولى ثغر سبتة ، وغيرها من الأعمال التابعة له في بلاد المغرب ، ويتولى هو مالقة بالأندلس ، وكتب من مدينة سبتة إلى رؤساء الفرق المغربية بقرطبة والأندلس ، يقول لهم : « إن عمي أخذ ميراثي من أبي ، ثم أنه قدم في ولاياتكم ، التي أخذتموها بسيوفكم ، العبيد والسودان وأنا أطلب ميراثي ، وأوليكم مناصبكم وأجعل العبيد والسودان كما هم عند الناس » (3) .

وكان القاسم بن حمود ، قد استكثر من شراء العبيد والسودان ، وقربهم اليه ، وجعلهم أكثر جنده وخدمه . مما أثار عليه نفوس المغاربة ، فظاهروا ابن أخيه نكاية فيه .

فجمع عند ذلك يحي بن علي ، ما عنده من المراكب والجند ، واجتاز بهم

---

(1) المقري : نفح الطيب ، جـ2 ص 29 - د. صلاح خالص : اشبيلية في القرن الخامس الهجري ص 112 دار الثقافة بيروت 1965 .

(2) راجع ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 121 - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 151 . ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 286 - عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص 98 .

(3) المقري : نفح الطيب ، جـ 2 ص 31

المضيق إلى مالقة ، وهناك ساعده جيرانه بني حبوس وغيرهم ، واستطاع بمساعدتهم أن يطيح بعرش عمه في قرطبة ، ويستولي على زمام الأمور فيها (1) .

والجدير بالملاحظة هنا هو أن الحرب الأهلية ، والصراعات العنيفة التي تعرضت لها الأندلس ، خلال هذه الفترة سببت في عودة كثير من المغاربة ، إلى وطنهم الأصلي ، فقد روت بعض المصادر ، أن زاويا بن زيري الصنهاجي ـ كبش هذه الحروب ومحشها ـ جمع إخوانه بعد انتصاره على المرتضى الأموي ، وحلفائه العامريين ، وأصحاب الثغور ، سنة 409 هـ / 1018 م ، وأدّى لهم النصيحة بالخروج عن الأندلس ، لأن الحياة فيها أصبحت محفوفة بالمخاطر ، والرجوع إلى إخوانهم في افريقية ، ولا سيما بعد قيام دولة الحموديين واعتمادهم على رجال زناتة أعدائهم التقليديين ، وقد علل لقومه في اتخاذه هذا القرار بقوله لهم : « فالرأي الخروج عن أرضهم ، (أي الأندلس) واغتنام السلامة مع احراز الغنيمة والرجوع إلى الجملة التي انفصلنا عنها ، كانفين للعيال والذرية ، مباعدين لهم ، لما وراءنا من أهل جنسنا ، زناتة الأعداء في الحقيقة الذين ، لا يغفلون عنا ، وأن أغفلت الخليقة لا سيا وقد عرفنا ، قرحهم ونبشنا أحقادهم المدفونة ، فإن فرغوا لنا على قلة عددنا ، وظاهروا علينا الأندلس ، وقعنا منهم بين لحيي اسد فاصطلمونا ، ها انا قد اديت النصيحة وأنا راحل عن الأندلس » (2) .

ثم أستأذن ابن عمه صاحب افريقية يومئذ المعز بن باديس . فأذن له وحرص جميع بني عمه على رجوعه اليهم لكبرسنة ، فرحل زاري مستقلا سفنه بمن تبعه من أهله وأمواله من مرسى المنكب Almunecar سنة 410 هـ / 1019 م ، ولحق بأرض افريقية ، وطنه فاستقبله المعز بن باديس أحسن استقبال ، وأقره في كنفه (3) .

---

(1) راجع : ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 286 ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 99 ، ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول المجلد الثاني ص 13 ، 14 .

(2) ابن بسام الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص 402 وما يليها ابن عذاري : البيان ، جـ3 ص 128 وما يليها .

(3) ابن عذاري : البيان ، جـ3 ص 189 ـ ابن بسام الذخيرة ، القسم الأول المجلد الأول ، ص 201 وما يليها .

وظلت الخلافة في قرطبة ، تتداولها الأسرة الحمودية يعتلي عرشها يحي بن علي تارة وعمه القاسم بن حمود تارة أخرى ، وأحيانا بني أمية إلى أن سقطت الدولة نهائيا سنة 422 هـ / 1031 م .

ورغم امتداد دعوة بني حماد ، ونفوذهم إلى عاصمة الأندلس إلا انه لم يستمر أكثر من ثماني سنوات انحصر بعدها في سنة 417 هـ / 1026 م ، إلى منطقة مالقة ، والجزيرة الخضراء ، أي الجزء الجنوبي للأندلس المقابل لممتلكاتهم في مدينة سبتة وطنجة ، وبلاد غمارة بالعدوة المغربية (1) .

لكن لم يلبث أن دب النزاع والشقاق بين الأسرة الحمودية ، وانقسموا على أنفسهم ، إذ استحوذ بعض أمرائهم على بعض المناطق ، واستقل بها وأعلن نفسه خليفة عليها ، وتلقب بالألقاب الخلافية (2) ، حتى انقطع ملكهم من الأندلس ، في منتصف القرن الخامس الهجري ، على يد بني زيري الصناهنة أصحاب غرناطة وبني عباد أصحاب اشبيلية ، فعادوا إلى المغرب ، وهناك أيضا استولى على أعمالهم ، أحد مواليهم وهو سكوت أو سقوط البرغواطي (3) .

أما بنو أمية ، فقد ازداد تسابقهم ، في طلب الخلافة وكثر خروجهم على بعض ، وقتل بعضهم بعضا ، من أجل الوصول إلى كرسي الخلافة ، ويكفي للدلالة على ذلك ، ما ذكره ابن عذارى ، من أن أحدهم ، قيل له لما ثار يطالب بالسلطة لنفسه « نخشى عليك أن تقتل فقال لهم : « بايعوني أنتم اليوم واقتلوني غدا » (4) . حرصا منه على طلب الخلافة ، واعتلاء دستها . وكان آخرهم أبو بكر هشام الثالث بن محمد المعتد

---

(1) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 99 ـ ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 286 ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 144 .

(2) وحول صراع الحموديين بين بعضهم بعضا من أجل السلطان في سبتة ومالقة واتخاذهم الألقاب السلطانية يقول الضبي « وصار الأمر في غاية الأخلوقة والفضيحة أربعة كلهم يتسمى بأمير المؤمنين في رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخا » وفيها قال الشعراء :

فتفرقوا شعبا لكل جزيرة ... فيها أمير المؤمنين ومنبر

أنظر بغية الملتمس ص 30 راجع عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ص 13 وما يليها ـ د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 79 .

(3) ابن خلدون : العبر ، جـ 6 ص 456 والضبي المرجع السابق ص 77 وما يليها .

(4) ابن عذارى : البيان ، جـ 3 ص 151 ـ أنظر أيضا : ابن الأثير : الكامل ، جـ 5 ص 290 .

بالله اخو المرتضى ، قد بويع له بسعي من الوزير أبي الحزم بن محمد جهور ، مع أهل الثغور حيث كان يوجد هشام بحصن « البونت » ، في ربيع الأول ، سنة 418 هـ / 1027 م . وبقي الخليفة ملازما الثغور الشمالية نحو ثلاث سنوات ثم عاد بعدها إلى قرطبة ، قصبة الملك في ذي الحجة ، سنة 420 هـ 1026 م ، ولم يقم بها يسيرا ، حتى قامت عليه فرقة من الجند ، وخلعته عن عرشه ، وأخرجته من القصر ، ثم « نودي في الأسواق والأرباص بأن لا يبقى أحد بقرطبة من بني أمية ولا يكنفهم أحد » (1) .

فخرجوا من قرطبة وتفرقوا في الأقاليم ، ولحق هشام الثالث ومن معه إلى الثغور ، وانقطعت بذلك الدعوة لهم ، على منابر جميع أقاليم الأندلس ، وبلاد المغرب في ذي الحجة سنة 422 هـ / 1031 م (2) .

وأعلن الوزير أبو حزم جهور بن محمد بن جهور بعد ذلك ، انتهاء رسم الخلافة ، لعدم وجود من يستحقها من بني أمية ، وجعل الأمر شورى بين الوزراء وكبار أعيان القوم ، أو ما أطلق عليه بالجماعة ، وأسفر عن سقوط الخلافة الأموية ، قيام دويلات متنازعة ، اذ استقل كل أمير بإقليمه ، وأعلن نفسه ملكا عليه ، فدخلت البلاد في عصر جديد هو عصر الطوائف ، أو كما تسميه بعض المصادر الفرق (3) ، وفي ذلك يقول المقري : « انقطعت الدولة الأموية من الأرض ، وانتشر ملك الخلافة بالمغرب ، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف ، وانتزى الرؤساء من البربر ، والعرب ، والموالي بالجهات واقتسموا خطتها ، وتغلب بعض على بعض » (4) .

وجملة القول ، أن الصلة بين الأمويين في الأندلس ، والأمراء المغاربة في الشمال الافريقي في هذه الفترة قد انقطعت ، ولم يعد لها وجود ، إذا ما استثنينا عهدي محمد بن هشام المهدي ، وسليمان المستعين ، اللذين ظهرت بعض العلاقات في عهدهما ، مع بعض أمراء العدوة المغربية ، ولكنها كانت محدودة وعلى نطاق ضيق ، ـ كما

---

(1) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ 3 ص 152 ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثاني ص 162 ـ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ 5 ص 290 .

(2) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 110 ـ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ 5 ص 290 .

(3) أحمد مختارالعبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 275 .

(4) المقري : نفح الطيب ، جـ 1 ص 413 .

سبق أن أشرت ـ لأن بني أمية ، قد انشغلوا بالفتنة التي تفرعت شعابها ، وامتدت روافدها في البلاد الأندلسية من جهة ، وتسابقهم على كرسي الخلافة من جهة أخرى ، فقد زجت بهم هذه الفوضى في مستنقع كبير ، أدَّى بدولتهم إلى الدخول في مرحلة من أسوأ مراحلها وهي مرحلة الضعف والانحلال ، وبسبب الحرب الأهلية التي نشبت بين الاخوة الفرقاء في قرطبة ، والصراع المرير الذي قام بين العناصر المختلفة ، في الدولة كالبربر ، وأهل قرطبة والصقالبة ، من أجل التسابق على السلطة الزمنية .

ويكفي للدلالة على انقسام الدولة ، واضطرابها في هذه الفترة الأخيرة من مراحلها ، أن عدد الخلفاء ، الذين تعاقبوا على عرش الخلافة ، يفوق عدد الذين تولوا عرش الامارة والخلافة ، ، منذ تأسيس الدولة الأموية في الأندلس (1) .

والظاهر أن النفوذ الأموي في الشمال الإفريقي ، قد سقط بسقوط الدولة العامرية ، وظهور الفتنة في الأندلس ، في مطلع القرن الخامس الهجري وضعف السلطة المركزية في قرطبة ، حتى أنها فقدت تأثيرها على الأقاليم والمدن الأندلسية ، فكيف إذن تستطيع أن تحافظ على نفوذها في البلاد المغربية ، وهي على هذه الحالة .

ومما لا شك فيه هو أن المغاربة ، قد استقلوا بأعمالهم ، وخلعوا طاعة الأموية ، وانقطع ما كان بينهما من رباط سياسي ، وهو التبعية والولاء ، ويؤيد هذا القول ، صاحب كتاب مفاخر البربر بقوله : « ولم تزل الولاية بالمغرب مستقيمة ، وطاعة أهله منتظمة ، إلى أن مات المظفر ، وولي أمر الحجابة عبد الرحمن بن أبي عامر ، وذلك في أول سنة 399 هـ / (1009 م.) » (2) .

وعلى الرغم من نجاح الحموديين ، في الاستيلاء على الخلافة في قرطبة ، من يد الأمويين إلا أن نفوذهم ـ فيما يبدو ـ لم يتعد أبعد من المناطق ، التي تم لهم الاستيلاء عليها ، سواء في الأندلس أو بلاد المغرب ، ولم تتجاوز مدينة سبتة وطنجة وبلاد غمارة ، لأنهم لم يستطيعوا بسطه فيما وراء ذلك من الدواخل ، ربما لأنهم دخلوا ، في نزاع عقيم فيما بينهم على السلطة أدى بهم في النهاية إلى الانقسام (3) .

---

(1) عبد الحميد العبادي : المجمل ص 156 ـ أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ص 274 .

(2) مفاخر البربر ص 41

(3) أنظر : ابن خلدون : العبر ، جـ 6 ص 457/456/455 .

ومهما يكن من أمر ، فإن ما تجدر الإشارة اليه هنا ، هو أن الفتنةالتي تعرض لها المسلمون في الأندلس ، كان لها صدى بعيد المدى في بلاد المغرب ، وأثر كبير على حلفاء الدولة الأموية في تلك المنطقة ، وخاصة مغراوة الزناتية ، التي طالما حملت راية الأموية ، وتفانت في توسيع سلطانهم ، ونفوذهم في الأراضي المغربية ، حتى تمكنت من مده ما بين إقليم الزاب شرقا ، وسجلماسة والسوس الأقصى جنوبا ، تحت راية واحدة ، هي الراية الأموية المغراوية ، وأصبحت زناتة وعلى رأسها المعز بن زيري بن عطية المغراوي ، هي القوة الشرعية الحاكمة في المغرب .

ولما افترق أمر الجماعة ، واختل رسم الخلافة ، عزم الزعيم المغراوي المعز بن بن زيري أن يوسع أعماله ، فاستحدث رأيا في التغلب على سجلماسة وانتزاعها من أيدي بني عمومته ، وهم أبناء وانودين بن خزرون ، فنهض اليهم بجيشه سنة 407 هـ / 1017 م ، ولكنه انهزم أمام جيوشهم ، وعاد بفلوله هاربا إلى مقر أعماله « بفاس » .

ولعل هذا هو السبب ، في اضطراب أمره ، واهتزاز كيان امارته ، وتقلص أعماله ، فقد قامت إمارة بني يفرن ، في كل من سلا ، وتادلا منافسة له ، كما استفحل أمر أصحاب سجلماسة ، بعد انتصارهم عليه ، واستطاعوا الاستيلاء على بعض ممتلكاته (1)

ولم تلبث الدولة الزيرية الصنهاجية في افريقية ، أن انقسمت هي الأخرى على نفسها ، اذ انفصل حماد بن بلكين عن السلطة المركزية في المنصورية ، ببعض أعمال المغرب الأوسط ، وأسس له دولة ورثها آل حماد من بعده ، وجعل عاصمتها « قلعة بني حماد » بنواحي المسيلة (2) .

وهكذا تعرض المغرب بأسره ، إلى نفيس المحنة السياسية ، التي تعرضت لها الأندلس ، ومر المغرب بالحالة ذاتها ، حيث أن كلا البلدين ، قد تفرق شملهما ، وتجزأت وحدتهما ، وأصبح المسلمون في هذين العدوتين شيعا وأحزابا ، متنافرين متحاربين ، وقد صور لنا المؤرخون ، مدى افتراق الكلمة في المغرب في فترة تدهور

(1) ابن خلدون : العبر ، جـ 7 ص 73

(2) ابن عذارى : البيان ، جـ 1 ص 264/263 ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 6 ص 340 .

الخلافة الأندلسية وسقوطها ، أصدق تصوير ، ووصفوها أبلغ وصف ، وشبهوا وضعه بوضع الأندلس في تلك الفترة ، وقال أحدهم في ذلك : « انخرمت الامامة ، وتفرقت الجماعة ، وانهدمت الدولة المروانية ، وصار أمر الناس بجزيرة الأندلس شيعا ، ولما كانت الطاعة بالأندلس واحدة ، وامامتهم واحدة ، تشتت الناس بالمغرب ، كفعلتهم في الأندلس ، وانتزى بعضهم على بعض » (1) .

(1) مفاخر البربر ، ص 41 ـ 42 ـ ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 254 .

الخاتمة

ونستخلص من هذا البحث ، أن العلاقة السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، قد مرت بعدة مراحل مختلفة :

المرحلة الأولى : وهي عصر الولاة ، فقدكانت الصلة فيه قوية ، بين المغرب والأندلس ، اذ عبرت خلاله ، كثير من القبائل المغربية العربية ، ووضعت بذلك أسسا جديدة ، لوحدة سياسية واجتماعية وادارية ، مرتبطة ارتباطا وثيقا ببلاد المغرب ، وأصبحت قرطبة تتبع القيروان إداريا وسياسيا .

أما المرحلة الثانية ، وهي عصر الامارة الأموية ، فقد استقل الأمويون بالأندلس ، وصار لدولتهم كيان مستقل عن الخلافة العباسية ، غير أن الوضع السياسي الجديد للإمارة الأموية ، وعدائها لبني العباس ، جعلها لا تطمئن لبعض الدول المغربية القريبة منها ، وبخاصة الأغالبة ، الذين يمثلون النفوذ العباسي في بلاد المغرب ، والأدارسة الذين يمثلون البيت العلوي المعادي للأمويين وبذلك صارت السبل أمامها مسدودة ، مما تعذر عليها الاتصال ببلاد المغرب ، وتوطيد صلاتها بهاتين الدولتين في المغرب الأدنى والأقصى .

أما بالنسبة للدولة الرستمية الخارجية « بتاهرت » (المغرب الأوسط) فنلاحظ أنها كانت هي الأخرى ، على خلاف مذهبي ، وعداء سياسي مع جارتها الشرقية ، وهي دولة الأغالبة ، والمناهضة لحركات الخوارج . وكذلك مع جارتها الغربية ، وهي الدولة الإداريسية العلوية في « فاس » .

وقد جمعت هذه الظروف السياسية المتشابهة ، بين تاهرت وقرطبة ، رغم الاختلاف المذهبي بينهما ، فالتقى الطرفان في حلف ودي ، تدعمه المصلحة السياسية المشتركة ، ولا سيما بعد أن ظهرت القوى البحرية الأغلبية ، في وسط البحر الأبيض المتوسط وغربه ، تهدد الشواطيء الأندلسية ، وتضيق الخناق على الامامة التاهرتية .

ولم يلبث أن انضم إلى هذا الحلف ، كل من بني صالح أصحاب نكور وبني مدرار الصفريين أصحاب سجلماسة ، الذين لم يحل بينهم وبين التحالف مع قرطبة ، البعد الجغرافي والاختلاف الايديولوجي ، وكذلك انضم إلى هذا الحلف أيضا ،

البرغواطيون أصحاب تامسنا ، لتطويق الأدارسة من جميع الجهات ، وعزل الأغالبة في القـــيروان .

والشيء الجدير بملاحظته هو أنه ، على الرغم من استمرار الجو المشحون بالعداء السياسي ، والإختلاف العقائدي ، لفترة طويلة بين عواصم الغرب الإسلامي ، فإنه من حسن الطالع ، لم تتعد هذه الخصومات ، نطاق الاستفزازات الدبلوماسية ، والمناورات السياسية ، ولم تتحدث المصادر التاريخية عن وقوع اصطدامات عسكرية خطيرة ، فيما بين هذه العواصم ، إذا استثنينا تلك المناوشات ، التي حدثت بين الرستميين والأغالبة .

وأما المرحلة الثالثة ، فهي عهد الخلافة ، التي تغيرت فيها سياسة بني أمية ، وبخاصة بعد أن ظهرت قوة كبرى في بلاد المغرب ، مناوئة للبيت الأموي في الأندلس ، وهي الدولة الفاطمية الشيعية ، التي ترتب على قيامها زيادة التوتر السياسي والعسكري في المنطقة ، بحيث انتقل من مرحلة الصراع السلبي ، القائم على الحرب الباردة ، والتسابق في التسلح ، إلى الصراع الإيجابي ، والمجابهة العسكرية ، والتدخل المباشر في الشؤون المغربية . فالخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، هو أول خليفة أندلسي عمل على اصطناع أمراء المغرب ، من أدارسة ورؤساء القبائل المغربية ، وتحريضهم على قتال الفواطم مستعملا في سبيل ترويج ذلك ، كافة الوسائل المادية المغرية .

وقد نجح الناصر في هذه السياسة نجاحا كبيرا ، إذ انحاشت إلى الدعوة الأموية ، وتشبثت بحبالها ، معظم القبائل المغربية الكبيرة ، وخاصة مكناسة النازلة بالمغرب الأقصى ، وزناتة الضاربة في المغرب الأوسط ، والمتاخمة للحدود الفاطمية وغيرهما من القبائل التي تفانت من أجل بسط النفوذ الأموي وحمايته .

وقد تجسد هذا النجاح في الوفود الكثيرة ، التي كانت ترد قرطبة في كل حين مزودة بالهدايا المغربية الجميلة ، رمزا للطاعة والولاء ، وتحمل الرسائل والتقارير المفصلة عن أحوال المغرب ، يشرحون فيها ، سياستهم وأعمالهم أولا بأول ، إزاء جيرانهم الفواطم وتلتمس الإمدادات والمساعدات الاقتصادية والعسكرية ، لمناوأة العبيديين ، ولا سيما في أوقات الأزمات والإنقسامات التي كانت تحل بدولتهم . وكان الناصر لا يرفض لهم طلبا . ويرسل لهم المعونات والإمدادات العسكرية والاقتصادية على شكل اساطيل تحمل الجند والرماة ، وترسو ، في الموانيء المغربية ، أو على هيئة

أطباء ، ومهندسين وبنائين ، لبناء القلاع والحصون ، وترميم ما أفسدته الحروب ، أو في صورة أموال ، ومواد غذائية .. الخ . وبهذه المعونات والمجهودات المكثفة استطاعت خلافة قرطبة أن تضع حدا لنشاط الفواطم في المغرب ، وحصرت نفوذهم في افريقية .

وفي الوقت نفسه لم تتردد هذه القبائل المغربية ، في مساعدة الخلافة الأموية في عقر دارها ، فكانت تبعث بأبنائها وفلذات أكبادها إلى الأندلس ، للخدمة في جيوش وأساطيل الدولة الأموية ، فأضحت بذلك سندا قويا ، لهذه الخلافة الناشئة ، تصد عنها كل الأخطار الداهمة من افريقية .

كما أن الناصر لدين الله ، تجاوز نطاق الدعم المادي والعسكري لحلفائه المغاربة والأدارسة ، إلى احتلال بعض الثغور البحرية المغربية ، المواجهة للشواطيء الأندلسية ، وجعلها قواعد أموية تحمي ظهره ، وتخرج منها الأساطيل الأندلسية لحماية حلفائه وانصاره وتعزيز مركزهم وتكون بمثابة خط دفاعي أمامي ، في وجه النشاط السياسي والعسكري للدولة الفاطمية .

وقد حذا الخليفة الحكم المستنصر ، حذو أبيه في سياسته المغربية ، التي تقوم على ضرورة المحافظة ، على النفوذ الأموي في الشمال الافريقي ، ومصانعة أمراء المغرب ورؤساء قبائله ، والتدخل المسلح المباشر ، إذا اقتضى الأمر لذلك ، رغم انتقال مقر الدولة الفاطمية إلى مصر ، وابتعادها عن الأندلس .

كما اضطر الحكم المستنصر بالله إلى تغيير سياسة التستر وراء المغاربة في ضرب الفواطم ، وتدخل في بلاد المغرب تدخلا عسكريا مباشرا ، وتغلغل في أراضيه بأساطيله البحرية وجيوشه البرية ، لإخماد ثورة الأدارسة وإخضاعهم وقد استطاع الحكم أن يحبط كل المحاولات التي استهدفت تقويض النفوذ الأموي وسلطانهم من المغرب .

واستمر الحال على هذا المنوال ، في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي بذل جهودا مضنية ، من أجل تطبيق سياسته المغربية الحازمة ، التي تكللت بالنجاح ، فقد تمكن هو الآخر من القضاء ، على الثورات الإدريسية والمغربية وكان هو رجل التوسع الأموي ، وأشدهم فاعلية في هذا المضمار ، في ظل حكمه بلغت الدولة الأموية في الغرب الإسلامي قمة مجدها ، واتساعها وامتدت الدعوة الأموية إلى مناطق جديدة

في المغرب ، بحيث أصبحت تنتشر من السوس الأقصى وسجلماسة جنوبا ، إلى إقليم الزاب ووادي شلف شرقا .

وظل النفوذ الأموي في الشمال الافريقي قائما ، إلى أن حدثت الفتنة الأندلسية في نهاية القرن الرابع الهجري ، وسقطت الدولة العامرية وذهبت هيبة الخلافة ، وضعفت السلطة المركزية في قرطبة ، عند ذلك فقد الأمويون تأثيرهم على الأقاليم والكور الأندلسية والديار المغربية ، ودخلوا مرحلة من اصعب مراحلهم وهي مرحلة الضعف والانحلال ، إذا تدخل الحموديون الأدارسة والمغاربة في الأندلس واستولوا على الخلافة فيها فاندثر بذلك السلطان الأموي من المغرب ثم زال نهائيا بزوال رسم الخلافة في قرطبة سنة 422 هـ / 1031 م .

الضمائم رقم (1)

كتاب محمد بن خزر أمير زناتة إلى الناصر لدين الله يتضمن بيعته وأحقيته بالخلافة

أرسل اليه في أواخر سنة 317 هـ / 929 م ، جاء فيها ما يلي :

« والله يا أمير المؤمنين ، ما أعلم على وجه الأرض أحدا ، أعرف بما أوجب الله لك مني ، لأني ما قمت بدعوتك ، إلا تقربا إلى الله تعالى ، وتوصلا إلى قتال كفار المشارقة ، فقد يعلم الله تعالى أني لم أتعرض المشارقة أهلكهم الله على يدك ما تعرضوني ، كما أني كففت زمانا عنهم ، قبل استحكام البصيرة فيك ، وكفوا عني ورضوا بذلك مني ، حتى رأيت أمرهم ، قد عم الناس من شره ، وقد حاولوا أن يسطلوا نور الإسلام ، بما كادوا به أهله ، فأسخرت الله في جهادهم وقمت أدعوا إلى ربي في جوف الليل في التوفيق والتسديد ، وأن يخيرني وللمسلمين في مناهضهم و لكشف عنا من غيهم وفكرت في امام اعتاق حله ، وأكون على بينة من أمري في الدعاء اليه ، وقد تشبث في حبال المسودة من بني العباس ، واستدعاني أخي المقيم عندهم بمصر ، وأتتني كتب « تكين » التركي صاحبهم بمصر في أول الأمر ، واستجلابي نحويه ، فعصمني الله من ذلك ، باتباع الحق ، وأخذ برأي الناصح المرشد ، وأخفاني إلى ما أوضح من الأمر حتى علمت بأمر أمير المؤمنين أنك أحق الناس بالخلافة إنها بيدك ميراث ، لا ينازعك فيها إلا من دفع الحق وعصى الله ورسوله ، فأطرحت الهوادة وآثرت الحق ، وهربت بنفسي إلى أمير المؤنين بنية صادقة ، وبصيرة نافذة ، وبريت من الناس منه ، ودفعت الامامة الا وهو ، ورجوت أن ينصرني الله تعالى ، وعلى يديه وأن ينصر في أمري وأمر المسلمين ، من أهل افريقية المضطهدين ، النظر المأمول ، حتى يكشف الله تعالى عنهم ، ما هم فيه من البلاد والردة ، وأن يصرف الله معشر زناتة بهذه الدعوة الحق المنصورة ، حتى يرفعنا على جميع الناس بها ، فنكون أولياء دعوتك ، وأنصار دولتك ، فإنك يا أمير المؤمنين ، مولى كل بربري على الأرض ، إذ بني أمية هداهم الله للإسلام وعساكرهم منى (إلى لدخلتهم) فيه وأخرجتهم من المحسوبية ، بإذن ربهم ، فمن كفر منهم هذه النعمة ، فهو كافر بالله ورسوله مولها ثم

(1) ابن حيان : قطعة من كتاب « المقبس » خاصة بعهد عبد الرحمن الناصر لدين الله مخطوطة بمعهد المخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم ، 298 .

لا يقبل الله له صرفا ولاعدلا ووالله ماحابيناك يا أمير المؤمنين بالاقرار لك ، إذ وجدنا الحق في يدك والاجماع من الناس ، على أنك أولى بالخلافة ، من ينتحل اسمها معك ، كذلك يتمسك كل من تقدم الينا من المشرق من نواحي إفريقية .

فكلهم يشكر فعلي بأن الحق معي ، وفيه أخذ رأي من نصحي ، وبالحق عرفني وعليه حظي ، حتى « تكين » صاحب مصر فقد رضيه وسره وما ساءه ، فالحمد لله على هذه النعمة ، الذي جعلني من أهلها ووفقني بقبولها » (1) .

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 107 ، 108

ضميمة رقم (2)

كتاب من الأمير الإدريسي إبراهيم بن محمد الحسني إلى العاهل الأندلسي الناصر لدين الله يعتذر فيه باسم إخوانه ، عن تصديهم ومقاومتهم للأسطول الأندلسي الذي قام باحتلال مدينة سبتة سنة 319 هـ / 931 م جاء فيها :

« وقد أنعم الله بك يا أمير المؤمنين ، في أن تصرف همتك إلى ناحيتنا ، ووكل عزمك بعروقنا ، فلقد كنا نتمنى ذلك ، ونستبكيه منك إلى أن تمم الله عزمك ويسرك بتوفيقه ، إلى فأرجو أن ترتقي فيه على يديك إلى أفضل الخطط ، وأشرف المنازل ، وذلك أن بلد البربر ، الذي نحن به أعز الله أمير المؤمنين سيدنا ، لقوم ملكوا أنفسهم من زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وجرت عادتهم على مجد السلاطين ، ودفع الأئمة والعدو بالولاية ، والتوثب على العمال والملك لأنفسهم ، والاستبداد لآرائهم إلى أن دخل إليهم جدنا ، إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي رضي الله عنه ، هاربا من عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، الملقب بالمنصور ، بعد أن قتل أخويه محمد وإبراهيم إبني عبد الله بن حسن بن حسن ، وشرد أهل بيتهم ، فلما سارجدنا إدريس اليهم واستجار بهم أجاروه وأوصبوا حقه ، ووضعوا له في بلدهم (فرحا) توسط ما بينهم من الأحكام من غير أن يضبطهم السلطان ومضى « بسلا » وقد تناسلنا منه وقمنا مقامه ، وسلكنا بسبيله ، فالبربر إلى اليوم على عادتهم الأولى معنا ، إن همنابتشديد السلطان عليهم ، هربوا عنا ، وانفردو منا ، واتخذوا الحصون علينا ، فمرة نذهب إلى محاربتهم ، وتارة نبدل إلى مداراتهم ، ولا نطمع مع الأيام في ضبطهم ، وكف عاديتهم إلى أن كان وقته ، بدنو الأمر الذي شرع فيه سيدنا أمير المؤمنين ، بالرأي الذي هم به ، وعزم عليه من ملك عدوتنا ، ومر ظله علينا بلا شيء أشد (أنفسنا) ولا أجمع بالنار منه ، فإلى سيدنا نرفع رغباتنا ونرد طلباتنا في اتمام عزمك ، وتسديد فعلك وتثبيت بصيرتك فيما ألهمك الله اليه ، ووفقك الله له فنحن أعز الله أمير المؤمنين سيدنا ، مما لا رغب بأنفسنا عنك ولا نحب ، وعن سنتك فأمرنا بما لأحببت وناهين بتأمن أردت فنحن جند لك على أعدائك ، ومسارعون إلى ما يسرك ، فلا تشك في طاعتنا ، ولا ترتب بمحبتنا وولايتنا ، فبالله الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، وكل يمين أوجبه الله في الكتاب ، مما لا كفارة له إلا بالوفاء به ، وكل ما تمتلك على المساكين صدقة ،

كل يحاشي في ذلك عقارا ، وكان باعا علينا عهود الله المؤكدة ، ومواثيقه المغلظة ، وعلينا المشيء كل واحد منا يواري حجة ، وكل مملوك فملكه حر ، لوجه الله العظيم ، وجميع ايماننا هذه على الطواعية معقودة على الواحد منا ، والجماعة لا أنقضنا لك بيعة ، ولا سعينا معك بغش وكيد ، ولا مكر ولا خديعة ولا حيلة ، ومعاذ الله ، ولكنا ذهبنا إلى تطييب نفسك ورهفة قلبك ، وإثلاج صدرك ، والذي اعترفنا به لك غير مستنكر علينا ، لأنا لم ندخل البلد ، عن افتتاح افتتحناه ، ولا عن ميراث طلبناه ، مع الذي تقدم من فعل جدنا الحسن بن علي رضي الله عنه ، في التسليم لسلفك ، وما مضت عليه جدودنا من البيعة ، لأجدادك رحمهم الله أجمعين .

وبعد أعز الله أمير المؤمنين ، فإنه قدم جندك علينا بسبتة ، بغتة لا نعلم معنى الأمر فيه ، وكل المذهب اليه ، فخف البربر الذين يلونها اليهم ، واستبقوا إلى محاربتهم ، فلما تكافأت الحرب بينهم ، واستنصرونا عليهم ، واستنهضونا للقيام معهم برجالنا ، وزعموا أنه إنما قدم إلى ما هنالك عامل الجزيرة الخضراء ، فيمن خف معه متطاولا ، إلى ذلك من ذاته ، دون اذنك ولا مذهبك ، فتوقفنا عنهم جميعا ، في أن يقدم الينا من عندك كتاب أو رسول ، إلى أن طال الأمر علينا ، فنهضنا بأنفسنا لاستبانة الخبر ، فنادانا القوم من أعلى السور ، بأنهم جندك وأنك أنت الذي بعثتهم ، وسألونا أن نكتب إليك لتعريفنا حقيقة الأمر وجلية الخبر ، فصرفنا عند ذلك عساكرنا عنهم ، وأمرنا البربر بمسالمتهم ، إلى أن يرد كتابك علينا ، مما تطلبه منا ورغبة عندنا وأمرنا بأمرك يا سيدنا نطعه ، فإنما نحن قوادك وعبيدك ، وأنصارك على من ناوءك وأولى الناس بتأييدك وحماية سلطانك ، فارم بنا حيث شئت ، وناهض بنا من أردت ، واندبنا لما قصدت ، تنل نصحا وكفاية ، ومختبر ببصرة وصاغية ، نرجو بها قضاء حقك ، ونيل الخطوة لديك ، وأتبنا الشرف الذي تبقا لنا ولاعقابنا بعدنا إن شاء الله تعـالى » (1) .

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم ، 115 ، 116

ضميمة رقم (3)

رسالة وجهها الزعيم الزناتي محمد بن خزر ، إلى الخليفة الناصر لدين الله سنة 320 هـ / 932 م ، يخبره فيها بتغيير مقر إقامته إلى الساحل ، حتى يقترب من الشواطىء الأندلسية ، ليسهل عليه تلقي الامدادات والمساعدات العسكرية والاقتصادية العاجلة ، وتتضمن أيضا أعماله الحربية ضد الفواطم ، وأنصارهم ، وانحياش أخيه فلفل إلى طاعة المهدي الفاطمي ، جاء فيها ما يلي :

« فإن كتابي أبقى الله أمير المؤمنين ، من بلد الساحل من مدينة « سيفا » (1) المشهورة بمدينة العلويين ، وهي مدينة حصينة أولية متوسطة للمراسي ، التي تقابل مراسي الأندلس ، وهي منتظمة بها وقريبة منها بغربي « تاهرت » ، دار الفاسقين وقريبة منها ، بينها وبينها ثلاثة أيام بينها وبين المراسي أقل من يوم ، وإنما ذلك بعد انتقالي من بلد والقوة بالاهل والولد ، والأصحاب والحشم ، والعبيد والموالي واهل ولايتنا وصنوف رعيتنا ، وضروب أهل طاعتنا ، والخاصة والعامة لدينا ، انتقلنا اليها وجماعة من قبلنا ، ولم يجد له بعدنا أحدا من مذكور ، أنصارنا وجماعة فرساننا ووجوه عشيرتنا ، فهم معنا وبين أيدينا ، لم ينحل لنا نظام ، ولا دخلتنا فرقة ، بل جميعا مستعدون بدعوتك ، ومعتصمون بطاعتك ، ناصحون لك ، محبون لأيامك ودولتك المباركة التي من تمسك بها ، كان له الأمن والسلامة ، في دنياه واخراه ، ومن صد عنها ، وابتغى سبيل غيرها ، نزل به الذل والصغار ، وقاربه الخزي والهوان ، والذي أردت علمه ، أبقاك الله من خبر خروجنا عن البلد ، الذي كنا نحله ، وسبب انتقالنا عنه ، فإنه لم يخرجنا عنه خصاصة ، ولا عجبتنا مدلة ، ولا تخوف ولا خزية ، ولا تغير حال ولا شدة ، وإنما خرجنا عنه بفضل الله ، أحببنا الدنو منك ، والتنهم لك ، لما نحن عليه من حسن الطوية لك ، وصدق النية فيك ، ومحض المودة لك ، وجميع من تعلق بك وانتسب إليك ، وذلك أنا كنا عن أفقك قبل اليوم ، نازحين وعن موصلتك شاحطين ، لا سواك والتنبيء بيننا على شحط الدار ، بعد الشقة ، مما لا يقصر يدى الهمة بيننا ، على شحط الدار ، وبحر الشقة مما لا يقصر يدى الهمة ، حز الرمي بهمته ولا يردد العزيمة عن انقاذ عزيمته ، ولا بد لقدر الله تعالى من نفاذه ، ولعزائم

(1) لم أقف على إسم لهذه المدينة .

قضيته من تمام ، وذلك أنا فطرنا أعزك الله بطاعته ، في أمرنا ، إذ لم تمكنا مواصلتك والتعلق بأسبابك ، إلا بالدنو منك والمجاورة ، ذلك والبعاد عن بعدك فأجمعنا الانتقال بالكيلة إلى أطراف اعمالنا ، وحواشي كورنا من نحو المراسي ، المنتظمة بجزيرة الأندلس التي وصفنا لك خبرها ، فلما وردنا البلد بالأهل والولد ، أخذنا في جمع العدد لإقامة الولد ، بتثقيف الفوج من أهل المعصية ، الذين كانوا لليهودي مشائعين لأمره مراهنين ، فحشدنا جميع القبائل التي بإزائنا وكل من اعتصم بطاعتنا ، وتمسك بأسبابنا فأخذنا رهائنهم بالمبايعة لك ، والافتتاح باسمك في الخطبة ، في جميع أهل الساحل اليك ، وأقبل الناس إلينا من كل جهة فزعين مرعوبين خائفين ، على أنفسهم طالبين تسكن دهمائهم وحقن دمائهم ، مستجيبين لدعوتك ، والجين في طاعتك معترفين بتقديمنا قديما عليهم وأمرتنا فيهم ، وولايتنا قديما ، على جميع لسان البربرية ، حيث وأين كانوا من نسل زناتة خاصة ، وغيرهم عامة أولأبائنا من قديم الزمان ، ولأعقابنا من بعد حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك ببركة أمير المؤمنين ، ودولة أبائه الأبرار ، والخلائف الطيبين رضي الله عنهم أجمعين ، ونصر في القيامة وجوههم ، فهم الذين لم تزل والقلوب عليهم متآلفة ، والجماعة بهم راضية ، فأنا الآن يا سيدي جاد مجد مستمر مواظب في تقويم أود أهل المعصية وتثقيف العوج ، من جميع أهل العدوة المدبر منهم والمقبل ، وحمل المطيع على المعاصي ، حتى يفتح الله على أمير المؤمنين مشارق الأرض ومغاربها ، وسهلها وأوعارها وبراريها وبحارها بنا ، وعلى أيدينا ، وتتصل طاعته إن شاء الله ، إلى أقصى العراق ، ويرث خلافة آبائه الطيبين الأبرار الأكرمين إن شاء الله ، وبه نستعين ، على ما يتولى وأياه نستحفظ ، ونستلقي لا إله إلا هو ربي العزيز العظيم ، وها نحن يا سيدنا أعزك الله عازمون ، والعزيمة لله على النهوض إلى عدوة السوء « تاهرت » وما هنالك لاغتيالها ومحاصرة الفاسقين بها ، والتغيير عليهم ، وقطع المرافق عنهم ، وحل عرى اليهودي منها ، وابعاد وجهه عنها ، وهي كما بلغك من وعورتها وصعوبتها وشموخ أجبلها ، وأشب شعارها ، والبرابر من قلة النصر ، ومحاصرة المرافق ، ومساورة المعاقل ، ومكايدة الحصون ، والجبل عليها ، بحيث تعلمه من العجز عن ذلك ، والقصور عن رومه ، ولا يقوم هذا الشأن إلا العرب ، أو ذوي الحنكة المحتضرمين أصحاب الأسلحة الشائكة والنشاب والعدة ، أهل الاقتدار على تشييد البناء ، وما يصلح لنكاية الأعداء ، فإن سيدي أمير المؤمنين ، أن يقوى عبده الساعي في دولته ، بأمنه من ذلك كله ، بالذي لنا فيه صلاحا ،

ولسعينا نجاحا ، مما يكون له أوفق ، ومنا أوفق ، من العدة وأصناف الأسلحة والنشاب والآلة والرماة ، وبعض من يحكم سياسة محاصرة الحصون ، وتكمل حال العساكر الكبار والثقال ، فإن عندنا الكماة ذوي عدة وعدد ، وبأنه وجد من صنوف العشائر وضروب العساكر ، الحماة الكفاة الأبطال الكماة ، قد نهرناهم لتقليص أطراف اليهودي من « تاهرت » وفصم عراه منها ، وابعاد رجسه عنها ، ثم يكون الصمد بعد ذلك ما وراها ، من مدائن اليهودي وأمصاره ومعاقله ، وصباحيه ، وقصوره وبراره ، وكوره وقصى بلاده ، حتى يقطع الله أمره ، ويصرم مدته بحوله وقوته ، والذي أردته علمه أغرب الله من خبر أخي فلفل ، هداه الله في حسده لنا ، وبغيه علينا ، وسوء سيرته وقفل ضميره وسريرته ، الذي ألبسه الله رداءها عما استتب من وقعه ، وذلك أنه رحل عنا من غير إذن منا ولا مطالعة ، ولا مشاورة لنا ، وزعم عند عزمه على الرحيل إنه يلتمس خصب المرعى بمنابع الماشية ، فأبعد النجعة ، ولم يرابط في السباسب والقفار ، والأودية متنكبا للحواضر والسبل المسلوكة ، حتى ورد أطراف أعمال اليهودي المبدل للدين ، الخارج عن ملة المسلمين ، فنزع اليه هووولده ، وشرذمة معه ممن تبعه وشافعه في أمره وصحبته ، في غوايته ، فلما وردوا على اليهودي ، تلقاهم بالسرور والحبور ، ومناهم بالكثير ، وزخرف لهم قوله بالغرور ، فصارمنهم كأسراب يخلفه من رجاه ، ويغر من يراه ، تحتسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده ، فوفاه حسابه الآية ، فارتهنوا عنده أهاليهم وأولادهم ، بعد أن أخلف الله ظنهم فيه ، وخيب رجاءهم ، وصدروا عنه على خروجهم إلى نحو بلد الزاب ، إلى القبائل بتلك الأطراف من بني مغراوة خاصة ، ليسمعوا لهم ويطيعوا أمرهم ، فنهم من رحلوا الينا هاربين بأنفسهم وأموالهم ، ومنهم من لم يشتغل بهم ، ولم يحفل بأمرهم ، وذلك لادبار ولد اليهودي (اسماعيل) عنا ونزول نعم الله به على أيدينا ، ولم ينشب أن ورد كتاب اليهودي (عبيد الله المهدي) الينا ، يذكر فيه نزوع الغاوي فلفل أخي اليه ، ورغبته فيما لديه واعترافه بالحق ، ورجوعه عن الباطل ، وحسن قبوله أياه ، وكرم منزلته عنده ، وأعطاه أياه كل ما سأله منه ، وأمله لديه ، ويحظى على امتثال فعله ، ويندبني إلى الرجوع اليه ، ويرغبني في الولوج في طاعته ، والتمسك في سنته ، ويمنيني على ذلك الكثير ، ويعدني بالجزيل ، ويقول بأنه لا يحاول مني ذهبا ولا فضة ، ولا يكلفني نائبة غير الافتتاح باسمه ، والخطبة في المنابر عليه ، وصرف السكة بذكره ، وارسال احد ولدي اليه ، أو بعض إخوتي ليشيع

في الناس أني قد رجعت اليه ، وصرت في طاعته ، وكل ذلك لم أحفل بكتابه ، وأمرت بجوابه ، لما نحن عليه من البنية مزارنا ، والاستئثار ببيعتنا ، لما قد بلوناه من أفكه وبغيه ، وعلمنا من كفره ولحده وقلة وفائه ، ونقضه لعهده ، فنحن أيدك الله لا نقصر في كتابته ، ولأنني في قطيعته وحربه ، وادخال النصر عليه ، أو انتقاض أطرافه واقتناص أهل طاعته ، حتى ركن الله صيته ويقطع دابره بحوله وقوته ، إن شاء الله تعالى » (1) .

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 120 ، 121 ، 122

ضميمة رقم (4)

رسالة من الناصر لدين الله ، إلى حليفه وصفيه محمد بن خزر زعيم زناتة يطلعه فيها عن عزمه لاسترداد ملك أجداده في المشرق ويأمره بالتأهب واستنفار القبائل لذلك ، جاء فيها ما يلي :

« كان الناصر لدين الله ، لا يكاد يخلى كتبه إلى هؤلاء الأمراء،المؤلفين له من أملاك البرابرة بأرض العدوة ، من ذكر طلبه لسلط المشرق وقيامه في ارجاع ما سلب أباؤه منه ، وتحمله في الجواز إلى ما هنالك (للمقأر) عنه وذكر تظاهر الروايات له ، واجماع الآثار على أنه المرتجع له ، والتحلية لهؤلاء الملوك بأنهم أنصاره عليه ، ومقدمته في طلبه ومعامزيَّة فخره ، ومنزلة ذكره بقربهم ذلك ، ومثله ولضربهم على عداوة لعدائه من بني عبيد الله ملوك الشيعة ، الذين على ديار افريقية وتخليهم على حرب أصحابهم ، والتخيف لأعمالهم فينال من ذلك ما يبغيه ، ويغبهم مع ذلك بهدايا وصلاته ، وخلعه والطافه ، يركن بصائرهم في اعتقاد موالاته ، والتزام طاعته ، فينفق في هذا الباب الأموال الحشيمة ، ويحشم له الحاشم الثقيلة ، مما تناول به محمد بن خزر ، عميد أولئك المتألقين من الأمراء بالعدوة في هذا المعنى ، فصل ضمنه جواب كتاب له نسخته :

« وان أمير المؤمنين لما تفرغ باله ،وانقضت بالأندلس أشغاله ، واكتملت له في أعدائه أماله ، ولم يبق عليه فيها بقية يعانيها ، ولا مجال يستعمل رجاله فيها ، صرف عزيمته ، وأمال همته ، إلى ما بين يديه من أسباب المشرق ، وطلب ما لم يزل لأوله حقا وله ميراثا ، مع ما ينويه ويرجو أن يجزي الله أكرومته على يديه ، من أحياء الدين ، بنظره وأماته البديع تقويم منهاجه وحماية بيت الله الحرام ، المنتكثة حرمته ، المعظمة المسلوب ركنه ، المغلوب أهله ، المطلة مناسكة ومشاعره ، وأن يجعل الله لأمير المؤمنين حاصرا له ، يطلب الجاني عليه بجبايته فيه ، مجرد من يخلق السنن ما درس ، ويظهر منها ما انطمس ، وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين في جميع ما نواه ، وبه يرجو إدراك ما رجاه ، إن شاء الله ، وقد أمر أمير المؤمنين بالتأهب والاستعداد ، بالرجال والأجناد ، وبجنود الأماة وانتقاء الرماة وتضعيف العدد ، وتكثير العدة وتجديد الآلات ، وتكميل الأدوات والنظر في الجان ، الحشود بالجنود لميقات معلوم ، ووقت معدود ، وأن يستكثر من جمع المراكب إلى ما قد قام منها ، ويتوسع في

عددها ، بتجميل الأساطيل المؤيدة في وقت إجارتها ، وعند مكان البحر ، لها السير طائفة منها نحو سبتة ، وأخرى إلى جهة وهران ، فمن تخيره من وجوه قواده ، واعلام رجاله وصميم حشمه وأبطاله ، أهل البأس والصبر وحسن البلاء ، وقوة الجلد ، الثارين أنفسهم .في مرضاة أمير المؤمنين ، والطالبين بحقه والمستنصرين في نكاية عدوه ، ذوي الشاه الخالصة ، والبصائر الصادقة والبسالة القائمة ، كل بهول أخرهم قرن يناوله ولا يثني مغنهم .، جيش يقابله كالليوث في اقبالها والبتايين التهامها ، قد مرستهم الحروب ومرسوها ، وساستهم الخطوب وساسوها ، فهي أسهم ، وهم بنوها ، فاستعد أسعد الله ، وتأهب وشمر وتليب ، وكن على انتظار ما يوافيك من أمير المؤمنين ، لتكون صدر القواد كما أنت صدر أولى الوداد ، ومتقدما للرجال كما أنت في صدر العال ، فإن أمير المؤمنين يرجو الله عونه وعليه توكله ، أن يكون قد قرب الوقت ، الذي قد رجوت العوز به ، والإدراك له وبلوغ الأمل منه ، إن شاء الله عز وجل » (1) .

(1)ابن حيان : المقتبس ، ورقة رقم 122 ، 123

ضميمة رقم (5)

وبعث الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، برسالة مماثلة إلى صفيه المغربي الزعيم المكناسي ، موسى بن أبي العافية ، في نفس السنة أي سنة (320 هـ / 931 م) ، يأمره هو الآخر بالتأهب ، لاستئصال شأفة الفواطم من افريقية ، وقطع دابر العباسيين في المشرق ، وتخليص البيت من عبث القرامطة ، جاء فيها ما يلي :

« وذلك مما شد أمير المؤمنين عزما ، وشغل قلبه عليه غيضا وغما ، حديث الحادث الجلل والخطب المعضل ، النازل في البيت الله الحرام وما كان وما صار اليه من الاغفال له ، والاضاعة لدواره ، حتى غشيهم أهل الكفر في محل الأمن ، فقتلوهم أبرح قتل بغناء ، وهتك البيت الحرام واستلب ما فيه ، وحدث فيه ما لم يعرف في الأولين ، ولا يزل في الآخرين ، وهو الأمر الفادح الكارث ، الذي لا يحل لأمير المؤمنين ترك الغضب منه ، والسعي في الانتصار له والقيام في الذب عليه ، والتقرب إلى الله بحماية البيت العتيق ، وتعظيمه وتهديد من الله ، والله على الانتصار منهم معين لغيرنا إن شاء الله .

وقد صرت عن أمير المؤمنين بخالص الوعد ، وصادق الطاعة ، معدودا في عدة الذين يعتمد عليهم ، وأنصاره الذين يتدارك في المهمات على نهضتهم ، فأنت بأخص المنازل عنده في الاستعداد بك ، والرجاء لحمد مقامك ، وحسن نظرك وتدبيرك فيما يجردك أمير المؤمنين له ، وينهضك نحوه ويجعلك قائده ، في جميع الغرب قائما باسمه ناهضا بدعوته ، معينا على احياء الدين ، واماتة الفاسقين وتغيير آثار الضالين ، وتقويم زيغ المفسدين ، لا يرغب أمير المؤمنين من قبلك ، ولا من قبل غيرك ، من أولياء الطاعة وأنصار الدولة ، ما لا يحتبي ولا مرغوبا يقتنى ، ولا مدائن يصطفى ، بل رغبة أمير المؤمنين فيما صرف همته اليه ، ومد طرفه نحوه ، وشغل قلبه به ، من طلب حقه وارتجاع ميراثه ، والسعي لملك آبائه الخلفاء ، وهمه افريقية فما دانها والحرم وما انتصل به ، ومصر والشام وما خلفها ، فيرد الله به الدولة ، ويكشف الجولة ، ويحي الآثار السالفة الفصل ، ويعيد الدين على يديه جديدا غضا ، والحق مما حقا ، ويجعل كل ذي بدغة طريدا. مقضي ينهض بأمير المؤمنين إلى ذلك نفس تواقة ، إلى ما هو لها حق واجب ، وفرض لا رب مع ما يسوقها إلى ذلك من الآثار المشهورة ، والروايات المذكورة ، التي قد ظهر كثيرا منها ، وعلى الله تتميم باقيها إن شاء الله ،

فقد أخذ أمير المؤمنين لذلك ، بأشد العزم ، وأثبت الخطر برا وبحرا عاملا على مجاهدة الملحدين ، ومنازلة الفاسقين حتى ينتقم الله من الظالمين ، ويأخذ بثأره من القوم المجرمين إن شاء الله . فانهض أيدك الله بعزائم أمرك ، ونوافد رأيك ، وشدة بأسك وصيال رجالك ، وتقدم متوسعا فيما بين يديك ، ولا يقنعك ما أنت ... (1) ، فليس يقنع به أمير المؤمنين للأبل يستغل لك الكثير ، وسعى في جانبك الخطير بكل ما توسعت فيه ، وفتح الله عليك به كان ولولدك ، ولعقبك اقطاعا من أمير المؤمنين ، وتوسعا عليك ومكافأة لمحبتك ، لا تنبث لك ولا لأحد من ولدك وعقبك عند أمير المؤمنين حال ، إلا بأحسن منها وأشرف وأفضل وأعلى وأنبل ، تلك بصيرة أمير المؤمنين في أوليائه الداخلين في طاعته ، القائمين بإمامته المجاهدين لعدوه ، الموطدين لسلطانه ، واستألف الناس على طلعة أمير المؤمنين وجامعهم عليها ، ودعاهم اليها ورغبهم فيها ، فإن طاعته مقرونة برضى الله تعالى ، إذ هو القائم بالحق الناصر لدين الله ، المحتمل على هدي الخلفاء الراشدين النافي لكل بدعة ، الماحي للضلالة ، المجلي لكل شبهة ، باتباعه هدي وطاعته رضي الله عنه ، لايصدق عنه ولايحيد عنه الا من فارق الحق ، وخالف طريقه وآثر الباطل ودخل طريقه » (2) .

---

(1) بياض

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 124 ، 125

ضميمة رقم (6)

رسالة من موسى بن أبي العافية شيخ مكناسة ، إلى الناصر لدين الله ، يخبره بحملة القائد الشيعي ميسور الخصي ، إلى المغرب الأقصى ، وتصديه لهذه الحملة وقتله العديد من المشارقة وأعوانهم ، وكذلك يخبره بمساعدة الأدارسة لميسور ومساندته وكان ذلك سنة 322 هـ / 933 م ، جاء فيها ما يلي :

« وأما ما أراد سيدي أمير المؤمنين ، ابقاه الله انهاء اليه مما نحن فيه مع المشارقة ، أهلكهم الله ، فإن اللعين أبا القاسم طاغيتهم بعث إلينا غلامه ميسور الخصي ، وعفريته ابن أبي شحمة الكتامي (عامل تاهرت) وغيرهما من قواده في كنف من شيعته داعينا عن حولنا ، من القبائل إلى الدخول في طاعته ، وأعطوهم فجالوا في البلاد ، وثبتوا دعاتهم فتوقف الناس ، ولاذ البرابرة منهم بأوعارهم ومعاقلهم ، فلما يئسوا منهم كاتبوا أهل مدينة « فاس » والطفوا بهم ، ودعوهم إلى الدخول في طاعتهم ، وأعطوهم العهود المغلظة والإيمان المؤكدة على أمنهم ، وتقديمهم فاغتر بهم أميرهم « محمد ثعلبة » صاحب مدينة الأندلسيين ، وأحمد بن بكر صاحب مدينة القيرويين ، وقدما عليهم مع وجوه من رجالهما ، فلما صاروا بين يدي الخصي ، غدر بهم فخدعهم فأخذهم . وأخذ جميع من كان معهم ، من دواب وأسلحة ، فلما رأى أهل فاس ما فعله من ذلك توقفوا عنه ، وامتنعوا من ادخاله ، فنكب عنهم ، وطار الينا صامدا ، حتى نزل منا على مسافة ستة أميال ، فأقام في محلته أربعة أيام يكاتبنا فلا نصغي اليه ولا نجيبه ، فمشى نحونا هو وأولئك القواد في عدد عديد ، وقوة قوية ، حتى ضاق بهم بعضا ، وقسموا عسكرهم ، فأتونا من ثلاثة طرق من جهة القبلة والغرب والشرق (فرفضت) (1) الحرب بالمجانق ضحوة النهار فاتصلت إلى بعد العصر ، واتجهنا إلى الأوعار ، وكنا قد كمنا لهم كمينين ، فلما لصقوا بنا ، وقد طمعوا فينا ، خرج الكمين الواحد ، فأثر فيهم ، وصبروا له ، ثم ردفه الكمين الثالث فغاب صبرهم ، وولوا مدبرين ، ومنحنا الله اكتافهم ، فعمل السلاح عمله فيهم ، وأخذ ما أخذه منهم فقتلنا منهم في تلك الردة ، مائة واثنين وعشرين قتيلا ، وأخذنا عامة دوابهم ، وما أدركه العقر منها ، ورجعوا إلى مناخهم بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكان ذلك يوم

(1) هكذا جاءت في النص ، ولعلها ظلت .

الخميس لاثني عشر ليلة مضت من شوال منها (أي سنة 322 هـ / 933 م) ، ثم عاودنا يوم الجمعة حربهم وأخذنا جميع عدتهم ، ومن كان يخلف في الأخبية منهم ، فرأينا عساكر عظيمة لا تسقيها المياه ، فثارونا بالحرب من غدو إلى وقت العصر ، فاستظهرنا عليهم وردعناهم ردعتين عظيمتين وقتلنا خلقا منهم ، وانصرفوا عشاء إلى محلتهم خاسرين مغيظين ، فانصرفوا بعد ذلك عنا ، ولم يحاربونا إلى أن انقلبوا على أدبارهم والحمد لله ، ونحن أبقا الله أمير المؤمنين سيدنا ، في قوة شديدة وعدة عديدة ، وجمع جامع ما تخلف عنا ، أحد من رجال المغرب وأشرافه تمسكا بولايته ، واستنصارا في طاعته ، وكان الأدعياء من قريش الأدارسة ، من أولاد محمد وبني عمهم وأولاد عمر المعروفين ببني « ميالة » . قد مشوا إلى مدينة « أصيلا » ، أيام امتناعنا ، بعسكر المشارقة يكيسوها وينتهزوها فرصة ، فلم يغنهم الله فإنهم لمعة إلى هذه الغاية وقد كنا كتبنا إلى « ابن حزب الله » صاحب « سبتة » يخرج القواعد في المراكب ليحالفوا هؤلاء الأدارسة إلى « بنخساس » وما حولها من ديارهم ويغنموها فرد الينا جوابا يذكر ، أن الأدارسة يعدون للسلطان مظهرون اعتقاد الطاعة ، وأنه بدهم إلا بعد مآمرة فعذرناه ، وعلمنا أين ذهب هؤلاء الأدعياء وهذا كله أعز الله أمير المؤمنين منهم ، دوافع وسكون وبالله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، أن إبراهيم بن إدريس كبيرهم وشريفهم بعسكرهم لعند الخصي ميسور ، ما زال ولا برح إلى هذه الغاية وأن « محمد بن حزب الله » المخدوع كثير الطمأنينة ، لم يحسن تحكم معاملة البرابرة ، فيكن من أمير المؤمنين إليه تبصره ، والله يكشف له عن الضال وبغية المكاره » (1) .

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم ، 137 ، 138 .

ضميمة رقم (7)

كتاب من موسى بن أبي العافية ، إلى الناصر لدين الله كعادته ، مطالعا بأخبار المشارقة الفاطميين ، الذين يعانون من أزمة سياسية حادة ، وهروب الكثير من قواعدهم وفتيانهم إلى المغرب الأقصى ، والانضمام إلى حلفاء الناصر لدين الله ، وكذلك يلتمس منه تحصين مدينة طنجة وشكها بالرجال والعتاد وذلك سنة 323 هـ / 934 م جاء فيها ما يلي :

« ومما أحب أمير المؤمنين سيدي معرفته ، من أخبار المشارقة (فعمهم) (1) الله فإن جيشهم الملتف بالخصي ميسور يسر الله حتفه ، عاود حربنا في هذه الصائفة ، بجد وعزم كذب فيه ظنهم ، وأضعف جندهم ، وصرفهم على أعقابهم ، وبلغهم ما فعله أهل « تاهرت » ، بأبي مالك بن يغمراسن بن أبي شحمة عاملهم (على تاهرت) وما أظهروه من الخلاف عن طاغيتهم أبي القاسم قصمه الله ، ومن حولهم من قبائل البربر ، فجاروا وسقط في أيديهم ، وزاد في خوفهم ما فيه طاغيتهم ، أبو القاسم مع اخوته بالمهدية من الخلاف ، فأفلس الأخابث وتساقط كثير منهم ومن شيعهم علينا (متبرين) (2) منهم ، وهرب طوائف من عسكرهم مستأمنين الينا ، حتى صار الطريق سالكه الينا من عندهم ، بالهاربين من فتيانهم وأولي البأس منهم ، كمكاسة بن ناصر المكناسي أمير الغرب ، ومن قدم بعده من رجال مكناسة ، ولواته وهوارة وزناتة ، وأهل جبل بوجان بني عم داود بن مصالة ، وزواغة وأهل شلف إلى من يعرف منهم في الأسواق بديار المغرب بفاس ، والبصرة ، والمسيلة وبأسواق البربر ، والطائفة التي جازت إلى الأندلس ، وبقي المقطوع ميسور المخذول قطع الله أوصاله ، مع فرقة مع يغمراسن أبي شحمة ، وإلى الله عليه الغمرات ، في جزيرة منقطعة مع شرذمتهما ، من الطوائف التي وردت معهما من المهدية ، لا ظهير لهم ، ولا معين بحمد الله يؤيدهم ما بقي عندهم الأراهط ، نشبوا عندهم من أوربة وقوم يقال لهم « الفاسة » ، ولحاقة وبنو جريد بيت من غمارة لا غير ، وصارت الينا قبائل أهل المغرب بأجمعهم ، من كل مكان حول فاس ، من زواغة ولماية ، ومن درعة ومكناسة

---

(1) هكذا جاءت في النص ولعلها قصمهم

(2) ولعلها فارين .

أهل الجبل ، وجيرانهم نفزة وأهل الظواعن من بني مرزحون وبني مرساع وبني حماية ، وبني برنا (1) من برقازة وبني محمد ومديوهة أهل مدهن ومجراوة أهل ضريس ، وزناتة من بني سسان ، وحملار وبني دهنة ، ومجاصة وبني مسلان ، ومن كان على ملوية وطاع من قبائل بني راسين ، وبني يفرن وبني برناس ، وبني وريمس مطماطة أهل ملوية ، إلى حوز جراوة ابن أبي العيش ، إلى ما أحاط بنا نحن من قبائل البربر ، من مكناسة وأوربة وهوارة وضريسة ونفزة وكرباظة وصاربونة وقاصونة ولواته وسوقانة ، وبني ميسرة أهل فندلاوة وقبائل غيرها ، ولا يسعها كتابنا كلهم داعين بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين مولانا ، فنحن في عدد عديد ، وجمع عتيد ، وقوة قوية والحمد لله . وقد ذكرت لأمير المؤمنين أمر مدينة طنجة ، والفائدة من ضبطها وكبرق القوة التي توالي اخراجها إلى « سبتة » ، اليها وإلى أصيلا أختها ، لأن سبتة قد كفيت مؤونة من يقصدها فلا يصل اليها عدو ، لأن البحر قد أحاط بها والوعر حولها ، قد تكتنفها فالأموال ينفق عليها ، بغير فائدة ، ويأخذها من لا يستحقها ، وأنا عن أمير المؤمنين الكالية في هذه العدوة فلا يدلي من انهاء ما له فيه النصيحة اليه ، ولم أخاطبه إلا بما فيه تريد طاعته وانتشار دعوته ، حتى يصل بالمشرق وميراث سلفه إن شاء الله . ويزاول أمر هؤلاء الأدعياء إلى الحسنيين الأدارسة أولاد محمد وعمر قاتلهم الله ، فإنهم عدة المشارقة في غربنا وهم الذين يرددونهم إلى هذه الغاية ببلدنا ، ويوالون هداياهم ويصلون أيديهم بأيديهم ، فلو نزلت القوة بطنجة وجردت لها العزيمة لسقط ما بأيدي هؤلاء الأدارسة وغيرهم ، ولشغلوا بأنفسهم عن المشارقة ، وأمير المؤمنين أعلى عينا من أن يبصر بهذه الأمور ، ولكن النصيحة له تدعو إلى امحاض الرأي وعلى الله توفيقه » (2) .

---

(1) هكذا جاءت في الأصل

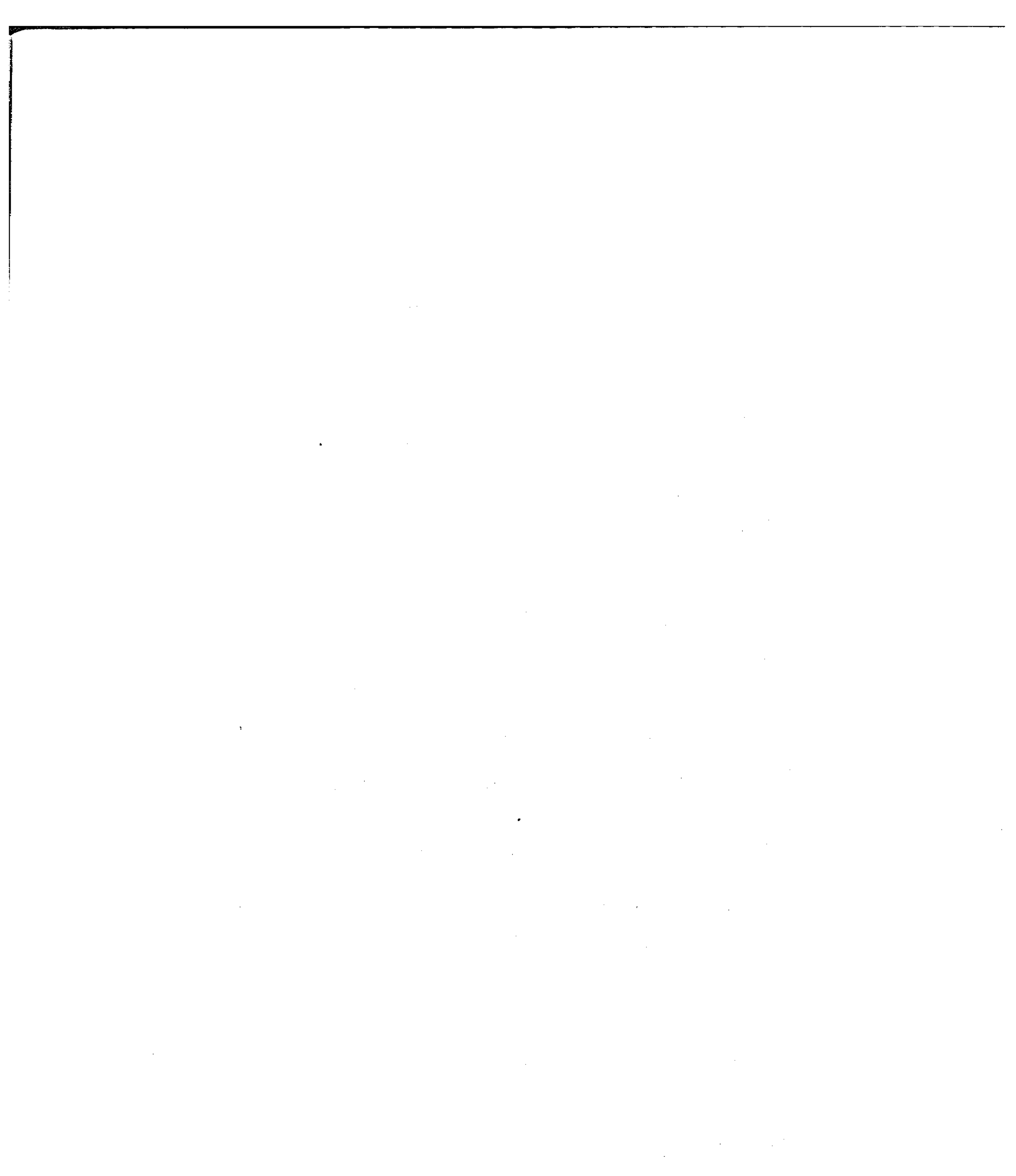
(2) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 145 ، 146 .

ضميمة رقم (8)

رسالة من إبراهيم وأبي العيش ، إبنا إدريس الحسنيين ، إلى الناصر لدين الله ، يخبرانه فيها عن هزيمة موسى بن أبي العافية أمام الجيش الفاطمي ، ولجوئه إلى الصحراء ، ملتمسان المساعدات والإمدادات العسكرية لمقاومة حملة ميسور ، ومجددان له البيعة والطاعة ، ونفيا ما نمي بهم من مساعدة الفواطم . وذلك سنة 323 هـ / 934 م ، جاء فيها ما يلي :

« كتبناه إلى سيدنا أمير المؤمنين ، مما نحن عليه من موالاته ولا محاض وسلامة الضمائر ، من كل شبهة أو مزق في الإخلاص له ، ونحمد نعمته معرفة بحق أمير المؤمنين ، وانقيادا لامامته واعتلاقا بحبله ، بما أظهر الله من دولته وأثار من امامته ، على حين مدها مغربنا ، أطال الله بقاءه ، فهذه الشيعة الرافضة الفادحة في الشريعة المحدقة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم افتراء منهم على الله تعالى وعلى نبيه (ص) وعلى أهل بيته (الحسنيين) وابتلى الله عباده ، بهم ليعلم من يطيعه منهم وأملى لهم ، يزدادوا إثما ، فاستعجل شرهم ، وآن إلى ما جرت مقادير الله به ، من ظهورهم على موسى بن أبي العافية ، ولي أمير المؤمنين ، وقلعهم له قوادهم (الله) هؤلاء أو طويلا ، واستطالة على المسلمين بما يهيأ لهم ، وما كان من انكشافه عنهم ، ونجاته إلى الرمال والصحاري فرارا منهم ، فعظم البلاء عنده ، وجل الخطب ولله تعالى عواقب الأمور ، ومنه مبدأها لا معقب لحكمه في شيء منها ، وبلغنا أنه نمي إلى سيدي أمير المؤمنين عنا ، أنا توجهنا إلى الفاسق ميسور لا يسر الله أمره ، على أسوأ الوجوه ، ولم يكن ذلك أكرم الله سيدنا أمير المؤمنين إلا عن تقية منه ، ومع ومن له ولنا الأسوة الحسنة في رسول الله (ص) ، فقد دار صفوان بن أمية الجمحي وغيره من المشركين والمنافقين ، حتى أظهر الله دينه وأعلى ذكر نبيه (ص) ، فلا يرتب أمير المؤمنين بطويتنا ، وليجرد عزمه في معونتنا ، فإنه مني فصل رأيه ، أيده الله بإخراج عسكره ، يناهض بنا هذا اللعين ، الذي قد عاث في أرضنا وأي بالعظائم التي لا يحل لأمير المؤمنين تركه يبادرنا إلى قائده « إبن حزب الله (صاحب سبتة) بالرهائن ، التي تكون وثيقة على طاعتنا وأسلمنا اليه مع ذلك رهائن كل من ضوى الينا من البربر ، حتى يقتنع بالتوثقة ، ويبلغ الغاية فإذا اجتمعنا مع الجيش المخرج الينا ، رجونا ألا يلبث لنا عدونا إن شاء الله عز وجل » (1) .

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 147 ، 148



قائمة بأسماء المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية المخطوطة

ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت سنة 469 هـ / 1076 م) .
- قطعة من كتاب المقتبس في أخبار رجال الأندلس ، مصور ميكروفيلم « بمعهد المخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم 208 » .

القاضي النعمان : أبو حنيفة بن محمد المغربي (ت سنة 363 هـ / 973 م) .
- كتاب المجالس والمسايرات نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم 26060 .

النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت سنة 733 هـ / 1332 م) .
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، جـ 22 مكتبة كلية الآداب بجامعة الأسكندرية ، تحت رقم 18668 .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة

ابن أبي دينار : أبو عبد الله الرعيني (ت سنة 1110 هـ / 1699 م) .
- المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، طبعة تونس سنة 1286 هـ / 1869 م) .

ابن الأثير : علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزيري (ت سنة 630 هـ / 1232 م) .
- الكامل في التاريخ ، الأجزاء : 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، نشر عبد الوهاب النجار ، القاهرة سنة 1302 م .

ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، (ت سنة 635 هـ / 1238 م) .
- الحلة السيراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس (جزءان) القاهرة 1963 م .

ابن أبي زرع : أبو العباس أحمد بن أبي زرع (ت في النصف الأول من القرن السابع هـ / 14 م).
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، طبعة فاس الحجرية سنة 1885 م .

ابن بلكين : الأمير عبد الله بن زيري الصنهاجي ملك غرناطة (ت سنة 483 هـ / 1090 م) .
- مذكرات الأمير عبد الله الزيري المسماة التبيين . نشره وحققه ليفي بروفنسال ، القاهرة سنة 1955 .

ابن بسام : أبو الحسن علي الشنتريني (ت سنة 543 هـ / 1147 م) .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، الجزء الأول ، القسم الأول ، القاهرة 1949 م . والجزء الأول ، القسم الثاني ، القاهرة 1942 م . والجزء الرابع القسم الأول ، القاهرة 1945 م .

ابن تغري بردي : أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت سنة 874 هـ / 1469 م) .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الرابع نشر دار الكتب المصرية سنة 1966 م .

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت سنة 456 هـ / 1063 م) .
- جمهرة أنساب العرب ، نشره ليفي بروفنسال ، دار المعارف بمصر ، القاهرة 1948 م .
- نقط العروس في أخبار بني أمية بالأندلس ، نشره الدكتور شوقي ضيف ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1951 م .

ابن حيان : - المقتبس في أخبار رجال الأندلس القطعة الأولى تحقيق الاب ملشور، باريس سنة 1937 م . والقطعة الثانية تحقيق الدكتور عبد الرحمن حجي ، بيروت سنة 1965 م ، والقطعة الثالثة ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة 1390 هـ / 1971 م . وطبعة بيروت سنة 1973 م .

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي (ت سنة 380 هـ / 990 م) .
- صورة الأرض ، بيروت ، 1962 .

ابن حماد : أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد (ت سنة 628 هـ / 1230 م) .
- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، نشره وترجمه : M. Vender Heyden الجزائر سنة 1927 م .

ابن خاقان : أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الاشبيلي ، (ت سنة 535 هـ / 1134 م) .
- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، طبعة القسطنطنية سنة 1302 هـ / 1885 م .

ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت سنة 776 هـ / 1374 م) .
- أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام ، القسم الثاني الخاص بالأندلس ، نشره ليفي بروفنسال ،

طبعة الرباط سنة 1934 م ، وطبعة بيروت سنة 1956 م . والقسم الثالث الخاص بالمغرب ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد الكتاني ، الدار البيضاء سنة 1964 م .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت سنة 808 هـ / 1405 م) .
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، الأجزاء الرابع والسادس ، والسابع ، طبعة بولاق سنة 1284 هـ /1870 م) ، طبعة بيروت سنة 1968 م .

ابن سعيد المغربي : أبو الحسن علي بن موسى (ت سنة 5685 هـ / 1286 م) .
- المغرب في حلي المغرب ، الجزء الأول تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة 1964 م .

ابن عذارى : أبو العباس أحمد بن عذارى (كان حيا سنة 712 هـ / 1312 م) .
- البيان المغرب في أخبار المغرب ، ثلاثة أجزاء نشرهليفي بروفنسال وكولان ، دار الثقافة ، بيروت سنة 1967 م .

ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت سنة 257 هـ / 871 م) .
- فتوح افريقية والأندلس ، تحقيق وتعليق عبد الله أنيس الطباع ، بيروت 1964 م .

ابن الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت سنة 403 هـ / 1012 م) .
- تاريخ علماء الأندلس (جزءان) نشره وحققه السيد عزت العطار الحسني ، القاهرة سنة 1954 م ، وطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر القاهرة سنة 1966 م .

ابن القوطية : أبو بكر محمد بن القوطية (ت سنة 367 هـ / 977 م) .
- تاريخ افتتاح الأندلس ، مطبعة منصور عبد المعتال الكتبي بمصر بدون تاريخ.

ابن الكرديوس :
- كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، القسم الخاص بالأندلس ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة 1971 م .

ابن هانيء الأندلسي المغربي : (ت سنة362 هـ / 972م) .
- تبيين المعاني وشرح ديوان ابن هانيء الأندلسي المغربي ، تحقيق زاهد علي ، مطبعة دار المعارف بمصر 1352 هـ .

ابن يوسف الحكيم : (أبو الحسن علي) .
- الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة تحقيق الدكتور حسين مؤنس صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد العدد 21 المجلد السادس مدريد 1958 م .

الإدريسي : أبو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت سنة 548 هـ / 1154 م) .
ـ المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » . نشره وترجمة إلى اللغة الفرنسية المستشرقان دوزي ودي غويه طبعة لندن 1866 م .

البكري : عبد الله بن عبد العزيز المرسي (ت سنة 487 هـ / 1094 م) .
ـ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب نشره البارون دي سلان بالجزائر سنة 1911 م .

البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحي البغدادي (ت . سنة 279 هـ / 892 م) .
ـ فتوح البلدان ، طبعة القاهرة سنة 1317 هـ .

الجزنائي : أبو الحسن علي .
ـ زهرة الآس في مدينة فاس ، نشره الفريد بيل بالجزائر سنة 1922 م .

الحميدي : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت . سنة 488 هـ / 1095 م) .
ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس : الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة 1966 م .

الحميري : عبد المنعم السبتي الحميري (ت . في أواخر القرن التاسع الهجري / 15 م) .
ـ صفة جزيرة الأندلس من كتاب « الروض المعطار في خبر الأقطار . نشره ليفي بروفنسال القاهرة 1937 م .

الدباغ : عبد الرحمن الأنصاري .
ـ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ثلاثة أجزاء طبعة تونس 1320 هـ / 1902 م

الدرجيني : أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت . حوالي سنة 670 هـ / 1271 م) .
ـ طبقات المشايخ بالمغرب ، الجزء الأول والثاني تحقيق إبراهيم طلاي ، قسنطينة سنة 1974 م .

الرقيق القيرواني : أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت . في منتصف القرن الخامس الهجري / 11 م) .
ـ تاريخ افريقية والمغرب تحقيق وتقديم المنجي الكعبي ، تونس 1968 م .

السيوطي : جلال الدين المتوفي سنة 911 هـ / 1905 م .
ـ تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأئمة ، نشره محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الأولى ، القاهرة سنة 1371 هـ / 1952 م .

السلاوي : الشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي (المتوفي سنة 1315 هـ / 1898 م) .
ـ الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى ، الجزء الأول طبعة القاهرة 1312 هـ / 1894 م .

الشماخي : ـ كتاب السير ، نسخة بخط مغربي بمكتبة الدكتور إبراهيم فخار بقسنطينة

الضبي : أبو جعفر أحمد بن يحي القرطبي (المتوفي سنة 599 هـ / 1203 م) .
ـ بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة 1966 م .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت . سنة 310 هـ / 922 م) .
ـ تاريخ الرسل والملوك ، الأجزاء 4 ، 7 ، 8 تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة 1964 م .

العذري : أحمد بن عمر بن أنس المعروف بإبن الدلائي (ت . سنة 478 هـ / 988 م) .
ـ ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك نشر عبد العزيز الأهواني مطبعة الدراسات الإسلامية بمدريد 1965 م .

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (المتوفي سنة 821 هـ / 1418 م) .
ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء الجزء الخامس طبعة القاهرة 1323 هـ / 1915 م .

المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد المقري (ت . سنة 1041 هـ / 1632 م) .
ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب تحقيق محمدمحي الدين عبد الحميد (10) أجزاء طبعة القاهرة سنة 1949 م .
ـ أزهار الرياض في أخبار عياض ثلاثة أجزاء حققه الأساتذة : مصطفى وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي القاهرة 1939 م .

المقريزي : أبو العباس تقي الدين أحمدبن علي (ت . سنة 845 هـ / 1441 م) .
ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة سنة 1387 هـ / 1967 م .

المقديسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت . سنة 388 هـ / 997 م) .
ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبعة دي غويه ليدن 1906 م .

المالكي : أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله (ت . في القرن الخامس الهجري / 11 م) .
ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسيرهم وأخبارهم وفضائلهم . تحقيق الدكتور حسين مؤنس القاهرة 1951 م .

المراكشي : محي الدين عبد الواحد بن علي (ت . في النصف الثاني من القرن 7 هـ / 3 م) .
ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد السعيد العريان القاهرة 1963 م .

مؤلف مجهول :

ـ أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها . نشره وترجمه إلى اللغة الإسبانية لافونتي الكنترة مدريد 1867 م .

مؤلف مجهول :

ـ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية طبعة تونس سنة 1329 هـ / 1911 م .

مؤلف مجهول : عاش في القرن 6 هـ / 12 م .

ـ كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد الاسكندرية 1958 م .

مؤلف مجهول :

ـ فتح الأندلس نشره د . ن . خواكين جنثالث الجزائر 1889 م .

مؤلف مجهول : كان حيا سنة 712 هـ / 1312 م .

ـ نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب « مفاخر البربر » نشره ليفي بروفنسال بالرباط (سنة 1352 هـ / 1934 م)

مؤلف مجهول : عاش في القرن 6 هـ / 12 م .

ـ العيون والحدائق في أخبار الحقائق الجزء الرابع القسم الأول والجزء الرابع ـ القسم الثاني تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ببغداد سنة 1972 م .

ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت . سنة 626 هـ / 1229 م) .

ـ معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر في كل مكان ثمانية أجزاء القاهرة 1233 هـ .

ثالثا : المراجع العربية الحديثة والمعربة

إبراهيم أحمد العدوي :

ـ بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1970 م .

أحمد السعيد سليمان :

ـ تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة الجزء الأول والثاني دار المعارف بمصر القاهرة 1972 م .

إحسان عباس :

ـ العرب في صقلية (دراسة في التاريخ والأدب) دار المعارف بمصر 1959 م .

أماري ميشيل :

ـ المكتبة العربية الصقلية طبعة ليبسك 1887 م .

أرشيالد لويس :
- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ومراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

إبراهيم فرحات :
- مصادر تاريخ المغرب القديم مجلة البينة العدد الخامس سبتمبر الرباط 1962 م .

إبراهيم فخار :
- بنوبرزل المسيلة في البرازيل مجلة الثقافة عدد (20) أبريل مايو الجزائر 1974 م .

أحمد إبراهيم الشعراوي :
- الأمويون أمراء الأندلس الأول دار النهضة العربية القاهرة 1969 م .

أنخل جنثالث بالنثيا :
- تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مؤنس ـ مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1955 م .

الباروني : أبو الربيع سليمان النفوسي (ت . سنة 1359 هـ / 1940 م) .
- الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية .

حسن أحمد محمود :
- قيام دولة المرابطين ، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة 1957 م .

حسن إبراهيم حسن :
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي الجزء : 1 ، 2 ، 3 ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة 1959 م .
- الدولة الفاطمية (في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب) مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1958 م .

حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف :
- عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة 1366 هـ / 1947 م .
- المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة 1367 هـ / 1947 م .

حسين مؤنس :
- أثر ظهور الإسلام في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البحر الأبيض المتوسط المجلة التاريخية المصرية المجلد الرابع العدد الأول مايو القاهرة 1951 م .

- ثورات البربر في افريقية والأندلس بين سنتي 102 هـ - 136 هـ / 721 - 752 م - مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد المجلد (10) الجزء (1) مايو القاهرة 1948 م .
- غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتي 229 - 245 هـ / 844 - 859 - المجلة التاريخية المصرية المجلد (2) العدد الأول القاهرة 1949 م .
- الجغرافية والجغرافيون في الأندلس من البداية إلى الحجاري صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد المجلدان (7) ، و (8) مدريد 1959 م - 1960 م .
- رحلة الأندلس : القاهرة سنة 1962 م .
- كتاب فتح العرب للمغرب القاهرة سنة 1948 م .
- كتاب فجر الأندلس ، القاهرة سنة 1959 م .

خالد الصوفي :

- تاريخ العرب في إسبانيا (عصر المنصور دار الكتاب العربي بيروت 1966 م .

دوزي ونهارت :

- تاريخ مسلمي إسبانيا الجزء (1) ترجمة حسن حبشي ومراجعة جمال محرز وأحمد مختار العبادي دار المعارف بمصر القاهرة 1963 م .
- دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول .

دوروتي لودر : إسبانيا شعبها وأرضها ترجمة طارق فوده مراجعة وتقديم د . عز الدين فريد القاهرة 1965 م .

زامباور :

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي الجزء الأول القاهرة 1951 م .

سلفادور غومث نوسفاليس :

- الرستميون كحلقة الوصل بين الجزائر والأندلس ، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي بورجلان يناير 1977 م .

سعد زغلول عبد الحميد :

- تاريخ المغرب العربي دار المعارف بمصر القاهرة 1965 م .

سيمون حايك :

- الناصر لدين الله أول خليفة في الأندلس ، بغداد 1962 م .

شكيب أرسلان : (ت . سنة 1366 هـ / 1946 م) .

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية الجزء الأول والثاني بيروت بدون تاريخ .

صلاح خالص :
- اشبيلية في القرن الخامس (دراسة أدبية وتاريخية) دارالثقافة بيروت 1965 م .

العبادي : أحمد مختار العبادي .
- الصقالبة في إسبانيا لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية ـ فصلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد 1373 هـ / 1953 م .
- سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، فصلة من صحيفة المعهد المصري الإسلامية بمدريد سنة 1957 م .
- نظام الخلافة في المغرب الإسلامي في العصور الوسطى فصلة من كتاب فلاسفة الإسلام في المغرب العربي .
- حياة ابن الخطيب المغربية مجلة البينة العدد الأول مايو الرباط 1962 .
- الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية العدد (21) الاسكندرية 1967 م .
- مؤلفات لسان الدين بن الخطيب في المغرب مجلة هسبيريس Hisperies 3e et 4e timestres 1959.
- صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس مجلة البينة العدد (9) يناير الرباط 1963 م .
- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس الطبعة الأولى الاسكندرية 1968 م .
- في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية بدون تاريخ .
- دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، دارالنهضة العربية بيروت 1969 م .
- من التراث العربي الإسباني مجلةعالم الفكر المجلد الثامن العدد الأول أبريل مايو يونيه 1977 م .

العبادي وعبد العزيزسالم :
- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار المعارف لبنان بيروت 1969 م .
- تاريخ البحرية الإسلامية في مصروالشام مطبعة جامعة بيروت العربية 1972 م .

عبد العزيزسالم :
- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، دارالمعارف لبنان بيروت سنة 1962 م .
- المغرب الكبير العصر الإسلامي (دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية) الدارالقومية للطباعة والنشر سنة 1966 م .

ـ المرية قاعدة الأسطول الأندلسي ، دار المعارف لبنان بيروت سنة 1969 م .
ـ قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية في العصور الوسطى) بيروت الجزء الأول والثاني بيروت 1971 ـ 1972 م .
ـ التاريخ والمؤرخون العرب ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر الاسكندرية سنة 1967 م .

العبادي عبد الحميد :

ـ المجمل في تاريخ الأندلس ، القاهرة 1958 م .

عبد العزيز المجدوب :

ـ الصراع المذهبي بأفريقية إلى قيام الدولة الزيرية تونس 1975 م .

عبد الله يوسف الغنيم :

ـ مصادر البكري ومنهجه الجغرافي ، الكويت 1974 م .

كارل بروكلمان :

ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة أمين فارس ، والبعلبكي بيروت 1954 م .

ليفي بروفنسال :

ـ أدب الأندلس وتاريخها سلسلة محاضرات عامة ألقاها عامي 47 / 1948 م ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة وراجعها الأستاذ المرحوم عبد الحميد العبادي المطبعة الأميرية بالقاهرة 1951 م .
ـ حضارة العرب في الأندلس ترجمة دوقان قرقوط بيروت بدون تاريخ .
ـ الإسلام في المغرب والأندلس ترجمة عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي القاهرة بدون تاريخ .

لين بول :

ـ العرب في إسبانيا ترجمة علي الجارم القاهرة 1947 م .

محمد بن تاويت التطواني :

ـ دولة الرستميين أصحاب تاهرت صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد المجلد (5) مدريد 1377 هـ / 1957 م .

محمد محمد مرسي الشيخ :

ـ شرلمان باعث النهضة الأوروبية ومجدد عهد الأمبراطورية في الغرب مقال منشور الاسكندرية 1975 م .

محمد اسماعيل :

ـ قضايا في التاريخ الإسلامي منهج وتطبيق دار العودة بيروت 1974 م.
ـ الخوارج في المغرب الإسلامي دار العودة بيروت 1976 م .

محمد عبد الله عنان :
- دولة الإسلام في الأندلس ، القاهرة 1958 م .
- دولة الطوائف القاهرة 1960 م .

محمد جمال الدين سرور :
- سياسة الفاطميين الخارجية - دار الفكر العربي 1967 م .

محمد اليعلاوي :
- بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانيء الأندلس ، مجلة الأصالة السنة (4) العدد (24) مارس أبريل مطبعة البعث قسنطينة 1975 م .

مبارك الميلي :
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج 2 الجزائر سنة 1350 هـ .

موسى لقبال :
- المعز لدين الله الفاطمي وجيل جديد من كتامة من خلال وثيقة فاطمية معاصرة . مجلة الأصالة عدد 29 / 30 يناير فبراير 1976 م .

مراجع عقيلة الغناي :
- علاقات الامارة الصنهاجية بجيرانها وأثرها في ليبيا ، بني غازي بدون تاريخ .

محمود علي مكي :
- التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد فصلة من المجلد (2) العدد (1 - 2) مدريد 1954 م .
- الرحلات بين المشرق والأندلس ، مجلة البينة العدد الثاني يونيه الرباط سنة 1962 .

محمد علي السنوسي :
- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية ، ط الرابعة دار المعارف بمصر 1966 م .

محمد الفاسي :
- الاعلام الجغرافية الأندلسية السنة الأولى العدد الثالث يولية 1962 م .

ماريا خيسوس فيغيرا :
- محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة ، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي ورجلان يناير سنة 1977 م .

محمد الشابي :
- دولة صاحب الحمار ونقوده ، فصلة من كتاب المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية مايو سنة 1963 م .

محمد الطيب النجار :
ـ الموالي في العصر الأموي القاهرة 1949/1368 م .
يوليوس فلهوزن :
ـ تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة القاهرة 1958 م .
نور الدين عبد القادر :
ـ صفحات في تاريخ مدينة الجزائر إلى انتهاء العهد التركي قسنطينة 1965 م .

رابعا : المراجع الأجنبية الحديثة

ANDRÉ Negre : *La fin de l'Etat rustomide*, revue d'histoire et civilisation du maghreb VI. VII Alger Juillet 1969.

ALFRED BEL : *La religion musulmane en Berberie.* Esquise d'histoire et de sociologie religieuse tome I Paris 1939.

CANDE : *History of the dominion of the arabs in Spain* Vol. I London.

CARDONNE : *Histoire de l'Afrique et de l'Espagne sous la domination des Arabes*, tome I Paris.
CHIKH BAKRI : *Le kharigisme berbere. Quelques aspects du royaume rustumide*, annales de l'institut d'études orientales XV d'Alger 1957.

DESPOIS J.R : *Geographie de l'Afrique du nord-ouest.* Paris 1967.

DOZY (R) : *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age.*tome 1-2 leyde 1881.
DOZY (R) : *Histoire des musulmans d'Espagne* 2 vls. ed. Levi provençal Leyden 1932.
DOZY (R) : *Supplement aux dictionnaires arabes* 2 tome Beyrout 1968.

GOLVIN (L) : *Le Maghreb central à l'époque des Zirides* (recherches d'archeologie et d'histoire) Paris 1957.

GABRIELI (F) : *Omeyades d'Espagne et Abbassides* «studia Islamica» XXXI Madrid 1970.
GAUTIER E.F : *Le passe de l'Afrique du nord les siècles obscurs.* Paris 1927.
HENRI FOURNEL : *Les berberes, études sur la conquête de l'Afrique par les Arabes d'après les textes Arabes imprimés* tome 2 Paris.

HENRI FOURNEL : *Etudes sur la conquête de l'Afrique par les Arabes et recherches sur les tribus berberes qui'ont occupé le Maghreb central* Paris 1858.

HENRI TERRASSE : *Histoire du Maroc des origines a l'établissement du protectorat français* 2 tomes Casablanca 1948.
HASSAN IBRAHIM H : *Relations between the Fatimids in north Africa and Egypt and the Umayyads in Spain during* the 4th centrury A.H. (10 th century A.D) belltin of the Faculty of Arts Fouad I University Vol. X part. II december 1948.
JULIEN. CH. A : *Histoire de l'Afrique du nord* (depuis la conquête arabe Jusqu'à 1930 Paris 1952
LEVI PROVENÇAL : *l'Espagne Rmusulmane au Xème siècle institution et vie sociale.* Paris 1932.

— *Islam d'occident, Etudes d'histoire mediévale* Paris 1948.

— *Histoire de l'Espagne musulmane* 3 vls. Paris 1950.

— *La politica Africana de Abd al Rahman* III al Andalus vls. XI fasc. 2 1946.
LEVI P. et GARCIA (G) : *Una cronica anonima de Abd al Rahman III al Nasir.* Madrid 1950.
LUIS SECO de LUCENA : *los Hamudies senores de Malaga y Algeciras* Grenada 1953.

LEWUCKI (T) : *Traits d'histoire du commerce transsaharien marchands et missionnaires Ibadites en Soudan occidental et central au cours des Ville-XIIème siècles* (entrografia polska) ville 1964.

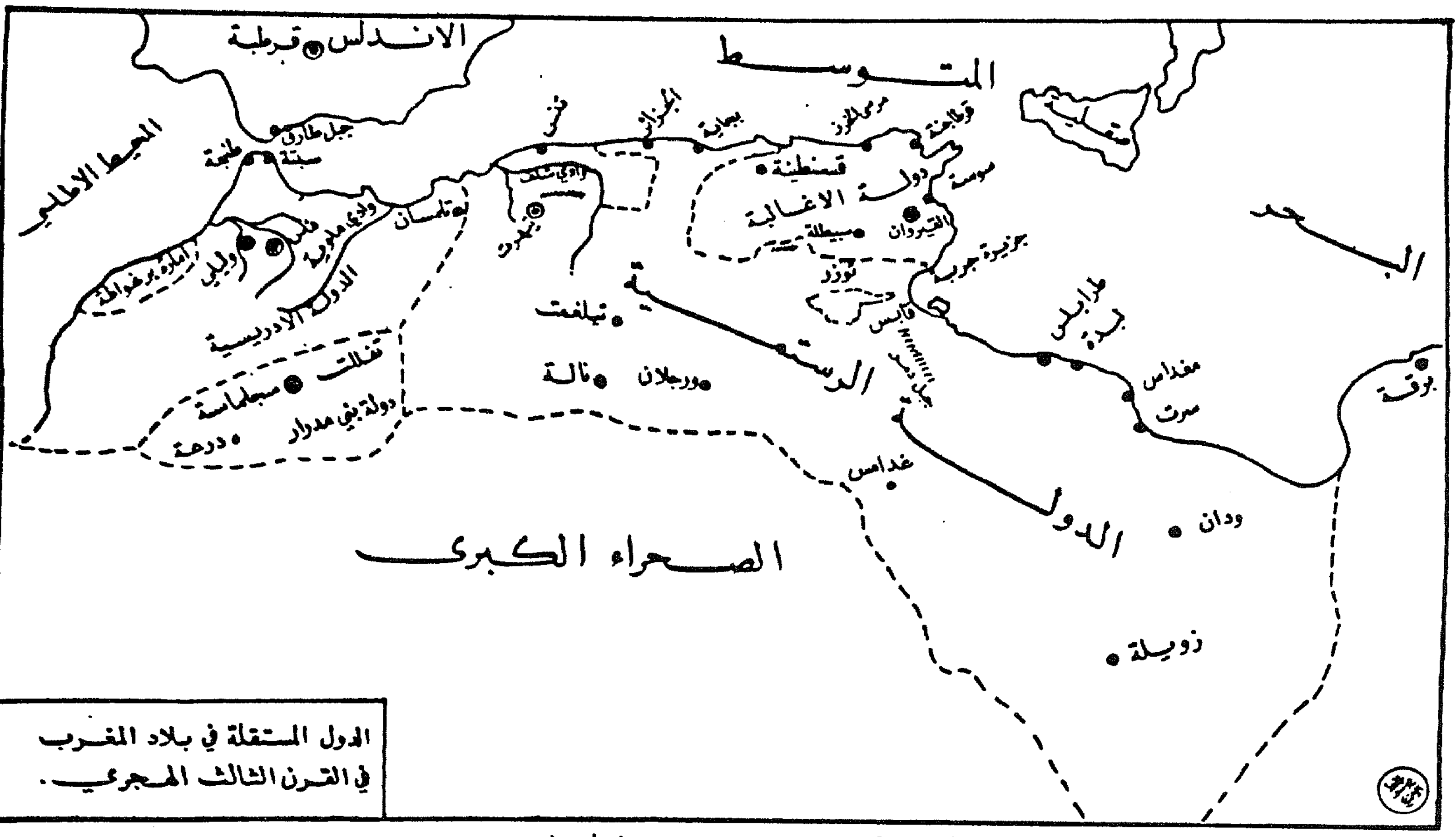
— «*Al Ibadiyya*» *encyclopedie de l'islam*, nouvelle édition leiden - Paris 1971.

MARCAIS (G) : *La Berberie musulmane et l'Orient au Moyen-Age* Paris 1922.

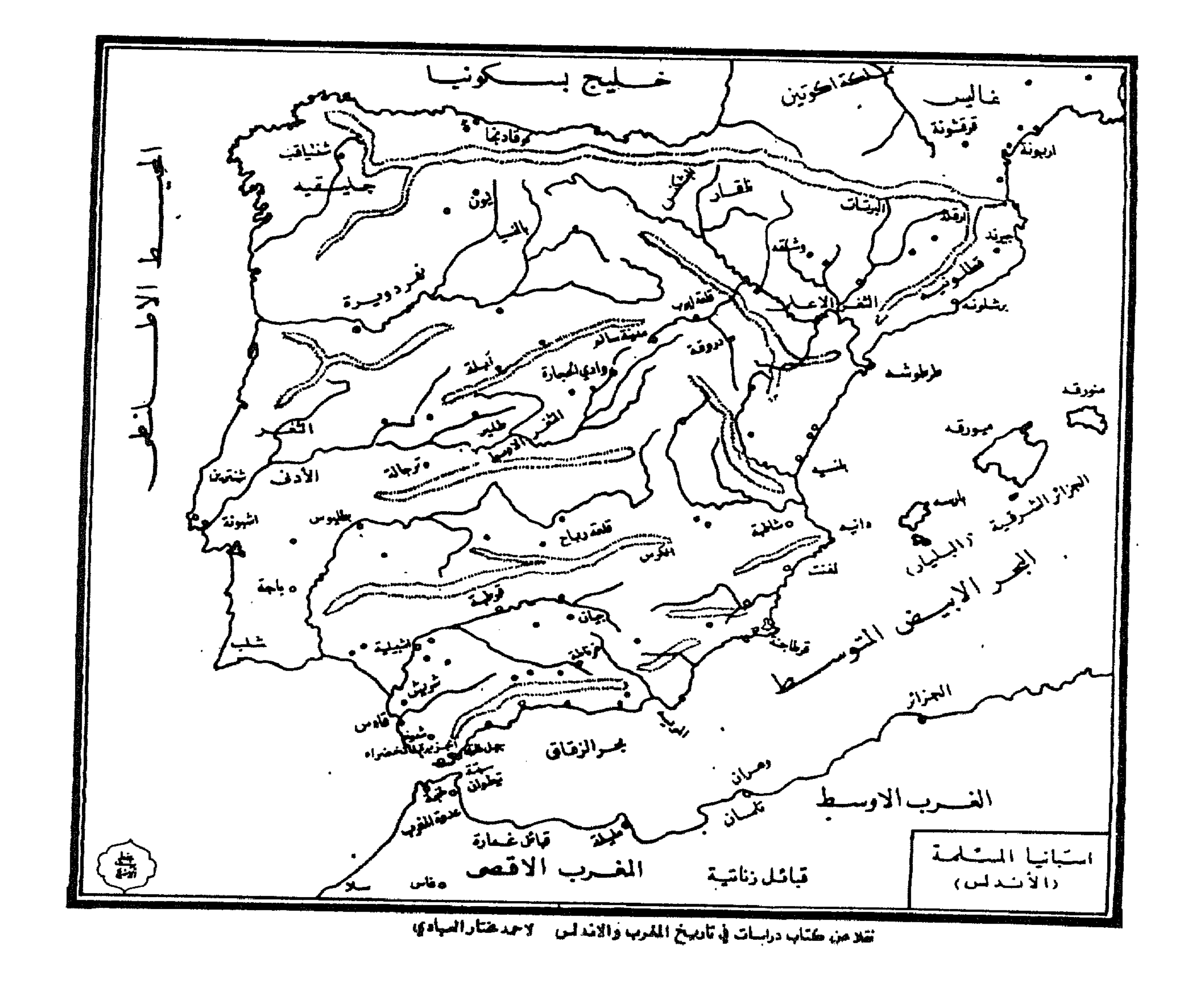
MASUERAY : *Chronique d'abou Zakaria*, trad. frn. Alger 1879.

MOTYLINSKI : *Chronique d'Ibn Saghir sur les Imams rostumides de Tahert*.Alger 1905, Paris 1908.

SCOTT. S p. : *History of the moorish Empire in Europe* Vol. I London 1904.



نقلا من كتاب الخوارج في المغرب الاسلامي محمود اسماعيل



نقلا عن كتاب دراسات في تاريخ المغرب والاندلس لاحمد مختار العبادي

الفهرس

صفحة

الباب الثاني

سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الخليفتين عبد الرحمان الناصر والحكم المستنصر

الفصل الأول

سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الناصر لدين الله

الفصل الثاني

سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الخليفة الحكم المستنصر بالله

الباب الثالث

سياسة الأمويين نحو دول المغرب منذ وفاة الحكم المستنصر حتى سقوط الخلافة الأموية

الفصل الأول

سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر هشام المؤيد بالله

الفصل الثاني

سياسة الدولة الأموية نحو دول المغرب في فترة الانتقال ما بين هشام المؤيد بالله وسقوط الخلافة الأموية في قرطبة

صفحة

هذا الكتاب

إن العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب والأندلس كانت علاقات قوية ومتينة، وبصورة خاصة فى عصر الولاة.

أما فى عهد الدولة الأموية فقد تغيرت الأوضاع وأصبحت هذه العلاقات تتذبذب متأثرة بالتيارات المذهبية والصراعات السياسية التى نتج عنها الكثير من الأزمات الاقتصادية والسياسية داخل الأندلس، كانت السبب المباشر فى المد المسيحى من الشمال.

وهذا الكتاب يعتبر فى هذا الحقل دراسة جديدة للفكر السياسى والدبلوماسى فى الحقبة المذكورة، ويلقى أضواء على العديد من الحقائق التاريخية الجديرة بالاطلاع.

والله ولى التوفيق...

الناشر: عبدالحى أحمد فؤاد

دار الفجر للنشر والتوزيع

05 شارع التيسير. نهاية شارع الملك فيصل. الهرم. مصر تليفون/ فاكس 3831972

I.S.B.N. 977 - 5499- 47- X